السيرة الحلبية

المسماة

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون

للعلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي

الجزء الثاني

طبع بمطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

وناظر طبعه محمد أمين عمران

رجب سنة ١٣٤٩ هـ - رقم ٤٢٥



غزوة بنى سليم

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم أى وفى رواية أبى داود أن استخلاف ابن أم مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والأحكام فان الضرير لا يجوز له أن يحكم بين الناس لأنه لا يدرك الأشخاص ولا يثبت الأعيان ولا يدرى لمن يحكم ولا على من يحكم أى فأمر القضايا والأحكام يجوز أن يكون فوضه ﷺ لسباع فلا مخالفة . فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر . أى وقيل لهذا الماء الكدر لأن به طيرا فى ألوانها كدرة فأقام ﷺ على ذلك الماء ثلاث [illegible] . ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا أى وكان لواؤه ﷺ أبيض حمله على بن أبى طالب كرم الله وجهه [illegible] وكان فى تلك السنة تزويج على بفاطمة رضى الله تعالى عنهما أى عقد عليها فى رمضان وقيل فى رجب ودخل بها فى ذى الحجة . وقيل بعد أن تزوجها بنى بها بعد سبعة أشهر ونصف أى فيكون عقد عليها فى أول جمادى الأولى . وكان عمرها خمس عشرة سنة . وكان سن على يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر أى وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار . ولما خطبها على قال ﷺ ان عليا يخطبك فسكتت . أى وفى رواية قال لها أى بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما ادخرتنى لفقير قريش فقال ﷺ والذى [illegible] ما تكلمت [illegible] حتى أذن الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضى الله عنها [illegible] خطبها أبو بكر ثم عمر فسكت ﷺ وفى رواية قال لكل

أنتظر بها القضاء فجاآ أي أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى على كرم الله وجهه يأمرانه أن يخطبها قال على فنبّهانى لأمر كنت عنه غافلا فجئته ﷺ فقلت تزوّجنى فاطمة قال وعندك شئ . قلت فرسى وبدنى أى درعى قال أما فرسك فلابد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين درهما فجئته ﷺ بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال أى بلال ابتع لنا بها طيبا . وفى رواية لما خطبها قال له ﷺ ما تصدقها وفى لفظ هل عندك شئ تستحلها به قال ليس عندى شئ قال فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا . قال عندى فباعها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على كرم الله وجهه فجاء علىّ بالدرع والدراهم الى رسول الله ﷺ فدعا لعثمان بدعوات . وفى فتاوى الجلال السيوطى أنه سئل هل لصحة ما قيل إن عثمان بن عفان رأى درع على رضى الله تعالى عنهما يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضى الله عنها فقال عثمان هذا درع على فارس الاسلام لايباع أبدا فدفع لغلام على أربعمائة درهم وأقسم أن لايخبره بذلك ورد الدرع معه . فلما أصبح عثمان وجد فى داره أربعمائة كيس فى كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فأخبر جبريل النبى ﷺ بذلك فقال هنيأ لك ياعثمان . وفيها أيضا أن عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فأعطاه إياها فجاءه جبريل فى صورة اعرابى ومعه ناقة فقال يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معى ثمنها قال الى أجل فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل فى صورة رجل فى طريقه فقال أتبيع هذه الناقة قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل قال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الىّ دينى فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين هذا قال ضاربت مع الله بستة فأعطانى ستين ثم جاء الى النبى ﷺ فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشترى ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة * له أصل أم لا ؟ فأجاب عن ذلك كله بأنه لم يصح أى وهى تصدق بأن ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع * ولما أراد ﷺ أن يعقد خطب خطبة منها ﴿الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا وكان ربك قديرا . ثم ان الله أمرنى أن أزوّج فاطمة من علىّ أربعمائة مثقال فضة أرضيت ياعلى قال رضيت﴾ بعد أن خطب على كرّم الله وجهه أيضا خطبة ﴿الحمد لله شكرا لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه﴾ أى وفى رواية أنه ﷺ قال ياعلىّ اخطب لنفسك فقال علىّ : الحمد لله الذى لايموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوّجنى فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا . قالوا ما تقول يارسول الله قال اشهدوا أنى قد زوّجته كذا رواه ابن عساكر . قال الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر . وفى هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة أضربنا عنها . ولما تمّ العقد دعا ﷺ بطبق بسر بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا . وقول على كرم الله وجهه نبهانى لأمر كنت عنه غافلا لاينافى، عن أسماء بنت عميس أنها قالت قيل لعلى ألا تتزوّج بنت رسول الله ﷺ فقال مالى صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور بالباء الموحدة : يعنى غير الصحيح الدين ولا المتهم فى الاسلام أى لا أخشى الحاجة لم أزوّج . وليلة بنى بها قال ﷺ لعلى لاتحدث شيئا حتى تلقانى فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت فى جانب البيت وعلىّ فى جانب آخر وجاء رسول الله ﷺ فقال لفاطمة

ائتيني بماء فقامت تعثر فى ثوبها وفى لفظ فى مرطها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله ﷺ ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . ثم قال ائتونى بماء فقال على كرم الله وجهه فعلمت الذى يريد فقمت وملأت القعب فأتيته به فأخذه فمج فيه وصنع بى كما صنع بفاطمة ودعا لى بما دعا لها ثم قال اللهم بارك فيهما و بارك عليهما و بارك لهما فى شملهما أى الجماع وتلا : قل هو الله أحد والمعوذتين . ثم قال ادخل بأهلك باسم الله والبركة . وكان فراشها اهاب كبش أى جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما واذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤسهما ثم مكث ﷺ ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة . وفى اليوم الرابع دخل عليهما فى غداة باردة وهما فى تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فاخذ على كرم الله وجهه إحداهما فوضعها على صدره و بطنه ليدفئها وأخذت فاطمة رضى الله عنها الأخرى فوضعتها كذلك . وقلت له فى بعض الأيام يارسول الله مالنا فراش الاجلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار . فقال لها ﷺ يابنية اصبرى فان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهما فراش الا عباءة قطوانية أى وهى نسبة الى قطوان موضع بالكوفة . أى ولعل العباءة التى كانت من ذلك الموضع كانت صفيقة : وعن على رضى الله تعالى عنه لم يكن لى خادم غيرها . وعنه رضى الله تعالى عنه لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ وانى لأربط الحجر على بطنى من الجوع وان صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار : ولعل المراد فى السنة . قال الامام أحمد بن حنبل ماورد لأحد من الصحابة ماورد لعلى رضى الله تعالى عنه أى من ثنائه ﷺ عليه * وسبب ذلك انه كثرت أعداؤه والمنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه ردا للخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مانزل فى أحد من الصحابة من كتاب الله مانزل فى على . نزل فى على ثلثمائة آية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماتكلمت به فى التفسير انما أخذته عن على كرم الله وجهه * ومن كلماته البديعة الوجيزة لايخافن أحد الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحى من لايعلم أن يتعلم ولامن يعلم اذا سئل عما لايعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم * ومن ذلك العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم و يخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه لاتصعد أعمالهم من مجالسهم تلك الى الله . وقال ﷺ لعلى يهلك فيك رجلان محب مطر وآخر مفتر مكره لك يأتى بالكذب المفترى . وقال له ياعلى ستفترق أمتى فيك كما افترقت فى عيسى ابن مريم وجاء انه ﷺ قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى ماأرابها ويؤذينى ماآذاها

غزوة بنى قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها أى وقيل بفتحها فهى مثلثة النون واشهر قوم من اليهود

وكانوا أشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبيّ ابن سلول . فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أى لانه ﷺ كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة و بنى النضير أن لايحاربوه وأن لايظاهروا عليه عدوه . وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه . وقيل على أن ينصروه ﷺ على من دهمه من عدوه أى كما تقدم فهم أول من غدر من يهود . فانه مع ماهم عليه من العداوة لرسول الله ﷺ قدمت امرأة من العرب بجلب لها أى وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما [] فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم أى وفى الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الانصار أى ومعلوم أن الانصار كانوا بالمدينة أى وقد يقال لامخالفة لجواز أن تكون زوجة بعض الانصار من الاعراب وانها جاءت بجلب لها فجعلوا أى جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها أى وفى رواية خله بشوكة وهى لاتشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون أى وتقدم وقوع مثل ذلك وانه كان سببا لوقوع حرب الفجار الاول . ولما غضب المسلمون على بنى قينقاع أى وقال لهم ﷺ ما على هذا أقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه من حلفهم أى قال يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار [] وتشبث به عبدالله بن أبي ابن سلول أى لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت أى وفيه نزلت (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الى قوله (فان حزب الله هم الغالبون) فجمعهم ﷺ وقال لهم يامعشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة أى ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يامحمد انك ترى انا قومك أى تظنا انا مثل قومك ولايغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا أى لانهم كانوا اشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا فأنزل الله تعالى ـ قل للذين كفروا ستغلبون ـ الآية أى وأنزل الله ـ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ـ الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله ﷺ ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه . قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ما تقدم فى ضمن غزاة بدر من أنه كان أمامه رايتان سوداوان احداهما مع على ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لايحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه ﷺ مختصة بأبى سفيان رضى الله عنه لايحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله اذا غاب كان يوم بدر والاخرى مع بعض الانصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة مرط لعائشة رضى الله عنها * واستخلف ﷺ على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه ﷺ كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا اربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله ﷺ أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وأن لهم نساءهم والذرية وله ﷺ الاموال أى ومنها الحلقة التى هى السلاح والظاهر من كلامهم انه لم يكن لهم نخيل ولا أرض تزرع وخمست أموالهم أى مع كونها

فيئاله ﷺ لأنها لم تحصل بقتال ولاجاوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له ﷺ الخمس ولأصحابه الاربعة الأخماس . أقول ولايخفى أن من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقـل صريح دال على مافعل بها وعـلم أنه ﷺ جعل هـذا الفيء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية ان الفيء المقابل للغنيمة كالواقع في هذه الغزوة وغزوة بني النضير الآتية كان في زمنه ﷺ يقسم خمسة أقسام له ﷺ أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له ﷺ منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوي القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفيء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها أحـد وعشرون سهما لرسول الله ﷺ وأربعـة أسهم لاربعة أصناف هم ذووالقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعي رضي الله عنـه رأى أن ذلك كان أكثر أحواله ﷺ والا فهو هنا وفي بني النضير كما سيأتي لم يفعل ذلك بل خمسه هنا ، ثم استقل به أي لم يعط الجيش منـه وقد جعل ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم أي و بنات هاشم و بني أي و بنات المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل مع أن الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم . ولما فعل ذلك جاء اليه ﷺ جبير ابن مطعم من بني نوفل وعثمان بن عفان من بني عبد شمس فقالا يارسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لاننـكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وفي لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة وفي رواية ان بني هاشم [illegible] فوا [illegible] منهم و بنو المطلب ونحن ندلي اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فبم فضلتهم علينا فقال رسول الله ﷺ انما بنو هاشم و بنو المطلب شيء واحـد هكذا وشبك بين أصابعه زاد في رواية أنهم لم يفارقونا في جاهلية ولافي اسلام أي لان الصحيفة انما كتبت على يد بني هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه ﷺ ودخلوا الشعب . و بعده ﷺ صار الفيء أربعة أخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثاني منه لذوي القربى والخمس الثالث منـه لليتامى والخمس الرابع منه للمساكين والخمس الباقي منه لابن السبيل ثم لايخفى انه ﷺ اذا كان مع الجيش وغنم شيئا بقتال أو ايجاف خيل أوجلا عنه أهله بعـد التقاء الصفين كان من خصائصه ﷺ أن يختار من ذلك قبل قسمته و يقال لهذا الذي يختاره الصفي والصفية كما تقدم [illegible] أقول وتقدم [illegible] الامتاع عن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه ﷺ كان [illegible] من سهمه أولا . قيل نعم . وقيل كان خارجا عنه وتقدم الجواب عن ذلك في غزاة بدر أن هذا الخلاف [illegible] ثم بانه كان زائدا على سهمه ﷺ لان ذلك قبل نزول آية تخميس [illegible] و كان [illegible] ﷺ كسهم واحـد من الجيش فصفيه يكون زائدا على ذلك . وأما [illegible] ﷺ [illegible] خمس الغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجري فيما يأخذه قبل [illegible] الخلاف [illegible] أو يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين اجراء الخلاف والجزم والله أعـلم [illegible] ولما [illegible] أمر رسول الله ﷺ أن يكتفوا فكتفوا [illegible] فكلمه [illegible] أي فقال يامحمد أحسن في موالي فاعرض عنه ﷺ فأدخل [illegible] رسول الله ﷺ من خلفـه أي [illegible] الدرع هي ذات الفضول [illegible] له رسول الله ﷺ [illegible] رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة [illegible]

حتى تحسن فى موالى" فانهم عترتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر فقال ﷺ خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل أى وقال له خذهم لابارك الله لك فيهم وأمر ﷺ ان يجلوا من المدينة أى ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أى بعد أن سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولاساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام أى ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته ﷺ فى قوله لابن أبى" لابارك الله لك فيهم . ويذكر أن ابن أبى قبل خروجهم جاء الى منزله ﷺ يسأله فى اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لانمكث فى بلد يفعل فيه بأبى الحباب هذا ولاننتصر له وتأهبوا للجلاء . قال وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى ولامانع أن يكونا أى عبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة اشتركا فى اخراجهم . ووجد ﷺ فى منازلهم سلاحا كثيرا أى لأنهم كما تقدم أكثر يهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسى" قوسا يدعى الكتوم أى لايسمع له صوت اذا رمى به وهو الذى رمى به ﷺ يوم أحد حتى تشظى بالظاء المشالة كما سيأتى وسيأتى مافيه . وقوسا يدعى الروحاء . وقوسا يدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال له السغدية أى بسين مهملة وغين معجمة و يقال انها درع داود التى لبسها ﷺ حين قتل جالوت والأخرى يقال لها فضة وثلاث أرماح وثلاثة أسياف سيف يقال له قلعى وسيف يقال له بتار والآخر لم يسم انتهى اى وسماه بعضهم بالحيف ووهب ﷺ درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما والله تعالى أعلم

غزوة السويق

لما أصاب قريشا فى بدر ماأصابهم نذر أبو سفيان أن لايمس رأسه ماء من جنابة أى لايأتى النساء ولعل هذه العبارة وهى لايمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة . مراده بها ماذكر من أنه لايأتى النساء . و يؤيده ماجاء فى بعض الروايات لايمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا . أو أن ذلك قاله أبو سفيان بناء على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة . ومن ثم ذكر الدميرى أن الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو من الشرائع القديمة . وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة و يغسلون موتاهم و يكفنونهم و يصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وماذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الأكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى ــ وان كنتم جنبا فاطهروا ــ فلم يحتاجوا الى تفسيره . وأما الحدث الأصغر فلما لم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضئوا بل قال فاغسلوا الآيه ؟ فخرج أبو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليبر بيمينه حتى نزل بمحل بينه و بين المدينة نحو بريد . ثم أتى بنى النضير أى وهم حى من يهود خيبر ينسبون الى هرون أخى موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فأتى حيى بن أخطب أى وهو من رؤساء بنى النضير وهو أبو صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب

عليه بابه فأبى أن يفتح له لانه خافه فانصرف عنه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير أى وصاحب كنزهم أى المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم ومايعرض لهم [] أى وكان حليا يعيرونه لأهل مكة فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الأنصار . قال فى الامتاع وهذا الأنصارى هو معبد بن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار أى واستعمل ﷺ على المدينة بشير بن عبد المنذر * وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة . وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب أى لأجله فجعلوا يلقون جرب السويق أى وهو قمح أوشعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بماء ، وتارة بسمن ، وتارة بعسل وسمن [] وهوعامة أزوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة . وكانت غيبته خمسة أيام

غزوة قرقرة الكدر

ويقال قرقرة الكدرة ويقال فراقر . فبلغ رسول الله ﷺ ان جمعا من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر أى لعله بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم ﷺ كما تقدم . وقرقرة الكدر أرض ملساء فيها طيور فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع كما تقدم أن الماء الذى بأرضهم الذى بلغه ﷺ ولم يجد به أحدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به . فسار اليهم فى مائتين من أصحابه . وجعل لواءه على بن أبى طالب . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وتقدم فى تلك أنه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة أوابن أم مكتوم وتقدم مافيه فلما سار اليه أى الى ذلك الموضع لم يجد به أحدا وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادى واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد خمسمائة بعير مع رعاء . منهم غلام يقال له يسار فحازوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة أميال من المدينة خمسها ﷺ فأخرج خمسه وقسم الأربعة أخماس على أصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار فى سهمه ﷺ فأعتقه ﷺ لانه رآه يصلى أى وقد أسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد أسره أى وفى كون هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة * وكانت مدة غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة فعلم أنه ﷺ غزا بنى سليم وأنه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وأنه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أوابن أم مكتوم . وهنا وقع الجزم بالثانى وأن الاولى لم يذكر أنه وجد فيها شيأ من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل أى وحينئذ تكون تلك الطيور توجد فى ذلك الماء وفى تلك الارض فعلى هذا يكون ﷺ غزا بنى سليم مرة بن مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيئا من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على أن محل ذلك الماء سابق على تلك الارض أو أن تلك الارض سابقة على محل ذلك الماء * وفى السيرة الشامية أن غزوة بنى سليم هى غزوة قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزا بنى سليم مرة واحدة أى وحينئذ يكون الماء الذى كان به ذلك الطير كان فى تلك الارض الملساء أو قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطى جعل غزوة بنى سليم هى غزوة بحران الآتية وسنذكرها

غزوة ذى أمر

بتشديد الراء اسم ماء أى وسماها الحاكم غزوة انمار ويقال انها غزوة غطفان . بلغ رسول الله ﷺ أن رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحرث أى الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذى أمر أى وهو موضع من ديار غطفان أى ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله ﷺ فى أربعمائة وخمسين رجلا لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاوّل واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وأصاب أصحابه رجلا منهم أى يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة من بنى ثعلبة فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم أى وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك اليهم هربوا فى رءوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ للاسلام فأسلم وضمه ﷺ الى بلال أى وأخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط به عليهم فسمعوا بمسير رسول الله ﷺ فهربوا فى رءوس الجبال أى فبلغوا ماء يقال له ذو أمر فعسكر به ﷺ وأصابهم مطر أى كثير بلّ ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه [] فنزع رسول الله ﷺ ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع أى بمرأى من المشركين واشتغل المسلمون فى شئونهم فبعث المشركون دعثورا الذى هو سيد القوم وأشجعهم الجمع لهم اى فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به [] أى وفى لفظ أنه لما رآه قال قتلنى الله ان لم أقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله ﷺ ثم قال من يمنعك منى اليوم وفى رواية الآن فقال رسول الله ﷺ الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده أى بعد وقوعه على ظهره فأخذ السيف رسول الله ﷺ وقال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفى رواية وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أى بعد أن أعطاه ﷺ سيفه [] فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره فقال علمت انه ملك فاسلمت ونزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) الآية ثم أقبل رسول الله ﷺ الى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة ليلة

غزوة بحران

بفتح الموحدة وبضم وسكون الحاء المهملة وقد يردنها الحافظ الدمياطى غزوة بنى سليم كما تقدم . بلغه ﷺ أن ببحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه و بين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بنى سليم خرج فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أى ولم يظهر وجها للسير [] وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم أى وكان ﷺ قبل أن يصل الى ذلك بليلة لقى رجلا من بنى سليم فأخبره أن القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل وسار الى أن وجدهم كذلك فأطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للأصل يكون غزا بنى سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وبعد هذه الغزوة وغزوة ذى أمر كانتا فى السنة الثالثة من الهجرة ❊ وفى تلك السنة التى هى الثالثة عقد عثمان

ابن عفان رضى الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول ﷺ بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتها * وعقد ﷺ على حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وذلك فى شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر بعد أن عرضها عمر على أبى بكر فلم يجبه لشئ وعرضها على عثمان فلم يجبه لشئ فقال عمر يارسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فاعرض عنى فقال له رسول الله ﷺ ان الله قد زوّج عثمان خيرا من ابنتك وزوّج ابنتك خيرا من عثمان فتزوّج عثمان أم كلثوم وتزوّج ﷺ حفصة . وتزوّج أيضا ﷺ زينب بنت خزيمة فى رمضان . وتزوّج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب فى تلك السنة وقيل تزوّجها فى السنة الرابعة وصححها فى الأصل . وقيل فى الخامسة . وكان اسمها برة بفتح الموحدة . واسم أمها برة بضمها فغير ﷺ اسمها وسماها زينب وقال لها ﷺ لو كان أبوك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا أى والجحش فى اللغة السيد . وقد كان ﷺ جاء اليها ليخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بنا كحته قال بل فانكحيه قالت يارسول الله أؤامر أى أشاور نفسى فانى خير منه حسبا فأنزل الله تعالى ـ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ـ الآية فقالت عند ذلك رضيت . وفى رواية أنها وهبت نفسها للنبى ﷺ فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله ﷺ فزوّجها عبده فنزلت الآية . أى وعن مقاتل أن زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوّج زينب جاء الى النبى ﷺ وقال يارسول الله اخطب على . قال له من . قال زينب بنت جحش فقال له لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نسبا فقال يارسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علىّ فعلت قال انها امرأة لسناء أى فصيحة . والمراد لسانها طويل فذهب زيد الى على رضى الله تعالى عنه فحمله على أن يكلم له النبى ﷺ فانطلق معه علىّ الى النبى ﷺ فكلمه فقال انى فاعل ذلك ومرسلك ياعلى الى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فاخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبى ﷺ يقول قد رضيته لكم وأقضى أن تنكحوه فأنكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله ﷺ . ثم بعد ذلك جاء ﷺ بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فأعرض عنها فقالت له ليس هو هنا يارسول الله فادخل فأبى أن يدخل وأعجبت رسول الله ﷺ أى لأن الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه ﷺ فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب . وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء اليه ﷺ وقال يارسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك فقال له رسول الله ﷺ أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم أى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها ﷺ الى أن طلقها . فعنها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى ﷺ لم يستطعنى زيد وما امتنعت منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاءه يوما وقال له يارسول الله ان زينب اشتدّ على لسانها وأنا أريد أن أطلقها فقال له اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال استطالت علىّ فقال له إذن طلقها فطلقها . فلما انقضت عدتها أرسل زيدا لها فقال له اذهب فاذكرها علىّ فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يازينب ابشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك [illegible] بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى أى أستخيره . فبينا رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة اذ نزل

عليه

عليه الوحي أن الله زوّجه زينب فسرّي عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوّجنيها من السماء وجاء اليها رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير اذن قالت دخل عليّ وأنا مكشوفة الشعر فقلت يارسول الله بلاخطبة ولا إشهاد قال الله المزوج وجبريل الشاهد . أى وأنزل الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله عنه وقد قالها ﷺ فى حق ولده أسامة فقد جاء أحب أهلى الىّ من أنعم الله وأنعمت عليه أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب . فنعمة الله على زيد وعلى ولده اسامة الاسلام . ونعمة النبى ﷺ عليهما العتق لأن عتق أبيه عتق له تأمل . وانما توجه هذا العتب أى لأن الله تعالى كان أعلم نبيه ان زينب ستكون من أزواجه ﷺ فلما شكا اليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه فى نفسه ماالله مبديه ومظهره . وهو ماأعلمه الله به من انك ستتزوّجها فالذى أخفاه ما كان الله أعلمه به وتخشى الناس أى اليهود والمنافقين أن يقولوا تزوّج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه فى إمضاء ماأحبه ورضيه لك واعطاك إياه . وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزوّج النبى ﷺ إياها لازالة حرمة التبنى. قال تعالى (لئلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) . وأولم ﷺ عليها بما لم يولم به على نسائه وذبح شاة وأطعم فخرج الناس و بقى رجال يتحدّثون فى البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله ﷺ . ففى البخارى فجعل النبى ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدّثون . وفى البخارى أيضا فخرج النبى ﷺ فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله و بركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله و بركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع النبى ﷺ فوجد القوم فى البيت يتحدّثون. قال أنس رضى الله عنه وكان النبى ﷺ شديد الحياء فخرج فطلبها الى حجرة عائشة فاخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة البيت داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بينى و بينه فنزلت آية الحجاب . قال فى الكشاف وهى أدب أدب الله تعالى به الثقلاء . وفى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعد ماضرب علينا الحجاب تقضى حاجتها أى بالمناصع . محل كان أزواجه ﷺ يخرجن اليه بالليل للتبرز . وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب فقال ياسودة والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ فى بيتى ليتعشى وفى يده عرق فدخلت فقالت يارسول الله انى خرجت فقال لى عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق فى يده ماوضعه فقال انه قد أذن لكنّ ان تخرجن لحاجتكن . وكان قول عمر اسودة ماذكر حرصا على أن ينزل الحجاب . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فأنزل الله الحجاب وفيه ما تقدم عنها أن قول عمر لسودة كان بعد أن ضرب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهنّ للبراز فلا ترى أشخاصهنّ والحجاب المتقدم عدم رؤية شئ من أبدانهنّ فلا مخالفة فليتأمل . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخلت علىّ زينب بنت جحش وعندى رسول الله ﷺ فاقبلت عليه فقالت له ما كل واحدة منا عندك الا على خلاء اى على ماأردت ثم أقبلت علىّ تسبنى فردعها النبى ﷺ فلم تنته فقال لى سبيها فسببتها وكنت أطول لسانا منها حتى جف ريقها فى فمها ووجه رسول الله ﷺ يتهلل سرورا أى رئى يوم غضب رسول الله ﷺ على زينب لقولها فى صفية بنت حيى تلك اليهودية فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم و بعض صفر ثم أتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت أرسل أزواج

النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ تستأذن والنبي ﷺ معي فأذن لها فدخلت عليه فقالت يارسول الله ان أزواجك أرسلنني اليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة أى أن تعدل بينهن و بينها فقال النبي ﷺ أى بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فأحبي هذه يعنيني فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبي ﷺ فحدثتهن بما قالت و بما قال لها فقلن لها ماأغنيت عنا من شئ فارجعي الى النبي ﷺ فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا . فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو فى بيت عائشة فأذن لها فدخلت فقالت يارسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ثم وقعت أى زينب بى تسمعني ما أكره فطفقت أنظر الى النبي ﷺ حتى يأذن لى فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبي ﷺ لايكره أن انتصر فوقعت بها أسمعها ماتكره فتبسم النبي ﷺ وقال لها انها ابنة أبى بكر أى محل الفصاحة والشهامة . وسبب ذلك أى طلبهن أن يعدل بينهن و بين عائشة أن الناس كانوا يتحرّون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

غزوة أحد

وكانت فى شوّال سنة ثلاث باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع . وأحد جبل من جبال المدينة قيل سمي بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التى هناك وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء . وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة أميال من المدينة . قال فيه ان قبر هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه . وكانا قدما حاجين أو معتمرين . وعن ابن دحية أن هذا باطل بيقين وان نص التوراة انه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام . وقد يقال لامخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو وأخوه موسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم قال ﷺ ان أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه أى وهى كل شجرة عظيمة لها شوك . والقصد الحث على عدم اهمال الأكل من شجره تبركا به وقال ﷺ أحد ركن من أركان الجنة أى جانب عظيم من جوانبها وفى رواية على باب من أبواب الجنة ولايخالف ماقبله فانه جاز أن يكون ركنا بجانب الباب . وفى رواية جبل من جبال الجنة ولامانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وصع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (وان منها لما يهبط من خشية الله) . وقيل هو على حذف مضاف أى يحبنا أهله وهم الانصار . أو لأن اسمه مشتق من الاحدية وأخذ من هذا أنه أفضل الجبال . وقيل أفضلها عرفة . وقيل أبو قبيس . وقيل الذى كلم الله عليه موسى . وقيل قاف ✱ ولما أصاب قريشا يوم بدر ما أصابها مشى عبدالله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ورجال أخر من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى من كان له تجارة فى تلك العير أى التى كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة فى دار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم أى قتل رجالكم ولم يترك لكم دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا أى وقالوا نحن طيبو النفوس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أوّل من أجاب الى

ذلك و بنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال . فسلم لأهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا أي فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار . وقيل أخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وأنزل الله تعالى في ذلك (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) . وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لأبي عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك علي ان رجعت أن أغنيك وان أصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من علي أي وأخذ علي أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقني وأنا أسير في أسارى بدر فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك . فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس بأشعارهما . فأما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن في كلام ابن عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشي التيمي له صحبة وكان شاعرا لم يرو شيئا ولا أدري هل هو هذا أو غيره . وأما أبو عزة فظفر به رسول الله ﷺ بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد أي المكان المعروف الآتي بيانه قريبا وتقدم استطرادا ثم أمر ﷺ عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتي وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق أي لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشي كان غلاما لطعيمة وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فاني لا أدري في القوم كفؤا له غيرهم فأنت عتيق وخرج معهم النساء بالدفوف . وفي كلام سبط بن الجوزي وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه . وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة أي مع أزواجهن ومنهن هند زوج أبي سفيان رضي الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك أي وأم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضي الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة بن أبي طلحة وأم مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر وينحن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار و بلغ رسول الله ﷺ ذلك أرسل به اليه عمه العباس أي بعد أن راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشئ وذلك في كتاب جاء اليه ﷺ وهو بقباء أرسله العباس مع رجل استأجره من بني غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل كذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا ونزل ﷺ على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس أي فقال والله اني لأرجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله ﷺ من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله ﷺ فقال لها لا أم لك وأنت وذاك . فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه ﷺ فأخبره خبرها وقال يارسول الله اني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله ﷺ خل عنها [ ] وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع أبو سفيان قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والاحابيش وخرج معه أبو عامر الراهب في سبعين فارسا من الأوس . قال في الأصل والاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق و بنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبسي وهو

جبل بأسفل مكة وتحالفوا على أنهم مع قريش يداواحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضح نهاروما رسا حبشى مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل . وقيل سموابذلك لتحبشهم أى تجمعهم وفيهم مائتا فارس أى وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة أى وهو ميقات أهل المدينة الذى يحرمون منه أى وأرجفت اليهود والمنافقون فبعث رسول الله ﷺ عينين له أى جاسوسين فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم . ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعى مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا من ذى طوى وجاءوا الى النبى ﷺ وأخبروه خبرهم وانصرفوا ولما وصلوا أى كفار قريش ومن معهم للابواء أرادوا نبش قبر أمه ﷺ والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فقالت لو بحثتم قبر أم محمد فان أسرمنكم أحدا فديتم كل انسان بأرب من آرابها أى جزء من أجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله ﷺ حتى أصبحوا ورأى رسول الله ﷺ رؤيا قال رأيت البارحة فى منامى خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى أى وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام . وفى لفظ وكأن ظبة سيفى انكسرت . وفى لفظ ورأيت سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته فكرهته وهما مصيبتان ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة . وفى رواية ورأيت أنى فى درع حصينة أى وانى مردف كبشا . قال ﷺ بعد أن قيل له ما أولتها قال قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وفى لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا . وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى أى وفى رواية من عترتى يقتل . وفى رواية رأيت أن سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم أى وفلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الأمرين . وأما الدرع الحصينة فالمدينة أى وأما الكبش فانى أقتل كبش القوم أى حاميهم وقال ﷺ لأصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلنا فيها أى فانا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والأنصار قال ووافق على ذلك عبدالله بن أبى ابن سلول أى فان رسول الله ﷺ أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك فقال يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا اه وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه ﷺ دعا عبدالله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب اذ لا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه وقوله خالفنى الخ وانما قال ذلك رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال أى غالبهم أحداث أحبوا لقاء العدو [] وغالبهم ممن أسف على مافاته من مشهد بدر اخرج بنا الى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا أى فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا تطيع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا وفى لفظ ان الأنصار قالوا يارسول الله ماغلبنا عدو لنا أتانا فى دارنا أى فى ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبدالمطلب . وقال للنبى ﷺ والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة كل ذلك ورسول الله ﷺ كاره للخروج فلم يزالوا

برسول

برسول الله ﷺ حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم ان لهم النصرة ماصبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوّهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا أى اجتمعوا . وقد حضر أهل العوالى ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه ﷺ فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردّوا الأمر اليه أى فما أمركم به ومارأيتم له فيه هوى ورأيا فاطيعوه [] فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته [] وظاهر بين درعين [] أى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التى أصابها من بنى قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هى التى أرسلها اليه ﷺ سعد بن عبادة رضى الله عنه حين سار الى بدر وهى التى مات ﷺ عنها وهى مرهونة عند اليهودى وافتكها أبو بكر رضى الله عنه وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من ادم من حمائل سيفه ﷺ وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية انه ﷺ تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبى ﷺ شدوسطه بمنطقة . وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم فى قوله كان له ﷺ منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لايلزم من كونه له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد ﷺ السيف وألقى الترس فى ظهره أى وفى رواية فركب ﷺ فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناته بيده أى ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا له ما كان لنا أن نخالفك ولانستكرهك على الخروج فاصنع ماشئت . وفى رواية فان شئت فاقعد اى وقال قد دعوتكم الى القعود فأبيتم وما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه و بين أعدائه أى وفى رواية حتى يقاتل وأخذ منه انه يحرم على النبى نزع لأمته اذا لبسها حتى يلحق العدوّ و يقاتل و به قال أئمتنا أى وقيل انه مكروه واستبعد ، وقوله ﷺ وماينبغى لنبى يقتضى ان سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك أى لأن نزع ذلك يشعر بالجبن . وذلك ممتنع على الأنبياء صلى الله وسلم عليهم قاله فى النور وما اختص به من المحرمات فهو مكروه له لأن المحرم فى المنهيات كالواجب فى المأمورات وعقد ﷺ ثلاثة ألوية لواء للأوس وكان بيد أسيد بن حضير ولواء للمهاجرين . وكان بيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل بيد مصعب بن عمير اى لانه كما قيل لما سئل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة أى من بنى عبدالدار فأخذه ﷺ من على ودفعه لمصعب بن عمير أى لأن مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وهم أصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم . وسيأتى ولواء للخزرج . كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى ألف وقيل تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتى ان عبدالله بن أبى ابن سلول رجع معه ثلاثمائة فبقى سبعمائة من أصحابه ﷺ منهم مائة دارع وخرج السعدان أمامه ﷺ يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم أى وسار الى أن وصل رأس الثنية أى وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ماهذا فالوا هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبى ابن سلول من يهود فقال أسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك فردهم أى وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بنى قينقاع فلايقال هذا انما يأتى على ان أجلاء بنى قينقاع كان بعد أحد لأنهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لانا نمنع انحصار حلفائه من يهود فى بنى قينقاع وسار ﷺ وعسكر بالشيخين وهما أطمان أى جبلان [] وعند ذلك عرض قومه فردجما

أى شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا أربع عشرة سنة منهم عبدالله بن عمر و زيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس خلافا لمن أنكر صحبته وعرابة هذا هو القائل فيه الشماخ

رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأوس والده هو القائل فى يوم الاحزاب ان بيوتنا عورة كما سيأتى وأبو سعيد الخدرى وسعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنهم أى وزيد بن حارثة الانصارى كان أبوه حارثة من المنافقين من أصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز ﷺ رافع بن خديج لما قيل له انه رام وأصيب فى ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله ﷺ أنا أشهد له يوم القيامة ومات فى زمن عبد الملك ابن مروان لما نقض عليه ذلك الجرح وعند ما أجازه قال سمرة بن جندب لزوج أمه أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردنى وأنا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله ﷺ فقال تصارعا فصرع سمرة بن جندب رافعا فاجازه وممن رده ﷺ يوم أحد لصغر سنه سعد بن حبتة عرف بامه حبتة فلما كان يوم الخندق رآه ﷺ يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة فى ولده ونسله فكان عما لأربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهم وتقدم فى بدر أنه ﷺ رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأسيد بن ظهير فلما فرغ العرض الاوقد غابت الشمس فاذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى بهم و بات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة فى خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله ﷺ أى وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال ﷺ من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه ﷺ قال لقد رأيت أى فى النوم الملائكة تغسل حمزة رضى الله عنه وأدلج رسول الله ﷺ فى السحر فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة وأحد ومن ذلك المكان رجع عبدالله بن أبى ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة رجل وهو يقول عصانى وأطاع الولدان ومن لارأى له سيعلم ماندرى علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر رضى الله عنهما وكان فى الخزرج كعبد الله بن أبى يقول ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أى تتركوا نصرتهم واعانتهم عند ماحضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن لانرى انه يكون قتالا وأبوا الا الانصراف فقال لهم أبعدكم الله أى أهلككم الله أعداء الله فسيغنى الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله علام نقتل أنفسنا الا أن يقال على فرض انه يقع قتالا علام نقتل أنفسنا فلما رجع عبدالله بن أبى ابن سلول بمن معه قالت طائفة نقتلهم وقالت طائفة أخرى لانقتلهم وهما أن يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الأوس و بنو سلمة من الخزرج فانزل الله تعالى (فمالكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم) أى ردهم الى كفرهم بما كسبوا وفى كلام سبط ابن الجوزى ولما رأى بنو سلمة و بنو حارثة عبدالله بن أبى قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله وأنزل قوله تعالى (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية) فبقى مع رسول الله ﷺ

سبعمائة رجل ومن هذا يعلم مافى المواهب من قوله ويقال ان النبى ﷺ أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذين ردهم ﷺ لكفرهم حلفاء عبدالله بن أبى ابن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذين رجع بهم عبدالله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين يومئذ الافرسان فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبى بردة وقيل لم يكن معهم فرس أى وهذا القيل نقله فى فتح البارى عن موسى بن عقبة وأقره وقالت الانصار أى لما رجع ابن أبى يارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود أى يهود المدينة ولعلهم عنوابهم بنى قريظة لأن بنى قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهوسيد الأوس قال بعضهم كان فى الأنصار كأبى بكر فى المهاجرين فقال ﷺ لاحاجة لنافيهم أقول وحينئذ يكون المراد قالت طائفة من الأنصار وهم الأوس ولم يكونوا اسمعوا قوله ﷺ انالانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم . وقال ﷺ لأصحابه من يخرج بنا على القوم من كثيب أى من طريق قريب لايمر بنا عليهم فقال أبوخيثمة أنا يارسول الله فنفذ به من حرة بنى حارثة و بين أموالهم حتى دخل فى حائط لمربع بن قيظى الحارثى وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثى التراب أى فى وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل حائطى وفى يده حفنة من تراب وقال والله لوأعلم أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس فى رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول الله ﷺ لاتقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر أى وغضب له ناس من بنى حارثة كانوا على مثل رأيه أى منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبدالله بن أبى فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أى أشار اليه رسول الله ﷺ بترك ذلك [] ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الى أحد قال واستقبل المدينة وصف المسلمين فى جبل أحد أى بعد أن بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فاذن بلال وأقام وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ماذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا . وفى رواية الا امرأة أومسافر أو عبد أومريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أى الا أربعة وماذكر بدل منها قال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنى حميد ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الاوقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وانه قد نفث أى أوحى وألقى فى روعى بضم الراء أى قلبى الروح الأمين أى الذى هو جبريل انه لن تموت نفس حتى تستوفى اقصى رزقها لا ينقص منه شئ وان ابطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا أى أحسنوا فى طلب الرزق لايحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى . أى ولما أقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة بان يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لأنه تقدم انه لم يكن معهم الافرس أو الافرسان أى وما وقع فى الهدى ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لاتبرحوا حتى أوذنكم وقال لايقاتلن أحد حتى آمره بالقتال أوكان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال

انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا . أى وفى رواية ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، زاد فى رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . قال وفى رواية انه قال أى للرماة الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تعيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل . فان الخيل لا تقدم على النبل انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم اللهم انى أشهدك عليهم انتهى . وأخرج رسول الله ﷺ سيفا أى وكان مكتوبا فى إحدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم من جلتهم على رضى الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضى الله تعالى عنه فاعرض عنه والزبير رضى الله تعالى عنه أى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله ﷺ يعرض عنه [] حتى قام اليه أبو دجانة وقال ما حقه يا رسول الله قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب أى يمشى مشية المتكبر وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن أى لأن فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب يا معشر الاوس والخزرج خلوا بيننا و بين بنى عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن . قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فاحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير . فقال رسول الله ﷺ الذى يلى حضيض الأرض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فاثنى عليه رسول الله ﷺ وقال لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير وقال ﷺ لولم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى . وخرج رجل من المشركين بين الصفين أى وهو طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة والده اسمه عبدالله بن عثمان بن عبدالدار . وكان بيده لواء المشركين لأن بنى عبدالدار كانوا أصحاب لواء المشركين . لأن اللواء كان لوالدهم عبدالدار كما تقدم . وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد . فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم الى الجنة وان قتلانا الى النار . وفى رواية قال يا أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار و يعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه الى النار أو أعجله بسيفى الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فقتله على رضى الله تعالى عنه . أى وفى رواية فالتقيا بين الصفين فبدره على فصرعه أى قطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته . فقال يا ابن عمى أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه . فقال انه استقبلنى بعورته فعطفنى عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله . وفى رواية . قال له رسول الله ﷺ ما منعك أن تجهز عليه . فقال ناشدنى الله والرحم . فقال اقتله فقتله أى ووقع لسيدنا على كرم الله وجهه مثل ذلك فى يوم صفين مرتين . الأولى حمل على بسر بن أرطاة . فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه . والثانية حمل على عمرو بن العاص . فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه على كرم

الله

الله وجهه [] فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذى ينسب اليه الشيبيون فيقال بنى شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة وهو يقول أنا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد ابن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة الذى قتله على رضى الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة . فرماه عاصم فقتله أى فكانت أمهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتى أمه و يضع رأسه فى حجرها فتقول له يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل . وسيأتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان فحمله أخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة ابن عبيدالله فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة كل قتل كأبيهم طلحة وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد . وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبي طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى ولم يعرف قاتله ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف ابن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم أى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان . وقيل القاتل له سعد بن أبي وقاص وقيل على . وقد كان أبو سفيان قال لأصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يابنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال ابن قتيبة و يقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة ابن أبي طلحة استبشر النبى ﷺ وأصحابه أى لأنه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه النبى ﷺ فى رؤياه المتقدمة انه مردفا كبشا وقال أولت ذلك انى أقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ماذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم أى أزالوهم عن أثقالهم أى وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وشعار الكفار يالعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يالهبل وهو صنم كان داخل الكعبة منصوبا على بئر هناك وسيأتى فى فتح مكة انه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لامنافاة لانه يجوز أن يكون فى أول الامر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها [] أى وخرج عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله ﷺ شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن للمبارزة أيضا فى يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود ان الصديق دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز وهو يخالف ماهنا الا أن يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الامرين أى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من عبد الرحمن لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته

ﷺ خرج مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ علي رضي الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله ﷺ أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد شم سيفك ولاتفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش . وفي أول الأمر حلت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة أي بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أي أضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الأدبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أي الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع . ويقلن

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا النوازق (أي الخفاف)

والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قال تعالى (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) قيل هو زحل أي نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم . واعترض بأنها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت أن هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كأنها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف . وعن بعضهم قال جلست بمكة وراء الضحاك فسئل عن قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ماطارق فقلت هو النجم فقال لي كيف ذلك فقلت له قال الله تعالى (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق) والنمارق الوسائد الصغار . والمراد نفرش ما تجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب أي فراق غير محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب في الظاهر مهابة سيف وفي الباطن كسحابة صيف قال وكان ﷺ اذا سمع ذلك أي تحريض هند بما ذكر يقول اللهم بك أحول بالحاء المهملة أي امنع وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل انتهى . أي وفي رواية كان رسول الله ﷺ اذا لقي العدو قال اللهم بك أصاول وبك أحاول أي أطالب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس . فعن الزبير قال وجدت أي غضبت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف أي الذي قال فيه من يأخذه بحقه ثلاث مرات وأنا ابن عمته فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فاخذ عصابة حمراء أي أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا على أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب ، وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت أي لأنهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى أحدا الا قتله أي وكان اذا كلّ ذلك السيف يشحذه أي يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى انحنى وصار كأنه منجل وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أي أسرع قتله فدعوت الله أن يجمع بينه وبين أبي دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند أي بنت عتبة زوج أبي سفيان

وقيل

وقيل غيرها ثم رد السيف عنها . قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أى بالسين المهملة حمسا شديدا أى يشجعهم و بالشين المعجمة يوقد الحروب ويثيرها فعمدت اليه . فلما حملت عليه بالسيف ولول أى دعا بالويل أى قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبدالمطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبدالعزى ، فقال له حمزة هلم أى أقبل ياابن مقطعة البظور لأن أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة . أى وفى البخارى ياسباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحادّ الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما . وفيه انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله . وفى رواية فكان كامس الذاهب . أى وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة . وفيه انه سيأتى عن الأصل وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرين رجلا واكب حمزة عليه ليأخذ درعه . قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لأنظر الى حمزة يهدّ الناس بسيفه يهدّ بالدال المهملة يهدم وبالذال المعجمة يقطع . أى وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفى لفظ فندرته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوى فغلب فوقع فأمهلته حتى اذا مات جئته فأخذت حربتى . ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره . أى وفى لفظ آخر كان حمزة يقاتل بين يدى رسول الله ﷺ بسيفين وهو يقول أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع عن بطنه فطعنه وحشى الحبشى بحربته . ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهنّ وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذى أمرهم ﷺ أن لا يفارقوه ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير . فقالوا له انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون . وثبت عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل من الرماه وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبدالله بن جبير أى ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته وأحاطوا بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر اذ دخلت خيول المشركين تنادى فرسانها [] بشعارها يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون . وتفرقت المسلمون فى كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من أسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار أى من غير ان يأتوا بما كانوا ينادون به فى الحرب يتعارفون به فى ظلمة الليل . وعند الاختلاط وهو أمت أمت مما أصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ملقى حتى أخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا أى بالمثلثة استداروا به واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة بفتح القاف وكسر الميم و بعدها همزة ان محمدا قد قتل . وقيل المنادى بذلك ابليس أى متمثلا بصورة جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما وكان من أهل الصفة . قيل وهو الذى غير النبى ﷺ اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتى . وسيأتى ما فيه ثم ان الناس وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد

له خوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان عندهما و بجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ . وقيل المنادى بذلك ازب العقبة . قال ذلك ثلاث مرات أى لأنه لما بلغ رسول الله ﷺ ماصرخ الشيطان به قال هذا أزب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى والازب القصير كما تقدم . وقد ذكر ان عبدالله بن الزبير رأى رجلا طوله شبران على رحله فقال ما أنت قال إزب قال ما إزب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى هرب . أى ويجوز أن يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وابليس وازب العقبة فرجعت الهزيمة على المسلمين . أى وقال قائل ياعباد الله أخراكم أى احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون على أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لايشعرون . وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها . وقال رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله ﷺ ارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون ان كان رسول الله ﷺ قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء . أى وفى الامتاع ان ثابت بن الدحداح قال يامعشر الأنصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لايموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضى الله تعالى عنهم . وكان من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن معلى فأقاموا ثلاثة أيام . ثم رجعوا الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ذهبتم فيها عريضة وأنزل الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) قال وقال جماعة ليت لنا رسولا إلى عبدالله بن أبى ليأخذ لنا أمانا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اه أى أعطنى سيفك أى فالمنهزمون فى ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة وأخرى دخلتها . وفيه أن أم أيمن كانت فى الجيش تسقى الجرحى . أى فقد جاء ان حبان بن العرقة رمى بسهم فأصاب أم أيمن وكانت تسقى الجرحى فوقعت وتكشفت فأغرق عدوّالله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع الى سعد سهما لانصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حبان فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه . ثم قال استقادها سعد أجاب الله دعوته . أى وفى رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة . وقد يقال لامنافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش و بين كونها كانت فى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة . وقال رجال أى من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين بقوا ولم يذهبوا مع عبدالله بن أبى ابن سلول لو كان لنا من الأمر شئ ماقتلنا ههنا . أى وقال بعضهم لو كان نبيا ماقتل فارجعوا الى دينكم الأوّل وفى النهر أن فرقة قالوا نلقى اليهم بأيدينا فانهم قومنا و بنو عمنا . وهذا يدل على ان هذه الفرقة ليست من الأنصار بل من المهاجرين . قال وعن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه . قال لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتدّ علينا الخوف وأرسل علينا النوم فمامنا أحد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير . أى و يقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الأمر شئ ماقتلنا ههنا فحفظتها فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم

أمنة نعاسا) الآية وعن كعب بن عمرو الأنصار رضى الله تعالى عنه . قال لقد رأيتنى يومئذ فى أربعة عشرمن قومى الى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنة منه . أى لأنه لاينعس الامن يأمن مامنهم أحد الاغط غطيطا حتى ان الجحف أى الدرق تتناطح . ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده ومايشعر وان المشركين لتحتنا اه وتقدم فى بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لافيه على ماتقدم وتقدم ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان وثبت ﷺ لما تفرقت عنه أصحابه وصار يقول الىّ يافلان الىّ يافلان أنارسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتى اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه . أى وفى الامتاع انه ﷺ قال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك فليتأمل . فان المحفوظ أنه انما قال ذلك فى حنين وان كان لامانع من التعدد وثبت مع رسول الله ﷺ جماعة أى من أصحابه منهم أبوطلحة فانه استمرّ بين يدى النبى ﷺ يحوزعنه بحجفته . وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله ﷺ أى وصار يقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء فلم يزل يرمى بها . وكان الرجل يمرّ بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول ﷺ انثرها لأبى طلحة . أى وكسرذلك اليوم قوسين أوثلاثة وصار رسول الله ﷺ يشرف أى ينظر الى القوم . وفى لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يانبى الله بأبى أنت وأمى لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك انتهى . أى ويتطاول أبو طلحة بصدره يقى رسول الله ﷺ . واستدل بذلك على أن من خصائصه ﷺ انه يجب على كل مؤمن أن يؤثر حياته ﷺ على حياته . قال فلا خلاف ان هذا لايجب لغيره وهذا المذكور عن أبى طلحة من قوله نحرى دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن أبى وقاص . فقال ولهذا . قال سعد يوم أحد نحرى دون نحرك ولازال ﷺ يرمى عن قوسه أى المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا رمى عنها حتى صارت شظايا أى ذهب منها قطع . وفى رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ماانعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر . قال ومازال ﷺ يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت فى يده منه قطعة تكون شبرا فى سية القوس فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له . فقال يارسول الله لايبلغ الوتر فقال مده يبلغ . قال عكاشة فوالذى بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سية القوس ورمى ﷺ بالحجارة وكان أقرب الناس الى القوم اه أى وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية كونه ﷺ رمى عن قوسه حتى صارت شظايا . أى لأنه يبعد وجود رميه ﷺ من غير اصابة ولو أصاب أحدا لذكر لأنه مماتتوفر الدواعى على نقله وقاتل جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبى وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه . قال سعد لقد رأيته يعنى النبى ﷺ يناولنى النبل ويقول ارم فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به . وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التى لانصل لها لمن رمى أم أيمن قال . وفى رواية عن سعد قال أجلسنى رسول الله ﷺ أمامه فجعلت أرمى وأقول اللهم سهمك فارم به عدوّك ، ورسول الله ﷺ يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتى نثر رسول الله ﷺ مافى كنانته اه أى فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى أهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه أحدا قال خيرا وأثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة

ذمه وقال لايقسم بالسوية ولايعدل فى القضية . فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمى وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء فى سكك الكوفة فاذا قيل له كيف أنت ياأباسعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون أصابتنى دعوة سعد . قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال مارفعت الى فى لقمة الاوأنا أعلم من أين جاءت ومن أين خرجت أى لأنه جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما تليت عند رسول الله ﷺ هذه الآية (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) . فقام سعد بن أبى وقاص وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال والذى نفس محمد بيده ان العبد ليعقد اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوما . وقد جاء فى الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له فليتأمل هذا الجواب . وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة أى ممن يأكل الحلال الطيب ويميز عند الأكل بين الحرام و بين غيره حتى أكون مستجاب الدعوة . ولعل المراد بالأكل مايشمل الشرب . ولعل السكوت عن اللبس لأنه نادر بالنسبة للأكل وجوابه ﷺ بقوله والذى نفس محمد بيده تقرير لمافهمه سعد رضى الله عنه ان من يأكل غير الحلال لايكون مستجاب الدعوة تأمل . والحق ان سبب استجابة دعوة سعد دعاء النبى ﷺ له بذلك ولعله انما لم يجب بذلك لمن سأله بقوله لم تستجاب دعوتك من بين الصحابة لأنه يجوز أن يكون دعاء النبى ﷺ له بذلك تأخر عن هذا فليتأمل . وفى الشرف أن سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم الاورسول الله ﷺ يقول له ارم فداك أبى وأمى ففداه فى ذلك اليوم ألف مرة . وعن على كرم الله وجهه ماسمعت رسول الله ﷺ قال فداك أبى وأمى الالسعد رضى الله عنه . وفى رواية فماجمع ﷺ أبويه لاحد الالسعد رضى الله تعالى عنه . قال فى النور الرواية الأولى أصح لأنه أخبر فيها انه لم يسمع أى لانه حينئذ لايخالف ماجاء عن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما أن النبى ﷺ جمع لأبيه الزبير رضى الله عنه بين أبويه . أى قال له فداك أبى وأمى كسعد . أى وذلك فى يوم الخندق حيث أتاه بخبر بنى قريظة . وكذا الرواية الثانية لاتخالف لأنها محمولة على سماعه وعلى الأخذ بظاهرها . وعدم حملها على ذلك يجاب بماقال فى النور ظهرلى أن عليا كرم الله وجهه انما أراد تفدية خاصة وهى ألف مرة أو فى خصوص أحد . وكان ﷺ يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله لأن سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى ﷺ منهم كماتقدم أى وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول رسول الله ﷺ مالى لاأرى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضى الله عنه قيل له لودعوت الله سبحانه أن يرد عليك بصرك فقال قضاء الله أحب الى من بصرى (ولماحضرت الوفاة) سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبؤها لهذا . وممن كان مشهورا بالرماية سهيل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى ﷺ فى هذا اليوم الذى هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه ﷺ يومئذ على الموت فثبت معه ﷺ حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله ﷺ وقال ﷺ نبلوا سهيلا أى أعطوه النبل وجاء أن خاله ﷺ وهو الأسود بن وهب بن عبدمناف بن زهرة استأذن على النبى ﷺ فقال النبى ﷺ ياخالى ادخل فدخل فبسط له ﷺ رداءه وقال اجلس عليه ان الخال والد ياخال من

أسدى اليه معروف فلم يشكر فليذكره فانه اذا ذكر فقد شكر وقال له ألا أنبئك بشئ عسى الله أن ينفعك به قال بلى قال ان أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه بغير حق وعن أم عمارة المازنية رضى الله عنها أى وهى نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم رضى الله عنه قالت خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى حصلت الجراحة الىّ ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت بن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفى كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما خبيب وعبدالله رضى الله عنهم وقال لهم رسول الله ﷺ رحمكم الله أهل البيت . وفى رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة أى وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا [] وقال ﷺ فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دونى اه أى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف وعبدالله ابنها رضى الله عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله فعنها رضى الله عنها قالت يوم اليمامة تقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية أى مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت لله شكرا [] ولا ينافيه ما اشتهر أن قاتله وحشى فعن وحشى رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ أى بعد أن قدم عليه فى وفد ثقيف وأسلم كما سيأتى يا وحشى اخرج فقاتل فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولى الصديق رضى الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتى فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الأخرى كلانا يريده وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصارى فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله . قال بعضهم والأنصارى هو عبدالله بن زيد أى كما تقدم . وقيل غيره أى وفى كلام بعضهم اشترك فى قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشى رضى الله عنهم ، وفى تاريخ بن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشى وأبى دجانة وقد يقال لا مخالفة لان كلا من الرواة روى بحسب ما رأى وذكر ابن كثير أن ما روى عن أبى دجانة رضى الله عنه من ذكر الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه . وقد نقل عن وحشى رضى الله عنه أنه قال ، قتلت بحربتى هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة * وذكر ان أبا دجانة رضى الله عنه ترس دون رسول الله ﷺ فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه ﷺ زيادة ابن عمارة حتى أثبتته الجراحة أى أصابت مقاتله فقال ﷺ ادنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف ﷺ وقاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه دون رسول الله ﷺ حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله ﷺ فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضى الله عنه أبى بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبى ﷺ وهو

يقول أين محمد لانجوت ان نجا فاستقبل مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخلوا طريقه أى فاقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر وتناول النبي ﷺ الحربة من بعض أصحابه أى وهو الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام على ماسيأتى فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم أى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك أى وفى لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا والله مابك من بأس ما أخدعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ماضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم . وفى لفظ لو كان بربيعة ومضر أى وفى لفظ بأهل الأرض لماتوا أجمعون . انه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علىّ لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة لأنه كان يقول للنبي ﷺ فى مكة يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هو مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله ﷺ أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه ﷺ هذا وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الأسر ببدر والله ان عندى لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله ﷺ فقال بل أنا أقتله ان شاء الله . أقول يمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبي ﷺ والله أعلم . وفى رواية أبصر ﷺ ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة أى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من أضلاعه أى وهو المناسب لما فى بعض الروايات أن النبي ﷺ طعنه طعنة وقع فيها مرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه ﷺ لما أخذ الحربة من الحرث ابن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه * أقول ولا مخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لأن الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه ﷺ بالطعنة وناهيك بعزمه ﷺ لأن كون الخدش فى الظاهر أى بحسب مايظهر للرائى والشدة فى الباطن أقوى فى النكاية ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادات لكن رأيت فى رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور . قال فى النور ولم يقتل بيده الشريفة ﷺ قط أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدوّ الله وهم قافلون به الى مكة أى بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوصفه لأنه مسرف وقيل ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدوّ من الليل اذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش ونادانى ياعبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أبىّ بن خلف لعنه الله . رواه البيهقى ويدل لهذا ماجاء فى الحديث كل من قتله نبي أو قتل بامر نبي فى زمنه يعذب من حين قتل الى نفخ الصعقة وجاء أشدّ الناس عذابا من قتله نبي . أى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول

الله ﷺ فسحقا لأصحاب السعير . وفى رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله ﷺ فى سبيل الله أى لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله ﷺ أكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله . وفى شرح التقريب احترز بقوله فى سبيل الله عمن يقتله حدا أوقصاصا لأن من يقتله رسول الله ﷺ فى سبيل الله كان قاصداقتله ﷺ وقد اتفق ذلك لأبى بن خلف لعنه الله وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه ياعبدالله فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت أن أفعل . فقال الاسود الموكل بتعذيبه لاتفعل ياعبدالله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ اى أصحابه . رواه الطبرانى فى الأوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة ثم رأيت فى الخصائص الكبرى مايقتضى التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضى الله عنهما ذكر ذلك أى مروره ببدر للنبى ﷺ وانه ﷺ قال له ذلك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة . وقد ذكرت ذلك فى الكلام على غزوة بدر ووقع ﷺ فى حفرة من الحفر التى حفرت للمسلمين أى التى حفرها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضى الله عنه واسم أبى عامر عبد عمرو مات كافرا بارض الروم فرا اليها لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لايعلمون فأغمى عليه ﷺ وجحشت أى خدشت ركبتاه فأخذ على كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائما * وكان سبب وقوعه ﷺ ان ابن قمئة لعنه الله علاه ﷺ بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر فى عاتقه الشريف فشكا ﷺ منه شهرا أو أكثر وقذف ﷺ بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه ﷺ عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى أى ودعا عليه ﷺ بقوله اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت كافرا . وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله فى ذلك اليوم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه . قال حاطب لما رأيت مافعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ أين توجه عتبة . فأشار النبى ﷺ الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله ﷺ فقال لى رضى الله عنك رضى الله عنك مرتين أى ولايخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بانه مات بعد أن أسلم بعد الفتح وانه أثبت ولم يولد لعتبة ولد أوولد ولد إلا وهو أهتم أى ساقط مقدّم أسنانه أى التى هى الرباعيات أبخر يعرف ذلك فى عقبه وكسرت البيضة أى الخوذة على رأسه ﷺ وشج وجهه الشريف . شجه عبدالله بن شهاب الزهرى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهرى رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل أمه أى ويقال له عبدالله الأصغر أى ولعل هذا حصل منه قبل أو بعد قوله دلونى على محمد فلانجوت ان نجا ورسول الله ﷺ واقف الى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال والله مارأيته أحلف بالله انه منا ممنوع وجدّ الامام الزهرى من قبل أبيه يقال له عبدالله بن شهاب ويقال له عبدالله الأكبر رضى الله عنه كان من مهاجرى الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة . وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه ﷺ بل زادته جمالا بقوله

مظهر شجة الجبين على البر * ء كما أظهر الهلال البراء

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب * لجمال له الجمال وقاء

فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام والعود شق عنه اللحاء

أى مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أى جبهته مع برئها ظهورا كظهور الهلال ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الأصلى بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح فأعجب بجمال أصلى له الجمال العارض وقاية وساتر فهو أى ماظهر بذلك الجرح كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذى يتطيب به اذا أزيل عنه قشره . وقال حسان رضى الله عنه فى وصف جبينه الشريف ﷺ

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجناته ﷺ بسبب دخول حلقتين من المغفر فى وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله ﷺ أقمأك الله عز وجل أى صغرك وأذلك . وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه ﷺ فانه بعد الوقعة خرج الى غنمه فوافاها على ذروة الجبل أى أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة [] أقول ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه ووباله لعنة الله عليه والله أعلم * ولما جرح وجه رسول الله ﷺ صار الدم يسيل على وجهه الشريف . وجعل ﷺ يمسح الدم . وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم . أى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) أى وفى رواية صار ﷺ يقول اللهم العن فلانا وفلانا أى اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية . فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) . أجيب بان هذه الآية نزلت بعد أحد وعلى تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل . قال الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله لايخفى أن أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر مانا له من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر مايقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن طاعه ولا أحدا أكثر أجرا من نبينا محمد ﷺ فانه لم يتفق لنبى من الأنبياء ما اتفق له ﷺ فى كثير من طائعى أمة أجابته ولا فى كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما دم رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ من مس دمى دمه لم تصبه النار . وفى رواية أنه ﷺ قال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا . وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة . وفى لفظ من سره أن ينظر الى من لاتمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضى الله عنه ولم ينقل انه ﷺ أمر هذا الذى امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل انه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشيه رضى الله عنها بغسل فمها ولاهى غسلته من ذلك لما شربت بوله ﷺ . فعنها رضى الله عنها انها قالت قام رسول الله ﷺ من الليل الى فخارة أى تحت سريره فبال فيها فقمت وأنا عطشى فشربت مافى الفخارة وأنا لاأشعر فلما أصبح النبى ﷺ قال ياأم أيمن قومى الى تلك الفخارة فاهريقى مافيها فقالت والله لقد شربت مافيها فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال لايجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا . وفى لفظ لاتلج النار بطنك وفى أخرى لاتشتكى بطنك . أى ويجوز انه ﷺ قال هذه الألفاظ الثلاثة

وكل روى بحسب ماسمع منها فتكون هذه الأمور الثلاثة تحصل لأم أيمن رضى الله عنها وفى رواية بدل نخارة اناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان محا حلا على التعدد لام أيمن رضى الله عنها ولامانع منه وقد شرب بوله ﷺ أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو كانت تخدم أم حبيبة رضى الله عنها جاءت معها من الحبشة أى ومن ثم قيل لها بركة الحبشية . وفى كلام ابن الجوزى بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبى ﷺ هذا كلامه ولامخالفة لأنه يجوزأن يكون يسار لقبه ثعلبة . وكانت معها فى الحبشة . ثم قدمت معها مكة كانت تكنى بأم يوسف فقال لها ﷺ حين علم انها شربت ذلك صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه . وفى رواية أنه ﷺ قال لها لقداحتظرت من النار بحظار وشرب دمه ﷺ أيضا أبوطيبة الحجام وعلى كرم الله وجهه وكذا عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما فعن عبدالله ابن الزبير . قال أتيت النبى ﷺ وهو يحتجم . فلمافرغ قال ياعبدالله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لايراك أحد قال فشربته فلمارجعت . قال ياعبدالله ماصنعت . قلت جعلته فى أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس . قال لعلك شربته . قلت نعم . قال ويل للناس منك وويل لك من الناس . وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة . ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبدالملك ابن مروان . قال له يوما أريد أن تعطينى سيف أخى عبدالله . فقال له عبدالملك هو بين السيوف ولا أميزه . فقال له عروة اذاحضرت السيوف ميزته أنا فأمر عبدالملك باحضارها . فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد . وقال هذا سيف أخى . فقال له عبدالملك كنت تعرفه قبل الآن . قال لا فقال كيف عرفته . قال بقول النابغة الذبيانى

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته ﷺ حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وأن شربه جائز حيث أقر على شربه . وما أورده فى الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه ﷺ ثم ازدرد دمه . فقال له النبى ﷺ أماعلمت أن الدم كله حرام أى شربه غير صحيح . فقد قال بعضهم هو حديث لايعرف له اسناد فلا يعارض ماقبله على أنه يمكن أن يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله أعلم : ونزع أبوعبيدة عامر بن عبدالله الجراح رضى الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله ﷺ فسقطت ثنية أبى عبيدة . ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى . وقيل الذى نزعهما عقبة بن وهب بن كلدة . وقيل طلحة بن عبيدالله ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها . وكان أشدهم لذلك أبوعبيدة رضى الله عنه . قال بعضهم . ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبى عبيدة لأن ذلك الهتم حسن فاه . وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة . وقول القائل قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك . قال عرفت عينيه تزهران أى تضيآن وتتوقدان من تحت المغفر وهو مايجعل على الرأس من الزرد فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار الى أن أنصت . وعن بعض الصحابة قال لما صرخ الشيطان قتل محمد لم يشك فى أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذامشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ماأصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوابه ونهض معهم نحو الشعب فيهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة رضى الله

عنهم وفى خصائص العشرة للزمخشرى . وثبت يعنى الزبير رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت . هذا كلامه فليتأمل . وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله ﷺ إلا علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ممنوع . وقوله وتعجبت الملائكة من شأن علىّ وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج الى السماء «لاسيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا على» وقوله وقتل علىّ كرم الله وجهه أكثر المشركين فى هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتنى يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت الى الأرض فى أربع منهنّ فجاءنى رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح وأخذ بضبعى فأقامنى . ثم قال أقبل عليهم فقاتل فى طاعة الله وطاعة رسول الله فانهما عنك راضيان . ولما أخبرت النبىّ ﷺ فقال ياعلى أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبى فقال ﷺ ياعلى أقرّ الله عينك فانه جبريل عليه السلام . جميعه ردّه الامام أبو العباس ابن تيمية بأنه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول . قال وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله ﷺ وهو متوجه للشعب وهو يقول لانجوت ان نجا فوقف رسول الله ﷺ فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر ومشى اليه الحرث بن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه . وأقبل عبيدالله بن جابر العامرى يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه . ووثب أبودجانة رضى الله عنه الى عبيدالله فذبحه بالسيف ولحق برسول الله ﷺ انتهى . ولما انتهى رسول الله ﷺ الى فم الشعب خرج علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى ملأ درقته ماء وغسل به ﷺ عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه نبيه أى والسياق يقتضى أنه ﷺ قال ذلك أيضا بعد قوله «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم» ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف . قال ثم أراد رسول الله ﷺ أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع أى لأنه ﷺ ضعف لكثرة ماخرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه ﷺ عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ أوجب طلحة أى فعل شيئا استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ماصنع انتهى . أى وقيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف اعرج كان به فلما حمل النبى ﷺ تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه ﷺ فذهب عرجه ولم يعد اليه . وفى رواية انه ﷺ انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى التى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد أن يرميه فقال رسول الله ﷺ أنا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله ﷺ الذى وجد فى أصحابه من يمنع أى ولعل هذا الذى أراد رميه ﷺ لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة . قال وعطش ﷺ عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى درقته لأنه ﷺ وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب الى مياه فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير . وفى بعض الروايات أن نساء المدينة خرجن وفيهنّ فاطمة بنت النبى ﷺ فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلىّ كرّم الله وجهه يسكب الماء

فتزايد الدم . فلما رأت ذلك أخذت شيئا من حصير أى معمول من البردى فأحرقتـه بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لأن البردى له فعل قوىّ فى حبس الدم لأن فيه تجفيفا قويا . وفى حديث غريب انه ﷺ داوى جرحه بعظم بال أى محرق . وقد يقال يجوز أن يكون الراوى ظنّ ذلك البردى المحرق عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية . وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم بأنه ﷺ اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غـير حساب بأنهم لا يكتوون وعارضه أيضا بأنه ﷺ كوى سعد بن معاذ مرّتين ليرقأ أى ينقطع الدم من جرحه وكوى أسعد ابن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة . ففى كلام بعضهم كان موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبى ﷺ بيـده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبـه وما أملك له ولا لنفسى شيئا . وأجيب بأن هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء أو لأنهم كانوا يعظمون أمره ويرون انه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب و بطل وهو محمل قوله ﷺ لم يتوكل من اكتوى أو على من يفعله مع قيام غيره من الأدوية مقامه . ومحمل ما فى الخصائص الكبرى أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضى الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى أى لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها . فلما ترك الكىّ عادت الملائكة الى سلامها عليه لأن ذلك قادح فى التوكل . وما فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ ﷺ انه قال « الشفاء فى ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنا أنهى أمتى عن الكىّ » وفى رواية « وما أحبّ أن أكتوى » أى فالنهى للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهى . قال فى الهدى وأراد ﷺ بقوله وأنا أنهى الى آخره أى انه لا يؤتى بالكىّ إلا اذا لم ينجع الدواء فلا يأتى به أوّلا ومن ثم أخره . قيـل والفصـد داخل فى شرطة المحجم . والحجامة فى البلاد الحارة أنفع من الفصد . هذا كلامه . و بينا رسول الله ﷺ فى الشعب مع أولئك النفر من أصحابه إذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ اللهم انهم لا ينبغى لهم أن يعلونا . اللهم لا قوّة لنا إلا بك . فقاتلهم عمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوا من الجبل أى ونزل قوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون) أى لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار . ولعلّ هذا كان قبل أن يعلو ﷺ الصخرة كما تقدم . أو لعل الجبل كان أعلى من تلك الصخرة . قال وفى بعض الروايات انه ﷺ قال لسعد ارددهم قال كيف أردهم وحدى فقال له اردده‍م قال سعد رضى الله عنه فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخـذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخـذت سهما آخر فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعده عند بنيه انتهى . أى وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا أى كون سعد ردّهم وحده بهذا السهم . وما قبله الدال على أن الراد لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين . وروى عنه انه قال « لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيردّه علىّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد » أى حتى بعد

انقضاء الحرب لم أعرفه فظننت انه ملك أى وفى رواية عنه انه قال رميت بسهم فرده على رسول الله ﷺ وسهمى أعرفه حتى واليت بين ثمانية أوتسعة كل ذلك يرده على رسول الله ﷺ فقلت هذا سهم دم أى يصيب فجعلته فى كنانتى لايفارقنى . أقول ولامنافاة بين هذا و بين قوله ثم أخذت سهما لأن قوله المذكور لاينافى أن يكون أخذه بمناولته ﷺ لامن كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيردّه علىّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه لأنه يجوز أن يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التى كان يرمى بها حتى لاتفنى سهامه إلا هذا السهم فانه لم يردّه له بل يناوله له رسول الله ﷺ و يرده عليه ولامنافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أوتسعة و بين اخباره بقوله ثم أخذت سهما الى أن عدّ خمس مرات لأنه يجوز أن تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله أعلم . وصلى رسول الله ﷺ ظهرذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التى أصابته . وصلى المسلمون خلفه قعودا أى ولعلّ ذلك كان بعدانصراف عدوّهم . وانما صلى المسلمون خلفه ﷺ قعودا موافقة له ﷺ وقد نسخ ذلك . أوأن من صلى قاعدا انما هولما أصابهم من الجراح وكانوا هم الأغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه . وفى رواية أنامله . وعند ذلك قال حس فقال له ﷺ لوقلت بسم الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جوّ السماء . زاد فى لفظ ولرأيت بناءك الذى بنى الله لك فى الجنة وأنت فى الدنيا . وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد أى من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشى عليه ونضح أبوبكر رضى الله عنه الماء فى وجهه حتى أفاق فقال مافعل رسول الله ﷺ قال له أبو بكر هو بخير وهو أرسلنى اليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وكان يقال لطلحة رضى الله عنه الفياض . سماه بذلك رسول الله ﷺ فى غزوة العشيرة كما تقدم . وسماه طلحة الجود فى أحد لأنه أنفق فى أحد سبعمائة ألف درهم . وسماه فى أحد أيضا طلحة الخير . وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال وفى رواية عشرين جراحة فأكثروجرح فى رجله فكان يعرج منها . وأصاب كعب بن مالك رضى الله عنه سبعة عشر جراحة وفى رواية عشرون جراحة . قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا رجل غريب لاندرى ممن هوأى يظهرالاسلام يقال له قزمان وكان ذا بأس وقوّة وكان رسول الله ﷺ اذا ذكريقول انه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديدا أى فكان أوّل من رمى من المسلمين بسهم . وكان يرمى النبال كأنها الرماح ثم فعل بالسيف الأفاعيل فكان يكت كتيت الجمل . وقتل ثمانية أوتسعة من المشركين . ولما أخبر ﷺ بذلك قال انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك وأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر لأنه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابتليت اليوم ياقزمان فأبشر فيقول بماذا أبشر فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومى أى على شرفهم ومفاخرهم أى مناصرة لهم ولولا ذلك ما قاتلت أى فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهرأعدائهما أى وفى رواية أن قتادة رضى الله عنه قال له هنيئا لك الشهادة ياأبا الغيداق فقال انى والله ماقاتلت ياأبا عمروعلى دين ماقاتلت إلا على الحفاظ أن تسير الينا قريش حتى تطأ أرضنا . فلما اشتدّت عليه الجراحة أخذ سهما من

كنانته

كنانته فقتل به نفسه أى قطع به عروقا فى باطن الذراع يقال لها الزواهق أى وفى رواية فجعل ذباب سيفه فى صدره أى بين ثدييه كما فى رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه . قال فى النور وهو الصحيح ولا مانع أن يكون فعل كلا من الأمرين أى وعند ذلك جاء رجل الى النبى ﷺ وقال أشهد أنك رسول الله ﷺ قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ « من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله ﷺ « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » ففيه اشارة الى أن باطن الأمر قد يكون بخلاف ظاهره . وقال ﷺ « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » [] أى وقد أشار الى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقلت لشخص يدعى الدين إنه * بنار فألقى نفسه للمنية

هذا وفى كلام ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدّعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذى قلت انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبىّ ﷺ كما قال الى النار . ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراحة فقتل نفسه فأخبر النبىّ ﷺ فقال الله أكبر أشهد انى عبد الله ورسوله فأمر بلالا فنادى فى الناس انه لايدخل الجنة إلا نفس مسلم وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . وهذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين . هذا كلامه فليتأمل فان تعدّد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد . ولعلّ ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوى . وقوله ﷺ إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذى جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام فان الله يحيى بهما قلوبا ويهدى بهما الى سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم أصيرم بنى عبد الأشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الأشهل فلما كان يوم خروج النبى ﷺ الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأحد فبدا له فى الاسلام : أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل فى عرض الناس أى بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة أصابت مقاتله ، فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذ هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ماجاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله ﷺ ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال إنه لمن أهل الجنة . وكان أبو هريرة يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم . ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام « وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار » الحديث : أى وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعى لبعض يهود خيبر الذى جاء للنبى ﷺ وقال يارسول الله أعرض علىّ الاسلام فعرضه عليه فأسلم . ثم تقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله وماصلى صلاة قط كما سيأتى فى غزاة خيبر . وقتل حنظلة بن أبى عامر الفاسق رضى

الله عنه وأبو عامر هذا هو الذى كان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول من رءوس أهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على أهلها . كان أبو عامر من الأوس ويقال له ابن صيفى وكان عبد الله من الخزرج . فعبد الله بن أبى أظهر الاسلام . وأما أبو عامر فأصر على الكفر الى أن مات طريدا وحيدا إجابة لدعاء رسول الله ﷺ حيث دعا عليه بذلك . والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ومات ابن صيفى على الصفة التى * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان أبو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الأوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا انه لو لقى قومه أى الأوس لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما جاء مع قريش نادى يامعشر الأوس أنا أبو عامر قالوا له لا أنعم الله بك عينا يافاسق أى وفى لفظ قالوا له لامرحبا بك ولا أهلا يافاسق . ولا مانع من صدور الأمرين منهم . فلما سمع ردهم عليه قال لعنه الله : لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتل قتالا شديدا . وهو الذى حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون التى وقع فى إحداها رسول الله ﷺ كما تقدم أى وكان هو أول من أثار الحرب وضرب بأسهم فى وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضى الله عنه رسول الله ﷺ فى قتله فنهاه عن قتله . وسبب قتل حنظلة رضى الله تعالى عنه أن حنظلة ضرب فرس أبى سفيان فوقع الأرض فصاح وعلاه حنظلة رضى الله عنه يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس كذا فى الأصل . قيل وصوابه شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله ﷺ إن صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة أى وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة فسئلت صاحبته أى زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين أخت ولده عبد الله رضى الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله ﷺ لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها أحد وقد كان استأذن رسول الله ﷺ فى ذلك أى فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ فلزمته فكان معها فأجنب منها ونادى منادى رسول الله ﷺ بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل إجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أى الصياح بالخروج للعدو . وفى لفظ الهائعة وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع . وقد جاء فى الحديث « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه » فلما سمع هيعة طار اليها . وفى رواية وقد كان غسل أحد شقيه فخرج ولم يغسل الشق الآخر . وقد رأت هى تلك الليلة أن السماء قد فرجت فدخل فيها ثم أطبقت . وجاء انها أشهدت أربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع قالت لأنى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة . وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية . وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم تمثل قريش بحنظلة رضى الله عنه لكون والده معهم الذى هو أبو عامر الراهب لعنه الله وفى الامتاع وجعل أبو قتادة الأنصارى يريد التمثيل من قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له ﷺ يا أبا قتادة ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم . لولا أن تبطر قريش

لأخبرتها بما لها عند الله . فقال أبو قتادة والله يارسول الله ماغضبت إلا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم. قال وجاء انه ﷺ همّ أن يدعو عليهم فنزلت الآية المذكورة أى (ليس لك من الأمر شيء) فكفّ عن الدعاء عليهم أى وفيه انها نزلت بعد قوله « اللهم العن فلانا وفلانا » الى آخر ماتقدم عن بعض الروايات إلا أن يقال أراد ﷺ المداومة على الدعاء عليهم. وعن أبى سعيد الساعدى قال ذهبنا الى حنظلة رضى الله عنه فاذا رأسه يقطر ماء انتهى . أى فعلم أنه لامنافاة بين كونه ﷺ دعا عليهم و بين كونه همّ بالدعاء عليهم لأنه يجوز أن يكون المراد هم بتكرير الدعاء عليهم . وفى البخارى ومسلم والنسائى عن جابر رضى الله عنه قال قال رجل يوم أحد لرسول الله ﷺ إن قتلت فأين أنا قال فى الجنة فألقى تمرات كنّ فى يده فقاتل حتى قتل قال فى طرح التثريب . قال الخطيب : كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم أحد فأشار الى تضعيف رواية الصحيحين التى فيها يوم أحد ولاتوجيه لذلك بل التضعيف تفسير هذه بهذه أى جعلهما قصة واحدة وكل منهما صحيحة وهما قصتان لشخصين . هذا كلامه وقد تقدّم فى غزاة بدر الحوالة على هذا فليتأمّل . أى وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الأنصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله ﷺ يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله ﷺ هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصارى فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول بعد وكأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الأنصارى فتبسم رسول الله ﷺ وقال أحسنت ياأبا عبد الله وكان يومئذ لاولد له وقتل عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد . فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله ﷺ فقال إن بنىّ يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله ﷺ أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ماعليكم أن لاتمنعوه لعلّ الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وأقبل على القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولاتردّنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده ان منكم من لوأقسم على الله لأبرّه . منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته أى كشف له عن حاله يوم القيامة أى وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فرّ عليه رسول الله ﷺ وقال كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ﴿أقول﴾ لكن يمكن الجمع بأنه فى أوّل دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة . وعمرو بن الجموح رضى الله عنه كان فى الجاهلية على أصنامهم أى سادنا لها وكان فى الاسلام يولم عنه ﷺ اذا تزوّج . وقد وقع منه ﷺ مثل ذلك لأنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى ﷺ فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الأنصار فطلب أهلها القصاص وأمر رسول الله ﷺ بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لاتكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول ﷺ كتاب الله القصاص يقول والله لاتكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالأرش فقال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه » وقال ﷺ ذلك فى حق البراء بن مالك أخى أنس بن مالك رضى الله عنهما . فعن أنس

رضى الله عنه أن النبىّ ﷺ قال « ربّ أشعث أغبر لايؤبه به لوأقسم على الله لأبرّه » منهم البراء بن مالك . ومصداق ذلك ماوقع له رضى الله عنه فى مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء أقسم على ربك فقال أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك محمد ﷺ فحمل رضى الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضى الله عنه . ومما وقع انه كان مع أخيه أنس رضى الله عنه عند بعض حصون العدوّ بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة فى سلاسل محماة يخطفون بها الانسان فكان من جملة من خطف أنس رضى الله عنه فأقبل البراء رضى الله عنه وصعد محلا عاليا وأمسك السلسلة بيده ولازال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله أنسا رضى الله عنه بذلك وقال ﷺ ما تقدم فى حق أويس القرنى رضى الله عنه . فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرنىّ فمن لقيه منكم فروه أن يستغفر لكم » وفى رواية خطابا لعمر رضى الله عنه يأتى عليك أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن كان به برص فبرئ منه الاموضع درهم له أمّ هو بها بارلوأقسم على الله لأبرّه فان استطعت أن يستغفرلك فافعل والله أعلم . وقتل أيضا أحد بنى عمرو بن الجموح وهوخلاد رضى الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حزام وهوعبدالله والد جابر رضى الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتها عائشة رضى الله عنها وقد خرجت فى نسوة يستروحن الخبر فقالت لها عائشة رضى الله عنها جاء خبرالجيش فقالت أما رسول الله ﷺ فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء . ثم قالت لها من هؤلاء ؟ قالت أخى عبدالله وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح رضى الله عنهم فبرك بهم البعير وصاركلما توجه الى المدينة يبرك وان وجه الى أرض أحد برع فرجعت الى النبى ﷺ وأخبرته فقال ان الجمل مأمور فقبرهم بأحد وقال ﷺ لهند ياهند مازالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن . ولعلّ هذا كان قبل أن ينادى برد القتلى الى مضاجعهم . قال جابر رضى الله عنه كان أبى أوّل قتيل المسلمين قتله أبو الأعور السلمى . وفى الصحيح أن عائشة رضى الله عنها وأم سليم كانا يسقيان الناس يفرغان من القرب فى أفواه القوم أى ولامخالفة لأنه يجوزأن تكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها لأحد أى وقد كان ﷺ خلف اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان لأنهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لاأبالك ماننتظر فوالله ان بقى لواحد منا فى عمره إلاظمء حمار أفلانأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما . فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه . وذكرالسهيلى أن فى تفسيرابن عباس رضى الله عنهما أن الذى قتله خطأ هوعتبة بن مسعود أخوعبدالله بن مسعود رضى الله عنه وعتبة هو أوّل من سمى المصحف مصحفا . وعند ذلك قال حذيفة أبى فقالوا ماعرفناه . فأراد رسول الله ﷺ أن يديه فتصدّق حذيفة رضى الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرا . واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لأنه نسب الى جدّه اليمان بن الحرث وقيل انما قيل له اليمان لأنه أصاب دما فى قومه فهرب الى المدينة فحالف بنى الأشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية

أى وهم أهل المدينة . ومما يؤثر عن حذيفة رضى الله عنه انه قيل له : من ميت الأحياء قال الذى لاينكر المنكر بيديه ولا بلسانه ولا بقلبه . وفى الكشاف : وعن حذيفة رضى الله عنه انه استأذن رسول الله ﷺ فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين أى قبل أن يسلم فقال ﷺ له دعه يليه غيرك . هذا كلامه ولم أقف على أى غزاة كان ذلك فيها وسياق ماقبله يدل على انه كان من الأنصار كان حليفا لبنى عبدالأشهل ولم يحفظ أن أحدا من الأنصار قاتله ﷺ قبل الاسلام فليتأمل . ثم إن هندا زوج أبى سفيان والنسوة اللاتى خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن من آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وبقرت أى شقت هند بطن سيدنا حمزة رضى الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها أى مضغتها فلم تستطع أن تسيغها أى تبتلعها فلفظتها أى ألقتها من فيها أى لأنها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضى الله عنه لتأكلن من كبده . ولما بلغ رسول الله ﷺ انها أخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيئا قالوا لا قال إن الله قد حرّم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيأ أبدا أى ولو أكلت منه أى استقرّ فى جوفها لم تمسها النار . وفى رواية لو أدخل بطنها لم تمسها النار لأن حمزة أكرم على الله من أن يدخل شئ من جسده النار أى ورأيت فى بعض السير انها شوت منه ثم أكلت وقد يقال لامنافاة لجواز حمل الأكل على مجرد المضغ من غير إساغة . وفى رواية أن وحشيا هو الذى بقر بطن حمزة رضى الله عنه وأخرج كبده وجاء بها الى هند أى وقال لها ماذا لى ان قتلت قاتل أبيك قالت سلبى فقال هذه كبد حمزة فأعطته ثيابها وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير . وجاء بها الى مصرع حمزة رضى الله عنه فجدعت أنفه وأذنيه أى وفى لفظ فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار فى يديها وقلائد فى عنقها . واستمرّت كذلك حتى قدمت مكة . وفى النهر لأبى حيان أن وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ماصنع . ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها وأنشدت أبياتا . ثم ان زوجها أبا سفيان أشرف على الجبل كذا فى البخارى انه أشرف . وفى رواية كان أسفل الجبل . وقد يقال لامخالفة لجواز وقوع الأمرين معا ثم صرخ بأعلى صوته « أنعمت فعال ان الحرب سجال » أى ومعنى سجال مرّة لنا ومرّة علينا يوم أحد بيوم بدر وأنعمت بكسر التاء خطابا لنفسه أو للأزلام لأنه استقسم بها عند خروجه الى أحد فخرج الذى يحب وهو أفعل والفاء من فعال مفتوحة وليست من بنية الكلمة وهى أمر أى ارتفع عن لومها أى النفس والأزلام يقال عال عنى أى ارتفع عنى ودعنى أى وراءه فى معنى يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان أى ... قال ﷺ قد ... « الحرب سجال » وقد قال تعالى (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) وقد نزل ذلك فى قصة أحد ... ثم قال ... انكم ستجدون فى القوم . وفى رواية فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى . وفى رواية « والله ماأمرت ... وما أمرت ولا نهيت » وفى لفظ ماأمرت ولانهيت ولاأحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى أى وفى لفظ انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان ذلك لم نكرهه ومر الحليس سيد الأحابيش بأبى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه ... ذق عق أى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الذى كنت عليه ياعاق قومه ... ...

كنانة هذا سيدقريش يفعل بابن عمه ماترون فقال أبوسفيان اكتمها عني فانها زلة وقال أبوسفيان اعل هبل أي أظهردينك أوازدد علوا فقال رسول الله ﷺ قم ياعمر فأجبه فقل «الله أعلى وأجل» لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبوسفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا إذا وخسرنا وهبل هذا تقدم انه صنم وتقدم الكلام عليه . ورأيت في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى انه الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وبلط الملوك فوقه البلاط ثم قال أبوسفيان ان لنا العزى ولاعزى لكم . فقال رسول الله ﷺ الله مولانا ولامولى لكم ثم قال أبوسفيان لعمر أي بعد ان قال له هلم ياعمر . فقال له رسول الله ﷺ ائته فانظر ماشأنه فجاءه فقال له أبوسفيان أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمدا . قال عمر رضي الله عنه لاوانه ليسمع كلامك الآن . قال أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر أي لأنه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي ﷺ ، فقال قتلت محمدا كما تقدم . وفي رواية أن أباسفيان نادى أفي القوم محمد أفي القوم محمد . قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه . ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة قالها ثلاثا . ثم قال أفي القوم عمر قالها ثلاثا . وفي رواية أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ثم أقبل على أصحابه . فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم إذ لوكانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه ان قال كذبت والله ياعدو الله ان الذي عددت لأحياء كلهم . وقد بقي لك مايسوءك . ثم نادى أبوسفيان ان موعدكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد . ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل . أي ركبوا مطاها . أي ظهورها لأن المطا الظهر فانهم يريدون مكة . وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لأناجزهم . قال علي كرم الله وجهه أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة . أي بعد ان تشاوروا في نهب المدينة . فأشار عليهم صفوان بن أمية أن لاتفعلوا . أي وقال لهم فانكم لاتدرون مايغشاكم وفزع الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ هل من رجل ينظر الى مافعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الأموات . أي زاد في رواية فاني رأيت الاسنة قد أشرعت اليه . فقال رجل من الانصار أي وهو أبي بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون أرسلهم كلهم . قال أنا أنظر لك يارسول الله . أي وفي رواية . قال للمرسل ان رأيت سعد بن الربيع فأقره مني السلام وقل له يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك فنظر فوجد جريحا وبه رمق أي بقية روح . فقال له ان رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات . فقال أنا في الأموات قد طعنت اثنتي عشرة طعنة واني قد أنفذت مقاتلي فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ماجزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لاعذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفي رواية شفر يطرف أي يتحرك . قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره أي وفي رواية انه رأى الذي أرسله رسول الله ﷺ يدور بين القتلى فقال له ماشأنك ، قال بعثني

رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك . قال فاذهب اليه الحديث . وفى رواية ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه نادى فى القتلى ياسعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله ﷺ أرسلنى أنظر ماصنعت فأجابه بصوت ضعيف الحديث . أى وفى رواية اقرأ على قومى منى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وماعاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله ﷺ رحمه الله نصح لله ولرسوله حياوميتا وخلف بنتين فأعطاهما رسول الله ﷺ من ميراثه الثلثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهى قوله تعالى (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) وفى ذلك نزلت أى اثنتان فمافوقهما . أى وحينئذ لايحتاج الى قياس البنتين على الأختين بجامع ان للواحدة منهما النصف ودخلت بنته على أبى بكر رضى الله عنه فألقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضى الله عنه فسأله عنها . فقال هذه ابنة من هو خير منى ومنك . قال ومن هو ياخليفة رسول الله . قال رجل تبوّأ مقعده من الجنة و بقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد بن الربيع رضى الله عنه وخرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه . فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسدالله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر أبو سفيان وأصحابه وأعتذر اليك مماصنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى ﷺ فانه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد ورأى انهزام المسلمين أى وكان قد قال للنبى ﷺ يارسول الله انى غبت عن أوّل قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ماأصنع . فقال اللهم انى أعتذر اليك مماصنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك ممافعل هؤلاء يعنى المشركين . ولما سمع قتل رسول الله ﷺ . قال ماتصنعون بالحياة بعده موتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل القوم . أى وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد وقاتل رضى الله عنه حتى قتل . أى ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة مابين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم . ولما قتل مثل به المشركون فماعرفته أخته الربيع الا ببنانه . قال ابن أخيه أنس بن مالك رضى الله عنه لمانزل قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) الآية قلنا ان هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين رضى الله عنه فجاء رسول الله ﷺ نحو حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه . أى وقطعت مذاكيره فنظر ﷺ الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه . أى وقال لن أصاب بمثلك ماوقفت موقفا أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فانك كنت ماعلمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين . وفى رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك . وفى رواية لئن ظفرنى الله تعالى بقريش فى موطن من المواطن لامثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه قالوا لئن أظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى أنزل فى ذلك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وماصبرك إلا بالله) الآية فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل ﷺ بالعرنيين . وسيأتى قصتهم فى السرايا . واعترضه ابن كثير رحمه الله بأن هذه الآيات مكية وقصة أحد فى المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا هذا

كلامه . وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل . وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله ﷺ باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياحمزة ياذاب . أى بالذال المعجمة يامانع عن وجه رسول الله ﷺ . أى قال ذلك لامع البكاء . فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لأن ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت على ان النداء بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته . وقال ﷺ جاءنى جبريل عليه السلام وأخبرنى بأن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر ﷺ الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضى الله عنها عن رؤيته فقال لها يا أمه ان رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت لم وقد بلغنى انه مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضا بذلك من غيرى لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير رضى الله عنه فاخبره ﷺ بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له . وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهما فقالت لهما مافعل حمزة فاريا انهما لايدريان ، أى رحمة بها فجاءت النبى ﷺ فقال انى أخاف على عقلها فوضع ﷺ يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت أى لما رأته ، أى وفى رواية لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لاأرجع حتى أرى رسول الله ﷺ . فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمى حمزة قال ﷺ هو فى الناس . قالت لاأرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير رضى الله عنه يحبسها فقال ﷺ دعها فلما رأته بكت وصارت كلما بكت بكى ﷺ ثم أمر به فسجى ببرده . وفى رواية قال ألا كفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه . فقال ﷺ ياجابر هذا الثوب لأبيك وهذا لعمى وهذا يدل على أن والد جابر رضى الله عنهما استمر لم يقبر الى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ماتقدم . وفى رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان أحدهما لحمزة والآخر لرجل من الأنصار ولعله والد جابر رضى الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل ﷺ أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبى الرجلين . وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشف رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الأذخر وفى لفظ الحرمل أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة وقد يقال انما اختار ﷺ النمرة على الثوب لأنه كان بهادم الشهادة أو أراد ﷺ أن لايكون لأحد على حمزة رضى الله عنه منة ويؤيد الأول ما يأتى ولم يكفنوا الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضى ان ذلك انما هو عن احتياج وسيأتى مايصرح به وسيأتى مايعارضه فليتأمل . وعن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه . قال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه يوم أحد وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه . وفى روايه قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فى مكة شبابا وجمالا ولباسا

وعطرا ولما أسلم رضي الله عنه تشعث ، وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان صائما
وقدجيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني فلم يوجد له مايكفن فيه
الابردة ان غطي رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا مابسط
وأعطينا من الدنيا ماأعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى
ترك الطعام . وعن أنس رضي الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان
والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في قبر واحد ، وقال ﷺ في حق حمزة رضي الله عنه لولا أن تجزع
صفية ونساؤنا أي يتطاول جزعهن ويدوم . وفي رواية لولا تجد صفية في نفسها أي يطول ذلك وتكون
سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع . وفي رواية حتى تأكله
العافية ويحشر من بطونها ليشتد غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات
ثم أتي بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة أي واحدا بعد واحد فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم
يرفع ويؤتى بآخر فيصلي عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة . وفي رواية ثنتين
وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف . والرواية الأولى تقتضي أن جملة من قتل بأحد اثنان
وسبعون . والرواية الثانية تقتضي أنهم كانوا اثنين وتسعين * وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف ماتقدم
عن أنس رضي الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة في كفن واحد فليتأمل . وجاء انه ﷺ
كان يصلي على عشرة عشرة . أي يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم . ثم ترفع التسعة وحمزة
مكانه و يؤتى بتسعة أخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلي عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات ، وحينئذ
يكون جملة من قتل ثلاثة وستين . وسيأتي الكلام على عدتهم . وقيل كبر عليهم كبر تسعا وسبعا وخمسا
أي بعد أن كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافي ماتقدم . ولم أقف على عدد المرات التي كبر فيها ماذكر
وجاء أن قتلى أحد لم يغسلهم ولم يصل عليهم ولم يكفنهم الا في ثيابهم التي قتلوا فيها أي غير الخلود أخذ
مما يأتي أي ولايضر تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته
وتتميم تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن عبدالرحمن بن عوف وعن أنس رضي الله عنهما
أي وقال مغلطاي وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا أي دفنهم من غير غسل اجماع
الا ماشذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر . وقد جاء انه ﷺ قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة
وتقدم أن هذا السياق يقتضي ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قتل حمزة جنبا ، فقال رسول الله ﷺ ماذكر . ولعل الراوي عن ابن عباس ذكر حمزة
بدل حنظلة غلطا . أما الصلاة عليهم فقال امامنا الشافعي رضي الله عنه جاءت الأخبار كأنها عيان من
وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد . وما روي انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين
تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك أي بما روى هذه الأحاديث الصحيحة أن يستحي
على نفسه . أي فان من رواة ذلك الحديث الدال على انه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن أنس رضي
الله عنه . وقد قال فيه البخاري انه يروي المناكير . وقال ابن حبان يروي الموضوعات ومن جملة رواته
أي رواة ذلك الحديث مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقد قال فيه البخاري منكر الحديث ومن
ثم ذكر ابن كثير أن الذي في البخاري أمر ﷺ بدفن شهداء أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ولم
يغسلوا وهو أثبت من صلاته عليهم . وأما حديث عقبة بن عامر أي الذي رواه الشيخان في ...

والنسائى وهو ان رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أى دعالهم كدعائه للميت كالمودع للأحياء والأموات أى حين علم قرب أجله ، أى فذلك كان توديعالهم بذلك قال قال السهيلى رحمه الله لم يرد عن رسول الله ﷺ انه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا فى هذه الرواية فى أحد . وكذلك لم يصل أحد من الأئمة بعده ﷺ اه . وفى النور أنه ﷺ صلى على أعرابى فى غزوة أخرى . وفى البخارى عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر فى قتلى أحد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام . وفى رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام . لايقال خبر جابر لايحتج به لأنه نفى وشهادة النفى مردودة مع ماعارضها من خبر الاثبات : لأنا نقول شهادة النفى انما ترد اذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن بحضوره والا فتقبل بالاتفاق . وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره علما . واستدل أئمتنا على أن الشهيد لايغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضى الله عنه لأن تغسيل الملائكة لايكتفى به فى اسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فانهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد والجلود . أى وأسلم وحشى رضى الله عنه بعد ذلك فانه فى يوم فتح مكة فرّ الى الطائف . ثم وفد مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا . وقد قيل له بعد أن ضاقت عليه ويحك والله انه لايقتل أحدا من الناس دخل دينه قال وحشى فلم يرعه ﷺ الا أنى قائم على رأسه أشهد شهادة الحق . فقال لى أنت وحشى وسألنى كيف قتلت حمزة فأخبرته . ثم قال ويحك غيب عنى وجهك فلا أراك . وفى رواية لاترنى وجهك . وفى رواية تفل فى وجهى ثلاث تفلات . وقيل تفل فى الارض وهو جد مغضب أى وحينئذ لحق بالشام وكان وحشى لايزال يحد فى الخمر فى زمن عمر رضى الله عنه حتى خلع من الديوان ، قال عمر رضى الله عنه . قد علمت أنه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة رضى الله عنه أى لم يكن ليتركه من الابتلاء . وهذا أى تكرر حده فى شرب الخمر ، واخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح أنواع الابتلاء عافانا الله من ذلك . وروى الدارقطنى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أى من الابتلاء حتى بلغنى أنه مات غريقا فى الخمر . أى وذلك مع ماتقدم ابتلاء فظيع له رضى الله عنه ✲ وممن مثل به عبد الله بن جحش بدعوة دعاها على نفسه . فقال أى قبل أحد بيوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى . فاذا لقيتك قلت ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك . فيقول الله صدقت ، قال وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه انتهى . أى لأن المنهى عنه أن يكون ذلك لضرّ نزل به فليتأمل وجاء أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة ، فصار فى يده سيفا . وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد . أى وانما كان حمزة خاله لأن أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان القاتل له أبو الحكم ابن الأخنس بن شريق وأبو الحكم هذا قتل كافرا يوم أحد . وقال ﷺ ادفنوا عبد الله بن عمرو أى وهو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر رضى الله عنهم فى قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا قد أصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن . ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو بن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس . وأنه أزيلت يد عمرو عن

جرحه

جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت . وكان ذلك بعد الواقعة لست وأربعين سنة . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا بأحد وذلك حين اجرى معاوية رضي الله عنه العين في وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فاخرجناهم رطابا تنثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة ولعله وماقبله لايخالف قول السهيلي : وذلك بعد ثلاثين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما . وذكر أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك . وفي لفظ نحو خمسين سنة مع أن أرض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلته أي لأن الارض لاتأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام . زاد بعضهم قارئ القرآن والعالم ومحتسب الاذان ويدل للأخير مافي الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لايدود في قبره أي كشهيد المعركة لايأكله الدود في القبر . وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي رحمه الله تعالى فقال

لاتأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقارئ قرآن ومحتسب * أذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع رضي الله عنهما في قبر واحد لانه كان ابن عمه وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت . ذكر أن خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه ، وقال الآن شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد . قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبانوفل ، ودفن النعمان ابن مالك وعبد بني الحسحاس في قبر واحد وربما دفنوا ثلاثة في قبر وصار ﷺ يقول أحفروا وأوسعوا وأعمقوا وكان ﷺ يقول انظروا أكثر هؤلاء جمعا أي حفظا للقرآن . فقدموه في القبر أي في اللحد . واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم ﷺ ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته ، وفيه أنهم قالوا الا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس . نص على ذلك امامنا الشافعي رحمه الله . وقد يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهيد . أما هو فالأفضل دفنه بمحل موته ولو بقرب ماذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ماهنا . ولايشكل دفن اثنين أوثلاثة في لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين في لحد ولو الوالد وولده لأن محل ذلك حيث لاضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا * ثم رأيت في بعض السير وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد . وانه أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد . وفي رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم في نواحيها فجاء منادى رسول الله ﷺ ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحدا لم يكن دفن فرد ومن دفن أبقوه * ولما أشرف ﷺ على قتلى أحد قال أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك . وفي رواية انه ليس مكلوم يكلم في الله تعالى الا وهو يأتي يوم القيامة لونه أي لون الكلم أي الجرح لون الدم وريحه ريح مسك . أي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر

ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم . قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولاينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله عزوجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ هذه الآية (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء) الآية وقد بينت فى النفحة العلوية أن الأرواح فى البرزخ متفاوتة فى مستقرها أعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها فى الملأ الاعلى متفاوتة فيه وأرواح المؤمنين غير الشهداء أو غير الاطفال . منها ماهو سماوى . ومنها ماهو أرضى وأرواح الاطفال فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك . وأرواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة . ومنهم من تكون داخلها . وحينئذ اما أن تكون فى جوف طير أخضر أوطير أبيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير : وفى كلام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون أى وتقدم الكلام على رزقهم * أى ومن جملة من قتل من الصحابة يوم أحد أبوجابر أى كما تقدم فقال ﷺ لجابر رضى الله عنه ياجابر ألا أخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط . لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد اليه السياق الا من وراء حجاب . وانه كلم أباك كفاحا . فقال سلنى أعطك . فقال أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عزوجل انه سبق منى انهم لايرجعون الى الدنيا . قال أى رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية أى ولامانع من تعدد النزول للآية فلا يخالف ماتقدم قريبا . أى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونى والنبي ﷺ لم ينهنى ، وقال النبي ﷺ تبكيه أولا تبكيه مازالت الملائكة عليهم السلام مظلة له بأجنحتها حتى رفع . أى وسيأتى أن جابرا رضى الله عنه لم يحضر القتال . وعن بشير بن عفراء رضى الله عنهما قال أصيب أبى يوم أحد فمر بى النبي ﷺ وأنا أبكى فقال أماترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك . ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها . وفى روايه وابنها يوم أحد فلما نعوا لها . قالت مافعل رسول الله ﷺ أى مافعل به . قالوا خيرا ياأم فلان هو بحمد الله كما تحبين . فالت أرونيه حتى أنظر اليه . فلما رأته ﷺ قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد . وفى لفظ أنها مرت باخيها وأبيها وزوجها وابنها صرعى . وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا . قيل لها هذا أخوك وابنك وزوجك وأبوك فلم تكترث بذلك . بل صارت تقول مافعل رسول الله ﷺ فيقولون أمامك حتى جاءته أخذت بناحية ثوبه . ثم جعلت تقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لا أبالى اذ سلمت من عطب * وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته . أى فأرادوا قطعها فسألوا رسول الله ﷺ فقال لا فدعاه فردها رسول الله ﷺ بيده أى أخذها بيده الشريفة وردها الى موضعها أى براحته الشريفة . وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لاترمد اذا رمدت الأخرى أى وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى عن وجه رسول الله ﷺ فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها أى رفعتها بيدى

أى وقلت يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى أن ترانى تقذرنى ، أى وقال له ﷺ ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك ، فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا لى بالجنة . وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه ﷺ لما رآها فى كفى أى مرفوعة دمعت عينا رسول الله ﷺ وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا . أى بعد أن ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم . والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

وأعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

أى وأعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عيناه ذهبت ، فهى الى مماته الواسعة . أى الكثيرة النظر ؛ قال الشيخ ابن حجر الهيتمى ويجمع بين رواية العين الواحدة ورواية الثنتين . أى فقد جاء فى حديث غريب أصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى . فأتيت رسول الله ﷺ فأعادهما و بصق فيهما فعادتا تبرقان بأن أحد الرواة ظن أن الساقطة واحدة . وبعضهم أن الساقط ثنتان فاخبر كل بحسب علمه . ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة و بها تترجح رواية احدى الثنتين . هذا كلامه فليتأمل ، وكون ذلك كان يوم أحد هو المشهور . وقيل يوم الخندق وقد حكى أبو عمر بن عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها * فياحسن ماعين وياحسن مارد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته * ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ . وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد ولم تقاتل . قال و يؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . قال رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال وما رأيناهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم أى فلا ينافى أنهم قاتلوا عنه ﷺ خاصة اه * أقول ويجوز أن يكون المراد بمقاتلتهما دفعهما عنه ﷺ وفيه أنه جاء عن الحرث بن الصمة رضى الله عنه . قال سألنى رسول الله ﷺ وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فقلت رأيته فى جنب الجبل : فقال الملائكة تقاتل معه . قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت . قال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما . وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره ، فقال صدق الله ورسوله ، أى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لاينافى مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم . وفى الامتاع كان قد نزل قبل أن يخرج ﷺ الى أحد قوله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . وان

تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هـذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) فلم يصبروا وانـكشفوا فلم يمد رسول الله ﷺ بملك واحد يوم أحـد فليتامل والله أعلم . ولما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنـه وسقط اللواء أخـذه ملك في صورة مصعب : أي فانه لما قطعت يده اليمنى أخـذ اللواء بيده اليسرى أي وهو يقول (وما محمد الارسول قد خلت من قبله الرسل) الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول (وما محمد الارسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ولم تـكن هذه الآية نزلت بل قالها لما سمع قول القائل قتل محمد وانما نزلت أي بعـد قوله في ذلك اليوم كما في الدر" فهو من القرآن الذي نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل أي وهذا لا ينافي ما تقـدم من انه قاتل دونه ﷺ فقتله ابن قمئة لعنـه الله وهو يظنه رسول الله ﷺ أو قتله أبي" بن خلف لعنه الله لأنه يجوز أن يكون قتله وهو على هذه الـكيفية المذكورة . ثم رأيت في بعض الروايات أن ابن قمئة فعل به هذه الـكيفية . أي ثم قتله وجعل رسول الله ﷺ يقول للملك الذي على صورة مصعب تقدم يامصعب فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف ﷺ انه ملك أيدبه . وفي رواية أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع النبي ﷺ يقول أقـدم مصعب قال يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولـكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه أي فلا ينافي ذلك قول الملك له ﷺ لما قال له تقدم يامصعب لست بمصعب لأن مراده لست بمصعب الذي هو صاحبكم . ورأيت في رواية انه لما سقط اللواء أخذه أبو الروم أخو مصعب ولم يزل في يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود هذا الملك يخالف ما تقدم عن الامتاع من انه ﷺ لم يمد بملك واحد * ولما أراد ﷺ أن يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى أي ومعه أربع عشرة امرأة فلما كانوا بأصل أحد قال ﷺ اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء . فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لاقابض لما بسطت ولاباسط لما قبضت ولاهادي لمن أضللت ولامضل لمن هديت ولامعطي لما منعت ولامانع لما أعطيت ولامقرب لما أبعدت ولامبعد لما قربت الحديث * ثم توجه ﷺ للمدينة فلقيته حمـنة بنت جحش بنت عمته ﷺ أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها . فقال لها ﷺ احتسبي قالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وإنا اليه راجعون غفر الله له هنيئاله الشهادة . ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبدالله بن جحش قالت انا لله وإنا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ، ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت ، فقال رسول الله ﷺ ان زوج المرأة لمـكان ماهو لأحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها . ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني فدعالها ﷺ ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوّجت طلحة ابن عبيدالله فـكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة * قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بلجامها . فقال له سعد يارسول الله أمي فقال ﷺ مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ . فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة أي استقليتها ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحـد أي بعد أن قال لام سعد ياأم سعد أبشري و بشري أهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهلهم جميعا قالت رضينا يارسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا .

ثم قالت يارسول الله ادع لمن خلفوا . فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع ﷺ نساء الانصار يبكين على أزواجهن أى وأبنائهن وإخوانهن . فقال حمزة لابواكي له أى وبكى ﷺ ولعله رضي الله عنه لم يكن له بالمدينة لازوجة ولابنت فأمر سعد ابن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بين المغرب والعشاء . أى وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة . أى ولما جاء ﷺ بيته حمله السعدان وأنزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ﷺ فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكا فقال ماهذا فقيل نساء الأنصار يبكين حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترد النساء الى منازلهن . وفى رواية خرج عليهن أى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يارسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضي الله عنه ولايخالف ماسبق لأن بيت عائشة رضي الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم الله الأنصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة . أى ولامنافاة لأنه يجوز أن يكون الأمر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة أخرى وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد لاتبكى على ميتها الابدأت بالبكا على حمزة رضي الله عنه ثم بكت على ميتها . ولعل المراد بالبكا النوح وباتت وجوه الأوس والخزرج تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة وجاء انه ﷺ نهى نساء الأنصار عن النوح . وقال له الأنصار يارسول الله بلغنا أنك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فائذن لنا فيه فقال ﷺ ان فعلن فلا يخمشن ولايلطمن ولايحلقن شعرا ولايشققن جيبا . وجاء انه فى يوم أحد دفع على كرم الله وجهه سيفه لفاطمة رضي الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم . فقال ﷺ ان تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وعدد جماعة أى منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة . وماروى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ فى يوم أحد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة رضي الله عنها وقال اغسلى عنه دمه لقد صدقنى اليوم وناولها على كرم الله وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال ﷺ لعلى كرم الله وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك سهيل بن حنيف وأبودجانة . وعن ابن عقبة لما رأى رسول الله ﷺ سيف على كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه ﷺ دفع سيفه لابنته فاطمة رضي الله عنها رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه ﷺ لم يقاتل فى ذلك اليوم بسيف لكن فى النور أن هذا الحديث لم يتعقبه الذهبى قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه فليتأمل والأكثر على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبدالله بن جحش وشماس ابن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الأنصار وستة من المهاجرين . قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبى بلتعة . والسادس ثقيف بن عمرو حليف بنى عبد شمس . وعدهم فى الأصل ستة وتسعين وهذا لايناسب ماتقدم فى بدر من قوله ﷺ ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد

منكم سبعون بعد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون * أقول انظر هذا مع ماتقدم من أن حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين . ورأيت فى الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله ببركاته أن أويسا القرنى كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبى ﷺ وقدروى انه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله ما كسرت رباعيته ﷺ حتى كسرت رباعيتى ولاشج وجهه الشريف حتى شج وجهى ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهرى قال هكذا رأيت هذا الكلام فى بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على أنه عليه الصلاة والسلام وطئ ظهره فى غزوة أحد فان مجموع مادلت عليه الأخبار انه ﷺ شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها ووهى منكبه وجحشت ركبته . ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر أن سيدنا عمر رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبى ﷺ يقول وهو يبكى بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الى أن قال فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت (اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) ومما يدل على أن أويسا لم يجتمع بالنبى ﷺ ماتقدم من قوله ﷺ « خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى » وما أخرجه البيهقى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « سيكون فى التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر » وفى رواية ان عمر قال لأويس استغفر لى فقال كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ فقال له عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن خير التابعين رجل يقال له أويس » والمراد من خير التابعين كما فى بعض الروايات فلا ينافى مانقل عن أحمد بن حنبل وغيره أن أفضل التابعين سعيد بن المسيب . ومما يدل على أن أويسا لم يكن موجودا فى زمنه ﷺ ماجاء فى الجامع الصغير « سيكون بعدى فى أمتى رجل يقال له أويس القرنى وأن شفاعته فى أمتى مثل ربيعة ومضر » وفى أسد الغابة أن أويسا أدرك النبى ﷺ ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعى الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر إن رسول الله ﷺ قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرنى وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهب عنه إلا قدر الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فأقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى أويس قبل أن يأتى أهله فقال له أويس ماهذا بعادتك قال سمعت عمر رضى الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لى قال لا أفعل حتى تجعل لى عليك أن لاتسخر بى ولاتذكر قول عمر لأحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل أويس يوم صفين مع على كرم الله وجهه . ولما وصل ﷺ المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون أقبح القول أى ومنه مامحمد إلا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبى قط أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه و يقولون لوكان من قتل منكم عندنا ما قتل . واستأذنه ﷺ عمر فى قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وانى رسول الله قد بلى ولكن تعوذا من السيف فقد بان أمرهم وأبدى الله تعالى أضغانهم فقال ﷺ

نهيت

نهبت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبيّ لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضى الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذى صنع الله لرسوله والمسلمين خير قال وكانت عادة عبد الله بن أبيّ ابن سلول اذا جلس ﷺ يوم الجمعة على المنبر قام فقال: «أيها الناس: هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله تعالى به وأعزكم فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس» فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ماصنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأنى انما قلت هجرا وقال له بعض الأنصار ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال والله ما أبتغى أن يستغفر لى وأنزل الله تعالى قصة أحد فى آل عمران وهى قوله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال) الآية

غزوة حمراء الاسد

لما كان صبيحة قدومه ﷺ من أحد أذن مؤذنه ﷺ أن يخرجوا خلف قريش وأن لايخرج إلا من حضر أحدا وذلك إرهابا للعدوّ وليبلغهم أنه ﷺ خرج فى طلبهم ليظنوا به ﷺ قوّة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم أى يضعفهم عن عدوّهم. قال وقيل لأنه ﷺ بلغه أن أباسفيان يريد أن يرجع بقريش الى المدينة ليستأصلوا من بقى من أصحاب رسول الله ﷺ فقد بلغه أن المشركين قالوا له لامحمدا قتلتم ولاالكواعب أردفتم بئس ماصنعتم ارجعوا. أى وفى لفظ انهم لما بلغوا بعض الطريق قدموا فقالوا بئس ماصنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوّة وشوكة فقذف الله فى قلوبهم الرعب. ويذكر أن عبد الله بن عوف جاء الى النبىّ ﷺ صبيحة قدومه ﷺ من أحد وأخبره انه أقبل من أهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع أباسفيان وأصحابه يقولون ماصنعتم شيأ قد بقى منهم رءوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى، وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول ياقوم لاتفعلوا فانى أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال ﷺ أرشدهم صفوان وما كان برشد فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وذكر لهما الخبر أى ما أخبر به عبد الله بن عوف فقالا يارسول الله اطلب العدوّ لايقتحمون على الذرّية. فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلالا أن ينادى أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوّكم ولا يخرج إلا من حضر القتال بالأمس انتهى. وعند تهيئه ﷺ للخروج جاء جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فقال يارسول الله إنما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على أخوات لى سبع أى وقيل وهو الصحيح إنهن تسع وقال يابنىّ انه لاينبغى لى ولالك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فيهنّ ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ لعلّ الله يرزقنى الشهادة فتخلف على أخواتك فاستخلفت عليهن واستأثر علىّ بالشهادة فائذن لى يارسول الله معك فأذن له رسول الله ﷺ ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى. واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أى منهم

عبدالله بن أبيّ قال له أنا راكب معك فأبى ذلك عليهم رسول الله ﷺ . ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعليّ بن أبى طالب كرم الله وجهه . ويقال لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . وركب رسول الله ﷺ فرسه أى المسمى بالسكب ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر ومايرى إلاعيناه [] وخرج الناس معه أى جميع من كان معه ﷺ فى أحد . وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت فى قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح) الآية قالت لعروة بن الزبير : يابن أختى كان أبوك الزبير رضى الله عنه وأبوبكر لما أصاب نبيّ الله ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يرجع فى أثرهم . فانتدب منهم سبعون رجلا . قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا ، فان المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ الى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة كما تقدم ، قتل منهم سبعون وبقى الباقى . هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم . قل والظاهر انه لاتخالف لأن معنى قولها يعنى عائشة انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرّجوا على دواء جراحاتهم أى لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو أن تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع ويتابع ذلك مرّة بعد أخرى ليسكن الوجع فلايخالف أنهم فعلوا ذلك أى أوقدوا النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة . فمنهم من كان به تسع جراحات وهوأسيد بن حضير رضى الله عنه وعقبة بن عامر رضى الله عنه . ومنهم من كان به عشر جراحات وهوخراش بن الصمة رضى الله عنه . ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهوكعب بن مالك رضى الله عنه . ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهوطلحة ابن عبيد الله وقطعت أصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهى اليسرى . وفى رواية أنامله كما تقدم . ومنهم من كان به عشرون جراحة وهوعبدالرحمن بن عوف كماتقدم أى وجرح من بنى سلمة أربعون جريحا فقال ﷺ لما رآهم « اللهم ارحم بنى سلمة » وخرج رسول الله ﷺ وهو مجروح فى وجهه أثر الحلقتين ومشجوج فى وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها أى وفى المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الأيمن لضربة ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته فى الحفيرة . وتلقاه ﷺ طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه فقال له ياطلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى بسلاحه و بصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التى به وهى كماتقدم بضع وسبعون جراحة . يقول طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله ﷺ منى بجراحى . ثم أقبل علىّ رسول الله ﷺ فقال ياطلحة أين ترى القوم فقلت بالسفالة فقال رسول الله ﷺ ذلك الذى ظننت أما انهم ياطلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « يابن الخطاب : ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن اهـ » وكان دليله ﷺ فى السير ثابت بن الضحاك وليس هو أخا جبير وقيل أخوه . ولازالوا سائرين حتى عسكروا بحمراء الأسد أى وهو محل بينه و بين المدينة ثمانية أميال أى وقيل عشرة أميال . وعن رجل من الأنصار قال شهدت أحدا أنا وأخى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدوّ فقال لى أخى أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ

وفي لفظ « ان تركنا غزوة مع رسول الله ﷺ لفسق والله مالنا من دابة تركبها . فخرجنا وكنت أيسر جراحا منه . فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشي عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الأسد أي وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاءتهما الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة . فلما أتى بهما الى رسول الله ﷺ قال لهما ماحبسكما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال لهما إن طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل وذلك ليس بخير لكم » أي وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذي ضعف عن المشي رافع والحامل له عبد الله . وأقام المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا يوقدون في كل ليلة من تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد . وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم . قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان عامة زادنا التمر . وحمل سعد ابن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الأسد وساق جزرا لتنحر فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثا . ولقي كفار قريش معبدا الخزاعي . وكان يومئذ مشركا بالروحاء . وكان رأى خروجه ﷺ خلف قريش فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ لطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فتمادوا الى مكة . قال لما كان ﷺ بحمراء الأسد لقيه معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه ﷺ فقال يامحمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك . ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء . فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر . ما وراءك يامعبد ؟ فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا . قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا على أن لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا أي يأخذوا ثأرهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق شيء لم أر مثله قط ، قال ويلك ماتقول قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فانصرفوا سراعا اهـ أي وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة أن يخبروا رسول الله ﷺ وأصحابه بأنهم أجمعوا على الرجعة ، فلما بلغوا رسول الله ﷺ ذلك قال ﷺ حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) الآية وقال ﷺ والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب . أي وأرسل معبد الخزاعي رجلا يخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين وانصرف الى المدينة وظفر ﷺ في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي منّ عليه وقد أسر ببدر من غير فداء لأجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لأحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله ﷺ بشعره كما تقدم . فدعا رسول الله ﷺ أن لا يفلت فأسر . ثم قيل إن المشركين تركوه بحمراء الأسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار . وكان الذي أخذه عاصم بن ثابت ولم يأسر أحد من المشركين غيره في هذه الوقعة . وقيل أسره عمير بن عبد الله . وفي النور لا أستحضر أحدا في الصحابة اسمه عمير بن عبد الله

فلما جيء به اليه ﷺ قال يامحمد أقلنى وامنن علىّ ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا أن لاأعود لمثل مافعلت ، فقال ﷺ لا والله لاتمسح عارضيك بمكة . وفى لفظ تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ سحرت محمدا مرّتين اضرب عنقه يازيد . وفى لفظ ياعاصم بن ثابت . وفى لفظ يازبير وقال ﷺ لايلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة . وفى لفظ « لايلسع المؤمن من جحر مرّتين » فضرب عنقه . وذكر أن رأسه حمل الى المدينة مشهورا على رمح . قال بعضهم وهو أوّل رأس حمل فى الاسلام أى ولاينافيه ماقيل أن أوّل رأس حمل فى الاسلام رأس كعب بن الأشرف كماسيأتى فى السرايا ، لامكان أن يراد أن رأس أبى عزة أوّل رأس حمل الى المدينة على رمح . ولعلّ هذا لاينافى ماحكاه بعضهم أن عمرو بن الجموح كان رابع الأربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان الدار وكان مع علىّ كرم الله وجهه فى مشاهده . فلما ولى معاوية رضى الله عنه فرّ هاربا الى العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زياد والى العراق فأرسل من حزّ رأسه وأرسل به الى معاوية فكان أوّل رأس نقل فى الاسلام من بلد الى بلد . قال بعضهم فى معنى هذا المثل أى لايلدغ المؤمن من جحر مرّتين : « انه ينبغى للمرء أن يستعمل الحزم » وهذا المثل لم يسمع من غيره ﷺ ، ومورده أن شخصا جرّد سيفه وقصد النبىّ ﷺ فضربه ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت مازحا يامحمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة أخرى وقال مثل ذلك فأمر ﷺ بقتله وقال « لايلدغ المؤمن من جحر مرّتين » . وأمر ﷺ فى ذلك المحل بقتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص وهو جدّ عبد الملك بن مروان لأمّه وقد كان لجأ الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فانه لما رجع الكفار من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى ﷺ زوج عثمان من أنت ؟ قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يابن عم لم يكن أحد أمسّ بى رحما منك فأجرنى فأدخله عثمان رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان ليأخذ له أمانا من رسول الله ﷺ فسمع رسول الله ﷺ يقول إن معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بأنه فى ذلك المكان فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه وأجله ثلاثا وأقسم ﷺ إن وجده بعدها قتله . وخرج رسول الله ﷺ الى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثا يستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتى بها قريشا ، فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله ﷺ الى المدينة فخرج معاوية هاربا فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فرمياه حتى قتلاه ، وقد كان ﷺ بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا أى بموضع بينه و بين المدينة ثمانية أميال فوجداه به فقتلاه . وقيل تبعه علىّ كرّم الله وجهه فقتله وكان ﷺ بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم ، فلحق اثنان منهم للقوم بحمراء الأسد فقتلوهما فوجدهما النبى ﷺ قتيلين بحمراء الأسد فدفنهما فى قبر واحد . ولايأتى هنا الجواب المتقدّم فى قتلى أحد . وجاءه ﷺ جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بأن الحرث بن سويد فى قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرا يوم أحد وهو المجذر وتقدم انه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد

وتقدم

وتقدم أنه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت ، لأن سويدا كان قد قتل زيادا أبا المجذر فى الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحرث فقتله فى أبيه وذلك قبل الاسلام ، وكان ذلك سببا لوقعة بعاث . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحرث بن سويد وأسلم المجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحرث يطلب مجذرا يقتله بأبيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحرث من خلفه فضرب عنقه ، قيل وقتل أيضا قيس بن زيد فنهض رسول الله ﷺ الى قباء فى وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر فى يوم حار ، فخرج اليه الأنصار من أهل قباء رضى الله عنهم ومنهم الحرث بن سويد وعليه ثوب مورس . وفى لفظ فى ملحفة مورسة وفى لفظ فى ثوبين مضرجين وفى لفظ ممرضين فأمر رسول الله ﷺ عويمر بن ساعدة بضرب عنقه أى فقال له قدم الحرث بن سويد الى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه . فقال الحرث لم يارسول الله فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فما راجعه الحرث بكلمة فضرب عنقه . قال وفى رواية أن الحرث قال والله قتلته أى المجذر وما كان قتلى إياه رجوعا عن الاسلام ولا أرتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان وانى أتوب الى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين واعتق رقبة ، فلم يقبل منه النبي ﷺ ذلك انتهى . ولم يذكر قتل قيس بن زيد ولعله اكتفى بذلك فى قتله الحرث ويعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق أولى . أى وكان فى هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن على رضى الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله ﷺ الحسن أى لانه ﷺ لما جاء . قال أرونى ابنى ماسميتموه قال على حربا يارسول الله فقال ﷺ هو حسن وحنكه ﷺ بتمر وكان فى هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها فى السنة الرابعة وهو محاصر بنى النضير ، وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر . وقيل كان بخيبر قال ﷺ الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة . وفى رواية الكرمة والنخلة ، وفى رواية الكرم والنخل ، كذا فى مسلم ، ولعل ذكر الكرم كان قبل النهى عنه والا ففى مسلم لايقولن أحدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم . وفى رواية فان الكرم قلب المؤمن أو قيل ذلك بيانا للجواز اشارة الى أن النهى للتنزيه وقد حرمت الخمر ثلاث مرات . الأولى فى قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر) أى القمار (قل فيهما اثم كبير) فانه ﷺ قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية . الثانية أن بعض الصحابة صلى بأصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط فى القراءة فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) ثم أنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فكف الناس عن شربها . وقد جاء أن حمزة رضى الله عنه لما شربها قال للنبى ﷺ ومن معه هل أنتم الا عبيد لأبى أى ففى البخارى ان حمزة رضى الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجدنا قتبين لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما وجب سناميهما . قال على كرم الله وجهه فنظرت الى منظر أفظعنى فأتيت نبى الله ﷺ ، وعنده زيد بن حارثة فاخبرته الخبر فخرج ﷺ ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل أنتم الاعبيد لأبى ، فرجع النبى ﷺ يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يرتب على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال لنبى أنت عبدى أو عبد أبى كفر ، واعترض

القول بأنها فى السنة الرابعة بأن أنس بن مالك كان ساقيا لها ، فلما سمع المنادى بتحريمها أراقها . وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وانى لقائم أسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا . أى أبا أيوب وأبا دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وأبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم ، إذ جاء رجل وقال هل بلغكم الخبر ؟ قالوا وماذاك ، قال حرمت الخمر ، قالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما هو يقت وفى لفظ قال أنس رضى الله عنه فقمت الى مهراس فضربتها بأسفله حتى تكسرت . وفى مسلم عن أبى طارق رضى الله عنه انه قال يارسول الله انما أصنعه أى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء و إراقة الخمر حينئذ مع انها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وفطم للنفوس . لأن إراقتها لم تكن بأمر منه ﷺ . وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله عن حكمة رجوعه ﷺ القهقرى ، فأجاب بأنه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب أو كان مقصوده ﷺ مداومته لحظه ، أو ان الراوى أراد بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر . وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى ﷺ حينئذ أى فى السنة الرابعة بل بعدها . وحينئذ يكون القول بان كونه فى الثالثة أشكل ، وأشكل من هذا ماحكاه ابن هشام فى قصة الأعشى بن قيس انه خرج الى رسول الله ﷺ يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له ياأبا بصير انه يحرم الزنا . فقال الأعشى والله ان ذلك لأمر مالى فيه من أرب ، فقال انه يحرم الخمر . فقال الأعشى أما هذه ان فى النفس منها لغلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آته فاسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى النبى ﷺ هذا كلامه لما علمت أن الخمر لم تحرم بمكة وانما حرمت بالمدينة فى السنة الثالثة أو الرابعة . وأجاب بعضهم بأن الأعشى أراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش . واعترض بأنه قيل ان القائل له ذلك أبو جهل لعنه الله وكان فى دار عتبة بن ربيعة وأبو جهل قتل ببدر فى السنة الثانية . وأجيب بأنه على تسليم صحة ذلك بانه يجوز أن يكون أبو جهل لعنه الله قصد صد الأعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى الى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلق هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام * قوله لما حرمت الخمر . قال بعض القوم قتل قوم وهى فى بطونهم . أى لأن جماعة شربوها صبيح يوم أحد قتلوا من يومهم شهداء فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) وكون أنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى ﷺ الا بعد السنة الرابعة يخالف ماسبق أن عند قدومه ﷺ المدينة جاءت به أمه ليخدمه ﷺ . وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه . ولما قدم النبى ﷺ المدينة ليس له خادم . ثم أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته ﷺ فى السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتى به أبا طلحة والآتى به أمه . وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأبى طلحة التمس لى غلاما من غلمانكم يخدمنى حين أخرج الى خيبر فخرج بى أبو طلحة مردفى وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله ﷺ اذا نزل وقد يقال لامنافاة لأنه يجوز أن يكون ﷺ لم يأمر أنسا بالخروج معه الى خيبر لظنه ان أمه لا تسمح له بذلك فلما قال لأبى طلحة ما ذكر جاء اليه بأنس رضى الله تعالى عنه والله أعلم

غزوة بني النضير

وهم قوم من اليهود بالمدينة ، وفى كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حى من يهود خيبر أى وقريتهم كان يقال لها زهرة . كانت تلك الغزاة فى ربيع الأول أى من السنة الرابعة . وقيل كانت قبل وقعة أحد قال وبه قال البخارى . قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره من أئمة المغازى انتهى . أمر النبي ﷺ الناس بالتهيؤ لحرب بنى النضير والسير اليهم . واختلف فى سبب ذلك فن جملة ماقيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم . أى لأنه كان بينهم وبين بنى عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى عند رجوعه من بئر معونة غيلة حلف وعقد . وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم فى دية الرجلين المذكورين أى وكان ﷺ أخذ العهد على اليهود أن يعاونوه فى الديات . وقيل لأخذ دية الرجلين منهم لأن بنى النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا فى الأصل فليتأمل . فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم ﷺ فى نفر من أصحابه أى دون العشرة ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقالوا له نعم ياأبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان ﷺ جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه . فقال أحد ساداتهم أنا لذلك . أى وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام ابن مشكم لاتفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقى الصخرة أتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام رسول الله ﷺ أى مظهرا انه يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا فى طلبه ﷺ لما استبطئوه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم رسول الله ﷺ بما أرادت بنو النضير . وقد أشار الى ذلك الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجاءك وحى بالذى أضمرت بنو النضير وقد هموا بالقاء صخرة

أى وفى رواية لما رأوا قلة أصحابه ﷺ هلوا بقتله وبأخذ أصحابه أسارى الى مكة فيبيعهم من قريش . أى ولامانع من وجود الأمرين . وقيل السبب فى خروجه ﷺ اليهم أنهم أرسلوا اليه أن أخرج الينا فى ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم فى ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب انه يموت قبله فأرسلوا اليه أن اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك تبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بنى النضير لأخ لها مسلم تعلمه بذلك فأعلم أخوها النبي ﷺ بذلك فرجع ولامانع من وجود ذلك مع ما تقدم ، لكن فى السيرة الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أى على إرادة القاء الحجر والتهيؤ لالقائه إذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ماتريدون فذكروا له الأمر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى أيديهم وقالوا قد أخبر بأمرنا ثم أرسل اليهم محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه أن اخرجوا من بلدى يعنى المدينة لان قريتهم من أعمالها

فلاتساكنوني بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر . أى وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال و يقول لكم قد أجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه ، واقتصاره ﷺ على ذلك لا ينافى ماتقدم من إرادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) ولا ينافى ذلك ماتقدم من نزولها فى حق دعثور فى غزوة ذى أمر لجواز تكرار النزول فأرسلوا فى احضار الابل فأرسل اليهم المنافقون أن لاتخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر وان أخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا عبدالله بن أبى ابن سلول لعنه الله فانه أرسل لهم لاتخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن أبى فأرسلوا لرسول الله ﷺ انا لانخرج من ديارنا فاصنع مابدا لك فأظهر رسول الله ﷺ التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود . قال والمتولى أمر ذلك سيد بنى النضير حيى بن أخطب والدصفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له منتك نفسك والله ياحيى الباطل فان قول ابن أبى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته و يتركك ألاترى انه أرسل الى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة أن تمدكم بنو قريظة . فقال له لاينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بنى قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ماوعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم فى صياصيهم . أى حصونهم وانتظروا ابن أبى فجلس فى بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبى لاينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس فى حروبهم . أى فانه اذا كان بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس فكيف يقبل قوله ، فقال حيى نأبى الاعداوة محمد والاقتاله . قال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى درارينا مع قتل مقاتلينا فأبى حيى الاالمحاربة رسول الله ﷺ وقالت له بنو النضير أمرنا لأمرك تبع لن نخالفك فأرسل الى رسول الله ﷺ بما ذكر اه فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله ﷺ بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة . أى وفى كلام بعضهم انه ﷺ أمر أصحابه رضى الله عنهم بالمسير الى بنى النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب ابن الأشرف أى الآتى قتله فى السرايا فالرايا محمد داعية إثر داعية وباكية إثر باكية ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك فقال ﷺ لهم اخرجوا من المدينة فالوا الموت أهون من ذلك ثم تنادروا بالحرب ، هذا كلامه . قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله ﷺ الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن ابى طالب و يقال أبا بكر وبات المسلمون يحاصرونهم و يكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله ﷺ فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها مسوح فدخل ﷺ فيها وكان رجل من يهود يقال له عزوك وكان أعسر راميا يبلغ نبله مالايبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر

بها خولت ، وفى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنـه قرب العشاء . فقال الناس يارسول الله ماترى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجـل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته ﷺ كمن له علىّ حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفرّ من كان معه فأرسل رسول الله ﷺ مع على أبادجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من علىّ فقتلوهم انتهى ، وذكر بعضهم أن أولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم أتوا برءوسهم فطرحت فى بعض الآبار ، وفى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى أن عليا هو القاتل لأولئك العشرة ، وأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل أى وبحرقها بعد أن حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة وقيل ثلاثا وعشرين ليلة وقيل خمسا وعشرين ليلة . وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده فال واستعمل رسول الله ﷺ على قطع النخل أبا ليلى المازنى وعبدالله بن سلام . وكان أبوليلى يقطع العجوة وعبدالله يقطع اللين ويقال له اللون وهو ماعدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى ، وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله ﷺ فصاحت نخلة بأخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال ﷺ ياعلى انما سمى نخل المدينة أى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرن بالفارسية حمل مبارك أوجيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا . أى وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان أنواع التمر بالمدينة التى أمكن جمعها بلغت مائة ونصعا وثلاثين نوعا ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر مماذكره النووى قال ولعل ماراد على ماذكره حدث بعد ذلك . أى وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلاتكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد ابن غازى أرسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فرسل اليه حملا أوحملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ماتعلق به علم الفقير (وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها) ثم رأيت فى نشق الازهار أن بهذه البلدة رطبا يسمى التونى وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بنى النضير . أى لأنهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذى أحسن غذاء . أى وتقدم أن آدم نزل بالعجوة من الجنة . وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولاسحر . أى [illegible] جاء فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولاسحر . أى وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة . أى وقد علمت [illegible] وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا . وروى عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة عن النبى ﷺ انه قال العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وهى ترياق أول البكرة ، عليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس . وفى حديث وفد عبدالقيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر أن البرنى من خير تمركم وانه دواء وليس بداء وجاء بيت لاتمر فيه جياع أهله قالها مرتين ، ولقد قطعت عجوة

شق النساء الجيوب وضر بن الخدود ودعون بالويل أى وذلك البعض الذى حرق كان بمحل يعرف بالبويرة اه أى والبويرة تصغير بورة . وهى هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه أى يا محمد . وفى رواية يا أبا القاسم . قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها . أى وفى رواية ماهذا الفساد . وفى لفظ قالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح . أفمن الصلاح قطع النخل . وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون . وحينئذ وقع فى نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فباذن الله الى وليخزى الفاسقين) أى فى قولهم ان ذلك من الفساد . قل بعضهم جميع ماقطعوا وحرقوا ست نخلات ولازال عبد الله بن أبى ابن سلول يبعث لبنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم أى ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك . فخذلهم ولم يحصل لهم منه شيء أى وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيى أين نصر بن أبى الذى زعمت فيقول حيى ما أصنع هى ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله ﷺ حصارهم . وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم و يكف عن دمائهم على أن لهم ماحملت الابل من أموالهم الا الحلقة أى آلة الحرب ففعل فحتملوا النساء والصبيان وحملوا من أموالهم غير الحلقة مااستقلت به الابل . وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكنجاف به أى أسكفته [] فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . أى وفى لفظ صاروا ينقضون العمد والسقوف و ينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران حتى لايسكنها المسلمون حسداو بغضا . وفى رواية جعل المسلمون يهدمون مايليهم من حصنهم . و يهدم الآخرون مايليهم . قال وفى رواية أنهم خرجوا مظهرين التجلد : خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلى الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير : ومنهم سلمى أم وهب : وقال ابن اسحق أم عمرو صاحبة عروة بن الورد الذى قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد . أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد . ثم ان بعض بنى النضير اشتراها من عروة بعد أن سقاه الخمر . ثم لما أفاق ندم . ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره خيرها . فاختارت من اشتراها . وقيل ان قومها جاءوا اليه بفدائها فخيرها وكان لايظن أن أن تختار عليه أحدا فاختارت قومها فندم . وعند مفارقتها له قالت له والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سترا على بعل مثلك أغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء ، وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء ، وأحنى على الاهل والجار وما كنت لأوثر عليك أهلى لولا أنى كنت أسمع بنات عمك يقلن : قالت أم عروة وفعلت أم عروة فاجد من ذلك الموت والله لايجامع وجهى وجه أحد من أهلك فستوص ببنيك خيرا : ثم تزوجت فى بنى النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا فى أثر قطار ، وان سلام بن أبى الحقيق رافع جلد جمل أى أوثورا وحمار مملوء حليا و ينادى بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا . ففى خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن انتهى . وهذا الحلى كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان يكون عند آل أبى الحقيق وسيأتى فى غزوة خيبر أنه

صلى

ﷺ عبر عن هذا الحلى بالآنية والكنز. وأنه كان سببا لقتل ولدى أبى الحقيق لما كتماه عنه ﷺ فنهم من سار الى خيبر أى ومن جلة هؤلاء أكابرهم حي بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن أبى الربيع بن أبى الحقيق. فلما نزلوا خيبر دان لهم أهلها. ومنهم من سار الى الشام أى أى الى أذرعات. وكان فيهم جماعة من أبناء الأنصار لأن المرأة من الانصار. كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده. فلما أجليت بنو النضير. قال آباء أولئك لاندع أبناءنا وأنزل الله تعالى (لا اكراه فى الدين) وهى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى النضير الارجلان وهما يامين بن عمير وأبوسعد بن وهب. قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم انه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل وأسلما [] فاحرزوا أموالهما. أى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أى وهو عشرة دنانير. وقيل خمسة أوثق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى أراد أن يلقى الحجر على رسول الله ﷺ فقتله غيلة أى بعد أن قال رسول الله ﷺ ليامين ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به من شأنى. فسر بذلك النبي ﷺ ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس رضى الله عنهما سورة بنى النضير كما فى البخارى. وفى كلام السبكى رحمه الله لم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت فى بنى النضير. وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ * ـفق الاعلى السفيه الشقاء

ونهيتم وما انتهت عنه قوم * فابيد الأمار والنهاء

أسلموهم لأول الحشر لاميـ * ـعادهم صادق ولا الايلاء

سكن الرعب والخراب قلوبا * و بيوتا منهم نعاها الجلاء

أى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم و ينصرونهم على النبي ﷺ ومايروج الشقاء الاعلى السفيه. والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان معه على النفاق لأنه كما تقدم لازال يرسل لهم أن اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم: ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا أسلمهم أولئك المنافقون لأول الحشر. وهو أى الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بان ينصروهم على النبي ﷺ غير صادق. وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا. ذكر موسى بن عقبة أنهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها. فلذلك قال لأول الحشر والحشر الجلاء. وقيل المراد بالحشر أرض المحشر. فانهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر: والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف: وقيل الحشر الثانى لهم كان على يد سيدنا عمر رضى الله عنه أجلاهم من خيبر الى تيماء واريحاء وسيأتى ذكره. وسكن الرعب وهو خشية انتقامه ﷺ منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم. وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها خروجهم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم بنو النضير (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم) أى فى خذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون: لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم) مثلهم (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) ووجد

ﷺ من الحلقة أى آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفاولم يخمس ذلك رسول الله ﷺ أى كما خمس أموال بنى قينقاع . قال وقدقال له عمر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ألاتخمس ما أصبت أى كما فعلت فى بنى قينقاع . فقال رسول الله ﷺ لا أجعل شيئا جعله الله لى دون المؤمنين بقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) الآية كهيئة ماوقع فيه السهمان [] أى فكان أموال بنى النضير وعقارهم فيئا لرسول الله ﷺ خاصة وتقدم التنبيه على ذلك فى غزوة بنى قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادى القرى أى ثلث ذلك كما فى الامتاع وينبع وفسرت القرى ببنى النضير وخيبر أى بثلاث حصون منها . وهى الكتيبة والوطيح وسلالم كما فى الامتاع وفدك أى نصفها كما فى الامتاع ، ذكره الرافعى فى شرح مسند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ، أقول قال بعضهم وهذا أول فىء حصل لرسول الله ﷺ ويرده ماتقدم فى غزوة بنى قينقاع الا أن يقال المراد أول فىء اختص به ﷺ ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ماتقدم ، ثم دعا الانصار الأوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم ذكر الانصار وماصنعوا بالمهاجرين من انزالهم فى منازلهم وايثارهم على أنفسهم بأموالهم . ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال ، فان شئتم قسمت هذه الأموال أى التى أفاء الله علىّ وخصنى بها مع أموالكم بينكم جميعا : وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة . فقالوا بل اقسم هذه فيهم ، واقسم لهم من أموالنا ماشئت : وفى رواية ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علىّ من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم وأموالكم . أى الارض والنخل لأنه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة . قدموا وليس بأيديهم شىء : وكان الانصار أهل الارض والعقار أى النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم : فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونه العمل . ومنهم من قبلها بشرط أن يعمل فى الشجر والارض وله نصف الثمار ، ولم تطب نفسه أن يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم أن يكونوا كلا وان أحببتم أعطيتهم أى وخرجوا من دوركم ، أى . أموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ . فقالا يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، بل نحب أن تقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها . ونادت الانصار رضينا وسلمنا يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار . زاد فى رواية وأبناء أبناء الانصار . وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا أى وأنزل الله تعالى فيهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أى ولو كان بهم فاقة وحاجة الى مايؤثرون به فقسم رسول الله ﷺ ذلك بين المهاجرين . أى وفى كلام بعضهم انه ﷺ أعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أى وهما سهل بن حنيف وأبودجانة رضى الله عنهما وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحرث بن الصمة . وانظر فيه فبعضهم بانه قتل فى بئر معونة . وأعطى ﷺ سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق أحد سادات بنى النضير . وكان سيفا له ذكر عندهم وكان ﷺ يزرع أرضهم التى تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله فى الكراع أى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله تعالى * أقول فيه تصريح بانه لم يقسم الارض ، ويحتمل أن المراد بقوله كان يزرع أرضهم التى تحت النخل أى بعض أرضهم ويدل له مايأتى ولم أقف على

كيفية زرعه ﷺ للأرض من مزارعة أو غيرها . وفي الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال كان محل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار . وهذا السياق يدل على أن مراده بنخل بني النضير أموالهم كما تقدم في الروايات . لاخصوص النخل ، ثم رأيت في عبارة بعضهم وأكثر الروايات على أن أموال بني النضير : أي من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله ﷺ خاصة له خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها لأحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس . وأعطى أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وصهيبا وأباسلمة بن عبد الأسد ضياعا معروفة من ضياع بني النضير . ولعل المراد بالضياع الأراضي ، ويدل لذلك مافي البخاري أقطع رسول الله ﷺ الزبير أرضا من أراضي بني النضير كما أن ذلك هو المراد بقول الامتاع . وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله ﷺ جعلها حبسا لنوائبه . وكان ﷺ ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها . وقد يقال لامنافاة ، لانه يجوز أن يكون أعطى بعض أراض وأبقى بعضها يزرع له ﷺ . ولما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للأنصار لاستغنائهم عنهم : ولأنهم لم يكونوا ملكوهم ذلك . وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن أن ذلك ملك لها فامتنعت من رده . أي لأن أم أنس كانت أعطته ﷺ نخلات فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته . وصار يعطيها وهي تمتنع من رده الى أن أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك ، وذكر هذا في بني النضير يخالف مافي مسلم أن ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر أنه ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارها وذكر قصة أم أيمن فيتأمل والله أعلم

غزوة ذات الرقاع

أي وتسمى غزوة الأعاجيب أي لما وقع فيها من الأمور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار ، عن ابن اسحق رحمه الله . ثم أقام رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الأول . وقال غيره شهري ربيع وبعض جمادى . ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة حين بلغه ﷺ أنهم جمعوا الجموع أي من غطفان لمحاربته فخرج ﷺ في أربعمائة من أصحابه رضي الله عنهم . أي وقيل سبعمائة . وقيل ثمانمائة [] أي واحتج البخاري رحمه الله على أن هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبي موسى رضي الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع ، وهو خرجنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا نقبت قدمي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا ثبت أن أباموسى شهد غزاة ذات الرقاع . وثبت أنه لم يجيء اليه ﷺ من الحبشة الا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر الا أن يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وأنها كانت قبل خيبر وبعدها والتي وجدت فيها صلاة الخوف هي الثانية ، أي والسبب في تسميتها ذات الرقاع ماتقدم عن أبي موسى رضي الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق بقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت أي لأنها لو كانت شرعت له ﷺ

ولم يؤخر الصلاة كما سيأتي وسيأتي الجواب عن ذلك . وقد ذكرها الشمس الشامي رحمه الله تعالى بعد خيبر والأصل لم يذكر ماتقدم عن البخاري بل رواه بالمعنى فقال روينا في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع . قال وجعله أي البخاري حديث أبي موسى هذا حجة على أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لأن أبا موسى انما قدم في خيبر لادلالة فيه على ذلك أي لأنه يجوز أن يكون قول أبي موسى رضي الله عنه انهم نقبت أقدامهم يعني الصحابة فيكون هذا مما رواه أبوموسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة ، وفيه أن هذا لايأتي مع قول البخاري عن أبي موسى « فنقبت قدماي وسقطت أظفاري » إذ هو صريح في أن أباموسى رضي الله عنه حضرها والاصل تبع في تقديمها على خيبر شيخه الدمياطي وتابعه أيضا في رواية ماتقدم عن البخاري بالمعنى . ونظر الدمياطي في رواية أبي موسى أي التي في البخاري التي رواها عنه بالمعنى بأنها مخالفة لما عليه أهل المغازي من تقديمها على خيبر . قال الحافظ ابن حجر وادّعى الدمياطي غلط الحديث الصحيح وأن جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على مافي الصحيح أي من تأخيرها عن خيبر أولى لأن أصحاب المغازي مختلفون في زمانها . قال والبخاري مع روايته عن أبي موسى الصريحة في تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر . قال ولاأدري هل تعمد ذلك تسليما لأصحاب المغازي انها كانت قبل خيبر أوان ذلك من الرواة عنه أواشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أي واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه . أي وقدمنا أن سبب التسمية في الثانية ماذكر عن أبي موسى رضي الله عنه . وأما في الأولى فأحد الأسباب الآتية . قال في الامتاع وقد قال بعض من أرخ ان غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أي و بعد خيبر . ولما غزا ﷺ استخلف على المدينة أباذرّ الغفاري . وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه . قال ابن عبدالبر وعليه الأكثر . أي وقد نظر في الأوّل بأن أباذرّ رضي الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجيء حتى مضت بدر وأحد والخندق * أقول وهذا النظر بناء على انها كانت قبل الخندق وأما على أنها كانت بعد الخندق و بعد خيبر فلايتأتى هذا النظر والله أعلم . وسار ﷺ حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فأخذهنّ وفيهنّ جارية وضيئة . ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أي خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون أي غافلون حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف وكانت أوّل صلاة للخوف صلاها . قال وفي رواية « حانت صلاة الظهر فصلاها ﷺ بأصحابه فهمّ بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هي أحبّ اليهم من أبنائهم أي وهي صلاة العصر ، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فاخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف » اهـ * أقول سيأتي هذا كله بعينه في غزوة الحديبية التي هي صلاة الخوف بعسفان . ولامانع من تعدّد ذلك . و يحتمل انه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم . وكان العدوّ في غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين : فرقة وقفت في وجه العدوّ وفرقة صلى بها ركعة ، ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ، ثم جاءت ووقفت في وجه العدوّ وجاءت تلك الفرقة التي كانت في وجه العدوّ واقتدت به في ثانيته فصلى بهم ركعة ثم دمت وهو في جلوس التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته في جلوس التشهد وسلم بها . وهذه الكيفية في ذات الرقاع رواها

الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية أى وفى كلام بعضهم فصلى بهم النبى ﷺ صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالأخرى أخريين . وسيأتى أن هذه صلاته ﷺ ببطن نخل . وفى الخصائص الصغرى : « وخص ﷺ بصلاة الخوف فلم تشرع لأحد من الأمم قبلنا ، وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال » أى وفى هذه الغزوة نزل ﷺ ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح . وكان نزوله ﷺ فى شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أى يحفظنا هذه الليلة فقام عباد بن بشر رضى الله عنه وعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما فقالا نحن يارسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفينى آخره فنام عمار رضى الله عنه وقام عباد رضى الله عنه يصلى وكان زوج بعض النسوة التى أصابهن رسول الله ﷺ غائبا . فلما جاء أخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لاينثنى حتى يصيب محمدا أو يهريق فى أصحاب محمد دما ، فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه . فلما غلبه الدم قال لعمار أجلس فقد أثبت ، فلما رأى ذلك الرجل عمار أجلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار أى أخى مامنعك أن توقظنى له فى أول سهم رمى به فقال كنت أقرأ فى سورة أى فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها . وفى لفظ جعل ﷺ شخصين من أصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الأنصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أى وهو عباد بن بشر كما تقدم . وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه « لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسى » ✲ أقول وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على أن النجاسة الحادثة من غير السبيلين لاتنقض الوضوء لأنه ﷺ علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولاينافى ذلك ماتقدم فى الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم إذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه ولا بدنه إلا القليل منه والله أعلم . ويقال ان رجلا من القوم أى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الأشهر . وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن الحرث قال لهم ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أى أجىء اليه على غفلة فجاء اليه ﷺ وسيفه فى حجره فقال يامحمد أرنى أنظر الى سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله أى يخزيه ثم قال يامحمد ماتخافنى قال لا بل يمنعنى الله تعالى منك ، ثم دفع السيف اليه فأخذه ﷺ وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال تشهد أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله قال أعاهدك على أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله ﷺ سبيله . فجاء الى قومه . فقال جئتكم من عند خير الناس ، وأسلم هذا بعد وكانت له صحبة . وفى رواية جاء اليه ﷺ وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يامحمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يامحمد ماتخافنى قال لا وما أخاف منك قال وفى يدى السيف قال لايمنعنى الله تعالى منك ثم غمد سيف رسول الله ﷺ فرده عليه . وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة فى غزوة ذى أمر . فهما واقعتان . احداهما مع دعثور ، والثانية مع غورث فقول بعضهم . والظاهر أن الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل . قال وفى رواية لما قفل رسول

الله ﷺ راجعا الى المدينة أدركته القائلة يوما بوادكثير العضاه أى الأشجار العظيمة التى لها شوك وتفرّق الناس فى العضاه أى الأشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة أى ظليلة . قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى ﷺ فعلق ﷺ سيفه فيها فنمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده أعرابيا جالسا فقال ان هذا قد اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه ﷺ اه وهذه الرواية مع ماقبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لاواقعة واحدة ويبعد أن يكون ذلك الاعرابى هوغورث صاحب الواقعة الأولى فيكون تعدّد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم) وتقدم أن سبب نزولها إرادة إلقاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله ، وتقدم أنه لامانع من تعدد النزول لتعدّد الأسباب . وفى الشفاء قيل كان رسول الله ﷺ يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم) الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى . أى وفيه ان هذا لايحسن إلا عند نزول آية (والله يعصمك من الناس) إلا أن يقال هو ﷺ علم من ذلك أن الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل . وانما لم يعاقب ﷺ ذلك الاعرابى حرصا على استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام . وكانت مدة غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة . وبعث ﷺ جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين ، أى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهوالذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى أن محمدا قد قتل كما تقدم . وأبطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه ﷺ . وفى لفظ انه حجنه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب . وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله ﷺ حياء منه لايسبقه أى وهو ينازعنى خطامه مع انى كنت أرجو أن يساق معنا . ثم قال له ﷺ أتبيعنيه فابتاعه منه أى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد أن أعطاه فيه أوّلا درهما ممازحا له ، فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يارسول الله . وفى رواية لازال ﷺ يزيده درهما درهما ، فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفرلك يارسول الله ، قال بعضهم كأنه ﷺ أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له ، وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية « وشرط لى ظهره الى المدينة » أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة ، وقيل سبعين مرة ، فلما وصل ﷺ المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل . أى وقيل ان هذه القصة أى إبطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه ﷺ من مكة الى المدينة . وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما . قال : كنت مع النبى ﷺ فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمرّ به النبى ﷺ فقال من هذا ؟ فقلت جابر بن عبد الله ، قال مالك ؟ قلت انى على جمل ثقال ، قال أمعك قضيب ؟ قلت نعم ، قال أعطنيه فضربه فزجره ، فكان من ذلك المكان من أوّل القوم قال بعنيه قلت بل هولك يارسول الله ، قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة ، فلما قدمت المدينة قال يابلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا ، قال جابر رضى الله عنه

واعطانى

وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم ، وفى لفظ عن جابر قال دخل النبي ﷺ المسجد فدخلت اليه فعلقت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يارسول الله هذا جملك فخرج ﷺ فجعل يطوف بالجمل . قال الثمن والجمل لك ، وفى لفظ إنما باعه له بوقية . أى ذهب وأنه استثنى حملانه الى أهله ، فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على أثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك ، وعن جابر رضى الله عنه أنه ﷺ اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعددها بعيد . قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع ، أولأنهم رقعوا راياتهم ، أولأنهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أولأن الصلاة رقعت فيها ، أولأن الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود و بيض ، واستغربه الحافظ ابن حجر . قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل أنها سميت بالمجموع قال وفى هذه الغزوة جاءته ﷺ امرأة بدوية بابن لها . فقالت يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه وقال اخسأ عدوّ الله أنا رسول الله ، ثم قال ﷺ شأنك بابنك لن يعود اليه شىء مما كان يصيبه ، أى فكان كذلك ، وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله ﷺ أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه . وفيها أيضا جىء له ﷺ بثلاث بيضات من بيض النعام ، فقال لجابر دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات ، قال جابر رضى الله عنه فعملتهن ثم جئت بهن فى قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل ﷺ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته أى الى الشبع والبيض فى القصعة كما هو . وفيها أيضا جاء جمل يرقل أى حتى وقف عنده ﷺ وأرغى ، فقال رسول الله ﷺ أتدرون ماقال هذا الجمل هذا جمل يستعيذنى على سيده يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين وانه أراد أن ينحره اذهب ياجابر الى صاحبه فأت به ، قال جابر رضى الله عنه فقلت لاأعرفه قال انه سيدلك عليه . قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئته به فكلمه ﷺ فى شأن الجمل اه وعن عبدالله بن جعفر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار فاذا جمل ، فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه النبى ﷺ فمسح عليه فسكن . ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار ، فقال هذا لى يارسول الله . فقال ألا تتقى الله عز وجل فى هذه البهيمة التى ملكك الله فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه . وفى رواية كما جالوس مع النبى ﷺ اذ بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ فرغا ، فقال له النبى ﷺ أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد أمن عائذنا ولن يخيب لائذنا ، فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير . قال يريد أهله نحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ أقبل أصحابه يتعادون ، فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها فقالوا يارسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نجده الا بين يديك . فقال لهم رسول الله ﷺ أما إنه يشكو ، فقالوا يارسول الله مايقول . قال يقول انه ربى فيكم سنين وكنتم تحملون عليه فى الصيف الى موضع الكلأ فاذا كان الشتاء حملتم عليه الى موضع الدفء ، فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله إبلا سليمة . فلما أدركته هذه السنة الجدبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا والله يارسول الله

قد كان ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ ماهذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا لرسول الله ﷺ إنا لاتتعبه ولاتنحره . فقال رسول الله ﷺ كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لأن الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه ﷺ منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث شئت فرغا البعير على هامة رسول الله ﷺ ، فقال له آمين ، ثم رغا الثانية فقال له آمين . ثم رغا الثالثة فقال له آمين ، ثم رغا الرابعة فبكى النبى ﷺ فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير فقال . قال جزاك الله خيرا أيها النبى عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما سكنت قلبى ، قلت آمين ، قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى قلت آمين ، قال لاجعل الله بأسهم بينهم شديدا فبكيت لأنى سألت ربى فيها أى فى هذه الرابعة فنعنى إعطاءها . وقوله ﷺ للجمل اذهب كيف شئت لايناسب ماعليه أئمتنا من عدم جواز إرسال الدواب تقربا الى الله تعالى لأنه فى معنى سوائب الجاهلية ، إلا أن يقال المراد بقوله ﷺ له اذهب كيف شئت . أى أنت آمن فى سائر أحوالك مما شكوت منه ، ورأيت فى كلام ابن الجوزى رحمه الله مايؤيد ذلك وهو أن رسول الله ﷺ وسمه سمة نعم الصدقة ، ثم بعث به ، وعليه لا إشكال ، والى قصة الجمل أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وثقلة

وفى هذه أعنى السنة الرابعة تزوج ﷺ أم سلمة هند رضى الله عنها بعد موت أبى سلمة بن عبد الأسد رضى الله عنه ، وماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال تزوجها سنة اثنتين ليس بشىء ، قيل وفيها شرع التيمم

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها بدر الموعد : أى لموعد أبى سفيان رضى الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعد مابيننا و بينكم بدر أى موسمها . فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل نعم إن شاء الله تعالى كما تقدم ، لما قدم رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الأولى الى آخر رجب ثم خرج رسول الله ﷺ فى شعبان وعليه اقتصر الأصل ، وقيل خرج فى شوال وقيل فى مستهل ذى القعدة كل ذلك فى سنة أربع ، ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله إنها كانت فى شعبان سنة ثلاث لما علمت أنها بعد أحد ؛ وأحد كانت فى شوال سنة ثلاث ، والحافظ الدمياطى قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامى وصاحب الامتاع ، وكان وصوله ﷺ الى بدر هلال ذى القعدة وهذا لايناسب الا القول بأن خروجه ﷺ كان فى شوال وكان ذلك موسما لبدر فى كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه . وحين خرج ﷺ من المدينة استخلف عليها عبدالله بن عبدالله بن أبى ابن سلول رضى الله تعالى عنه ، وقيل عبدالله بن رواحة رضى الله عنه وخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه . وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيؤ المسلمين للخروج قدم نعيم بن مسعود الأشجعى . أى وكان ذلك قبل اسلامه رضى الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيئوا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة ، وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا ، وفى لفظ عشرة

من

من الابل وحمله على بعير، أى وقال له أبو سفيان انه بدا لى أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب الىّ من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندى من الابل كذا وكذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو، فقال له يا أبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان، أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج، واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى النبى ﷺ وقد سمعا ما ارجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله . ان الله مظهر نبيه ومعزّ دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب ان نتخلف عنه فيرون أن هذا جبن فسر لموعدهم فوالله إن فى ذلك لخيرة، فسرّ رسول الله ﷺ بذلك ثم قال والذى نفسى بيده لأخرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف، ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج و بلغه أنا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الاعام عشب قالوا نعم ما رأيت. فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مرّ الظهران وقيل الى عفان، ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الاعام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربوا السويق ؛ وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التى هى ثمانية أيام أى فانه ﷺ انتهى الى بدر هلال ذى القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة. أى وصار المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم و يرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل، فلما قدموا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد فأنزل الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فالمراد بالناس الأوّل نعيم نزّل منزلة الجماعة، وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أن القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الأربعة من المنافقين لعنهم الله وافقوا نعيما على ماقال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما أتيتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم أحد، وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا. وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور أن هذه الآية الواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الأسد عند انصرافه من أحد فليتأمل، ثم انصرف رسول الله ﷺ الى المدينة أى و بلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وأنهم كانوا أصحاب الموسم أى والمخبر لهم بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك . فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان قد والله نهيتك يومئذ أن

تعـد القوم وقد اجترءوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وانمـا خلفنا الضعف

غزوة دومة الجندل

بضم الدال ويجوز فتحها ، واقتصر الحافظ الدمياطى على الأوّل . أى وأما دومة بالفتح لاغير فموضـع آخر ، ومن ثم قال الجوهرى الصواب الضم وأخطأ المحـدثون فى الفتح . سميت بدومى بن اسمعيل عليه السلام لأنه كان نزلها ، وهى بلدة بينها و بين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام الى المدينة و بينها و بين المدينة خمس أوست عشرة ليلة أى وهى بقرب تبوك ، بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب رسول الله ﷺ الناس لذلك فخرج فى ألف من المسلمين ، أى وذلك فى أواخر السنة الرابعة ، وذكر بعضهم أنها كانت فى ربيع الأوّل من السنة الخامسـة ، ويوافقـه قول الحافظ الدمياطى انها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته ﷺ أى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى [] فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة أى يقال له مذكور رضى الله تعالى عنه . فلما دنا منهم جاء اليهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أى ورجعت كل سرية بابل وأخـذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبى ﷺ فسأله رسول الله ﷺ عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخـذت نعمهم فعرض عليه الاسـلام فأسلم ورجع رسول الله ﷺ المدينـة وفى رجوعه وادع أى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى أن يرعى بمحل بينه و بين المدينة ستة وثلاثون ميلا أى لأن أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة كما سيأتى ، وقيـل له بئس ماجزيت به محمدا ﷺ أحلك أرضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى ، وقيل له عيينة لأنه أصابته لقوة فجحظت عيناه وسمى عيينة ، وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف ، وكان من المؤلفة كما سيأتى ، وكان يقال له الأحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف فتاة ودخـل على النبى ﷺ بغير إذن وأساء الأدب فصبر النبى ﷺ على جفوته ، وقال فيه ﷺ : ان شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه . وقيل ان ذلك انما قيل فى مخرمة بن نوفل . أى ولامانع من تعدد ذلك وقد ارتدّ عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضى الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به . فلمـا هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرسل به الى الصديق فى وثاق . فلمـا دخل المدينة صار أولاد المدينة يحسونه بالجريد و يضربونه ويقولون أى عدوّ الله كفرت بالله بعد إيمانك ، فيقول والله ما كنت آمنت فمنّ عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهرا للاسلام ، وفى سنة أربع نزلت آية الحجاب لأزواجه ﷺ وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضى الله عنه ووقع أنه لما ولد سماه على كرم الله وجهه حربا فلما جاء ﷺ قال أرونى ابنى ماسميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أى كما فعل ذلك بالحسن كما مر ولما ولد الثالث جاء النبى ﷺ فقال أرونى ابنى ماسميتموه قال على كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن . ثم قال ﷺ انى سميتهم بأسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر ومن المستظرف ماحكاه بعضهم . قد وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا . فلمـا كان بعد ذلك أقبل الحسن على

الحسين

الحسين وأكب على رأسه يقبله ، فقال له الحسين ان الذى منعنى من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج ، وقيل فرض فى الخامسة ، وقيل فى السادسة ، وقيل فى السابعة ، وقيل فى الثامنة . وقيل فى التاسعة . وقيل فى العاشرة . قيل وفيها أى الرابعة شرع التيمم ، أى كما تقدم . وقيل شرع فى الغزوة التى تلى هذه وهى غزوة بنى المصطلق . وقيل كان فى غزوة أخرى ، أى وفى غيبته ﷺ فى هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة ، وكان ابنها رضى الله عنه معه ﷺ ولما قدم ﷺ المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر ، وقال له سعد يارسول الله أتصدق عنها ، قال نعم ، قال أى الصدقة أفضل ، قال الماء فحفر بئرا . وقال هذه لأم سعد رضى الله عنها

غزوة بنى المصطلق

ويقال لها غزوة المريسيع ، ويقال لها غزوة محارب ، وقيل محارب غيرها . ويقال لها غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة ، أى كما قيل بذلك كذلك فى غزوة ذات الرقاع كما تقدم ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة ، وهم بنو جذيمة : وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم ، أى من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد ، وذلك الماء فى ناحية قديد * وسببها أنه ﷺ بلغه أن الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتى جمع لحرب رسول الله ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل ﷺ بريدة بالتصغير بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى آخره موحدة كما تقدم ، أى ليعلم علم ذلك . قال واستأذن بريدة رسول الله ﷺ أن يقول ما يتخلص به من شرهم أى وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل . قال رجل منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فأسير فى قومى ومن أطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم ، فقال له الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومى فسروا بذلك منه . ورجع الى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم انتهى . فندب رسول الله ﷺ الناس اليهم فأسرعوا الخروج . وكان فى شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة ، وقيل أربع كما فى البخارى نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووى فى الروضة . قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس من الهجرة فكتب سنة أربع ، لأن الذى فى مغازى ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس ، وقيل سنة ست وأن عليه أكثر المحدثين ، وقادوا الخيل وهى ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين . أى منها فرسان له ﷺ اللزاز والظرب ، وعشرون للأنصار رضى الله عنهم ، واستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنهما . وقيل أبا ذر الغفارى رضى الله عنه . وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثى رضى الله عنه . وخرج معه ﷺ من نسائه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أى وخرج معه ﷺ ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قبلها منهم عبد الله بن أبى بن سلول وزيد ابن اللصيت ليس لهم رغبة فى الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة . وسار

ﷺ حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله ﷺ فقال له أين
أهلك . قال بالروحاء ، قال أين تريد . قال اياك جئت لأومن بك وأشهد أن ماجئت به حق وأقاتل
معك عدوّك . فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى هداك للاسلام ، وسأل رسول الله ﷺ
أىّ الاعمال أحب . فقال رسول الله ﷺ الصلاة لأوّل وقتها . فكان بعد ذلك يصلى الصلاة
لأول وقتها . وأصاب ﷺ عينا للمشركين كان وجهه الحرث ليأتيه بخبر رسول الله ﷺ فسأله
رسول الله ﷺ عنهم ، فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الاسلام فأبى ، فأمر رسول الله
ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضرب عنقه فضرب عنقه ، فلما بلغ الحرث مسير رسول
الله ﷺ وأنه قتل عينه سىء بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا ، وتفرق عنه جمع كثير ممن
كان معه وانتهى رسول الله ﷺ الى المريسيع فضربت له ﷺ قبة من أدم ، وكان معه فيها
عائشة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ، ودفع ﷺ راية المهاجرين الى أبى
بكر رضى الله عنه . وقيل لعمار بن ياسر ، وراية الأنصار الى سعد بن عبادة رضى الله عنه ، أى وأمر
رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يقول لهم قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم
وأموالكم ففعل عمر ذلك فأبوا فتراموا بالنبل ساعة . ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا
حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية
واستاق إبلهم وشياههم . فكانت الابل ألفى بعير ، والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل ﷺ على
ذلك مولاه شقران أى بضم الشين المعجمة ، واسمه صالح ، وكان رضى الله عنه حبشيا ، وكان السبى
مائتى أهل بيت . وفى كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة ، وكانت برة بنت الحرث الذى هو سيد
بنى المصطلق فى السبى . وقيل أغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غافلون ، فقتل مقاتلتهم وسبى
سبيهم ، أى وهذا القول هو الذى فى صحيح البخارى أى ومسلم ، والأول هو الذى فى السيرة الهشامية
وجمع بأنه يجوز أن يكون ﷺ لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال . ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم
أى وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر . وكان شعار المسلمين أى علامتهم التى يعرفون بها فى ظلمة الليل أو
عند الاختلاط يامنصور أمت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد موت عدوّهم . وأمر رسول الله ﷺ
بالأسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضى الله عنه . ثم فرق ﷺ السبى ، فصار فى أيدى
الناس ، أى وفى هذا دليل لقول امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد . يجوز استرقاق العرب
لأن بنى المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله فى القديم انهم لايسترقون لشرفهم . وقد قال فى
الأمّ لولا أنا نأثم بالتمنى لتمنينا أن يكون هكذا . أى لايجرى الرق على عربى ، وبعث ﷺ أبا ثعلبة
الطائى الى المدينة بشيرا من المريسيع أى وجمع ﷺ المتاع الذى وجده فى رحالهم والسلاح والنعم
والشاء وعدل الجزور بعشرة من الغنم . ووقعت برة بنت الحرث فى سهم ثابت بن قيس ، وابن عم
له ، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة فى حصته من برة وكاتبها أى على تسع أواق من ذهب
فدخلت عليه ﷺ فقالت له يارسول الله انى امرأة مسلمة . أى أسلمت لأنى أشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله وانى برة بنت الحرث سيد قومه أصابنا من الأمر ماقد علمت ووقعت فى سهم
ثابت بن قيس وابن عم له وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة وكاتبنى على مالا طاقة لى
به وانى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى ، فقال لها رسول الله ﷺ أو خير من ذلك ؟ قالت ماهو

قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوّجك ، قالت نعم يارسول الله قدفعلت فأرسل رسول الله ﷺ الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضى الله عنه هى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى فأدى رسول الله ﷺ ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوّجها أى وهى ابنة عشرين سنة وسماها جويرية أى وكان اسمها برة ، وكذلك ميمونة ، وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برّة فغيره ﷺ وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب ، ويذكر أن عليا كرّم الله وجهه هوالذى أسرها ☆ أقول ولامانع أن يكون علىّ كرّم الله وجهه أسرها ثم وقعت فى سهم ثابت وابن عمه رضى الله عنهما عند القسمة لأنه لم يثبت فى هذه الغزوة أنه ﷺ جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع فى بدر إلا مايأتى من قول أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ورغبنا فى الفداء ، وقد يقال رغبوا فى الفداء بعد القسمة والله أعلم . قال وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جويرية امرأة حلوة لايكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبينما النبىّ ﷺ عندى ونحن على الماء أى الذى هو المريسيع إذ دخلت جويرية تسأله فى كتابتها فوالله ماهو الا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى ﷺ وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت ، فقالت يارسول الله انى امرأة مسلمة الحديث اه وإنما كرهت ذلك لماجبلت عليه النساء من الغيرة ، ومن ثم جاء أنه ﷺ خطب امرأة فأرسل عائشة رضى الله تعالى عنها لتنظر اليها فلما رجعت إليه قالت مارأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا فى خدّها فاقشعرت منه كل شعرة فى جسدك . أى وفى لفظ آخر عن عائشة رضى الله عنها فما هو إلا أن وقفت جويرية بباب الخباء لتستعين رسول الله ﷺ على كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فأيقنت أن رسول الله ﷺ اذا رآها أعجبته علما منها بوقع الجمال منه ﷺ فما هو إلا أن كلمته ﷺ فقال لها ﷺ خير من ذلك أنا أؤدى كتابتك وأتزوّجك ، فقضى عنها كتابتها وتزوّجها ، والملاح أبلغ من المليح ، والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بمقدار مايصلحه . قال الأصمعى رحمه الله : « الحسن فى العينين ، والجمال فى الأنف ، والملاحة فى الفم » . وهذا السياق يدل على أنه ﷺ تزوّجها وهم على الماء الذى هو المريسيع ويؤيده مايأتى عنها رضى الله تعالى عنها . قال الشمس الشامى رحمه الله : ونظر رسول الله ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها مادعاه لتزوّجها لأنها كانت أمة مملوكة أى لأنها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أى حرة ما ملأ ﷺ عينه منها ، أو أنه ﷺ نوى نكاحها ، أو أن ذلك كان قبل آية الحجاب ☆ أقول تبع فى هذا السهيلى رحمه الله . وقد قدّمنا أن من خصائصه ﷺ جواز نظر الأجنبية والخلوة بها لأمنه ﷺ من الفتنة فلايحسن قوله ولوكانت حرة ماملأ ﷺ عينه منها ومن خصائصه ﷺ حرمة نكاح الأمة فلايحسن قوله أوأنه نوى نكاحها وأن نزول آية الحجاب كان فى سنة ثلاث على الراجح ، ومذهب الشافعى رضى الله عنه حرمة نظر الحر البالغ الى الأمة الأجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامى فلايحسن قوله لأنها كانت أمة مملوكة والله أعلم

☆ روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه . قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بنى المصطلق فسبينا كرائم العرب أى واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا فى الفداء فأردنا نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك . وفى لفظ فأصبنا سبيا ونحن نشتهى النساء ، واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا الفداء ، وأردنا أن نستمتع ونعزل ، فقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا

فسألناه عن ذلك ، فقال ﷺ لاعليكم أن لاتفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أى نفسا قدرها هى كائنة الى يوم القيامة الاستكون . وفى لفظ « ماعليكم أن لاتفعلوا فان الله قدكتب من هوخالق الى يوم القيامة » وفى رواية « لاعليكم أن لاتفعلوا ذلك فانما هوالقدر » وفى رواية « مامن كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شىء لم يمنعه » أى ماعليكم حرج فى عدم فعل العزل وهوالانزال فى الفرج لأن العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى اذا قارب الانزال نزع فأنزل خارج الفرج مامن نسمة كائنة الى يوم القيامة إلا وهى كائنة أى عزلتم أم لا فلافائدة فى عزلكم لأن الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجىء الولد وقد ينزل فى الفرج ولايجىء الولد ، وكون ذلك كان فى بنى المصطلق هوالصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى أن ذلك كان فى غزوة أوطاس . وقول أبى سعيد رضى الله تعالى عنه : « قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء » أى لعل أباسعيد الخدرى رضى الله عنه ومن تكلم على لسانه كان فى المدينة أعزب والا فأيام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما ، قال أبوسعيد رضى الله عنه : فقدم علينا وفدهم أى بالمدينة ، ففى الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم . قال أبوسعيد رضى الله عنه وخرجت بجارية أبيعها فى السوق أى قبل أن يقدم وفدهم فى فدائهم فقال لى يهودى ياأبا سعيد تريد بيعها وفى بطنها منك سخلة هى فى الأصل ولد الغنم ، فقلت كلا انى كنت أعزل عنها ، فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهوأن يدفن الرجل بنته حية ، فالموءودة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك ، فجئت الى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لوأراد الله عزوجل أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه ، وبهذا مع ماتقدم من نفى الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية أوحرة فى كل حال سواء رضيت أم لا ، وقال جمع بحرمته ، قالوا لأنه طريق الى قطع النسل ، وفى مسلم مايوافق ماقالته يهود ففى مسلم سألوه ﷺ عن العزل فقال رسول الله ﷺ ذلك الوأد الخفى أى بمثابة دفن البنت حية الذى كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق ، أوخوف حصول العار ، إلا أن يقال : هذا كان منه ﷺ قبل أن يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلامخالفة ، ويدل لذلك مافى مسلم أيضا عن جابر رضى الله عنه : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل فلم ينهنا » . وفى رواية « أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال ان لى جارية هى خادمنا وساقيتنا فى النخل وأنا أكره أن تحمل فقال ﷺ اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ماقدر لها ، فلبث الرجل ثم أتاه ﷺ فقال يارسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتك انه سيأتيها ماقدر لها ، فقد أرشده ﷺ الى العزل الذى لايكون معه الولد غالبا ، وأخبر بأن ذلك لايمنع وجود ماقدر لها من حصول الولد . وعن عبد الله بن زياد رضى الله عنه . قال أفاء أى غنم رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق جويرية بنت الحرث وقدم رسول الله ﷺ المدينة فأقبل أبوها فى فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى إبله التى يفدى بها ابنته فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال يامحمد أصبتم ابنتى . وفى رواية قال يارسول الله كريمة لاتسبى وهذا فداؤها ، فقال له رسول الله ﷺ فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا

فقال الحرث أشهد أنك رسول الله مااطلع على ذلك إلا الله وأسلم ، ولعله دخل بالأمان الى المدينة .
وفي رواية انه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه ، وعليه فيكون قوله فأسلم أى أظهر اسلامه وعند ذلك أمره ﷺ بأن يخيرها فقالت أحسنت وأجلت ، فقال لها أبوها يابنية لاتفضحي قومك قالت اخترت الله ورسوله ، وفيه كيف يأمره ﷺ بتخييرها بعد أن تزوجها كما تقدم أن مقتضى السياق أنه تزوّجها وهم على الماء ، ثم رأيت الامام أبا العباس بن تيمية أنكر مجيء أبيها وتخييرها فليتأمل * وفي الاستيعاب أن عبدالله بن الحرث أخا جويرية بنت الحرث زوج النبيّ ﷺ قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بني المصطلق وغيب في الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله ﷺ في فداء الأسارى فقال له رسول الله ﷺ نعم فما جئت به ؟ قال ماجئت بشيء ، قال فأين الذود والجارية السوداء الذي غيبت في موضع كذا ، قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والله ما كان معي أحد ولاسبقني اليك أحد فأسلم . وفيه ماتقدّم في أبيه فقال رسول الله ﷺ : لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد ، هذا كلامه . والذود من الابل مابين الثلاث الى العشر . والمتبادر من هذا السياق أنه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فعنّ له أن يسأل في الفداء من غير شيء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا في أنه ﷺ يجيبه لذلك لمكان أخته عنده ، ويحتمل أن العبارة فيها اختصار ، وحينئذ يكون الأصل في قوله ﷺ فما جئت به المال الزائد على هذا الذي جئت به ، فيكون الذود والجارية بعض ماجاء به للفداء ، فقال ماجئت بشيء أي زائد على هذا الذي جئت به لأنه يبعد أن يطلب الفداء من غير شيء فليتأمل . وفي لفظ انه لما جاء أبوها في فدائها دفعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبي ﷺ الى أبيها فزوّجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم ، وفي الامتاع يقال : ان النبي ﷺ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق ، ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ، ولايخفى أن مجيء أبيها في فدائها وتزويجها للنبيّ ﷺ مخالف لسياق ماتقدم أنه تزوّجها وهم على الماء . ويحتاج للجمع بين ما ذكر وبين ماروى أنه لما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوّج جويرية قال في حق بني المصطلق أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما أيديهم منهم . وعبارة الامتاع : ولما تزوّجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم فقالوا أصهار النبي ﷺ فأعتقوا مابأيديهم من ذلك السبي . وعن جويرية رضي الله عنها قالت : لما أعتقني رسول الله ﷺ وتزوّجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى * أقول وذكر بعضهم أن ابنته بعد دخوله ﷺ بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ، وقال في الجمع بين ما تقدم من فدائهم وإطلاقهم من غير فداء بأنه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها ، ثم لما تزوجها ﷺ أطلق بعضهم الآخر الباقي ، فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فإن السبي كان لأهل مائتي بيت . ويؤيد ذلك قول بعضهم : كان السبي منهم من منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء ومنهم من افتدى . ويؤيد ذلك ما يأتي في كلام عائشة رضي الله عنها أن الاعتاق كان لأهل مائة بيت أي فيكون الفداء لأهل مائة بيت والاطلاق في الفداء لأهل المائة الأخرى ويكون مراد جويرية رضي الله عنها بقولها «ما كلمته في قومي» أي فيمن بقي منهم . ثم لا يخفى أن مجيء ...

أو أخيها ومجيء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من أنه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد ، و يبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذى كان يجمع القوم فعليك أن تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم . ثم بعد ذلك أسلم بنو المصطلق . و بعد بعامين بعث اليهم رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبى معيط لأخذ الصدقة أى وكان بينهم و بينه شحناء فى الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففرّ راجعا وأخبر رسول الله ﷺ بأنهم ارتدوا فهمّ عليه الصلاة والسلام بقتالهم أى وأكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم وأخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه و يؤدّوا ماعليهم من الصدقة . أى وفى رواية أنه ﷺ أرسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر . وعند ارساله قال له ﷺ ارمقهم عند الصلاة فان كان القوم تركوا الصلاة فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق أذن مؤذنهم ثم أقام الصلاة فصلوا العشاء . ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر أذن مؤذنهم وأقام الصلاة فصلوا . فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذاهم بنواصى الخيل فى ديارهم . فقالوا ماهذا ؟ قيل خالد بن الوليد . فقالوا ياخالد ما شأنك ؟ قال أنتم والله شأنى أتى النبى ﷺ فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا و بينه شحناء فى الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية أن يكافئنا بالذى كان بيننا و بينه فردّ الخيل عنهم ورجع الى رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) الآيتين . قال ابن عبد البر رحمه الله لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله (إن جاءكم فاسق بنبأ) نزلت فى الوليد ابن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله ﷺ الى بنى المصطلق لأخذ صدقاتهم أى ونزل فيه وفى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) أى فكان يدعى الفاسق ، و بعثه لأخذ صدقات بنى المصطلق يردّ قول من قال انه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم أى و يرد ما روى بعضهم عنه أنه قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيهم فيمسح على رءوسهم و يدعو لهم بالبركة فأتى بى اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك إلاوجود الخلوق . ويردّ ذلك أيضا ماسيأتى أنه خرج هو وأخوه عمارة ليردّا أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى المدة هدنة الحديبية . والوليد هذا كان أخا عثمان بن عفان لأمّه وولاه الكوفة أى وعزل عنها سعد بن أبى وقاص ، فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضى الله عنه قال له والله ما أدرى أصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لاتجزعن أبا اسحق وانما هو الملك يتغدّاه قوم و يتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعنى بنى أمية ستجعلونها والله يعنى الخلافة ملكا ، وعند ذلك قال الناس : بئسما فعل عثمان رضى الله عنه عزل سعد الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم . ولقى الوليد ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : ماجاء بك ؟ فقال جئت أميرا . فقال له ابن مسعود : ماأدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس . وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أوّل الليل الى الفجر ، فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات ، وصار

يقول

يقول فى ركوعه وسجوده « اشرب واسقنى » ثم قاء فى المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم ؟ فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا ، وأخذ فردة خفه وضرب بها وجه الوليد ، وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح ، والى ذلك يشير الحطيئة بقوله :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدرى

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان رضى الله عنه استقدمه وأمر به فجلد أى أمر عليا كرّم الله وجهه أن يقيم عليه الحدّ فجلده . وقيل : فقال علىّ كرّم الله وجهه لابن أخيه عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أقم عليه الحدّ أى بعد أن أمر ابنه الحسن رضى الله عنه بذلك فامتنع فأخذ عبد الله رضى الله عنه السوط وجلده وعلىّ كرّم الله وجهه يعدّ عليه حتى بلغ أربعين . فقال لعبد الله أمسك جلد رسول الله ﷺ فى الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين وجلد عمر رضى الله عنه ثمانين . وكل سنة . وهذا أى ما فعلته من جلده أربعين أحبّ الىّ من جلد عمر ثمانين هذا ، وفى البخارى أن عبد الله جلده ثمانين . وأجيب عنه بأن السوط كان له رأسان . وحينئذ يكون قوله « وكل سنة » أى طريقة . فالأربعون طريقته ﷺ وطريقة الصدّيق رضى الله عنه ، والثمانون طريقة عمر رضى الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة فى ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر ، وبعد أن جلده وعزله عن الكوفة أعاد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد بن عقبة لبنى المصطلق كان ينبغى أن يذكر فى السرايا ، وكذا ارسال خالد رضى الله عنه لهم . قالت عائشة رضى الله عنها : لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية أعتق بتزويجها لرسول الله ﷺ أهل مائة بيت أى ومن المعلوم أن هذا كان قبل سبايا أوطاس الذين أطلقوا بسبب حاضنته ﷺ من الرضاعة على ما سيأتى فى بعض الروايات . وقيل فى حقها : ماعرفت امرأة هى أيمن على قومها منها . وذكرت جويرية رضى الله عنها أنها قبل قدومه ﷺ عليهم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها . أى وعنها رضى الله عنها قالت : فكرهت أن أخبر بها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا . قال وعنها رضى الله عنها أنها قالت : لما أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع فأسمع أبى يقول « أتانا ما لا قبل لنا به » فكنت أرى من الناس والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة . فلما أن أسلمت وتزوجنى رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه فى قلوب المشركين أى وهذا مما يؤيد ما تقدم من أنه ﷺ تزوجها وهم على مائهم الذى هو المريسيع وكان رجل منهم من بنى [illegible] وحسن اسلامه يقول : لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد [illegible] . أى وهذا يدل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام [illegible] من [illegible]
رجل واحد [illegible] من [illegible] هشام بن صبابة رضى [illegible]
* [illegible] من المسلمين [illegible]

فاعتراض صاحب الهدى عليه بأن هذا وهم لأنهم لم يكن بينهم قتال ليس فى محله لأنه فهم أن الرجل قتله الكفار وقد علمت أنه انما قتله شخص من الأنصار يظنه من العدوّ والله أعلم ، وقدم أخوهذا المقتول من مكة على رسول الله ﷺ مظهر الاسلام وقال جئت أطلب دية أخى فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه فأخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة أهدر رسول الله ﷺ دمه فقتل فى ذلك اليوم كما سيأتى ، وماهناهو الصحيح خلافا لما يأتى عن الأصل فى فتح مكة ان قتل أخيه كان فى غزوة ذى قرد ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أى كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضى الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج ، قيل حليف عمرو بن عمرو ، وقيل حليف عبدالله بن أبى ابن سلول وهوسنان بن فروة رضى الله عنه ، أى فضرب أجير عمر رضى الله عنه حليف الخزرج فسال الدم ، وفى لفظ كسعه أى دفعه فنادى حليف الخزرج يامعشر الانصار ، أى وقيل قال ياللخزرج ونادى أجير عمر يامعشر المهاجرين ، وقيل قال ياالكنانة ياالقريش فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح حتى كادأن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله ﷺ فقال مابال دعوى الجاهلية فأخبر بالحال . أى فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار . فقال ﷺ دعوها . أى تلك الكلمة التى هى يالفلان فانها منتنة أى مذمومة لأنها من دعوى الجاهلية ، وجاء من دعادعوى الجاهلية كان من محشى جهنم أى مما يرمى به فيها ، قيل يارسول الله وان صام وان صلى وزعم انه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم ، وقال ﷺ لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أى له وان كان مظلوما فلينصره أى يزيل ظلامته ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت ثائرة الحرب . وجهجاه هذا روى عنه عطاء ابن يسار أن النبى ﷺ . قال الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد وهو المراد بهذا الحديث فى كفره واسلامه لأنه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة ، أى وسيأتى نظير ذلك لثمامة الحنفى ، ونقل أبوعبيد ان الرجل الذى قال فيه رسول الله ﷺ هذه المقالة هو أبو بصرة الغفارى ، أى ولامانع أن يكون ﷺ قال ذلك فى حق الرجل المذكور أيضا فقد تكرر منه ﷺ ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم فى الكفر أكثر مما أكل فى الاسلام ، قال ابن عبدالبر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذى تناول عصا رسول الله ﷺ من يد عثمان رضى الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فأخذته أكلة فى ركبته فمات منها هذا كلامه ، وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه انتزع تلك العصا من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه . وقد يقال لامخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين أخرج من المسجد لأنه يجوز أن يكون أخرج من المسجد فى أثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبدالله بن أبى ابن سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضى الله عنه وهو غلام حديث السن ، فقال عبدالله بن أبى لعنه الله والله مارأيت كاليوم مذله أوقد فعلوها نافرونا أى غالبونا وكاثرونا فى بلادنا . أى وأنكرونا ملتنا والله ماأعدّنا أى أظننا يعنى معاشر الأنصار وقريش ، وفى رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعنى معاشر المهاجرين الا كما قال الأول ، أى

الأقدمون فى أمثالهم «سمن كلبك يأكلك» ، أى ويقولون «أجع كلبك يتبعك» والله لقد ظننت أنى سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وبالأذل النبى ﷺ ، وفى الاستيعاب أن عبدالله بن أبى . قال ذلك فى غزوة تبوك ، هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جليب ما يجلب من بلد الى غيره يعنى أعراب ، وقيل شبهوا بالجلابيب التى هى الأزر الغلاظ القليلة القيمة . ثم أقبل على من حضر من قومه . فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ، أى ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعنى النبى ﷺ فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد ﷺ فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه على ما هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به الى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى ونفر من المهاجرين والأنصار . وفى البخارى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكرت ذلك لعمى أو لعمر فذكره للنبى ﷺ فدعانى فحدثته فكره رسول الله ﷺ ذلك وتغير وجهه ، وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه ، قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه . قال لعله أخطأ سمعك ولامه من حضر من الأنصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل . أى وفى البخارى فكذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابنى هم لم يصبنى مثله قط وجلست فى البيت ، أى الخباء فقال لى عمى ما أردت الا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها الى رسول الله ﷺ وانى لأرجو أن ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق حديثى ، أى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن أبى لما قال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل أنت والله الذليل المنقص فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن أبى لعنه الله أسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه عمر رضى الله عنه فى أن يقتل ابن أبى والتمس منه أن يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له فى ذلك ، أى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله ﷺ وهو فى فيء شجرة . أى ظلها عنده غليم أسود يغمز ظهره أى يكبسه . فقلت يا رسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة . أى ألقتنى الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبى . أو مر محمد بن مسلمة بقتله . أى وفى رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه ، وفى لفظ أن عمر رضى الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال ترعد له آنف كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته ﷺ لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز ويحتمل أن يكون سمعت قبل النهى عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها . أى وفى رواية فشاع الخبر ولم يكن للناس حديث فى ذلك اليوم . أى الوقت الا ذلك أذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرحل فيها . أى شدة الحر فارتحل الناس ولقى رسول الله ﷺ أسيد بن حضير رضى الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقال يا نبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها . أى [illegible]

كان لايرحل الآن برد الوقت فقال له رسول صلى الله عليه وسلم أما بلغك ماقال صاحبكم . فقال أى صاحب يارسول الله قال عبدالله بن أبى ابن سلول قال وماقال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ، قال فأنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك . وفى رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه مابقيت عليهم الاخرزة واحدة عند يوشع اليهودى فانه ليرى أنك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك فى غير ماصرة ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا . أى صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها أى مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس . ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبدالله ابن أبى ابن سلول . قال وذهب بعض الأنصار الذين سمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبى لعنه الله . فقال له ياأبا الحباب ان كنت قلت مانقل عنك فأخبر به النبى ﷺ فليستغفر لك ولاتجحده فينزل فيك مايكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله ﷺ فاعتذر له واحلف له ماقلته فحلف بالله العظيم ماقال من ذلك شيأ ثم مشى الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ياابن أبى ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ماقلت ماقال زيد ومانكلمت به انتهى . أى وفى لفظ انه ﷺ أرسل الى ابن أبى فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك فقال والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار يارسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل أى ، وفى لفظ انهم قالوا يارسول شيخنا وكبيرنا لايصدق عليه كلام غلام . ثم ان عبدالله رضى الله عنه ولد عبدالله بن أبى ابن سلول أى وكان اسمه الحباب فسماه ﷺ يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضى الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انه قد بلغنى انك تريد قتل عبدالله بن أبى يعنى والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى أن أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى انى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار . فقال رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا . قال وفى رواية فمرنى فوالله لأحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا وانى لأخشى يارسول الله أن تأمر به غيرى فيقتله فلاتدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأدخل النار فعفوك أفضل ومنتك أعظم . فقال رسول الله ﷺ ماأردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبدالله يارسول الله ان أبى كانت أهل هذه البحيرة أى المدينة اتفقوا على أن يتوجوه عليهم فجاء الله عز وجل بك فوضعه ورفعنا بك أى زاد فى رواية ومعه قوم أى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه أمورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبدالله رضى الله عنه مثل ذلك مع أبيه . روى الدارقطنى مسندا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبدالله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبدالله لقد عتا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبدالله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه . فقال لا ولكن بر أباك ، ولما كان رسول الله ﷺ بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أى خافوا ان تكون لأمر حدث بالمدينة على أهلهم من

مدة الموادعة التي كانت بينه ﷺ وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال ﷺ ليس عليكم منه يعني من عيينة بن حصن بأس مابالمدينة من نقب أى باب الاوملك يحرسه وما كان ليدخلها عدوّ حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار . وفى رواية لموت منافق ، وفى لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال ﷺ مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بنى قينقاع وكان ممن أسلم ظاهرا ، والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرت أنها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

قال . وفى رواية أن النبى ﷺ أخبر بموته ، فقد جاء أن عبادة بن الصامت قال لابن أبىّ ياأبا حباب مات خليلك ؟ قال أىّ خليل . قال من موته فتح للاسلام وأهله ، قال من قال ، زيد بن رفاعة . قال واويلاه ، من أخبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قل ، قلت رسول الله ﷺ أخبرنا أنه مات هذه الساعة ، فحزن حزنا شديدا انتهى . وذكر أهل المدينة أن هذه الريح وجدت بالمدينة ، وأنه لما دفن عدوّ الله سكنت ، أقول . لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة بن زيد بن التابوت وهو عمّ قتادة بن النعمان . قد ذكر عنه قتادة رضى الله تعالى عنه مايدل على صحة اسلامه ، أى وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ماظنه من صحة اسلامه . قال ابن الجوزى ، ولهم رفاعة بن التابوت فى الصحابة ذكره فى الاصابة . قال جاء ذكره فى حديث مرسل ، كانوا فى الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ، ولكن من قبل ظهره إلا الحمس فانها كانت تأتى البيوت من أبوابها فدخل رسول الله ﷺ حائطا . ثم خرج من بابه فأتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس . فقالوا يارسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحملك على ماصنعت ولم تكن من الحمس ، قال فان ديننا واحد فنزلت (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وسيأتى نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما . وأما الحديث الذى أخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت أى فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة ، وذكر فى الاصابة أن رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضى الله عنه لم يوصف بأنه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزى أى فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله أعلم . وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يبين جابر السفرة فيحتمل أن تكون هى هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها . ويحتمل أن تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء من بين الابل أى ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه ، فقال زيد بن الصلت وكان منافقا كما علمت من بنى قينقاع ، وكان بمجمع من الأنصار أين يذهب هؤلاء فى كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أى وفى لفظ كيف يدعى انه يعلم الغيب ولايعلم مكان ناقته ولايخبره الذى يأتيه بالوحى فأنكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله ياعدوّ الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت أن

ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرني بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وأنها في الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنا لاتدن منا . فقال لهم أنشدكم الله هل أتى أحد منكم محمدا وأخبره خبري قالوا لا والله ولاقمنا من مجلسنا فقال انى وجدت ماتكلمت به عنده فأشهد أن محمدا رسول الله كأنى لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله ﷺ يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له ، قال ويقال انه لم يزل فشلا أى جبانا حتى مات ، ووقع مثل هذا أى هبوب الريح واضلال ناقته ﷺ فى غزوة تبوك وأوقع ﷺ السباق بين الابل فسابق بلال رضى الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصواء فسبقت غيرها من الابل وسابق أبوسعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه ﷺ الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه ، أى وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لاتسبق فجاء أعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين . فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه اه أقول فى الامتاع انه ﷺ فى هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضى الله عنها فتحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التى كنت سبقتنى ، يشير صلى الله عليه وسلم الى أنه جاء الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فأبت وسعت وهو صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا . وفى كلام ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا . ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة أخرى . فقال للناس تقدموا فتقدموا . ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل . قال ولما انتهى رسول الله ﷺ الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله عنه ابن عبد الله بن أبى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فأناخ به ثم وطئ على يد راحلته فقال أبوه ماتريد يالكع . فقال والله لاتدخل حتى تقر أنك الذليل وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أينا الأعز من الأذل أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول لأنا أذل من الصبيان لأنا أذل من النساء حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خل عن أبيك فخلى عنه أى وفى لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله لاتدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الأعز من الأذل ، وفى لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنت الأذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين الناس وانصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا له ماصنع ابنه رضى الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه أن خل عنه وفى لفظ قال له ابنه رضى الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم ، ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين . قال زيد بن أرقم رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه

ورجوت

ورجوت أن ينزل الله تصديق . فلما سرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بأذنى وأنا على راحلتى يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعت أذنك ياغلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين . وفى رواية هذا الذى أوفى الله بإذنه ونزل (وتعيها أذن واعية) فكان يقال لزيد بن أرقم رضى الله عنه ذوالأذن الواعية . وذكر بعض الرافضة أن قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) جاء فى الحديث انها نزلت فى على كرم الله وجهه . قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم أى وعلى تقدير صحته لامانع من التعدد ، وصار قوم عبدالله بن أبيّ عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه ويعنفونه ، ولما بلغه ﷺ أى بغض قومه له ومعاتبتهم له ، قال ﷺ لعمر رضى الله عنه كيف ترى ياعمر انى والله لوقتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لوأمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر رضى الله عنه قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى اه ، وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبيّ قال له أصحابه اذهب الى رسول الله ﷺ يستغفرلك فاوى رأسه ثم قال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أعطى زكاة أموالى فأعطيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رءوسهم) الآية . وفى تفسير القرطبى عند قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) قال السدى نزلت فى عبدالله ابن أبيّ جلس الى النبى ﷺ فشرب رسول الله ﷺ فقال له بالله يارسول الله أما أبقيت فضلة من شرابك أسقها أبى لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فأتاه بها ؟ فقال له عبدالله ماهذا . فقال هى فضلة من شراب النبى ﷺ جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها ، فقال له أبوه فهلا جئتنى ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبى ﷺ وقال يارسول الله بالله أما أذنت لى فى قتل أبى فقال النبى ﷺ بل ترفق به وتحسن اليه . وقد جاء أن ابنه رضى الله عنه قال يارسول الله ذرنى أسقى والدى من وضوئك لعل قلبه أن يلين فتوضأ ﷺ وأعطاه فذهب به الى أبيه فسقاه وقال له هل تدرى ماسقيتك . قال نعم سقيتنى بول أمك ، قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله ﷺ ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة ، قال وفى هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يارسول الله هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان ففتح ﷺ فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدوّ الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا . ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شيء مما كان يصيبه ، وفى هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له ﷺ من بيض النعام . فقال ﷺ لجابر رضى الله عنه دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات . قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله ﷺ وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو ، وفى هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله ﷺ يرقل أى يختال فى مشيه وصوّت . فقال ﷺ تدرون مايقول هذا الجمل ، هذا يستعيذنى على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره ، اذهب ياجابر الى صاحبه فأت به فقلت لاأعرفه قال انه سيدلك عليه ، فخرج بين يديّ حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبى ﷺ فكلمه فى شأن الجمل اه ✲ أقول قد تقدمت هذه الأمور الثلاثة التى هى قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل فى ذات الرقاع والتعدد فيهما حتى لأجل هذه الأمور سميت كل منهما بغزوة الأعاجيب بعيد والذى أراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل ✲ وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك أى الكذب على عائشة الصديقة المرأة المطهرة رضى الله

عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين . أى راجعين أذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لأقضى حاجتى حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فاذا عقدلى من جزع أظفار كذا بالألف عند البخارى . وفى رواية ظفار بغير ألف . قال القرطبى ومن قيده بالألف فقد أخطأ ، أى ولعل المراد خالف الرواية ، وفى لفظ ظفارى" أى بياء النسبة ، وفى لفظ الجزع الظفرى ، وقد يقال لامانع من وقوع هذه الألفاظ من الصديقة فى أوقات مختلفة . قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاى وآخره عين مهملة خرز ، وظفار بالظاء المعجمة كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا . وفى كلام بعضهم كان يساوى اثنى عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدى أى ذهبت الى التماسه فى المحل الذى قضيت فيه حاجتى وحبسنى التماسه أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى هو بتخفيف الحاء أى يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لقلة أكلهن . أى لأن السمن وكثرة اللحم غالبا تنشأ عن كثرة الأكل وساروا . أى وعن عائشة رضى الله عنها أن الذى كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ . وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره . وقولها فى بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لأنه يجوز أن جماعة كانوا يعاونون أبا مويهبة فى ذلك فوجدت عقدى جئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأممت بمنزلى الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى" فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت . وكان صفوان السلمى خلف الجيش أى لأنه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط مايسقط من المتاع . وقيل كان ثقيل النوم لايستيقظ حتى يرتحل الناس ، وقد جاء أن زوجته شكته الى النبى ﷺ وقالت له انه لايصلى الصبح ، فقال يارسول الله انى امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له رسول الله ﷺ اذا استيقظت فصل" . أى وفى رواية شكته الى النبى ﷺ أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذنى فقال لها لاتصومى الا باذنه ، قالت انه ينام عن الصلاة أى صلاة الصبح قال انه شىء ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل" ، وهذا يدل على أنه ﷺ كان يعلم من حاله أنه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعنى أقرأ يضربنى فقال ان مى سورة ليس مى غيرها هى تقرؤها قال لاتضربها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم . أى وهذا الجواب منه ﷺ يدل على أن صفوان ظن أن امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فليتأمل ، فأدلج أى سار ليلا فأصبح عند منزلى أى على خلاف عادته فرأى سوادا أى شخص انسان نائم فأتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه أى بقوله : إنا لله و إنا إليه راجعون أى لأن تخلف أم" المؤمنين على الرفقة فى مضيعة مصيبة أى مصيبة ، قالت فخمرت وجهى بجلبابى ، وهو ثوب أقصر من الخمار و يقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها أى لأن ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أى (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى) الآية أى لأنه تقدم أن ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الأصل ، وفى الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار أن تزوجه ﷺ زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس ولا يخفى أن هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ إذ هو صريح فى أنها كانت زوجة له ﷺ قبل هذه الغزوة بناء على أن هذه الغزوة كانت سنة ست ، قالت والله ما كلمنى . وفى لفظ والله ما يكلمنى كلمة وماسمعت منه كلمة أى فلا كلمها ولا كلم نفسه . قيل استعمل

الصمت أدبا لهول هذا الأمر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطئ على يدها فركبتها . وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبى ، أى وفى لفظ قال أمه قومى فاركبى وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت ، قالت حسبى الله ونعم الوكيل . وفى سيرة ابن هشام انه لما قال لها ماخلفك يرحمك الله قالت فما كلمته ، أى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وماقبلها على تقدير صحتها ، وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت ، فلما قرب البعير اليها ، قال لها يا أمه قومى فاركبى لأن إناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب . فأتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها . وبعض الرواة اقتصر على قولها اركبى ، و بعد أن ركبت ، أى وحصلت الطمأنينة ، واندفعت الريبة ، قال لها متعجبا لامستفهما ماخلفك ، قالت فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا . وذلك فى نحر الظهيرة أى وسطها ، وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع . وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على انه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها . بل يجب استصحابها اذا خاف عليها لو تركها . هذا وفى الخصائص الصغرى ، وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله . قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما فمع أيهم سافرت ، فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك ، أى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبى ﷺ وحينئذ فليتأمل الفرق بينها و بين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكروه فيما سيأتى عن بعضهم أن من قذف عائشة يقتل و يحد فى غيرها من أزواجه ﷺ حدين . قالت عائشة رضى الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى ابن سلول ، أى فانه كان أول من أشاعه فى العسكر أى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس : فمرت عليهم . فقال من هذه ، فقالوا عائشة وصفوان . فقال فجر بها ورب الكعبة . وفى لفظ مابرئت منه ومابرئ منها . وفى لفظ والله مانجت منه ولانجا منها ، وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . ثم شاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ أى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره و يستمعه و يستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه . وقد يقال لامنافاة لأنه يجوز أن يكون هو أول من أشاعه عند دخول المدينة . ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته . قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الأفك ، أى ووصل الخبر الى النبى ﷺ والى أبوى ولا أشعر بشىء من ذلك ، وكان يريبنى أنى لاأعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى أى حين أمرض ، واللطف بضم اللام وسكون الطاء . وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم : أى وعندى من تمرضنى . ثم يقول كيف تيكم أى لايزيد على ذلك ، ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعدما نقهت بكسر القاف وفتحها ، أى أول ما أفقت من المرض فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر أى وما فى لفظ وكان مسطح ابن خالة أبى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة ، وكان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر . وكان فقيرا ينفق عليه أبو بكر . قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا ، أى لقضاء حاجة الانسان . وذلك قبل أن تتخذ الكنف : أى فان أزواج النبى ﷺ كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المنصع وهو محل متسع . قالت فلما فرغنا من شأننا

وأقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها . فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها هلك مسطح تعني ولدها ، ومسطح فى الأصل عمود الخيمة ، قلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا ، قالت ياهنتاه بفتح الهاء الأولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى ياهذه أولم تسمعى ماقال ، قلت وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك ، فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه ، أى وفى لفظ فخررت مغشيا عليها . وفى رواية : خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح ، فقلت أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها ، فقالت والله ما أسبه إلا فيك ، فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا ، قالت نعم ، فأخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى ، فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى ودخل على رسول الله ﷺ وقال بعد أن سلم كيف تيكم ؟ فقلت أتأذن لى أن آتى بيت أبوى وأنا أريد أن أتثبت الخبر من قبلهما أى لأن أمها فارقتها لما نقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ماسبق من قولها وعندى أمى تمرضنى ، قالت فأذن لى رسول الله ﷺ فجئت أبوى أى وأرسل معى الغلام ، فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبا بكر فوق يقرأ ، فقالت أمى ماجاء بك ؟ فأخبرتها ، فذهابها الى أبويها كما علمت كان بعد أن صحت من المرض و بعد إخبار أم مسطح لها بالقصة . والذى فى السيرة الهشامية مايفيد انه كان قبل ذلك وهو أنها رضى الله عنها قالت : كان ﷺ كلما يدخل يقول « كيف تيكم » لايزيد على ذلك حتى وجدته فى نفسى ، فقلت يارسول الله حين رأيت مارأيت من جفائه لوأذنت لى قال لاعليك فلت فانتقلت الى أمى تمرضنى ولاعلم لى بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لانتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم أى بيوت الأخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة أبى بكر إذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك ، قلت أوقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان ، فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى ، فليتأمل الجمع بين مافى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتهما . قالت وقلت لأمى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لاتذكرين لى من ذلك شيئا الحديث . وفى رواية فقلت لأمى ياأماه مايتحدث الناس . وفى لفظ قلت لأمى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا ألا تذكرين لى من ذلك شيئا قالت يابنية هونى عليك وفى لفظ خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما ما كانت امرأة قط وضيئة أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها . وفيه أن ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى إشاعة ذلك ولم ينقصنها به إلا أن يقال ظنت أمها ذلك على ماهو العادة فى ذلك ، وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا أى وقالت قد علم به أبى ؟ قالت نعم ، قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لأمى ما شأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لى دمع أى لايرتفع ولا اكتحلت بنوم

فى

فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواى عندى يظنان أن البكاء فالق كبدى . فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى أى وهما يبكيان وأهل الدار يبكون فاستأذنت علىّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى . وسمعت من بعض الشيوخ أن هرّة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل . وقد لبث ﷺ شهرا لايوحى اليه فى شانى ، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس . ثم قال : أما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه . قال بعضهم : دعاها الى الاعتراف ولم يأمرها بالستر . أى مع انه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه . وفى لفظ : قال ياعائشة انه قد كان مابلغك من قول الناس فاتق الله ، فان كنت قارفت أى اكتسبت سوءا ممايقول الناس فتوبى الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده . قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ماأحس منه بقطرة . فقلت لأبى أجب رسول الله ﷺ فيما قال . قال فوالله لاأدرى ماأقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمى أجيبى رسول الله ﷺ . فقالت والله ما أدرى ماأقول لرسول الله ﷺ . وفى لفظ قلت لأبوىّ ألاتجيبان رسول الله ﷺ . فقالا والله لاندرى بماذا نجيبه . فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ فى نفوسكم فلئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ؛ ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، فوالله لاأجد لى ولكم ، وفى لفظ لاأجد لى مثلا إلاقول أبى يوسف عليهما السلام أى والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إذ يقول : (فصبر جميل والله المستعان) . أى وفى رواية كما فى البخارى . مثلى ومثلكم كيعقوب وبنيه (والله المستعان على ماتصفون) . وفى لفظ (إنما أشكو بثى وحزنى الى الله) . وبذلك استدلّ على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا . ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشى وماكنت أظنّ أن الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى . وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد ويصلى به ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى . وكنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها . أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم مادخل علىّ والله ماقيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لايعبد الله فيقال لنا فى الاسلام . وأقبل على عائشة مغضبا فأخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى أى غطى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها : فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله مافزعت لأنى قد عرفت انى بريئة وأن الله غيرظالمى . وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرّى عن رسول الله ﷺ أى وأخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجنّ أنفسهما فرقا أى خوفا من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس . فلما سرّى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهى حبوب مدحرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم . فكان أوّل كلمة تكلم بها ياعائشة أما ان الله قد برّأك ، فقالت لى أمى قومى اليه ﷺ فقلت والله لاأقوم اليه ولاأحمد إلاالله . وفى لفظ قال أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك ، فقلت نحمد الله لانحمد أحدا . قالت عائشة رضى الله عنها نزلت تلك الآيات فى يوم شات . قالت وتناول رسول الله ﷺ درعى فقلت بيده

هكذا أى أدفع يده عن درعى فأخذ أبو بكر النعل ليعلونى بها فمنعته فضحك رسول الله ﷺ وقال له أقسمت عليك لاتفعل . وفى رواية : لما أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسها . فقالت له هلا كنت عذرتنى . فقال أى بنية أىّ سماء تظلنى وأىّ أرض تقلنى ان قلت بما لا أعلم . ولا مخالفة بين هذه الرواية وماقبلها لجواز أن يكون ماقبلها بعدها وأنزل الله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك) الآيات العشر . أى وفى تفسير البيضاوى الثمانية عشر . قال السهيلى : وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة أى من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين ، فمن نسبها رضى الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لأن فى ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر . وفى حياة الحيوان عن عائشة رضى الله عنها لما تكلم الناس فى الافك رأيت فى منامى فتى فقال لى مالك ؟ قلت حزينة مما ذكر الناس . فقال ادعى بهذه يفرّج الله عنك . قلت وما هى ؟ قال قولى « ياسابغ النعم ، ويادافع النقم ، ويافارج الغمم ، ويا كاشف الظلم ، وياأعدل من حكم ، وياحسيب من ظلم ، ويا أوّل بلابداية ، ويا آخر بلانهاية ، اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا » قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد أنزل الله فرجى . قال بعضهم : برّأ الله تعالى أربعة بأربعة . برّأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهل زليخة . وبرّأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذى فرّ بثوبه . وبرّأ مريم بانطاق ولدها . وبرأ عائشة بهذه الآيات . وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه أى كما تقدم ولفقره فحلف لاينفق عليه أى فانه قال والله لا أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد ماقال لعائشة وأدخل علينا . وفى لفظ أخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولاعطفت عليك بخير أبدا فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل) أى الفضيلة والافضال (منكم والسعة) أى فى الرزق (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وعند ذلك قال النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك . قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لأحب أن يغفر لى ، فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه . وقال والله انى لا أنزعها عنه أبدا . وفى معجم الطبرانى الكبير والنسائى أنه أضعف له فى النفقة التى كان يعطيه إياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه . وبهذا وبما فى الصحيح من قوله ﷺ « من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » استدلّ فقهاؤنا على أن الأفضل فى حق من حلف على ترك مندوب أوفعل مكروه أن يحنث ويكفر عن يمينه * وهنا لطيفة وهى أن ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله تعالى هذه الأبيات

لاتقطعنّ عادة برّ ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقدجرى منه الذى قدجرى * وعوتب الصدّيق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الأبيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لأنه يقوى على توبة * تكون إيصالا الى رزقه

لولم يتب مسطح من ذنبه * ماعوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى الصدّيق بأولى الفضل موافق لوصفه ﷺ له بذلك، فقد جاء أن عليا كرّم الله وجهه دخل على النبيّ ﷺ وأبو بكر الصدّيق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله ﷺ فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرّم الله وجهه بينه و بين النبيّ ﷺ فتهلل وجه رسول الله ﷺ فرحا وسرورا . وقال «لا يعرف الفضل لأهل الفضل الا أولوا الفضل» . وعنها رضى الله عنها انها قالت لما استلبث الوحى عنه ﷺ أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة، فقال له عمر رضى الله عنه من زوّجها لك يارسول الله ؟ قال الله تعالى، قال أفتظن أن الله دلس عليك فيها سبحانك هـذا بهتان عظيم فنزلت، ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأسامة بن زيد رضى الله عنهما ليستأمرهما فى فراق أهله . أى تعنى نفسها فاما أسامة بن زيد، فقال أهلك أى الزم أهلك يارسول الله ولا نعلم الا خيرا . وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر أن تستخلف . وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها، أى لأنها كانت تخدم عائشة إما قبل شرائها لها أو بعده، وقبل عتقها لها كان بعد الفتح . فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك، قالت بريرة والذى بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة أى أعيبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى . وهى هنا الشاة فتأكله . وفى لفظ فدعا رسول الله ﷺ بريرة فسألها . فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم الا خيرا، وما كنت أعيب على عائشة شيئا الا أنى كنت أعجن عجينى، وأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله . أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا، ولا استأذن رسول الله ﷺ فى ضربها، لانه اتهمها فى أنها خانت الله ورسوله، فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه : هذا كلامه . والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة . فقال أصدقى رسول الله ﷺ فقالت سبحان الله والله ماعلمت عليها الا مايعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر . وفى الامتاع جاء رسول الله ﷺ لبريرة وسألها . فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا خيرا والله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك أى و بريرة هـذه روى عنها عبـد الملك بن مروان فقد ذكر أنه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل أن آتى الى هذا الأمر يعنى الخلافة . فكانت تقول لى ياعبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هـذا الامر يعنى الخلافة، فن وليته فحذر الدماء فنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق . قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت، فتقول يارسول الله أحمى سمعى و بصرى أى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن أقول أبصرت ولم أبصر ماعلمت الاخيرا أى وفى رواية حاشا سمعى و بصرى ماعلمت الا خيرا والله ما أكلمها، وانى لمهاجرتها وما كنت أقول الا الحق . قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى من أزواج رسول الله ﷺ . وفى لفظ تناصينى

أي تعادلني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة والمحبة عنده ﷺ فعصمها الله تعالى . أي وهذا جعلها في النور أفضل نسائه ﷺ بعد عائشة وخديجة حيث قال . والذي يظهر أن أفضلهن أي زوجاته ﷺ بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش ، وقالت عائشة رضي الله عنها في وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتقرب به الى الله ماعدا سورة أي حدة تسرع فيها الفيئة أي ترجع عنها سريعا . قالت عائشة رضي الله عنها وقد قام رسول الله ﷺ أي عند استلباث الوحي وتأخره في الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال أيها الناس مابال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق . وفي رواية فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقال وهو على المنبر من يعذرني أن ينصفني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ماعلمت على أهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان ماعلمت عليه الا خيرا ، أي وزاد في رواية ولا يدخل بيتي . وفي لفظ بيتا من بيوتي الا وأنا حاضر ولا غبت في سفر الا غاب معي يقولون عليه غير الحق . فقام سعد بن معاذ أي سيد الأوس فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الأوس ضربت عنقه . وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية . وفي لفظ أجهلته الحمية . وكان قبل ذلك رجلا صالحا أي لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد ابن عبادة غضب سعد بن عبادة لأجلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل . أي قال قول الجهل . فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم . فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وأنفك راغم ، فانك منافق تجادل عن المنافقين ، أي والمراد بكونه منافقا انه يفعل فعل المنافقين ، ومن ثم لم ينكر ﷺ ذلك ان كان سمعه ، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا لأنه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشيء من ذلك * أقول فيه أن سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيما أمرته النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحسن ردّ سعد بن عبادة عليه بما ذكر . ثم رأيت بعضهم ذكر أن الأظهر عندي أن ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه ، وانما أراد الانكار على ابن معاذ في كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الأوس مع أنه يظهر الاسلام لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لاتقل مالاتفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة العظيمة التي طلب النبي ﷺ فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار ظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان في الباطن له مخلص هذا كلامه . ثم رأيت في السيرة الهشامية أن المتكلم أسيد بن حضير ، وانه قال يارسول الله ان يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وان يكونوا من اخواننا الخزرج فرنا أمرك فوالله انهم لأهل لأن نضرب أعناقهم ، فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ماتضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعني الأوس ماقلت هذا أي لأن عبد الله بن أبيّ ابن سلول من الخزرج ، وكذا حسان بن ثابت رضي الله عنه بناء على

انه كان من أصحاب الافك . وفي البخاري أن سعد بن معاذ قال ائذن لي يارسول الله أن أضرب أعناقهم . فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أي من الخزرج فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم : وعلى هذه الرواية فلا اشكال . وقول البخاري . وكانت أم حسان الى آخره يشعر بأن حسان لم يكن من الخزرج وهو يخالف ماتقدم وما سيأتي انه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم فليتأمل . ولايخفى ان ذكر المنبر يخالف مافي الأصل من أن اتخاذ المنبر كان في السنة الثامنة ، وقصة الافك كانت في السنة الخامسة أو السادسة وفي النور المراد بالمنبر شئ مرتفع . قال والا فالمنبر انما اتخذ في السنة الثامنة أي فيكون المراد المنبر الذي اتخذ في السنة الثانية كان من الطين ، والذي كان من خشب انما اتخذ في السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم : ثم بعد نزول آيات الافك أي وهي (ان الذين جاؤا بالافك عصبة) الى قوله (أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) خرج ﷺ الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أي هم عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير بن جحش ويقال له أبو أحمد كان ضريرا . أي وكان يدور مكة أعلاها وأدناها أي محل من غير قائد ، وكان شاعرا وهو ابن عمة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وأما أخوها عبد الله مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم ، وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة ، وفيه انه تقدم انهم لما قدموا المدينة وجدوه قد مات الا أن يقال إن لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز أن يكون هو ذلك ، ويقال وحسان بن ثابت جلدوا الحد وهو ثمانون . وقال بعضهم وذكر سعد بن معاذ في هذه الرواية أي انه القائل أنا أعذرك وهم من بعض الرواة ، وانما المتكلم بذلك أسيد بن حضير أي كما تقدم عن السيرة الهشامية : لأن سعد بن معاذ مات بعد بني قريظة . قال في الاصل لو اتفق أهل المغازي على أن غزوة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون ✲ أقول أي فالوهم لايلزم الامن جعل هذه الغزوة التي هي غزوة بني المصطلق متأخرة عن بني قريظة ويذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم قال ابن اسحاق بأنها بعد بني قريظة . روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير . قال في الامتاع ، وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بني آدم . وفيه أن مما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم في شيء ماذكره في الكتاب المذكور الذي هو في الامتاع أن رسول ﷺ مكث أياما . ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه . ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن عبادة في نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فأصابوا منه ، ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع في الصحيحين وغيرهما والله أعلم : وذكر أن صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي كان الافك بسببه ظهر أنه كان حصورا لايأتي النساء أي انما معه مثل الهدبة أي عنين . وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين أي ويدل له مافي البخاري أنه رضي الله عنه ما كشف كنيف امرأة قط أي سترها لان الكنيف الساتر . وقد جاء في تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا أنه ﷺ أهوى الى الارض وأخذ قذاة . وقال كان ذكره يعني يحيى عليه السلام مثل هذه القذاة . ولعل المراد التشبيه في الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف

ماقبله ، لكن في النهر الحصور الذي لايأتي النساء مع القدرة على ذلك ، أي وربما يؤيد ذلك ماجاء أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة ، رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال ، والذي يضل الاعمى ، ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام . فالحصور وصف مذموم الا في يحيي عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) ، قيل وهذا الوصف جاء ليحيي من أثر همة والده زكريا عليهما السلام ، فانه لما شهد مريم منقطعة عن الازواج أحب أن يرزقه الله ولدا مثلها أي منقطعا عن الزوجات فجاء يحيي عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما في أنس الجليل . وكان يحيي عليه السلام لايأتي النساء لأنه لم يكن له ما للرجال ، كذا قيل وهو غير مرضي . وقد تكلم القاضي عياض رحمه الله في الشفاء على معنى كون يحيي حصورا بما حاصله أن هذا الذي قيل نقيصة وعيب لايليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وانما معناه أنه معصوم من الذنوب لايأتيها فكأنه حصر عنها ، وانه حصر نفسه عن الشهوات قمعا لها ، هذا كلامه فليتأمل . أي وعلى الاول لاينافي ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم أن زوجته شكته للنبي ﷺ أي على أن ابن الجوزي نقل عن شيخه ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى أن صفوان رضي الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك ، ومما يدل على أن حسان رضي الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبروه مما نسب اليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قلت الذي قد زعمتم * فلا رفعت سوطي الي أناملي
وكيف وودي ماحييت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل

ومن ثم قال ابن عبد البر . وقد أنكر قوم كون حسان رضي الله عنه خاض في الأفك وانه جلد وجاء أن عائشة رضي الله عنها برأته من ذلك أي فقد ذكر الزبير بن بكار . انه قيل لعائشة رضي الله عنها . وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه اني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله ﷺ أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك . قالت لم يقل شيئا ، ولكنه القائل

فان كان ماقد قيل عني قلته * فلا رفعت سوطي الي أناملي

وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم ، وقد بلغه أن النبي ﷺ أهدر دمه لما بلغه ﷺ أنه هجاه ، فجاء اليه ﷺ معتذرا وأنشده أبياتا منها

ونبي رسول الله اني هجوته * فلا رفعت سوطي الي إذن يدي

لكن في رواية انها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقي له الوسادة وتقول لاتقولوا لحسان الاخيرا فانه كان يرد عن النبي ﷺ بلسانه . وقد قال تعالى (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) وقد عمي والعمي عذاب عظيم والله قادر على أن يجعل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة ، وفيه أنه سيأتي عن عائشة وغيرها ان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي ابن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذي بلغ فيه الغاية عبد الله بن أبي ابن سلول فليتأمل ، وعن الزهري : قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذي تولى كبره جلس

ثم قال ياأبا بكر من تولى كبره أليس على بن أبي طالب ، قال الزهرى ، فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا ، لا آمن ان ألقى منه شرا . وان قلت نعم جئت بأمر عظيم . ثم قلت لنفسى لقد عوّدنى الله على الصدق خيرا ، فقلت لا ، فضرب بقضيبه السرير . قال فمن يكرر ذلك مرارا ؛ قلت لكن عبدالله بن أبىّ ابن سلول ، ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبدالملك نحو ذلك . فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبدالملك . فقال له ياأبا سليمان الذى تولى كبره من هو؟ قال عبد الله بن أبىّ . قال كذبت هو علىّ ، قال أنا أكذب لا أبالك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت ، حدثنى عروة وسعيد وعبدالله وعلقمة رحمهم الله . عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبدالله بن أبىّ . وعن عائشة رضى الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم ، وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لايحبه الامؤمن ولايبغضه الامنافق . وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فبهذا البيت يغفر الله تعالى له ، وذكر بعضهم أن الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان ابن عمه ﷺ وعمرو بن العاصى وضرار بن الحرب . ولما أراد حسان رضى الله عنه أن يهجوهم . قال له رسول الله ﷺ كيف تهجوهم وأنا منهم ، وكيف تهجو أباسفيان ابن عمى ، فقال له : والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له ﷺ ائت أبابكر فانه أعلم بأنساب القوم منك . فكان يجىء الى أبى بكر ليوقفه على أنسابهم فجعل حسان يهجوهم ، فلما سمعوا هجوه . قالوا إن هذا الشعر ماغاب عنه ابن أبى قحافة ، وعاش حسان رضى الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وعاش والده مائة وعشرين سنة . وكذا جده ووالد جده . قال بعضهم ولايعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبى ﷺ مشهدا ، لأنه كان يخشى الموت ؛ فكان ينسب لجبن . ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والدرارى فى الآطام ، وماوقع له مع صفية عمته ﷺ فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان ، وماقاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن . ورد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء . وكانوا يردون عليه فما عيره أحد منهم به ولاوسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الدرارى فى الآطام منعته من شهود القتال هذا كلامه وقد يقال على تسليم انه لم يهج بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لايتأثر بوصفه بذلك . وذكر بعضهم أن حسان رضى الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه . فذكر ذلك حسان لرسول الله ﷺ فدعا حسان وصفوان . أى وأظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به . فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى وحملنى الغضب فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان ياحسان أحسن فيما أصابك . قال هى لك . وفى رواية قال كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال له ﷺ قد أحسنت وقبلت ذلك منك . وأعطاه رسول الله ﷺ عوضا منها حديقة له ، يقال لها بئرحا بفتح الراء فى الأحوال الثلاثة مع قصرحا . قيل سميت بذلك لأن الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حاحا : وقيل انه كان الناس أن يقول بئرحا بضم الراء فى حالة الرفع وحدها الا أن يقال المجموع اسم مركب ، وكانت هذه البئر لأبى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها على رسول الله

ﷺ ليضعها حيث شاء ، ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم ، أقول الذى فى البخارى كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا . وكان أحب أمواله اليه بئرحا ، وهى حديقة كانت مستقبلة المسجد . وكان رسول الله ﷺ يدخلها و يستظل بها و يشرب من ماء فيها طيب . فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبوطلحة رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول ان الله يقول فى كتابه (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالى الىّ بئرحا ، وانه صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يارسول الله حيث شئت فقال ﷺ بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ماقلت فيها قد قبلناها منك ورددناها عليك وأرى أن تجعلها فى الأقربين قال أفعل يارسول الله ، فقسمها أبوطلحة فى أقاربه و بنى عمه وفى لفظ آخر فى البخارى قال ﷺ لأبى طلحة اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبىّ بن كعب ، وفيه أن أبىّ بن كعب كان غنيا ، و بين فى البخارى وجه قرابتهما من أبى طلحة فذكر أن حسان يجتمع مع أبى طلحة فى الأب الثالث وأبىّ يجتمع معه فى الأب السادس . وذكر بعضهم أن أبىّ بن كعب كان ابن عمة أبى طلحة . وفى الامتاع انه ﷺ أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أمّ ولده ﷺ ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن ، وكان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم ابن النبىّ ﷺ ، وقد روت سيرين هذه عن النبىّ ﷺ حديثا قالت رأى رسول الله ﷺ خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال إن الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه ، وأعطاه سعد بن عبادة رضى الله عنه بستانا كان يتحصل منه مال كثير *

وحاصل مافى الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان أن حسان رضى الله عنه لما قال :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

قال صفوان ما أراه إلا عنانى أى بالجلابيب ، وتقدم أن ابن أبىّ ابن سلول قد قالها فى حق المهاجرين ، والفريعة بالفاء جدّة حسان رضى الله عنه ، وقيل أمه . وفريعة الشئ خياره ، وفريعة القبيلة سيدها ، واستعمل بيضة البلد فى الذم بقرينة المقام والافكما تستعمل فى الذم تستعمل فى المدح . يقال فلان بيضة البلد أى واحد فى قومه عظيم فيهم . فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو فى نادى قومه الخزرج وضربه فلقى بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حلّ وجىء به الى رسول الله ﷺ فقال حسان رضى الله عنه يارسول الله شهرعلىّ السيف فى نادى قومى ثم ضربنى ولا أرانى إلا ميتا من جراحتى فقال ﷺ لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ماتقدم . ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه ، فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فأقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا أمرنا رسول الله ﷺ بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه . وقال سعد والله إن أحبّ الأمر الى رسول الله ﷺ العفو ، ولكن رسول الله ﷺ قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق ، فاستحيا القوم وأطلقوه ، وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد ، فلما رآه ﷺ قال صفوان ؟ قالوا نعم يارسول الله . قال من كساه ؟ قالوا سعد بن عبادة . قال كساه الله من ثياب الجنة . ثم ان رسول الله ﷺ كلم حسان رضى الله عنه فى العفو عن صفوان . فقال يارسول الله كل حق لى قبل صفوان فهولك . وقال ﷺ قد أحسنت وقبلت

ذلك . ثم أعطاه ﷺ أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم . وأعطاه أيضا سعد ابن عبادة رضى الله عنـه حائطا كان يتحصل منه مال كبير بما عفا عن حقه . وقيل انما أعطاه سيرين لذبه عن رسول الله ﷺ بشعره . فقد قال ابن عبـد البر رحمه الله : إعطاء رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يروى من وجوه وأكثرها أن ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله ﷺ . قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره . وكذلك كان أبوه وجدّه . وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه أوشعر لحلقه . وقد عمى مسطح أيضا . أى وقد روى أصحاب السنن الأربعة عن عائشة رضى الله عنها انه ﷺ أمر برجلين وامرأة فضربوا حدّهم . قال الترمذى حسن غريب . أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان أخوها عبيدالله أبوأحمد بن جحش ومسطح . ولم يحدّ الخبيث عبدالله بن أبىّ ابن سلول لأن الحدّ كفارة وليس من أهلها . وقيل لأنه لم تقم عليـه البينة بذلك بخلاف أولئك. وقيل لأنه كان لايأتى بذلك على أنه من عنده بل على لسان غـيره . وفى الطبرانى ومعجم النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن عبـد الله بن أبىّ ابن سلول جلد مائة وستين أى حدّ حدّين . قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبىّ . أى ولعل المراد انه يجوز أن يفعل به ذلك فلا ينافى ماتقدّم من أن الحدّ كان ثمانين جلدة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « مازنت » . وفى لفظ « لم تبغ امرأة نبىّ قط » . وأما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط (فخانتاهما) فالمراد آذتاهما . قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه انه لمجنون . وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه . قيل : انما جاز أن تـكون امرأة النبىّ كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ، ولم يجز أن تـكون فاجرة أى زانية لأن النبىّ مبعوث الى الـكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والـكفر غير منقص عندهم . وأما الفجور فمن أعظم النقصان . وفى الخصائص الصغرى : « ومن قذف أزواجه ﷺ فلاتوبة له ألبتة » كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره . وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحدّ فى غيرها حدّين . وقد وقع أن الحسن بن يزيد الراعى من أهل طبرستان . وكان من العظماء . كان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف . وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرّق على أولاد الصحابة فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضى الله عنها بالقبيح . فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنق هذا . فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا . فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله ﷺ قال الله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبت للطيبين والطيبون للطيبات) فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطيبة الطاهرة المبرّأة من السماء ، ياغلام اضرب عنق هـذا الـكافر . فضرب عنقه . وفى كتاب الاشارات للفخر الرازى أنه ﷺ فى تلك الأيام التى تـكلم فيها بالافك كان أكثر أوقاته فى البيت فدخل عليه عمر رضى الله عنه فاستشاره ﷺ فى تلك الواقعة ، فقال يارسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضى الله عنها من الذباب لأن الذباب لايقرب بدنك . فاذا كان الله تعالى صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك . ودخل عليه ﷺ عثمان رضى الله عنه فاستشاره ، فقال له عثمان :

يارسول الله أخـذت براءة عائشة رضى الله عنها من ظلك إنى رأيت الله تعالى صان ظلك أن يقع على الأرض أى لأن ظل شخصه الشريف كان لايظهر فى شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام . فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك . أى وقد أشار الى ذلك الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

لقدنزّه الرحمن ظلك أن يرى ✲ على الأرض ملقى فانطوى لمزية

وهنا لطيفة لا بأس بها وهى أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودى ، فلما أراد المفارقة قال عبد الله رضى الله عنه لليهودى بلغنى أنكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شئ من ذلك معى وأقسم عليه فقال ان أمنتنى أخبرتك فأمنه فقال لم أقدرعليك فى شىء أكثر من أنى كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمى وفاء بأمر ديننا . ودخل عليه ﷺ علىّ كرم الله وجهه فاستشاره ، فقال له علىّ كرم الله وجهه : أخذت براءة عائشة من شىء هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلى بنعليك ثم انك خلعت إحدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا ، قلت لا إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن فى تلك النعل نجاسة ، فاذا كان لاتكون النجاسة بنعليك فكيف تكون بأهلك ؟ فسرّ ﷺ بذلك ، أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن خلع إحدى نعليه فى أثناء الصلاة لنجاسة بها واستمرّ فى الصلاة . وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه انه قال لزوجته أمّ أيوب : ألاترين مايقال . أى من الافك ؟ فقالت له : لوكنت بدل صفوان أكنت تهمّ بسوء لحرم رسول الله ﷺ . قال لا . قالت ولوكنت أنا بدل عائشة ماخنت رسول الله ﷺ فعائشة خير منى وصفوان خير منك . وفى السيرة الشامية أن أبا أيوب رضى الله عنه قالت له زوجته أم أيوب : ألاتسمع مايقول الناس فى عائشة . قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله . قال فعائشة والله خير منك . وجاء أن ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها فى مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لاتخافى فانك لاتقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها من الفرح بذلك لأنها كانت تقول متحدثه بنعمة الله عليها « لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهنّ امرأة . لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله أن يتزوّجنى . ولقد تزوّجنى بكرا وما تزوّج بكرا غيرى . ولقد توفى وان رأسه فى حجرى . ولقد قبر فى بيتى وان الوحى ينزل عليه فى أهله فيفرّقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحاف واحد وأبى رضى الله عنه خليفته وصديقه . ولقد نزلت براءتى من السماء ولقد خلقت طيبة عن طيب . ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما » . قيل وفى هذه الغزوة فقدت عائشة رضى الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أى فأرسل رسول الله ﷺ فى طلبه رجلين من المسلمين أى أحدهما أسيد بن حضير فحضرت الصلاة أى صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد فى رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم . وهذا القيل نقله إمامنا الشافعى رضى الله عنه عن عدة من أهل المغازى . أى وعليه يكون سقط عقدها فى تلك الغزوة مرّتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما . والصحيح أن ذلك كان فى غزوة أخرى أى متأخرة عن هذه الغزوة . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما كان من أمر عقدى ما كان وقال أهل الافك ماقالوا خرجت مع النبى ﷺ فى غزوة أخرى فسقط أيضا عقدى حتى حبس التماسه الناس أى فانه ﷺ بعث رجالا فى طلبه وهو لايخالف ماسبق أنه ﷺ أرسل فى طلبه رجلين ، وطلع الفجر فلقيت من أبى بكر رضى الله عنه

ماشاء الله أى لأن الناس جاؤا لأبى بكر رضى الله عنه وشكوا اليه مانزل بهم فجاء اليها ورسول الله ﷺ واضع رأسه الشريف على فخذها قدنام فقال لها حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول يابنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء . قالت فلايمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى أى لأنه ﷺ كان اذا نام لايوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لأنهم لايدرون مايحدث له فى نومه فقام حين أصبح . وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى الرخصة بالتيمم . وفى لفظ فأنزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة . ففى بعض الروايات فنزلت (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) الآية . وقيل المراد بالآية آية النساء لأن آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لاذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم ، وكلام الواحدى رحمه الله فى أسباب النزول يدل عليه . فقال أبو بكر عند ذلك والله يابنية انك كما علمت مباركة ، أى وقال لها ﷺ ماأعظم بركة قلادتك ، وقال أسيد بن حضير ماهذا بأوّل بركتكم ياآل أبى بكر . أى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا أى وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ماتكرهه وأن فى ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل . وفى لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم ياآل أبى بكر ماأنتم الا بركة لهم . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ماقال دون غيره لأنه كان رأس من بعث فى طلب العقد . أى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك . قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه ، أى أقمناه من مبركه فوجدنا العقد تحته . أقول فى النور اعلم أن العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لأختها أسماء استعارته . وبهذا يجمع بين الأحاديث التى فى المسألة : هذا كلامه فليتأمل ويظر تلك الأحاديث ماهى أى وكون هذا العقد لأسماء أختها لايخالف ذلك قولها عقدى . لأن الاضافة تأتى لأدنى ملابسة أى فعقد أسماء كان فى المرة الثانية . وفى البخارى أيضا ان آية التيمم نزلت بعد أن صلوا بلا وضوء . فعن عائشة رضى الله عنها أنها استعارت من أسماء رضى الله عنها قلادة فهلكت أى ضاعت فبعث رسول الله ﷺ رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى آية التيمم ، وقد ترجم البخارى عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذى أقام البعير أو من جملة من أرسله فلا يخالف ماسبق مما يدل أن الذين بعثهم فى طلبه لم يجدوه : ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات أن أسيدا كان رأس من بعث لذلك : فلذلك سمى فى بعض الروايات دون غيره . ولذا أسند الفعل الى واحد منهم . وكأنهم لم يجدوا العقد أوّلا . فلما رجعوا ونزلت آية التيمم . وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضى الله عنه . هذا كلامه . قيل وفى هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب واد وعر . فهبط جبريل عليه السلام وأخبره ﷺ أن طائفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده ﷺ وايقاع الشر بأصحابه . فدعا ﷺ بعلى كرّم الله وجهه وعوّذه وأمره بنزول الوادى فقتلهم . قال الامام ابن تيمية وهذا من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ وعلى علىّ كرم الله وجهه . قال ابن تيمية ومن هذا ماروى فى عام الحديبية أنه قاتل الجن فى بئر ذات العلم وهى بئر فى الجحفة . وهو حديث موضوع عند أهل

المغازي . أي وجاء في سبب مشروعية التيمم غيرماذكر . ففي الطبراني عن أسلع . قال كنت أخدم رسول الله ﷺ وأرحل له ناقته ، فقال لي ذات يوم ياأسلع قوم فارحل ، فقلت يارسول الله أصابتني جنابة أي ولاماء فسكت رسول الله ﷺ فأتاه جبريل بآية الصعيد أي التراب ، فقال رسول الله ﷺ قم ياأسلع فيتمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ، ثم رحلت له حتى مرّ بماء ، فقال ياأسلع أمس هـذا جلدك . وفي الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالأرض ، ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب ، أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية : وفي هـذه السنة الخامسة خسف القمر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر ، وصارت اليهود تضرب بالطساس ويقولون سحر القمر

غزوة الخندق

ويقال لها غروة الأحزاب أي وهي الغزوة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان في قلوب أوليائه المتقين : أي وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين ✲ وسببها انه لما وقع اجلاء بني النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق وهودة ابن قيس وأبو عامر الفاسق الى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرّضونهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . أي ونكون معكم على عداوته . فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا . وأحبّ الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد . زاد في رواية فقال لهم لكن لانأمنكم الا ان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا . فقالت قريش لأولئك اليهود يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . وفي رواية نحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا ، أي لأنكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم . أي فأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات) فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لايخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد ﷺ مابقي منهم رجل : وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله بأبيات ذمّ فيها اليهود لعنهم الله بأمور بقوله

لاتكذب ان اليهود وقد زا ✲ غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا ✲ غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الأنبياء واتخذوا العجـل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـوى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون ✲ فهي نار طباقها الأمعاء

لو أريدوا فى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الأربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات فى تركهن ابتلاء

أى لاتعذب ان اليهود والحال انهم قدسالوا عن الحق قوم لؤماء ، واللئيم الدنىء الأصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم أنهم جحدوا نبوته ﷺ ورسالته ، والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ماعبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش ، وورد أن اليهود قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل إلها يعبدونه ومن يفعل ذلك لاسفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلواء والسلوى نوع من الطير سفيه بلاشك ملئت بالحرام كالربا بطون منهم ؛ فبطونهم نار لاشتمالها على مايؤدى الى تلك النار طاق تلك النار المصارين ، ولوأراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى اختاروا تعظيمه على ماتقدم خيرا لكان يوم الأربعاء يوم سبتهم . لأنه يوم خلق فيه النور فختيار يوم السبت دون يوم الأربعاء لسبتهم أى سكوتهم عما عدا العبادة دليل على أنه تعالى لم يرد بهم الخير ، ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قلوا إن ذلك أى ابتداء الخلق كان يوم الأحد ، وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت . قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه . قلوا فان الله لايقضى يوم السبت شيئا من خلق ولارزق ولارحمة ولاعذاب ولااحياء ولااماتة ، ومن مات يوم السبت يكون محى اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك ، وقد كذبهم الله تعالى بقوله (كل يوم هو فى شأن) فكان فيه منهم ظلم وعدوان لأجل التصريف فيه بغير العادة . فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم ، حرمها الله تعالى عليهم ؛ فكان فى ذلك ابتلاء لهم ؛ ونقل عن ابن حجر الهيتمى رحمه الله . انه بحث استحباب صوم يوم الأربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتأمل . ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقلوا لهم انا سنكون معكم . وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش . أى وأتباعها من لقبائل وغطفان أى وأتباعها . وقائد قريش أبوسفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف . ومعهم ثلثمائة فرس أى وألف أوخمسمائة بعير . وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبى طلحة المقتول والده الذى هو طلحة يوم أحد . وكذا عماه أى عما عثمان ابن طلحة وهما عثمان بن أبى طلحة وأبوسعيد بن أبى طلحة وعثمان بن أبى طلحة هو أبوشيبة كما تقدم فشيبة بن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد أخوه عثمان بن طلحة الأربعة . وهم مسافع بن طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا . أى الحامل لواء قريش أسلم بعد ذلك ، ويقال له الحجبى لأنه كان من بنى عبدالدار وهم سدنه الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولأبيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم . وقائد غطفان عيينة ابن حصن الفزارى فى بنى فزارة أى وهم ألف . وتقدم أن عيينة أسلم بعد ذلك ، ثم ارتد بعد اسلامه وأخذ أسيرا فى زمن خلافة الصديق رضى الله عنه . ثم أسلم وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة . وكان عنده جفوة وغلظة ، ومن ثم قال ﷺ فى حقه انه الأحمق المطاع ؛ وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره . وقائد بنى مرة أى وهم أربعمائة الحرث بن عوف المرى وأسر

بعد ذلك أى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بنى أشجع أبو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة وأسلم بعد ذلك ، أى وقائد بنى سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه أى وقائد بنى أسد طليحة بن خويلد الأسدى ، وأسلم بعد ذلك أى بعد ان كان ارتد بعد اسلامه ، ثم حسن اسلامه وكانت أشجع و بنو أسد تتمة العشرة آلاف . فقد قال بعضهم كانت الأحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها لأبى سفيان أى المدبر لأمرها والقائم بشأنها ، ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا رسول الله ﷺ فلما سمع رسول الله ﷺ بما أجمعوا عليه ندب الناس . أى دعاهم وأخبرهم خبر عدوّهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها ؟ فأشير عليه بالخندق أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه . فقال يارسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا أى فأن ذلك كان من مكايد الفرس وأوّل من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات وسلامه عليه فأعجبهم ذلك . فضرب على المدينة الخندق ، أى وعند ذلك ركب رسول الله ﷺ فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والأنصار ، فارتاد موضعا ينزل له وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم بالنصر ان هم صبروا . فعمل فيه رسول الله ﷺ مع المسلمين أى وحمل التراب على ظهره الشريف ، ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدوّ . قال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل ، وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل بن سراقة ، وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة . وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد ، وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير ﷺ اسمه وسماه عمرا ، فجعل المسلمون يرتجزون و يقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله ﷺ اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى . أى وسياق أسد الغابة يدل على أن هذا الذى غير رسول الله ﷺ اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع ، لأنه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ، ولما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لاعيش إلا عيش الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير ألف ولام فقد غيره ﷺ على ما هو عادته كما تقدم ، وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الآخره * فبارك فى الأنصار والمهاجره

وفى لفظ فأكرم الأنصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الأجر أجر الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

زاد فى الامتاع

اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونى أنقل الحجاره

وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره . قال الحافظ ابن حجر ولعله كان وألعن الهى عضلا والقاره أى والتغيير منه ﷺ . وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الآخرة * فارحم المهاجرين والأناصرة

وفى لفظ فانصر الأنصار والمهاجره . وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا ✽ على الجهاد مابقينا أبدا

وقال ﷺ متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب . وقد وارى الغبار جلد بطنه الشريف

اللهم لولا أنت مااهتدينا ✽ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ✽ وثبت الأقدام اذ لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ✽ وان أرادوا فتنة أبينا

يمد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا. ولما بدأ ﷺ بالحفر فى الخندق قال

بسم الأله و به بدينا بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا ✽ ياحبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع انه ﷺ قال ماتقدم عنه فى بناء المسجد وهو

هذا الحمال لاحمال خيبر ✽ هذا أبرّ ربنا وأطهر

وتقدم الكلام عليه وعلى إنشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد ، أى ورأيت أن عمار ابن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله ﷺ يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ، أى كما تقدم له فى بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطأ رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعف ، وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له ﷺ ، أى وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله ﷺ فى حقه أما انه نعم الغلام ، وغلبته عينه فنام فى الخندق ؛ فأخذ عمارة ابن حزم سلاحه وهو نائم . فلما قام فزع على سلاحه . فقال له رسول الله ﷺ ياأبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك . ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام . فقال عمارة أنا يا رسول الله وهو عندى . فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم و يؤخذ متاعه لاعبا . واليه استند أئمتنا فى تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك . واشتد على الصحابة رضى الله عنهم فى حفر الخندق كدية . أى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أواهيم أى رملا سائلا . وفى رواية أنه ﷺ دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء أى رشه على تلك الكدية ✽ قال بعض الحاضرين فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب أى الرمل ماترد فأسا ولا مسحاة وهى المجرفة من الحديد . أى وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ينقلان التراب فى ثيابهم اذا لم يجدا مكاتل من العجلة . وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على ورسول الله ﷺ قريب منى . فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ماهذا الذى رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب . قال أوقد رأيت ذلك ياسلمان ، قال قلت نعم . قال أما الاولى فان الله تعالى فتح على بها اليمن . وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب . وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق ، قال وقد ذكر أن سلمان الفارسى رضى الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال

المهاجرون سلمان منا . وقالت الانصار سلمان منا . فقال رسول الله ﷺ سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقى سلمان بعد رقه ✲ منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده ✲ من أهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق ، أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع حتى أصيب بالعين أصابه بالعين قيس بن صعصعة فلبط به . أى بلام مضمومة فوحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال ﷺ مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفئ الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط ، أى حل من عقال . وفى لفظ فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوءه فى ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفئ الاناء خلف ظهره . وذكر أنه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان أخذ ﷺ المعول من سلمان ، وقال بسم الله ، وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ ، وقال أعطيت مفاتيح اليمن انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها أنياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر : فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله ﷺ ، وقال أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها . أى زاد فى رواية الحمر . ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر ، وقال أعطيت مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا . أى وفى رواية انى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، وجعل ﷺ يصف لسلمان أماكن فارس ، ويقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها أشهد أنك رسول الله . ثم قال رسول الله ﷺ هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اهـ ، أى وعند ذلك قال جمع من المنافقين . منهم معتب بن قشير « ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم » وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف لاتستطيعون أن تبرزوا فأنزل الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) الآية . وقيل فى سبب نزولها انه ﷺ لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم ، فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم ، وهم أعز وأمنع من ذلك ✲ ولما فرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها ، وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الأسيال وغطفان ومن معهم الى جانب أحد . وكان المسلمون ثلاثة آلاف . أى وقد قال ابن اسحق سبعمائة ووهم فى ذلك ، وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولاهم وعسكر بهم ﷺ الى سفح سلع ، وهو جبل فوق المدينة ، أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم . أى وضربت له ﷺ قبة من أدم . قال وكان ﷺ يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما ، أى فانه مكث فى عمل الخندق بضع عشرة ليلة ، وقيل أربعا وعشرين ليلة . أى وقيل عشرين ليلة ، وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا . قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الأقاويل . وقيل أثبت الأقاويل أنها كانت خمسة عشر يوما ، وبه جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه ﷺ فى بنى حارثة وجعل

النساء والذراري في الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا بأجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه ، فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة أن يرجع الى أهله ، وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة . فمن أجازه عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وزيد بن ثابت ، وأبوسعيد الخدري ، والبراء بن عازب رضي الله عنهم اهـ ، وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن . وفي كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة ، وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لايتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق ، واستخلف ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وأرسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للأحزاب فقتلوهما فأتى بهما رسول الله ﷺ فدفنهما في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان ، وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الأنصار لسعد بن عبادة ، و بعث مسلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذراري من بني قريظة ، أي لما بلغه ﷺ أنهم نقضوا مابينه و بينهم من العهد كما سيأتي أي وأنهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيي بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة . وجاء الخبر بذلك الى رسول الله ﷺ فعظم البلاء ، وصار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق . ولما نظر المشركون الى الخندق : قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبوسفيان في أصحابه يوما و يغدو خالد ابن الوليد يوما و يغدو عمرو بن العاص يوما و يغدو هبيرة بن أبي وهب يوما و يغدو عكرمة بن أبي جهل يوما و يغدو ضرار بن الخطاب يوما ، فلا يزالون يجيلون خيلهم و يفترقون مرة و يجتمعون أخرى و يناوشون أصحاب رسول الله ﷺ أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا ، وفي تلك المدة أقبل نوفل بن عبدالله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله أي اندقت عنقه . أي وفي لفظ ، وأما نوفل بن عبدالله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا ، وقيل رمي بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يامعشر العرب ، فنزل اليه علي كرم الله وجهه فقتله أي ضربه بالسيف فقطعه نصفين ، وكبر ذلك على المشركين ، فأرسلوا الى رسول الله ﷺ انا نعطيك الدية على أن تدفعه الينا فندفنه . فرد عليهم رسول الله ﷺ بأنه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولايمنعكم أن تدفنوه ولا أرب أي غرض لنا في ديته . وقيل أعطوا في جثته عشرة آلاف . أي وفي رواية انهم أرسلوا اليه ﷺ أن ارسل الينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفا فقال رسول الله ﷺ لاخير في جثته ولافي ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية . وفي لفظ انما هي جيفة حمار . ثم ان عدو الله حيي بن أخطب سيد بني النضير ، كان يقول لقريش في مسيره معهم ان قومي بني قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة ، وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا فقال له أبوسفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم و بين محمد ﷺ فعند ذلك خرج حيي لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وولي عهدهم الذي عاقدهم عليه رسول الله ﷺ أي المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فأبى أن يفتح له وأغلق عليه في دونه . فناداه ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابيني و بينه ، ولم أر منه الا وفاء

وصدقا . فقال له ويحك افتح لى أكلمك : فقال ماأنا بفاعل فغاظه ، فقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك ، أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش أن آكل معك منها ففتح له . فقال له ويحك ياكعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد قدعاهدونى وعاقدونى أن لايبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه . فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل مايخشى فانى لم أرفى محمد الاصدقاء ووفاء وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لاماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ، ويحك ياحيى دعنى وما أنا عليه . فلم يزل حيى بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ماأصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن باطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ فلجم الأمر لما أراد الله من هلاكهم . وكان حيى بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش . فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله ﷺ أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال يارسول الله بلغنى أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله ﷺ وشق عليه ذلك . وأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير . وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم ، فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم ، أى وروا وكنوا فى كلامكم بمالم يفهمه القوم ، أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف ، والا فاجهروا بذلك بين الناس . فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لايعرفه الاصاحبه كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف . ومنه قول القائل «وخير الحديث ما كان لحنا» فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله ﷺ ، أى قالوا من رسول الله ، وتبرءوا من عقده وعهده وقالوا لاعهد بيننا وبين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه ، أى وقيل سعد بن عبادة أى وكان فيه حدة وشاتموه ، أى ولا مانع من وجود الأمرين . وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى ، أى أقوى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله ﷺ فكنوا له عن نقضهم العهد ، أى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع . وسيأتى خبر ذلك فى السرايا . فقال رسول الله ﷺ الله أكبر ، أى وقال أبشروا يامعاشر المسلمين بنصرة الله تعالى وعونه ، وتقنع ﷺ بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه ﷺ اضطجع ثم رفع رأسه ، فقال أبشروا بفتح الله ونصره أى ولعل هذا أى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله ﷺ الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للأمر . فعن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما . قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان بن ثابت . أى وكان حسان مع النساء ، ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب . واتفق أن يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن . فقالت صفية لحسان ياحسان لاآمن هذا اليهودى أن يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله . قال حسان رضى الله عنه

يابنت عبدالمطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته ، وصعدت الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل . فقال يا ابنة عبد المطلب مالي بسلبه حاجة . أي وهذا يدل على ماقيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم . قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين أوثلاثا . فلما رجعت ، قلت يا أبت رأيتك تختلف الى بني قريظة . قال رأيتني يابني ، قلت نعم . قال كان رسول الله ﷺ . قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم . فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه . فقال فداك أبي وأمي أخرجه الشيخان . أي وفي كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضي الله عنه أنه قال جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين يوم أحد ويوم بني قريظة فقال ارم فداك أبي وأمي . وقال ولعل ذلك كان في أحد ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير . وقال الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي ، ويذكر أن الزبير رضي الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج . وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا ، وذلك من اعلام نبوته ﷺ فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال له الزبير يارسول الله أي نعيم نسئل عنه وانما هما الأسودان التمر والماء . قال أما انه سيكون ، وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله ، وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود ، وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أي خبر نقض بني قريظة العهد ولامنافاة بين بلوغهم الخبر وماتقدم من عدم الافصاح به ، لأنهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المسلمون كل الظن ، وأنزل الله تعالى (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) ولما رأى رسول الله ﷺ شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث بن عوف المري في أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه . خفية مستخفيين من أبي سفيان فوافقاه على ذلك . أي بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة . أي وفي رواية أحضرت الصحيفة والدواة ، ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما . فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يارسول الله أمرا تحبه فتصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ، أي وفي لفظ ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة ، وان كان انما هو الرأي ، فمالهم عندنا الا السيف . فقال رسول الله ﷺ لو أمرني الله ماشاورتكما والله ما أصنع ذلك الا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن اكسر شوكتهم الى أمرما . فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أي غطفان على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة الا قرى أو بيعا

أى وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد ؟ أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا . أى وفى لفظ نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم . فقال رسول الله ﷺ فأنت وذاك ، فأخذ سعد الصحيفة فمحى مافيها من الكتابة . أى وهذا انما يناسب الرواية الأولى ، وكذا ماجاء فى لفظ . فقال رسول الله ﷺ شق الكتاب فشقه سعد ، وقال لعيينة والحرث ارجعا بيننا و بينكم السيف رافعا صوته . ثم قال لسعد ليجهدوا علينا . ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا أى وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به [] وفيهم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبى وهب أى وهو زوج أم هانئ أخت على كرم الله وجهه رضى الله عنها ، وأبو أولادها مات على كفره وضرار ابن الخطاب وعمرو بن ود . أى قيل ونوفل بن عبد الله ، وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز ، فقام على كرم الله وجهه وقال أنا له يانبى الله . فقال ﷺ له اجلس انه عمرو بن ود . ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين و يقول أين جنتكم التى تزعمون انه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزن لى رجلا وأنشد أبياتا منها

ولقد بححت من الندا * ء بجمعكم هل من مبارز
ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على كرم الله وجهه ، فقال أنا له يارسول الله ، فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام على كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله ، فقال انه عمرو ، فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله ﷺ وأنشد سيدنا على أبياتا منها

لاتعجلن فقد أتا * ك مجيب قولك غير عاجز
ذو نية و بصيرة * والصدق منجى كل فائز

وفى رواية أنه ﷺ أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته . وقال اللهم أعنه عليه أى وفى لفظ اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين . زاد فى رواية أنه ﷺ رفع عمامته الى السماء . وقال إلهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى الحديث فمشى اليه على كرم الله وجهه ، فقال له ياعمرو انك كنت قد عاهدت الله لايدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أى خصلتين الا أخذتهامنه . قال له أجل أى نعم ، فقال له على كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله ﷺ والى الاسلام . فقال لاحاجة لى بذلك . قال له على فانى أدعوك الى البراز . قال وفى رواية انك كنت تقول لايدعونى أحد الى واحدة من ثلاث الاقبلتها . قال أجل ، فقال على فانى أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين ، فقال ياابن أخى أخر عنى هذه . قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد ﷺ صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد . قال هذا مالا تتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء مانذرت ، أى فانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لايمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا ﷺ . قال فالثالثة ماهى . قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يروعنى بها اه ثم قال له عند طلب المبارزة لم ياابن أخى فوالله ماأحب أن أقتلك ، فقال على كرم الله وجهه ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو

عنـد ذلك أى أخذته الحية ، وفى رواية أن عمرا قال له من أنت أى لأن عليا كرّم الله وجهه كان مقنعا بالحديد ، قال على قال ابن عبـد مناف ، قال أنا على بن أبى طالب ، فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك فانى أكره أن أهريق أى أسيل دمك ، أى وزاد فى رواية فان أباك كان لى صديقا أى وفى لفظ كنت له نديما ، فقال على وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب ، فقال له على كرّم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولـكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسلّ سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه ، وأقبل على علىّ كرّم الله وجهه فاستقبله علىّ بدرقته فضرب به عمرو فيها فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، فضربه على كرّم الله وجهه على حبل عاتقه أى وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون ، فلما سمع رسول الله ﷺ التكبير عرف أن عليا كرّم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله ، أى وذكر بعضهم أن النبى ﷺ عند ذلك قال ، قتل على لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين ، قال الامام أبو العباس بن تيمية . وهذا من الاحاديث الموضوعة التى لم ترد فى شئ من الـكتب التى يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء . قال بل ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذا الغزوة * أقول ويرد قوله ان عمرو بن ود هـذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة قول الاصل : وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أى جعـل له علامة يعرف بها ليرى مكانه ، أى ويرده أيضا ما تقدم من انه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا ﷺ واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للـكافرين . وفى تفسير الفخر أنه ﷺ قال لعلى كرّم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا على ؟ قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم . وفى كلام السهيلى رحمه الله . ولما أقبل على كرّم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله ﷺ وهو متهلل . قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها ، قال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت يا ابن عمى ان أسلبه هذا كلامه . وعندى أن هذا اشتباه من بعض الرواة ، لأن هذه الواقعة لعلى كرّم الله وجهه انما كانت فى يوم أحد مع طلحة بن أبى طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الأصل فليتأمل ، قال وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا الى رسول الله ﷺ يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف ، فقال رسول الله ﷺ هو لـكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه ، فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك . فقال والله ما هو السيف ولـكنها الساعد ، أى وفيه انه تقدم أن نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق فدقت عنقه الى آخر ما تقدم لـكنى رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على كرّم الله وجهه له فى الخندق غريب من وجهين فليتأمل ، وحمل الزبير رضى الله عنه على هبيرة بن أبى وهب وهو زوج أم هانئ أخت علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فضرب [illegible] فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس . أى جعلها على مؤخر ظهره [illegible] عكرمة بن أبى جهل [illegible] وهو منهزم [illegible] . أى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن [illegible]

أبي وهب على على" كرم الله وجهه فأقبل على" عليهما ، فأما ضرارا فولى هاربا ولم يثبت ، وأماهبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب ، وكان فارس قريش وشاعرها ، وذكر أن ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى أثره فكر" ضرار راجعا ، وحمل على عمر رضى الله عنه بالرمح ليطعنه ، ثم أمسك وقال ياعمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلى عندك غير مجزى بها فاحفظها ، أى ووقع له مع عمر رضى الله عنه مثل ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضى الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب ثم منّ الله على ضرار فأسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لاينصرون ، أى ولعل المراد بالمسلمين الأنصار فلا يخالف مافى الامتاع وكان شعار المهاجرين « ياخيل الله » وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ، ولا يظنون الا أنهم العدوّ فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام «حم لاينصرون» فكف بعضهم عن بعض ، وقد يقال يجوز أن تكون الطائفتان كانتا من الأنصار وجاءوا ، فقال رسول الله ﷺ جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا استدل أئمتنا على أن من قتله مسلم خطأ فى الحرب يكون شهيدا ، ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له المشترك أى و يقال لهذا العرق عرق الحياة . أى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها وقال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك قال عرّق الله وجهه فى النار ، وقيل قائل ذلك سعد رضى الله عنه ، وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم يعنى قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر" عينى ، وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة ، وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فانه لا قوم أحب الى" أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه ، وفى يوم استمرت المقاتلة ، قيل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل" ﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . أى وصار المسلمون يقولون ماصلينا فيقول ﷺ ولا أنا . فلما انكشف القتال جاء ﷺ الى قبته وأمر بلالا فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه مافاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . أقول فى الرواية الأولى مايشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للأولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذاقضاها متوالية وكونه يؤذن للأولى من الفوائت هوماذهب اليه فى القديم وهو المفتى به . وفى الرواية الثانية دليل على أنه يؤذن لكل من الفوائت اذاقضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه مرسلا لأنه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغرسنه ، وروى امامنا الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى" أى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى (وكفى الله المؤمنين القتال) فدعا رسول الله ﷺ بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، أى وفى لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الأذان للفائتة وهو ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح . وجمع الامام النووى فى شرح المهذب بين رواية الى الليل ورواية حتى ذهب هوى" من

الليل بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما : أى على ماتقدم . وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لاخفاء فيه لأن فى الأولى وفى يوم استمرت المقاتلة الى الليل . وفى الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن أنهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الأربع صلوات بوضوء واحد و به صرح البغوى فى تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه و بين مايأتى فى فتح مكة * وروى الطحاوى واستدل به مكحول والأوزاعى على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال أن الشمس ردت له ﷺ بعد ماغربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر . وذكر الامام النووى فى شرح مسلم ان رواته ثقات ، وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله ﷺ والله ماصليتها يعنى العصر فنزلنا مع النبى ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ماغربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضى أنه لم يفته الا العصر وأنه صلاها بعد الغروب . قال الامام النووى رحمه الله وطريق الجمع أن هذا كان فى بعض أيام الخندق وكون صلاة العصر هى الوسطى قد جاء فى بعض الروايات ، شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم ، وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذى فى البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ، ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، وكون الوسطى هى صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطى فى مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى . وفى الينبوع أن كون الصلاة الوسطى هى العصر هو الذى أعتقده والله أعلم . قال وجاء أنه ﷺ صلى المغرب . فلما فرغ قال أحد منكم علم أنى صليت العصر قالوا يارسول الله ماصلينا أى لانحن ولا أنت فأمر المؤذن فأقام الصلاة فصلى العصر ثم أعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف (فان خفتم فرجالا أوركبانا) اه أقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال أعادها مع الجماعة وأن قوله (فان خفتم فرجالا أوركبانا) يرشد الى أن المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لاصلاة ذات الرقاع التى نزل فيها قوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية كما تقدم فلاينافى ماتقدم من صلاته فى ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التى هى غزوة الخندق . وحينئذ يندفع الاستدلال على أن ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أى صلاة ذات الرقاع وإلا لصلاها فى الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها لما علمت أن المراد بصلاة الخوف التى لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لاصلاة ذات الرقاع وسقط القول بأن الآية التى نزلت فى صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه ﷺ تلك الصلاة فى الخندق لأن الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا أنهم لايأمنون هجوم العدو عليهم فلوصلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لاصلاة ذات الرقاع لأن شرطها أمن هجوم العدو، وصلاة شدة الخوف إما أن يلتحم فيها القتال أو يخافوا هجوم العدو . وقول بعضهم ان ابن اسحق وهو امام أهل المغازى ذكر أنه ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان : وذكرها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لأن صلاة عسفان انما كانت فى الحديبية كماسيأتى . وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فذلك يشترط فيها الأمن من هجوم العدو والله أعلم . قال ثم ان طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتا منهم بالمدينة فصدفوا عشرين بعيرا

لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها دلك حي بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها أهل الخندق ، ولما بلغ أباسفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا مانجد مانحمل عليه اذا رجعنا . ثم ان خالد بن الوليد كرّ بطائفة من المشركين يطلب غرّة للمسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشوهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة أى الاغارة فأقام المسلمون فى شدة من الخوف . أى وفى الصحيحين ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب . فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أى وقام فى الناس فقال ياأيها الناس لاتمنوا لقاء العدوّ واسألوا الله العافية فان لقيتم العدوّ فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف . أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله تعالى ودعا ﷺ بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى مانزل بى وبأصحابى . وقال له المسلمون رضى الله عنهم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره أن الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم رسول الله ﷺ أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا . وجاء أن دعاءه ﷺ عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء . واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الأربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، أى ومن ثم كان جابر رضى الله عنه يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك والأحاديث والآثار التى جاءت بذم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء فى الشهر ، فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادّعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء . قال وكان ﷺ يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط . فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان ﷺ يذهب الى تلك الثلمة ، فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ماأخشى أن تؤتى المسلمون الا منها ، فبينا رسول الله ﷺ فى حضنى صار يقول : ليت رجلا صالحا يحرت هذه الثلمة الليلة « فسمع صوت السلاح » فقال رسول الله ﷺ من هذا ؟ فقال سعد بن أبى وقاص سعد يارسول الله أتيتك أحرسك . فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ، ونام رسول الله ﷺ حتى غط وقام ﷺ فى قبته يصلى لأنه ﷺ كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة . ومن ثم لما نعى لابن عباس أخوه قثم وهو فى سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس وتلا (واستعينوا بالصبر والصلاة) ثم خرج ﷺ من قبته : فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى ﷺ ياعباد بن بشر ، قال لبيك ، قال هل معك أحد ، قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله ، وكان ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها ، فبعثه ﷺ يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم . ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لايغلبهم غيرك واذا أبوسفيان فى خيل يطوفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا . ثم ان نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله ﷺ أى ليلا ، فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت . قال وفى رواية ان نعيما لما سارت الأحزاب سار مع قومه ، أى غطفان وهو

على دينهم ، فقذف الله فى قلبه الاسلام ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء فوجده يصلى ، فلما رآه جلس . ثم قال له النبى ﷺ ماجاء بك يانعيم . قال جئت أصدقك وأشهد أن ماجئت به حق فأسلم انتهى . فقال رسول الله ﷺ انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة ، أى ينقضى أمرها بالخادعة . فقال له نعيم يارسول الله انى أقول أى مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع . قال قل مابدا لك فأنت فى حل [ ] فخرج نعيم رضى الله عنه حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما . قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب . فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لأشير عليكم برأى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم ، قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم اكتموا عنى ، قالوا نفعل . قال لقد رأيتم ماوقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم ، وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لاتقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم ، أى عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، أى سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه . أى يقاتلوه . قالوا له لقد أشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا ، وقالوا نحن فاعلون . قال ولكن اكتموا عنى ، قالوا نفعل : ثم خرج رضى الله عنه حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا . قالوا نفعل ، قال تعلمون أن معشر يهود يعنى بنى قريظة قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد : أى من نقض عهده . وقد أرسلوا اليه أى وأنا عندهم انا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين . قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، أى سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، أى وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارهم يعنون بنى النضير . ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم ، فان بعثت اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ، واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عنى ولاتذكروا من هذا حرفا . قالوا لانذكر . ثم خرج رضى الله عنه حتى أتى غطفان . فقال يامعشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى ، قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال فاكتموا على قالوا نعم ، فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت . أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان . فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه . فارسلوا اليهم ان اليوم . أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم مانال منا من تعدّى فى السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، أى سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم . وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التوانى ، والرأى أن تتواعدوا على يوم تكونون معكم فيه لكنهم لايخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم

فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان ، وقد جاءه رسولكم . فقال لو طلبوا مني عناقا مادفعتها لهم ، فاختلفت كلمتهم ، أى وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لانقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا و بعث الله تعالى ريحا عاصفا ، أى وهي ريح الصبا في ليال شديدة البرد ، فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم . وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم . أى وأرسل الله اليهم الملائكة زلزلتهم . قال تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب . وقال ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور . وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم . ثم ان رسول الله ﷺ بلغه اختلاف كلمتهم ، وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح في أصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتي انها لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لايرى الشخص أصبعه اذا مدها . فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لأنها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة ، فائذن لنا أن نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن ﷺ لهم . قيل ولم يبق معه ﷺ تلك الليلة الا ثلثمائة ، وقال من يأتينا بخبر القوم : فقال الزبير رضى الله عنه أنا . قال ﷺ ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر . فقال النبي ﷺ لكل نبي حوارى ، أى ناصر وان حوارى الزبير ، أى وهذا قاله ﷺ له أيضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أولا كما تقدم . وسيأتي قول ذلك له أيضا في خيبر . وفي الحديث حوارى الزبير من الرجال وحوارى من النساء عائشة ، وفي رواية انه ﷺ قال ألا رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، وفي لفظ يكون معي يوم القيامة ، وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة . قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد ، فدعا ﷺ حذيفة ابن اليمان . قال فلم أجد بدا من القيام حيث فوه باسمي فجئته ﷺ فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا ، والذي بعثك بالحق ان قدرت أى ماقدرت على مابي من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من امامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا . قال حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني . وقال ياحذيفة اذهب فادخل في القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله ﷺ كأني احتملت احتمالا وذهب عني ماكنت أجد من الخوف والبرد وعهد ﷺ الى أن لا أحدث حدثا . وفي رواية أماسمعت صوتي قلت نعم . قال فما منعك أن تجيبني قلت البرد قال لابرد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية . فقال ان في القوم خبرا فائتني بخبر القوم قال وفي رواية انه ﷺ لما كرر قوله ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ، ولم يجبه أحد . قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة . قال حذيفة فمر على رسول الله ﷺ وما على جنة من العدو والبرد الا مرطا لامرأتي مايجاوز ركبتي ، وأنا جاث على ركبتي . فقال من هذا ؟ قلت حذيفة . فقال رسول الله ﷺ حذيفة ، قال حذيفة رضى الله عنه فتقاصرت بالأرض . قلت بلى يارسول الله . قال قم . فقمت . فقال انه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم . فقلت والذي بعثك بالحق ماقمت الاحياء منك من البرد . قال لابأس عليك من حر ولابرد حتى ترجع الى . فقلت والله مابي أن أقتل ، ولكن أخشى أن أوسر . فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه

وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فضيت كأني أمشي في حمام مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عر بي . قال حذيفة ، فلما وليت دعاني فقال لي لاتحدثن شيئا . وفي رواية لاترم بسهم ولا حجر ولاتضر بن بسيف حتى تأتيني . جئت اليهم ودخلت في غمارهم فسمعت أباسفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيدجليسي على يميني وقلت من أنت .فقال معاوية بن أبي سفيان وقبضت يد من على يساري . وقلت من أنت قال عمرو ابن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي . فقال أبوسفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام . ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الاوهو قائم . أي فانه لما ركبه كان معقولا . فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم . ثم حل عقاله ، فقال له عكرمة بن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبوسفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده : وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم . ثم قال لعمرو بن العاص يا أباعبدالله نقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه ، فانا لانأمن أن نطلب ، فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ماترى أباسليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس . وسار جميع العسكر : قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد رسول الله ﷺ الى حين بعثني أن لاأحدث شيئا لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم . وفي رواية فدخلت العسكر ، فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لامقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لاتجاوز عسكرهم : فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين ، فخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم . قال حذيفة ثم أتيت رسول الله ﷺ فوجدته قائما يصلي فخبرته فحمد الله تعالى وأثنى عليه . أي وفي رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد ، فجعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله ﷺ بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر . فلما أن أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح . قال لي رسول الله ﷺ قم يانومان أي يا كثير النوم ، لأن النبي ﷺ انما قال له لا بأس عليك من برد حتى ترجع الى أي ومن هذ أي ارسال حذيفة رضي الله عنه وما تقدم أي من ارسال الزبير رضي الله عنه تعلم أن ذلك كان في الخندق ولامانع منه لأنه يجوز أن يكون ﷺ عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لأمر قام عنده ﷺ من جملة ذلك كون الزبير رضي الله عنه كان عنده حدة وشدة لايملك نفسه أن يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضي الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بني قريظة هل نقضوا العهد أولا لكشف أمر قريش وحذيفة رضي الله عنه ذهب لكشف أمر قريش ، هل ارتحلوا أولا وتبع اشتبه الأمر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل ذلك . وكان يقال لحذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لايعلمه غيره . فقد قال حذيفة رضي الله عنه لقد حدثني رسول الله ﷺ بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة . أي وتقدم ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقال له أيضا صاحب سر رسول الله ﷺ وقد ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة في تفسير قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) وهبت ريح

الصبا ليـلا فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأبنية ، وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمعوا فى أرجاء أى نواحى معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أى من الملائكة ، فصار سيد كل حى يقول لقومه يابنى فلان هلموا الى" فاذا اجتمعوا . قال النجاء النجاء فارتحلوا هرابا فى ليلتهم وتركوا ما استقلوه من متاعهم . أى والصبا هى الريح الشرقية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبي بنا ننصر رسول الله ﷺ فقالت ان الحرائر لاتهب بالليل ، فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور . فكان نصره ﷺ بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهى الريح الغربية وحين انجلاء الأحزاب قال ﷺ الآن نغزوهم ولايغزونا وانصرف رسول الله ﷺ لسبع ليل من ذى القعدة ، أى بناء على انها كانت فى القعدة وهو قول ابن سعد . وقيـل كانت فى شوال وكان ذلك سنة خمس ، أى كما قاله الجمهور . قال الذهبي وهو المقطوع به ، وقال ابن القيم انه الأصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد . وقيل سنة أربع ، وصححه الامام النووى فى الروضة . قال بعضهم وهو عجيب فانه صح أن غزوة بنى قريظة كانت فى الخامسة ، ومعلوم أنها كانت عقب الخندق أى وفيه انه يجوز أن تكون بنوا قريظة أوائل الخامسة والخندق أواخر الرابعة ، فتكون فى ذى الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة أربع بما صح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشر سنة ، فأجازه فيكون بينهما سنة واحـدة ، أى وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع . قال الحافظ بن حجر ولاحجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضى الله عنهما فى أحد كان أوّل ماطعن فى الرابعة عشر وكان فى الأحزاب قد استكمل الخمسة عشر . وسبقه الى ذلك البيهقى وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لاسنة واحدة . ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ماتقدم ان بنت بشير بن سعد جاءت لأبيها وخالها . أى عبدالله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغذيا بها ، فقال لها رسول الله ﷺ هاتيه فصبته فى كفى رسول الله ﷺ فما ملأهما . ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لأنسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه . وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب . أى فان أهل الخندق أصابهم مجاعة . قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لانذوق زادا وربط ﷺ الحجر على بطنه من الجوع * أقول أورد ابن حبان فى صحيحه لما أورد الحديث الذى فيه نهيه ﷺ عن الوصال وقولوا له مالك تواصل يارسول الله قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى . قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ماورد انه ﷺ كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لأنه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه . قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاى وهو طرف الازار صحفوا وزادوا لفظ من الجوع * وأجيب بانه لامنافاة كان ﷺ يطعم ويسقى اذا واصل فى الصوم أى يصير كالطاعم والساقى تكرمة له ولايحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع فى بعض الأحايين على وجه الابتلاء الذى يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم ، وان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما علم مابه ﷺ من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحـده . فلما قلت له أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا

مع رسول الله ﷺ الى بيت جابر بن عبد الله . قال جابر فقلت (انا لله وانا اليه راجعون) فأقبل الناس معه ، أي بعضهم فجلس ﷺ فأخرجناها اليه فبرك ، ثم سمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا ، أي وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو قال وفي رواية ان جابرا رضى الله عنه لما رأى مابه ﷺ من الجوع استأذن رسول الله ﷺ في الانصراف الى بيته فاذن له . قال جابر جئت لامرأتي وقلت لها اني رأيت رسول الله ﷺ خمصا شديدا ، أعندك شيء ؟ قالت عندي صاع من شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم في برمة ، فلما أمسينا جئت الى رسول الله ﷺ فساررته وقلت له طعيم لي ، فقم أنت يارسول الله ورجل أورجلان ، فشبك ﷺ أصابعه في أصابعي ، وقال كم هو ، فذكرت له قال كثير طيب لاتنزلن برمتكم ولاتخبزن عجينكم حتى أجيء ، وصاح رسول الله ﷺ يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سؤرا ، أي ضيافة فحيهلا بكم ، أي سيروا مسرعين وسار رسول الله ﷺ يقدم الناس . قال جابر رضى الله عنه ، فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله ووالله انها لفضيحة فقال رسول الله ﷺ ادخلوا عشرة عشرة ، أي بعد أن أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ، ثم عمد ﷺ الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث . أي ومجيء القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاسهلية أرسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله ﷺ وهو في القبة عنده أم سلمة رضى الله عنها فأكلت أم سلمة حاجتها ، ثم خرج بالقصعة ونادى منادي رسول الله ﷺ هلموا إلى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهي كما هي . وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لأربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيف وحدا ، فأكلوا منه كلهم وشبعوا ، قال وقدمت مرة الطاجن الذي نعمله في القرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمدا الشناوي رحمه الله ونفعنا ببركاته ، وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروي فسمع مجاوروا الجامع الأزهر بمجيئه فأتوا لزيارته فامتلأت الزاوية ، وفرشوا الحصر في الرواق . ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم ، الطبيخ الذي أفعله لي ولزوجتي ، فقال له لاتعرف شيئا حتى أحضر ، ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من في الزاوية ومن في الرواق وهذا شيء رأيته بعيني هذا كلامه ، ولابدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن الولي انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به وهذا كلامه . قال وأرسل أبوسفيان كتابا لرسول الله ﷺ فيه باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى أي وأساف ونائلة وهبل كما في لفظ لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود اليك أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق : أي وفي لفظ واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وماصنعت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد ، فأرسل له ﷺ جوابه فيه أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب ، كذا في كلام سبط ابن الجوزي فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لاتريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر [illegible]

و بينه و يجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بني غالب انتهى

غزوة بني قريظة

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وسيد الأوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وكان وقت الظهيرة ، أي وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها ، وقيل زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ودعا بماء فبينما هو ﷺ يغتسل أي غسل شق رأسه الشريف ، وفي رواية بينا رسول الله ﷺ في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه . أي وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ معتجرا بعمامة أي سوداء من استبرق ، وهو نوع من الديباج مرخيا منها بين كتفيه ، وفي رواية عليه لامته ولامعارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أي شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أي أحمر ، وفي رواية جاءه على فرس أبلق ، فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله ، قال نعم ، قال جبريل عليه السلام ماوضعت السلاح ، وفي رواية ماوضعت ملائكة الله السلاح بعد . قال وفي رواية انه قال يارسول ماأسرع ماحللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك ، أي من يعذرك . وفي لفظ غفر الله لك أو قد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال فوالله ماوضعناه . وفي لفظ ماوضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو ومارجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الأحزاب حتى بلغنا الأسد انتهى . أي حمراء الأسد ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم ، زاد في رواية بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون ، زاد في رواية ، فقال رسول الله ﷺ ان في أصحابي جهدا فلو نظرتهم أياما ، فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ، ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم ، وهم طائفة من الأنصار . وفي البخاري عن أنس ، قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار لبني قريظة والموكب بكسر الكاف اسم لنوع من السير . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ، لما رجع النبي ﷺ يوم الخندق بينا هو عندي اذ دق الباب ، أي وفي رواية نادى مناد أي في موضع الجنائز عذيرك من محارب [] أي من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله ﷺ أي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت في أثره ، فاذا رجل على دابة والنبي ﷺ متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت ، فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه . قال ورأيته قلت نعم ، قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبي ، قال ذاك بكسر الكاف جبريل عليه السلام أمرني أن أمضي الى بني قريظة ، أي وهذا يؤيد أنه ﷺ كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة وأبرز رسول الله ﷺ مؤذنا أي وهو بلال كما في سيرة الحافظ الدمياطي فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر ، أي وفي روايه الظهر الا ببني قريظة . قال في النور والجمع بينهما ان الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى العصر دون بعض فقيل للذين

لم يصلوا الظهر لاتصلوا الظهر الا فى بنى قريظة . وقيل للذين صلوها لاتصلوا العصر الافى بنى قريظة . وفى رواية بعث رسول الله ﷺ يومئذ مناديا ياخيل الله ، أى يافرسان خيل الله اركبى . ثم سار اليهم قال ، وقد لبس ﷺ السلاح الدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم ، وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له ﷺ منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه . وقدم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه برايته الى بنى قريظة . أى وفى رواية دفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ، ومر ﷺ بنفر من بنى النجار قد لبسوا السلاح . فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم ، دحية الكلبى مر على بغلة بيضاء . أى وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح ، وقال لنا رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا . فقال رسول الله ﷺ ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم . فلما دنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه من الحصن ، أى ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه ﷺ أى وحق أزواجه ، أى فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا و بينكم ، فلما رأى على كرم الله وجهه رسول الله ﷺ مقبلا أمر أباقتادة الأنصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه ﷺ فقال يارسول الله لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الاخابث . قال لعلك سمعت منهم لى أذى ، قال نعم يارسول الله ، قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم ، قال ياأخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته . قال وفى رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم ، وقال أجيبوا ياأخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، أى وهو ماعبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى ، فجعلوا يحلفون و يقولون ماقلنا اه ويقولون يا أباالقاسم ما كنت جهولا ، أى وفى لفظ ما كنت فاحشا . وفى رواية تقدمه ﷺ الى يهود أسيد بن حضير رضى الله عنه ، فقال لهم يا أعداء الله لاتبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر ، فقالوا ياابن الحضير نحن مواليك وخاروا أى خافوا ، قال لاعهد بينى و بينكم ، وتقدم أسيد الى بنى قريظة يجوز أن يكون قبل مقدمه عليهم ، ويجوز أن يكون بعده ، وانما قال لهم ياأخوان القردة والخنازير لأن اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ، وقد حرم عليهم ذلك كسائر الأعمال . وقد أمرهم أن يتفرغوا لعبادة ربهم فى ذلك اليوم ، وكان ذلك فى زمن داود عليه السلام . فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمشوا ثلاثة أيام لايأكلون ولا يشربون ، ثم ماتوا ، وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لايعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد ولاتناسل ، وفى الكشاف ، قيل ان تلك القرية أيلة ، وهى قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا فى السبت . قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ، ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible] عيسى [illegible] من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لا تعذبه [illegible]

خنازير وكانوا خمسة آلاف [illegible]

لايأكلون ولايشربون فماتوا . ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه بدّ عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله ﷺ لايصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة . أي و بعضهم قال نصلي مايريد رسول الله ﷺ منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها ، وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها في أماكنهم ، ثم ساروا [] فما عابهم الله في كتابه ولاعنفهم رسول الله ﷺ أي لأن كلا من الفريقين تأول . قال في الهدى كل من الفريقين ماجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر وهو دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب وادّعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهورُ دوابهم . قال لأنهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولايظن ذلك مع تقرب أفهامهم . قال الحافظ بن حجر رحمه الله ، وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم أراهم صلوا ركبانا في شئ من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضي انهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لاواقفة وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظه خمسا وعشرين ليلة . وقيل خمسة عشر يوما ، أي وقيل شهرا ، وكان طعام الصحابة التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه أي يجاء به من عنده . وقال رسول الله ﷺ يومئذ نعم الطعام التمر [] حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظه حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه ، أي كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، أي يقاتلهم . قال كبيرهم كعب ابن أسيد يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ماترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا أيها شئتم ، قالوا وماهي ، قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل ، وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم . قال وزاد في لفظ آخر ومامنعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الامن هذا الجالس ، يعني حيي بن أخطب أتذكرون ماقال لكم ابن خراش حين قدم عليكم ? انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الأول والآخر اه أي التوراة والقرآن . اي كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وأن مهاجره المدينه . وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال كانت يهود بني قريظة و بني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك ، قالوا لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره . قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا ، أي ولدا يخشى عليه ان نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خيرالعيش بعدهم . قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة ، أي غفلة ، فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الامن قد علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ . قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما حالفتموه ، أي عاهدتموه عليه ما لم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية

وأعطوا الجزية فوالله ما أدرى يقبلها أم لا ، قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه ، القتل خير من ذلك . قال فأنى برىء منكم ، وخرج فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد ابن مسلمة ، فقال محمد ابن مسلمة من هذا ؟ قال عمرو بن سعدى ، فقال مر ، اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله ، و بعد ذلك لم يدر أين هو ؟ وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله ﷺ خبره ، فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه ، وفى لفظ أنه قال لهم قبل أن يقدم النبى ﷺ لحصارهم يا بنى قريظة لقد رأيت عبرا ، رأيت دار اخواننا يعنى بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل ، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببنى قينقاع ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى ، وقد بشرنا به علماؤنا . ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء ، ثم أقبل على كعب بن أسيد ، وقال والتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف فى الدنيا ، فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة النبى ﷺ قد حلت بساحتهم ، فقال هذا الذى قلت لكم ، أى و بعد الحصار قيل أرسلوا بنباش بن قيس الى رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة ، فأبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم و يسلم لهم نساءهم والذرية ، فأرسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشىء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها ، فأبى رسول الله ﷺ الا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فعاد نباش اليهم بذلك اه . ثم انهم بعثوا الى رسول الله ﷺ أن ابعث الينا أبا لبابة أى وهو رفاعة ابن المنذر لنستشيره فى أمرنا ، أى لأنه كان من حلفاء الأوس و بنو قريظة منهم وفى لفظ وكان أبو لبابة مناصحا لهم ، لأن ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله ﷺ اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش ، أى أسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم فرق لهم ، وقال يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ، قال نعم ، وأشار بيده الى حلقه ، أى انه الذبح ، أى وفى لفظ ما ترى أن محمدا قد أبى أ [illegible] لا ننزل الا على حكمه ، قال فانزلوا وأومأ الى حلقه ، ويروى انهم قالوا له ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ ، فأومأ أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا . قال أبو لبابة رضى الله عنه فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله ، أى لأنى فى ذلك [illegible] لهم عن الانبياء [illegible] له ﷺ [illegible] الله فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية [illegible] ونزل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب [illegible]) الآية ، [illegible] أنت [illegible] [illegible] نزل فيه تلك الآية فى توبة [illegible] عليه [illegible] فى توبته [illegible] ليست [illegible] لأنا نقول الترجى فى حقه [illegible] محقق ، [illegible] سنت بنو قريظة [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] أسلو [illegible] بين الأوس [illegible] الحصار [illegible] حلقه [illegible] على حكم [illegible]

نعم فأنزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح . قال فندمت واسترجعت ، فقال لى كعب مالك ياأبا لبابة ، فقلت
خنت الله ورسوله ، فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع . ثم انطلق أبولبابة على وجهه ، فلم يأت
رسول الله ﷺ وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده ، أى وهى السارية ويقال لها الاسطوانة
وهى التى كانت عند باب أم سلمة زوج النبى ﷺ فى حر شديد ، وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال
لها اسطوانة التوبة ، والأول أثبت ، وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفله ﷺ عندها ، وكان
ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لابيت له الا المسجد
فيجئ اليهم ﷺ ويتلو عليهم ماأنزل من ليلته ويحدثهم ويحدثونه ، وكان ارتباطه بسلسلة ربوض
أى ثقيلة . وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن
لايطأ بنى قريظة أبدا ولايرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا ، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان
استبطأه . قال أما لو جاءنى لاستغفرت له ، وأما اذ فعل مافعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه
هذا ، وفى كلام البيهقى وأورده فى الدر أن ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك ، فقد ذكر أنه لما
أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه ﷺ بذلك . قال له رسول الله ﷺ أحسبت أن الله غفل عن
يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك ، فلبث حينا ورسول الله ﷺ عاتب عليه . ثم لما غزا رسول
الله ﷺ تبوك كان أبولبابة فيمن تخلف ، فلما قفل رسول الله ﷺ أى رجع جاءه أبولبابة
يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله ﷺ ففزع أبولبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم ، فقال
وأغرب من ادعى أن أبالبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك . ثم ان بنى قريظة نزلوا على حكم رسول
الله ﷺ فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية ، وكانوا ستمائة ، وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذى
تقدم عن حيى بن أخطب ، ولايخالف هذا ماقيل انهم كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة . وقيل كانوا اربعمائة
مقاتل ولايخالف ماقبله لأنه يجوز أن يكون مازاد على ذلك كانوا أتباعا لايعدون ، وأخرج النساء والذرارى
من الحصون وجعلوا ناحية ، أى وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبدالله بن سلام فتواثب الأوس ، وقالوا
يارسول الله موالينا وحلفاؤنا ، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ماقد فعلت يعنون بنى قينقاع ، لأنهم
كانوا حلفاء الخزرج ، ومن الخزرج عبدالله بن أبى ابن سلول . وقد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ
وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبى ابن سلول ، فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أى فظنت الأوس من رسول
الله ﷺ أن يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج ، فلما كلمه الأوس أبى أن يفعل
ببنى قريظة مافعل ببنى قينقاع . ثم قال لهم أما ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ، قالوا
بلى ، فقال فذلك الى سعد بن معاذ ، أى وقيل انه ﷺ قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابى
فاختاروا سعد بن معاذ ، أى وهو رضى الله عنه سيد الأوس حينئذ كما تقدم . وقيل انهم قالوا ننزل على
حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله ﷺ ، أى وكان سعد بن معاذ رضى الله
عنه يومئذ فى المسجد فى خيمة رفيدة رضى الله عنها وقد كان ﷺ قال لقوم سعد بن معاذ حين أصابه
السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ، أى لأن رفيدة رضى الله عنها كان لها
خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه ، فأتاه قومه فحملوه
على حمار . ثم أقبلوا به الى رسول الله ﷺ وهم يقولون له يا أبا عمرو احسن فى مواليك ، فان رسول
الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه وهو

ساكت ، فلما أكثروا عليه ، قال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فقال بعضهم واقوماه . فلما انتهى سعد رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ والى المسلمين ، وهم حوله جلوس * قال رسول الله ﷺ قوموا الى سيدكم . أى زاد فى رواية فانزلوه . فقال عمر رضى الله عنه السيد هو الله . وفى رواية الى خيركم ، أى معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه ، فقالوا ياأبا عمرو إن رسول الله ﷺ قدولاك أمر مواليك لتحكم . وفى رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ احكم فيهم ياسعد ، فقال الله ورسوله أحق بالحكم . قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم ، فقال سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله ﷺ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت . قالوا نعم ، قال وعلى من ههنا مثل ذلك ، وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، أى وفى لفظ . فقال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى ، قالوا نعم . فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وفى لفظ أن يقتل كل من جرت عليه الموسى وتغنم الاموال وتسبى الذرارى والنساء ، زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار . فقالت الانصار إخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم ، فقال انى أحببت أن يستغنوا عنكم . فقال رسول الله ﷺ لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، أى السموات السبع * قيل سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم . وجاء فى الصحيح من فوق سبع سموات ، والمراد أن شأن هذا الحكم العلوّ والرفعة قد طرقنى بذلك الملك سحرا . ثم أمر ﷺ أن يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع ، فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثا كثيرا وآنية كثيرة وأجمالا نواضح : أى يستقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك . أى مع النخل والسبى حتى الرثة ، وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء ففضّ أربعة أسهم على الناس . فجعل للفارس ثلاثة أسهم ، أى سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهما . قال بعضهم وهو أوّل فىء وقعت فيه السهام وريضخ للنساء اللاتى حضرن القتال ، وهنّ صفية عمته ﷺ ، وأم عمارة ، وأم سليط ، وأم العلاء ، والسميراء بنت قيس ، وأم سعد بن معاذ ، وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهنّ ، وأخذ هو ﷺ جزأ وهو الخمس . وعبارة بعضهم وهو أوّل فىء وقعت فيه السهمان وخمس ، أى جزئ خمسة أجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم . وفى كون هذا أوّل فىء جرت فيه السهمان نظر لانه كان ذلك فى بنى قينقاع فان الفىء الحاصل منهم خمس خمسة أخماس ، أخذ ﷺ واحدا ، والأربعة لأصحابه . أى ووجد جرار خمر فهريقت ولم يخمس ، وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله ﷺ أمر بالأسارى أن يكونوا فى دار أسامة بن زيد رضى الله عنهما والنساء والذرية فى دار ابنة الحرث النجارية . أى لان تلك الدار كانت معدة لنزول الوفود من العرب وقيل فى دار كيسة بنت الحرث بن كريز . كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر ابن كريز وهذه الدار نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما تقدم ، وسيأتى أن يحمل وتركت الرواحل هناك ترعى الشجر . ثم غدا ﷺ الى المدينة ثم خرج الى سوقها [illegible] فخندق فيه خنادق . أى حفر

فيها حفائر . ثم أمر بقتل كل من أنبت فبعث اليهم فجاءوا اليه إرسالا تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق . وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ماتراه يصنع بنا . قال في كل موطن لاتعقلون أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم عليّ قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ . أي وذلك ليلا على شعل السعف . ثم ردّ عليهم التراب في تلك الخنادق ، وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا . وكان من جملة من أتى معهم عدوّ الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل . فلما نظر اليه رسول الله ﷺ ، قال ألم يمكن الله منك ياعدوّ الله . قال بلى أبى الله الا تمكينك مني أما والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل * وفي كلام السهيلي رحمه الله أنه ﷺ لما قال له ألم يمكن الله منك . يقال بلى ولقد قلقلنا كل مقلقل ، ولكنه من يخذلك يخذل . فقوله يخذلك كقول الآخر في البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم في البيت كلام حيي . ثم أقبل على الناس ، فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة . أي قتال كتب الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . قال ولما أتى بكعب بن أسد سيد بني قريظة ، قال له النبي ﷺ يا كعب قال نعم يا أبا القاسم ، قال ما انتفعتم بنصح بن خراش لكم ، وكان مصدّقا بي ، أما أمركم باتباعي وان رأيتموني تقرءونى منه السلام . قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود . فأمر رسول الله ﷺ أن يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك . أي وكان المتولي لقتلهم عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، والزبير بن العوام رضي الله عنه * أقول في الامتاع وجاء سعد بن عبادة ، والحباب بن المنذر . فقالا يا رسول الله ان الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم : فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه أحد من الاوس فيه خير ، فمن كرهه فلا أرضاه الله . فقام أسيد بن حضير . فقال يارسول الله لاتبق دارا من دور الأوس الا فرقتهم فيها ففرقهم في دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه . والضمير في قتلوهم ظاهر في رجوعه للأوس وأنهم المراد بالانصار ، وقد يقال لامخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالأوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم ، وأن تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم ، وما عدا ذلك تعاطى قتله عليّ والزبير والله أعلم . ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء ، يقال لها نباتة ، وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوّجها غيره . وقد أسهم ﷺ لخلاد بن سويد هذا ، وقال ان له أجر شهيدين . وأسهم لسنان بن محصن ، وقد مات في زمن الحصار * وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لم يقتل من نسائهم يعني بني قريظة الا امرأة واحدة ، قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا . أي وكانت جارية حلوة ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق أي لانها دخلت على عائشة ، وبنو قريظة يقتلون . اذ هتف هاتف باسمها أين نباته ، قالت أنا والله قالت عائشة . فقلت لها ويلك مالك ، قالت أقتل ، قلت ولم قالت لحدث أحدثته ، أي وفي لفظ قتلني زوجي . فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك ، قالت أمرني أن ألقي رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به ،

وفى لفظ آخر انى كنت زوجة رجل من بنى قريظة ، وكان بينى وبينه كأشد مايتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة ، قلت لزوجي ياحسرتى على أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك ، فقال زوجي انك صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن . قال الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة ماالقى عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت ، قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول والله ماألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل ، وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير ابن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحدة كاسم جده . وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخارى فى التاريخ ، وكان شيخا كبيرا وكان قد منّ على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين الأوس والخزرج قبل قدومه ﷺ المدينة ، وكان الظفر فيها للأوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه فجزّ ناصيته .ثم خلى سبيله ، فجاء ثابت رضى الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى ، قال فهل يجهل مثلى مثلك ، قال انى أردت أن أجزيك بيدك عندى ، قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليك اليوم ، وعبد الرحمن هذا هو الذى تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبى ﷺ بان الذى معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها ، ثم أتى ثابت رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انه كان للزبير علىّ منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ هولك فأتاه ، فقال ان رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك فهولك ، فقال شيخ كبير لاأهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ قال ثابت فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله بابى أنت وأمى امرأته وولده ، فقال هم لك قال فأتيته ، فقلت قد وهب لى رسول الله ﷺ اهلك وولدك فهم لك ، فقال أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك . قال فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ماله . قال هولك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك فهولك ، فقال أى ثابت اما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك مافعل الذى كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى منها عذارى الحى كعب بن أسد ، أى سيد بنى قريظة قلت قتل ، قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى ، أى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن أخطب ، قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى ابن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة ، قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس و فتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة و بنى عمرو بن قريظة قلت قتلا ، [illegible] أسألك ياثابت بيدك عندى الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما عيش بعد هؤلاء من خير [illegible] كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لاحاجة لى فيها [illegible] الذى يفرغ فيه ماء الدلو . وفى رواية فتلة دلو ناضح [illegible] والتاء المثناة فوق [illegible] الموحدة أى مقدار مايتناول المستقى للدلو حتى ألقى الأحبة . قال ثابت [illegible] ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لاقتلك ، فقال لا [illegible] رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه مقالته ألقى الأحبة [illegible] فى الاصل وذكر أبوعبيدة [illegible]

فكان أهله وماله من جملة الفيء ، وكان القتل لكل من أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبي . قال عطية القرظى رضى الله عنه كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى ، أى عن القتل وكان رفاعة قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر ، وكانت احدى خالاته ﷺ أى خالات جده عبد المطلب لأنها من بنى النجار ، فقالت بأبى وأمى يارسول الله هب لى رفاعة فوهبه لها ، أى فأسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضى الله عنه بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم فى الخندق ، وقال لاتمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم . أى وفى بعض الروايات ان دعاءه رضى الله عنه بذلك ، كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنوا قريظة على حكم رسول الله ﷺ على ماتقدم عن بعض الروايات . أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين ، وفى لفظ فدعا الله أن لايميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بنى قريظة له ﷺ ونهى بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه ﷺ الذى سببه حيى بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالأحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الأحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء
و بيوم الأحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الأراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وماساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ الميم فى مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أوهو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء

أى ولما انقضى شأن بنى قريظة . قال رسول الله ﷺ لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم ، فكان كذلك وتقدم انه ﷺ قال ذلك بعد انقضاء الأحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ ، أى الذى فى يده وسال الدم واحتضنه ﷺ فجعلت الدماء تسيل على رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فقال وانكسار ظهراه ... فعاد منه وحمل الى منزله ولم يعلم ﷺ بموته فأتى جبريل النبى ﷺ من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يامحمد من هذا العبد الصالح ، وفى لفظ من هذا الميت التى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى رواية عرش الرحمن . أى فتحت أبواب السماء لصعود روحه ، واهتز العرش ، أى تحرك فرحا بذلك . وقال النووى اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه . وفيه أن هذا لايحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا ، فقام رسول الله ﷺ سريعا يجرثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قدمات ، وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضى الله عنه . قال دخل رسول الله ﷺ ومافى البيت أحد الا سعد امسجى فرأيته يتخطى وأومأ ﷺ الى ان قف فوقفت ورددت من ورائى وجلس ﷺ ساعة . ثم خرج فقلت يارسول الله مارأيت أحدا ورأيتك تتخطى ، فقال ماقدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه * أقول قد وقع له ﷺ نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى رضى الله عنه فانه صار يمشى على أطراف أنامله

فلما دفن ، قيل يارسول الله رأيناك تمشي على أطراف أنا ملك ، قال والذي بعثني بالحق ماقدرت ان أضع قدمي من كثرة مانزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة فى السيرة الشامية . ولما حملوا نعش سعد رضى الله عنه ، وكان جسيما وجدواله خفة ، فقال رسول الله ﷺ ان له حملة غيركم أى من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أى جنازته ، ومنهم جملة ماوطئوا الأرض الا يومهم هذا ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . قال كنت ممن حفر لسعد رضى الله عنه قبره ، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب ، وجاء لوكان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ، ثم فرج الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال لما دفن سعد رضى الله عنه ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا يارسول الله لم سبحت ، أى وكبرت . قل لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه ، وجاء ان بعض أهل سعد رضى الله عنه سئل مابلغكم من قول رسول الله ﷺ أى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشداليه جوابهم بقولهم ، فقالوا ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك ، فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير وهذا قد يخالف مافى الخصائص الصغرى ، وخص رسول الله ﷺ بأنه لايضغط فى قبره ، وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم ، وكذا مافى التذكرة للقرطبى الا فاطمة بنت أسد ببركته ﷺ ، أى حيث اضطجع ﷺ فى قبرها . ويحتاج للجمع بينه و بين مافى الخصائص . وجاء عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله ما انتفعت بشىء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته ، فقال ياعائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الأم الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكوا اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين ولكن ياعائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر . أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ماتقدم عن سعد فليتأمل وقد روى البيهقى رحمه الله انه ﷺ حمل جنازة سعد بن معاذ رضى الله عنه بين العمودين و به استدل أئمتنا على أن ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتده الناس الآن ، ومشى ﷺ أمام جنازته . ثم صلى عليه وجاءت أمه رضى الله عنها ونظرت اليه فى اللحد . وقلت أحتسبك عندالله وعزاها رسول الله وهو واقف على قدميه على القبر ، فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ، ثم وقف ﷺ ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه ، فقال ﷺ كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضى الله عنه ، أى لانه رضى الله عنه موصوف بكل ما قيل فيه من الأوصاف الحسنة بخلاف غيره و بعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله بجبة من سندس كما سيأتى . فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم يعجبون من تلك الجبة . فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن ، يعنى من هذا . ومن المعلوم أن المناديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فغيره رضى الله عنه فى الجنة أعلى وأغلى ، وقد وهب ﷺ تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزلت توبة أبى لبابة رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها . قالت أم سلمة فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك . قالت فقلت مم تضحك يارسول الله أضحك الله سنك ؟ قال تيب على أبى لبابة . قالت قلت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها . تيب

وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لايناسب ماتقدم فى قصة الأفك ، فقالت ياأبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك ، قال فثار الناس اليه ليطلقوه ، فقال لاوالله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده الشريفة . وقيل المبشر له عائشة رضى الله تعالى عنها ، فلما مر ﷺ على أبى لبابة خارجا الى صلاة الصبح أطلقه . وجاء أن فاطمة رضى الله عنها أرادت اطلاقه فأبى ، فقال رسول الله ﷺ فاطمة بضعة منى ، أى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها له فليتأمل . وقد أقام مربوطا ست ليال أى أو سبع ليال . وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع ، وكانت تأتيه امرأته أو بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان . ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه و بصره ، ولا مانع أن امرأته و بنته كانتا تتناوبان فى ذلك . أى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى ﷺ من تمام توبتى أن أهجر دار قوم أصبت فيها الذنب ، وفيه انه تقدم أنه عاهد الله على ذلك ، قال وأن انخلع من مالى فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث أن تتصدق به . أى ولم يأمره ﷺ أن يهجر تلك الدار والجمع بينه و بين ماتقدم من أنه عاهد الله أن لايطأ تلك الدار ممكن . ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا . قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم و يشترى بهم سلاحا وخيلا . أى فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله ﷺ على المسلمين ، واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا ، فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الشواب ، وجعل عثمان رضى الله عنه على كل واحدة منهن شيئا ان أتت به عتقت ، فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا * أقول و يحتاج الى الجمع ، وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد ابن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون قسموا ثلاثة أقسام ، قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم أعطى لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ، ووقع الفداء فى سبايا بنى قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل و بعث سعد بن زيد بسبايا بنى قريظة أى بجملة منهم و بعث سعد بن عبادة بسبايا أى سبايا بنى قريظة ، أى بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة غير سبايا بنى قريظة فالأمر ظاهر ، ويدل لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه . ثم رأيته فى الامتاع أسقط قصة سعد بن زيد الأنصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ، ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله ﷺ طائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله عنه يبيعهم و يشترى سلاحا هذا كلامه والله أعلم ، ونهى رسول الله ﷺ أن يفرق بين الأم وولدها ، أى فى السبايا الاعم من قريظة ، وقال لايفرق بين أم وولدها حتى يبلغ . قيل يارسول الله وما بلوغه ، قال تحيض الجارية و يحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين ، أى مشركى العرب ولا من يهود وانما يباع من المسلمين ، أى وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة [] قال فى الامتاع وكان يفرق بين الأختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لايفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الأصول والفروع اذا لم يميزوا وهو محمل قوله ﷺ من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه و بين أحبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعى رضى الله عنه ، وأصحابى

ﷺ لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله ﷺ من بنى النضير وكانت متزوّجة فى بنى قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بنى قريظة . أى وكانت جميلة وأسلمت بعد أن أبت الاسلام ووجد ﷺ فى نفسه ، أى غضب بسبب ذلك ، أى بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ، ثم لما أسلمت سرّ رسول الله ﷺ بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها ﷺ ووجد فى نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بنى قريظة فى الليلة التى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ ، أى على مافى بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه واحرزوا دماءهم وأموالهم وليسوا من بنى قريظة وانما هم من بنى هذيل فذكر له ﷺ ذلك فقال سعد فداك أبى وأمى هى مسلمة ، أى ظنا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولازال يقول لها أسلمى يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه فأجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو ﷺ فى مجلس من أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال ان هاتين لنعلا مبشرى باسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره انها أسلمت فسر ﷺ بذلك واستمرت عند رسول الله ﷺ وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق والنكاح ، أى فقد خيرها ﷺ بين أن يعتقها ويتزوّجها أوتكون فى ملكه يطؤها بالملك فاختارت أن تكون فى ملكه . قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم أنه أعتقها وتزوّجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشأ وأعرس بها فى المحرّم سنة ست بعد ان حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده ﷺ حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع ووجوب استبرائها بحيضة يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره وطأ غير محرم لايحل له تزوّجها قبل استبرائها ان أعتقها وتقدّم أن قريظة والنضير اخوان من أولاد هرون على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام

غزوة بنى لحيان

بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل * لايخفى ان بعد مضىّ ستة أشهر من غزوة بنى قريظة غزا رسول الله ﷺ بنى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع . أى وهم خبيب وأصحابه رضى الله عنهم الذين قتلوا ببئر معونة كما سيأتى ذكر ذلك فى السرايا . اى لأنه ﷺ وجد أى حزن وجدا شديدا على أصحابه المقتولين بالرجيع وأراد أن ينتقم من هذيل فأمر أصحابه بالتهيؤ وأظهر أنه يريد الشام أى ليدرك من القوم غرة أى غفلة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ، وخرج فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا ، ولما وصل ﷺ الى المحل الذى قتل فيه أهل الرجيع ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة ، فسمعت به بنو لحيان فهربوا الى رءوس الجبال [ ] أى وأرسل السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا أحدا [ ] أى وأقام على ذلك يومين ، فلما رأى ﷺ انه فاته ماأراده من غرتهم . قال لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، وهذا يدل على أن أصحابه كانوا أكثر من مائتين وهو يخالف ماتقدم انه خرج فى مائتى رجل الا أن يقال زادوا على المائتين [illegible] من أصحابه حتى [illegible] الغميم ثم كر راجعا . [illegible]

لامنافاة بين اللفظين ، ثم توجه رسول الله ﷺ الى المدينة . قال جابر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه ، أى توجه الى المدينة آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون ، أى وفى رواية لربنا عابدون أعوذ بالله من وعثاء السفر أى مشقة السفر وكآبة أى حزن المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال ، قل وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانك ، قيل ولم يسمع هذا الدعاء منه ﷺ قبل ذلك ، وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة اه وذكر بعضهم انه ﷺ لما رجع من بنى لحيان وقف على الابواء فنظر يمينا وشمالا فرأى قبر أمه آمنة فتوضأ ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف الى الناس وقال لهم ﷺ ما الذى أبكاكم . قالوا بكيت فبكينا يارسول الله قال ماظننتم قالوا ظننا أن العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شىء قالوا ظننا ان أمتك كلفت من الأعمال مالا تطيق قال لم يكن من ذلك شىء ولكنى مررت بقبر أمى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى عز وجل أن أستغفر لها فزجرت زجرا ، أى منعت عن ذلك منعا شديدا فأبكانى ، وفى لفظ فعلى بكائى هذا أى فعلى هـذا بكائى والذى فى الوفاء انه ﷺ وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فأبصر قبر أمه فورد الماء فتوضأ ثم صلى ركعتين قال بريدة فلم يفجأنا الا ببكائه فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم انصرف فقال ماالذى أبكاكم الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فأنزل الله تعالى (ما كان للنبى) ﷺ (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم) الى آخر الآيتين فلماسرى عنه الوحى قال أشهدكم انى برىء من آمنة كما تبرأ ابراهيم من أبيه . أى وهذا السياق يدل على أن هاتين الآيتين غير مازجر به عن الاستغفار لها المتقدم فى قوله فزجرت زجرا فليتأمل . وفى مسلم عن أبى أيوب رضى الله عنه قال زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزورها . أى بعد ذلك فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت ، وسيأتى عن عائشة رضى الله عنها ان فى حجة الوداع مر ﷺ على عقبة الحجون فنزل وقال لها وقفت على قبر أمى ، وسيأتى أن ذلك يدل على أن قبر أمه بمكة لا بالابواء ، وتقدم الجمع بين كونه بالابواء وكونه بمكة وسيأتى بالحديبية انه ﷺ زار قبرها وفى فتح مكة أيضا وسيأتى الكلام على ذلك وان ذلك كان قبل إحيائها له وايمانها به ﷺ

غزوة ذى قرد

بفتح القاف والراء وقيل بضمهما ، أى وقيل بضم الأول وفتح الثانى اسم ماء والقرد فى الأصل الصوف الردىء ويقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف * لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة بنى لحيان لم يقم بها الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة أى وكانت اللقاح عشرين لقحة وهى ذات اللبن القريبة من الولادة أى لها ثلاثة أشهر ، ثم هى لبون وفيها رجل من بنى غفار هو ولد أبى ذر الغفارى وزوجة لأبى ذر فقوله وامرأة له ، أى لأبى ذر رضى الله عنه لا لولده كما يعلم مما يأتى وكان راعيها يؤوب . أى يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب الى المدينة ، أى فان المسافة بينها وبين المدينة يوم أو نحو يوم فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح وعند ابن سعد كان فيها أبو ذر وولده أى وزوجة أبى ذر فقتلوا ولده أى

واحتملوا المرأة . قال جاء ان أباذر الغفارى رضى الله عنه استأذن رسول الله ﷺ أن يكون فى اللقاح فقال له ﷺ لاتأمن عيينة بن حصن وذويه أن يغيروا عليك فألح عليه فقال له رسول الله ﷺ لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك فكان أبو ذر رضى الله عنه يقول عجبا لى ورسول الله ﷺ يقول لكأنى بك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال رسول الله ﷺ فانى والله لفى منزلنا ولقاح رسول الله ﷺ قد روّحت وحلبت عتمتها ونمنا ، فلما كان الليل أحدق بنا عيينة بن حصن فى أربعين فارسا فصاحوا بنا وهم قيام على رءوسنا فأشرف لهم ابنى فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عنى اطلاق عقل اللقاح ، ثم صاحوا فى أدبارها فكان آخر العهد بها ولما قدمت المدينة على رسول الله ﷺ وأخبرته تبسم اه أى وروى بدل عيينة بن حصن ابنه عبدالرحمن بن عيينة بن حصن . قال بعضهم ولامنافاة لأن كلا من عيينة بن حصن وعبدالرحمن بن عيينة كانا فى القوم وكان أوّل من علم بهم سلمة بن الأكوع رضى الله عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيدالله معه فرس له أى لطلحة يقوده فلقى غلاما لعبد الرحمن بن عوف فأخبره أن عيينة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله ﷺ فى أربعين فارسا من غطفان . قال سلمة ، فقلت يارباح أقعد على هذا الفرس وأخبر رسول الله ﷺ ان قد أغير على سرحه ، أى وهذا السياق يدل على أن رباحا غلامه ﷺ كان مع سلمة أسقط الراوى ذكره ولم يقل ومعه رباح غلامه ﷺ ، ويحتمل أن رباحا هذا هو غلام عبد الرحمن الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولامنافاة بين كون رباح غلامه ﷺ وغلام عبدالرحمن لجواز أن يكون كان لعبد الرحمن ثم وهبه للنبى ﷺ فهو غلام عبدالرحمن بحسب ما كان . ثم رأيت مايؤيد الأوّل وهو مافى بعض الروايات عن سلمة قال خرجت أنا ورباح عبدالنبى ﷺ قبل أن يؤذن بالأولى يعنى لصلاة الصبح نحو الغابة وأنا راكب على فرس أبى طلحة الأنصارى فلقينى عبد لعبدالرحمن بن عوف قال أخذت لقاح رسول الله ﷺ ، قلت من أخذها ؟ قال غطفان وفزارة وقد طوى فى هذه الرواية ذكر غلام طلحة ، ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر أنه لم يقف على اسم غلام عبدالرحمن بن عوف هذا أى الذى أخبر سلمة بأمر اللقاح . قال ويحتمل أن يكون هو رباح غلام رسول الله ﷺ وكان ملك أحدهما وكان يخدم الآخر فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا كلامه ، ولايخفى بعده للتصريح بأن رباحا غيرغلام عبدالرحمن وأن رباحا كان مع سلمة وأن غلام عبدالرحمن هو الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ، ولامنافاة بين كون الفرس لطلحة ولابين كونه لأبى طلحة ولابين كون عبد طلحة كان قائدا لها وبين كون سلمة راكبا لها لأنه يجوز أن يكون ركبها أثناء الطريق فليتأمل [] وفى تسمية غلامه ﷺ رباحا مع نهيه ﷺ أن اشخص يسمى رقيقه بأحد أربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع . وزاد فى رواية خامسة وهو نجيح فهو لا عين ﷺ اسمه ان كانت وقعت التسمية من غيره ﷺ ويقال لم يغير ﷺ ذلك الاسم اشارة الى أن النهى للتنزيه . ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ بأعلى صوته واصباحاه . أى قال ذلك ثلاث مرات . أى وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثا ، ولامانع أن يكون جمع بين ذلك . وفى [illegible] [illegible] فى [illegible] ولامخالفة كما لايخفى [illegible] وجهه من [illegible]

مابين لابتيها ، أى لسعة صوته أو أن ذلك وقع خرقا للعادة وياصباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه ، لانهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح . ثم خرج يشتد فى أثر القوم كالسبع وقد كان يسبق الفرس جريا حتى لحق بهم ، فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . أى يوم هلاك اللئام فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وهكذا يفعل قال كنت ألحق الرجل منهم فأرميه بسهم فى رجله فيعقره ، فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها . ثم أرميه فأعقره فيولى عنى فاذا دخلت الخيل فى بعض مضايق الجبل علوت الجبل ورميتهم بالحجارة : قال ولم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيئا من ذلك الاجعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله ﷺ أى ومازلت كذلك أتبعهم حتى ماخلق الله تعالى من بعير من ظهر رسول الله ﷺ الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه . ولما بلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع ياخيل الله اركبى . قيل وكان أول مانودى بها وفيه كما فى الاصل انه نودى بها فى بنى قريظة كما تقدم . وأول من انتهى الى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو و يقال له ابن الاسود ، وتقدم أنه قيل له ذلك لأنه كان فى حجر لأسود بن عبد يغوث وتبناه فنسب اليه . ثم عباد بن بشر وسعيد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وأمر عليهم سعيد بن زيد . وقيل المقداد وجزم به الدمياطى رحمه الله أى و يدل له قول حسان رضى الله عنه فى وصف هذه الغزوة * غداة فوارس المقداد * ، لكن فى السيرة الشامية أن سعيد بن زيد رضى الله عنه غضب على حسان وحلف لايكلمه أبدا . وقال انطلق الى خيلى فجعلها للمقداد وأن حسان رضى الله عنه اعتذر الى سعد بأن الروى وافق فى اسم المقداد وذكر أبياتا يرضى بها سعيد بن زيد فلم يقبل منه سعيد ذلك وهذا يدل للاول وعقد ﷺ لذلك الأمير لواء فى رمحه . ثم قال له اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس ، فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ أمت أمت ، وأول فارس لحق بهم محرز بن نضلة ، ويقال له الأخرم الاسدى ووقف لهم بين أيديهم ، وقال لهم يامعشر بنى اللكيعة ، أى اللئيمة قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، فحمل عليه شخص من المشركين فقتله ، وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه انه قال ثم ان القوم جلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن جبل ، فقال لهم رجل أتاهم من هذا قالوا لقينا من هذا البرح حتى انتزع كل شىء فى أيدينا . قال فليقم اليه منكم أربعة فتوجهوا الى فهددتهم ، أى فقد جاء عنه رضى الله عنه أنه قال لهم هل تعرفوننى قالوا لا ومن أنت ؟ قلت أنا سلمة بن الأكوع والذى كرّم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلا منكم الا أدركته ولا يطلبنى فيدركنى . قال بعضهم انا نظن ذلك فرجعوا ، قال فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يؤمهم الأخرم الاسدى . فلما رأيت الأخرم الاسدى وأوّل الفرسان نزلت من الجبل وأخذت بعنان فرسه ، وقلت له احذر القوم لايقتطفوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال ياسلمه ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق وأن النار حق ، فلا تحل بينى و بين الشهادة فخليت عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه فلحق عبد الرحمن أبو قتادة رضى الله عنه فعقر عبد الرحمن فرس أبى قتادة فقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة رضى الله عنه الى الفرس * أقول ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بفتح الحاء

المهملة

المهملة وكسر الموحدة ابن عيينة فانى لم أقف على ذكر عبدالرحمن هذا فيمن قتل من المشركين فى هذه الغزوة ، وان أباقتادة رضى الله عنه قتل حبيبا وغشاه ببرده كما سيأتى الا أن يقال جاز أن يكون له اسمان عبدالرحمن وحبيب ، ثم رأيت الحافظ ابن حجر أشار الى ذلك ، وقيل قاتل محرز مسعدة الفزارى ، وبه جزم الحافظ الدمياطى ، وذكر أن قاتل حبيب المقداد بن عمرو ، فقال وقتل أبوقتادة مسعدة فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله أعلم ، ولم يقتل من المسلمين الا محرز بن نضلة الذى هو الأخرم الاسدى ، وكان رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت ومابعدها حتى انتهى الى السماء السابعة ، ثم انتهى الى سدرة المنتهى فقيل له هذا منزلك فعرضها على أبى بكر رضى الله عنه ، وكان من أعلم الناس بالتعبير كما تقدم ، فقال له أبشر بالشهادة ، وأقبل رسول الله ﷺ فى المسلمين وقد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ، أى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى ، أى مغطى ببرد أبى قتادة فاسترجع المسلمون ، أى قالوا (إنا لله وإنا اليه راجعون) وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل لأبى قتادة وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه أى القاتل له ، قال وفى رواية أنه ﷺ قال والذى أكرمنى بما أكرمنى به أن أبا قتادة على آثار القوم يرتجز ، فخرج عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حتى كشف البرد عن وجهه المسجى فاذا وجه حبيب ، فقال الله أكبر صدق الله ورسوله يارسول الله غير أبى قتادة ، وفى لفظ فخرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كشفا البرد الحديث ، وقيل الذى قتله أبو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قاتل محرز رضى الله عنه لاحبيب على ماتقدم ، ففى رواية أن أباقتادة رضى الله عنه اشترى فرسا فلقيه مسعدة الفزارى فتفاوض معه ، فقال له أبوقتادة أما انى أسأل الله أن ألقاك وأنا عليها قال آمين ، فلما أخذت اللقاح ركب تلك الفرس وسار فلقى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ امض ياأباقتادة صحبك الله ، قال فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه وأنا أظن أنى نزعت الحديدة فطلع على فارس وقال لقد ألقانيك الله ياأبا قتادة وكشف عن وجهه فاذا هو مسعدة الفزارى . فقال أيما أحب اليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة ، فقلت ذاك اليك ، فقال صراع ، فنزل وعلق بسيفه فى شجرة ونزلت وعلقت سيفى فى شجرة وتواثبنا فرزقنى الله الظفر عليه ، فاذا أنا على صدره واذا شئ مس رأسى فاذا سيف مسعدة قد وصلت اليه فى المعالجة فضربت بيدى الى سيفه وجردت السيف ، فلما رأى أن السيف وقع بيدى فقال ياأبا قتادة استحينى ، قلت لا والله ، قال فمن للصبية قلت النار ، ثم قتلته وأدرجته فى بردى ، ثم أخذت ثيابه فلبستها ، ثم استويت على فرسه فان فرسى نفرت حيث تعالجنا وذهبت للقوم فعرقبوها ، ثم ذهبت خلف القوم فهجمت على ابن أخيه فدققت صلبه وانكشف من معه عن اللقاح فحبست اللقاح برمحى وجئت أحرسها ، فقال رسول الله ﷺ أفلح وجهك ياأبا قتادة أى فقلت ووجهك يارسول الله ، قال رسول الله ﷺ أبوقتادة سيد الفرسان بارك الله فيك ياأباقتادة وفى ولدك وولد ولدك ، وفى لفظ وفى ولد ولدك اهـ ، أى وقال له ﷺ ماهذا الذى بوجهك قلت سهم أصابنى ، فقال ادن منى فنزع السهم نزعا رفيقا ، ثم بزق فيه ووضع راحته عليه ، فوالذى أكرمه بالنبوة ماضرب على ساعة قط ولاقرح على * وفى رواية ولاقيح ، وفى لفظ قال لى قتلت مسعدة قلت نعم ، ثم

قال ﷺ يدعو لأبى قتادة اللهم بارك له فى شعره و بشره فمات أبو قتادة رضى الله عنه وهو ابن سبعين سنة وكأنه بن خمس عشرة سنة ، أى وأعطاه ﷺ فرس مسعدة وسلاحه أى كما تقدم ، وقال بارك الله لك فيه ، وهذا السياق يدل على أن أباقتادة رضى الله عنه انفرد عن الصحابة وتقدمهم وتخلف مسعدة عن قومه مدة مصارعة أبى قتادة له وقتله له ولا مانع من ذلك ، وقيل استنقذوا نصف اللقاح ، أى عشرة وفيها جمل أبى جهل الذى غنمه ﷺ يوم بدر وأفلت القوم بالعشرة الأخرى أى ولا ينافيه ماتقدم من قول أبى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت أحرسها لأن المراد جملة من اللقاح لكنه مخالف لما تقدم عن سلمة رضى الله عنه من قوله مازلت أرشقهم يعنى القوم حتى ماخلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ الاخلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه فليتأمل ، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذى قرد بناحية خيبر وتلاحق به الناس ، أى وقال له سلمة ابن الأكوع يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت مابقى فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم أى وقد يقال لايخالف هذا ماتقدم من قوله حتى ماخلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ الاخلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه لجواز أن يكون صدر عنه ماتقدم لظنه أن ذلك هو جميع اللقاح التى أخذت ، ثم تحقق أن الذى استنقذه هو وأبو قتادة جملة منها ، وما فى البخارى من قوله واستنقذوا اللقاح كلها يجوز أن يكون قائل ذلك ظن أن الذى استنقذ من أيدى القوم هو جميع ما أخذوه من اللقاح كما أن سلمة رضى الله عنه اعتقد أن جميع اللقاح التى أخذت هى التى جعلها خلف ظهره كما تقدم فكل من سلمة وأبى قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من أيدى القوم * وفى رواية عن سلمة قال قلت يارسول الله ابعث معى فوارس لندرك القوم ، فقال لى رسول الله ﷺ بعد أن ضحك ﷺ ملكت فاسجح أى فارفق ؛ والمعنى قدرت فاعف ، وانما كانوا عطاشا لان سلمة رضى الله عنه ذكر أنه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى أن عدلوا الى شعب فيه ماء يقال له ذوقرد فنحاهم أى طردهم عنه ومنعهم الشرب منه وتركوا فرسين ؛ وجاء بهما سلمة رضى الله عنه يسوقهما الى رسول الله ﷺ ، ولعل هذا كان من سلمة رضى الله عنه بعد أن رجعت الصحابة عنهم واستمر يتبعهم ، وقال له ﷺ شخص يارسول الله القوم الآن يغبقون بأرض غطفان ، أى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق ، فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل ﷺ بالمحل المذكور لم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ومكث يوما وليلة ، أى وعن سلمة رضى الله عنه وأتانى عمى عامر ابن الأكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن فتوضأت وشربت ، ثم أتيت رسول الله ﷺ على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو ﷺ قد أخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر لهم بلال رضى الله عنه ناقة ، ولامخالفة لانه يجوز أن يكون ﷺ ذهب الى الماء بعد أن كان مكثه بالجبل المذكور وصلى ﷺ بالناس صلاة الخوف ، أى لخوف أن العدو يجئ اليهم ولعل هذه هى صلاة بطن نخل وهى على مارواه الشيخان انه جعل القوم فرقتين وصلاهما مرتين كل مرة بفرقة والأخرى تحرس أى تكون فى وجه العدو ، أى فى المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة والا فالعدو لم يكن يأتى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن * أقول لكن رأيت فى الامتاع وصلى رسول الله

ﷺ يومئذ صلاة الخوف فقام الى القبلة وصف طائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو وصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجد سجدتين ، ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين وسلم ، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ، ولا يخفى أن هذه الكيفية هي صلاة عسفان والله أعلم . ولما أصبح ﷺ قال خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة رضي الله عنهما ، وعند خروجه ﷺ وتلاحق بعض الفرسان به ، قال لأبي عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك للحق بالناس ، قال أبو عياش فقلت يارسول الله انى أفرس الناس ، قال أبو عياش فوالله ماجرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت لذلك ، وقسم ﷺ فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة ، وقيل سبعمائة و بعث سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر و بعشر جزائر فوافت رسول الله ﷺ بذى قرد ، أى وقال ﷺ اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة ، فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون فى المحل ، ويحملون الكل ، ويحماون عن العشيرة ، فقال رسول الله ﷺ خيار الناس فى الاسلام خيارهم فى الجاهلية اذا فقهوا فى الدين ، وأقبلت امرأة أبى ذر رضي الله عنهما على ناقة من إبل رسول الله ﷺ أى من جملة اللقاح وهى القصوى أفلتت من القوم فطلبوها فأعجزتهم ، وفى لفظ وانفلتت المرأة من الوثاق ليلا فأتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت على عجزها ثم زجرتها وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ، ونذرت ان نجاها الله عز وجل لتنحرنها ، فلما أخبرت النبى ﷺ الخبر قالت يارسول الله قد نذرت أن أنحرها ان نجانى الله عليها أى وآكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله ﷺ وقال بئسما جزيتها أن حملك ، أى لأجل أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ، لانذر فى معصية الله ولا فيما لاتملكين ، وفى لفظ لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم ، انما هى ناقة من إبلى ارجعى الى أهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة ، أى وهذا السياق يدل على أن المرأة قدمت عليه ﷺ بتلك الناقة قبل قدومه المدينة ، وفى السيرة الهشامية أنها قدمت عليه ﷺ المدينة فأخبرته الخبر ، ثم قالت يارسول الله انى نذرت لله الحديث ، وهو يخالف ما يأتى من قوله : ورجع رسول الله ﷺ وهو على ناقته العضباء ، أى ولعل ما فى الأوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن ناقة رسول الله ﷺ سرقت ، فقال لئن ردها الله على لأشكرن ربى ، وقد وقعت فى حى من احياء العرب فيهم امرأة مسلمة ، فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها فصبحت المدينة الى آخره لاينافى ماهنا لجواز تعدد الواقعة ، ورجع رسول الله ﷺ وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه ، وقد غاب عنها خمس ليال ، وأعطى ﷺ سلمة بن الأكوع سهم الراجل والفارس جميعا ، أى مع كونه كان راجلا . وهذا استدل به من يقول ان للامام ان يفاضل فى الغنيمة وهو مذهب أبى حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد وعند مالك والشافعى رضي الله عنهما لايجوز ، ولعله لعدم صحة ذلك عندهما وتقدم فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل وهو الموافق لقول بعضهم أجمع أهل السير على أن غزوة ذى قرد قبل الحديبية . وقول أبى العباس شيخ القرطبى صاحب التذكرة والتفسير لا اختلاف بين أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية ، وأشار البخارى الى أنها بعد الحديبية فذكرها بعد الحديبية وقبل خيبر

بثلاثة أيام وفى مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فرجعنا ، أى من غزوة ذى قرد الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاث ليال حتى خرجنا الى خيبر ، ويؤيده قول الحافظ شمس الدين بن امام الجوزية قد وهم جماعة من أصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية ، قال الحافظ ابن حجر ما فى البخارى أصح مما ذكره أهل السير ، قال ويحتمل فى طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح ، أى فى الغابة وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر ، أى ويلزم أن يكون فى كل كان خروجه ﷺ وأن أوّل من علم بأخذ اللقاح سلمة بن الأكوع ووقع له ﷺ ولأصحابه ماتقدم هذا حقيقة التكرار والا فهل الذى خرج فيها رسول الله ﷺ ووقع فيها لسلمة وغيره من الصحابة ماوقع كانت أولا أوثانيا فليتأمل ، ثم رأيت عن الحاكم رحمه الله تعالى أنه ذكر فى الاكليل أن الخروج الى ذى قرد تكرر أى ثلاث مرات ، ففى الأولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد ، وفى الثانية خرج اليها رسول الله ﷺ سنة خمس والثالثة هى المختلف فيها أى ومعلوم ان هذه المختلف فيها خرج اليها ﷺ فليتأمل والله تعالى أعلم

غزوة الحديبية

بالتخفيف تصغير حدباء وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين وأشار بعضهم الى أنه لم يسمع من فصيح ومن ثم قال النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق بعلمه عن الحديبية ، فلم يختلفوا فى أنها بالتخفيف ، وفى كلام بعضهم أهل الحديث يشددون وأهل العربية يخففون ، وفى كلام بعض آخر أهل العراق يشددون وأهل الحجاز يخففون وهى بئر ، وقيل شجرة سمى المكان باسمها وقيل قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم ، قال وسببها أنه ﷺ رأى فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين ، أى بعضهم محلق وبعضهم مقصر ، وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين انتهى ، أى وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ، ثم أخبر أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر ، فخرج ﷺ معتمرا ليأمن الناس ، أى أهل مكة ومن حولهم من حربه ، وليعلموا أنه ﷺ انما خرج زائرا للبيت ومعظما له ، وكان إحرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذى الحليفة ، أى بعد أن صلى بالمسجد الذى بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت به راحلته مستقبل القبلة أحرم وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة ، أى وكان خروجه فى ذى القعدة ، وقيل كان خروجه فى رمضان وهو غريب ، ولفظ تلبيته ﷺ لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، واستعمل ﷺ على المدينة الشريفة نميلة بن عبدالله الليثى أى وقيل ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين . أى وقيل استخلف أبارهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبورهم حافظا للمدينة وكان خروجه ﷺ بعد أن استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ممن أسلم غفار ومزينة وجهينة وأسلم القبيلة المعروفة خشية من قريش أن يحاربوه وأن يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير منهم وقالوا أنذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس

لهم من يقوم بذلك فأنزل الله تعالى تكذيبهم فى اعتذارهم بقوله (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) وخرج ﷺ بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية رضى الله عنهن ومعه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب وأبطأ عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى سبعين بدنة ، أى وقد جللها ، أى فى ذى الحليفة بعد أن صلى بها الظهر ، ثم أشعر منها عدة وهى موجهات للقبلة فى الشق الأيمن ، أى من سنامها ، ثم أمر ﷺ ناجية بن جندب وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله ﷺ اسمه وسماه ناجية لما أنه نجا من قريش فأشعر مابقى وقلدهن نعلا نعلا وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح بصفحة سنامها والتقليد أن تقلد فى عنقها قطعة جلد أو نعل بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة ، وقيل كانوا أربع عشرة مائة ، وقيل خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ، وقيل كانوا ألفا وثلثمائة ، وقيل وأربعمائة ، وقيل وخمسمائة وخمسة وعشرين ، أى وقيل ألف وسبعمائة أى وليس معهم سلاح إلا السيوف فى القرب ، وقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتخشى يارسول الله من أبى سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها فقال لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس فأقبلوا نحوه ﷺ أى فى بعض الحال وكان بين يديه ﷺ ركوة يتوضأ منها ، فقال مالكم ؟ قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ منه الامافى ركوتك فوضع رسول الله ﷺ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون ، أى وفى لفظ فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة ، وفى لفظ آخر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه ، وفى لفظ آخر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، واستدل به بعضهم على أن الماء خرج من نفس بشرته الشريفة ﷺ ، قال أبو نعيم فى الحلية وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد قال بعضهم وانما لم يخرجه ﷺ بغير ملابسة ماء فى إناء تأدبا مع الله تعالى لأنه المنفرد بابتداع المعدومات من غير أصل ، قال جابر رضى الله عنه فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة فلما كانوا بعسفان جاء اليه ﷺ بشر بن سفيان الكعبى ، أى وقد كان ﷺ أرسله الى مكة عينا له فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش وأجلبت ثقيف معهم ومعهم النساء والصبيان ، وفى لفظ يخرجون ومعهم العوذ المطافيل ، أى النياق ذوات اللبن التى معها أولادها ليتزودوا بذلك ولا يرجعون خوف الجوع ، قال السهيلى والعوذ جمع عائذ وهى الناقة التى معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان ولدها هو الذى يعوذ بها لأنه عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لأنها فى معنى نامية وزاكية هذا كلامه أو العوذ المطافيل النساء معهن أطفالهن ، أى أنهم خرجوا بنسائهم معهم ليكون أدعى لعدم الفرار أى ويجوز أن يكونوا خرجوا بذلك جميعه وقد لبسوا جلود النمر ، أى أظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد ، أى رضى الله عنه لأنه أسلم بعد ذلك فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم ، أى وكانت مائتى فرس ، أى ثم صفت الى جهة القبلة فأمر ﷺ عباد بن بشر رضى الله عنه فتقدم بخيله فقام بإزاء خالد وصف أصحابه رضى الله عنهم ، أى وحانت صلاة الظهر فأذن بلال رضى الله عنه ، وأقام فاستقبل رسول الله

ﷺ القبلة وصف الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم ، فقال المشركون لقدأمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلاشددتم عليهم ، وفى لفظ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كانوا على غرة لوحملنا عليهم أصبنا منهم ولكن تأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم أى التى هى صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل له أيضا بأنه كان فى أول ماأنزل (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) ، ثم نسخ ذلك أى تلاوته بقوله تعالى (والصلاة الوسطى) فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر لقوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) الآيات وهذا يدل على أنه ﷺ صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر وأصحابه جميعا الذين قاموا بازاء خالد رضي الله عنهم وحانت صلاة العصر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف ، أى على ماذكره الله تعالى فلما جعل المسلمون يسجد بعضهم و بعضهم قائم ينظر اليهم ، قال المشركون لقد أخبروا بما أردناه بهم ولعل هذه الصلاة هى صلاة عسفان لأن كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم ، وهى على مارواه مسلم أنه ﷺ صفهم صفين وانه أحرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد سجد معه الصف الأول سجدتيه وتخلف الصف الثانى فى اعتداله للحراسة فلما قام وقام معه من سجد سجد الصف الثانى ولحقه فى القيام وتقدم الصف الثانى وتأخر الصف الأول ، ثم ركع واعتدل بهم جميعا ثم سجد وسجد معه الصف الثانى الذى تقدم واستمر الصف الأول الذى تأخر على الحراسة فى اعتداله ، فلما جلس للتشهد أتموا بقية صلاتهم وجلسوا معه للتشهد فتشهد وسلم بهم جميعا وعلى هذه الصلاة حمل أئمتنا ماجاء فرضت الصلاة فى الخوف ركعة ، أى انها ركعة مع الامام و يضم اليها أخرى ، ثم رأيت فى الدر المنثور التصريح بأن هذه الصلاة هى صلاة عسفان عن ابن عياش الزرقى قال كنا مع النبى ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وهم بيننا و بين القبلة فصلى بنا النبى ﷺ الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث المتقدم ، واشترط أئمتنا فى هذه الصلاة وهى اذا كان العدو فى جهة القبلة ولاساتر أن يكون كل صف مقاوما للعدو وان كل واحد لاثنين والا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير بالمسلمين ولعل صلاته ﷺ بالصفين كانت كذلك وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن كصلاة بطن نخل فعلم أن القرآن لم ينزل الا بصلاة ذات الرقاع و بصلاة شدة الخوف ولم أقف على انه ﷺ صلى صلاة شدة الخوف وهى أن يلتحم القتال أولم يأمنوا هجوم العدو * ولما سمع رسول الله ﷺ بأن قريشا تريد منعه عن البيت قال أشيروا على أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ، فقال أبو بكر يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل أحد ولاحربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، أى وفى الامتاع فقال المقداد رضى الله عنه يارسول الله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ، والله يارسول الله لوسرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك مابقى منا رجل ، فقال رسول الله ﷺ فامضوا على اسم الله فساروا . ثم قال ياويح قريش نهكتهم الحرب أى أضعفتهم ، وفى لفظ أكلتهم الحرب ماذا عليهم لوخلوا بينى و بين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، أى كاملين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ، أى وهى صفحة العنق كناية عن القتل ثم قال ﷺ

هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله ، أي ويقال انه ناجية بن جندب رضي الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا . فلما خرجوا منه وقد شق عليهم ذلك وأفضوا الى أرض سهلة ، قال رسول الله ﷺ للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها أي قول أستغفر الله للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها ، ثم ان خالدا رضي الله عنه لم يشعر بهم إلا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش ، وقد جاء في تفسير الحطة أنها المغفرة أي طلب المغفرة أي اللهم حط عنا ذنوبنا وهذا هو المناسب لقوله ﷺ قولوا نستغفر الله الى آخره ، وجاء في تفسيرها أيضا أنها لا إله إلا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة سوداء استهزاء وجراءة على الله تعالى ، وفي البخاري فقيل لبني اسرائيل (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم ، أي أطيازهم وقولوا حبة في شعيرة ، وقد جاء أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له الذنوب ، أي المذكورة في قوله تعالى (وادخلوا الباب) أي باب أريحاء بلد الجبارين سجدا أي خاضعين متواضعين وقولوا حطة ، أي حط عنا خطايانا قال بعضهم فكما جعل الله لبني اسرائيل دخولهم الباب على الوجه المذكور سببا للغفران فكذا حب أهل البيت سبب للغفران * ثم أمر رسول الله ﷺ الناس أن يسلكوا طريقا تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق ، فلما كانوا به أي بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت ناقته ﷺ أي القصوى فقال الناس حل حل فألحت ، أي تمادت واستمرت على عدم القيام ، فقالوا خلأت القصوى أي حرنت يقال خلأت الناقة وألح الجمل بالخاء المعجمة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله ﷺ ماخلأت وماهو لها بخلق ، وفي لفظ ماذاك لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، أي منعها الله عن دخول مكة ، أي علم ﷺ ان ذلك صدّ له من الله عن مكة أن يدخلها قهرا . والذي نفس محمد بيده لاتدعني قريش اليوم الى خطة ، أي خصلة يسألون فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إياها ، أي وفي رواية فيها تعظيم حرمات الله تعالى الا أعطيتهم إياها أي من ترك القتال في الحرم والكف عن اراقة الدم ، ثم زجرها ﷺ فقامت فولى راجعا عوده على بدئه . ثم قال للناس انزلوا . فقالوا يارسول الله مابالوادي ماء ينزل عليه فأخرج ﷺ سهما من كنانته فأعطاه ناجية بن جندب رضي الله عنه سائق بدن رسول الله ﷺ أو البراء بن عازب رضي الله عنه أو خالد بن عبادة الغفاري فنزل في قليب فغرزه في جوفه فجاش أي علا وارتفع بالرواء ، أي الماء العذب حتى ضرب الناس عليه بعطن وفي لفظ حتى صدروا عنها بعطن أي حتى رووا ورويت إبلهم حتى بركت حول الماء لأن عطن الابل مباركها ، قال [illegible] نزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد وهو حفرة فيها ماء من ثمادها قليل [illegible] يتربصه [illegible] تربصا . أي يأخذونه قليلا قليلا ثم لم يلبث الناس حتى نزحوه فاشتكى الناس الى رسول الله ﷺ قلة الماء وفي لفظ العطش أي وكان الحر شديدا فنزع ﷺ سهما من كنانته [illegible] اغرز هذا السهم في بعض قليب الحديبية ففعل والقليب جوف فجاش الماء وقيل [illegible] بن الأعجم فعنه رضي الله عنه ، قال دعاني رسول الله ﷺ حين شكى اليه قلة الماء فأخرج سهما من كنانته ودفعه الي ودعا بدلو من ماء البئر فجئت به فتوضأ [illegible]
في البئر وأثر [illegible] بالسهم [illegible]

كالفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها يغترفون من جوانبها حتى نهلوا عن آخرهم وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبدالله بن أبي ابن سلول فقال له أوس بن خولى رضى الله عنه ويحك يا أبا الحباب ما آن لك تبصر ما أنت عليه أبعد هذا شيء فقال انى رأيت مثل هذا فقال له أوس رضى الله عنه قبحك الله وقبح رأيك ، ثم أقبل أى عبدالله المذكور الى رسول الله ﷺ فقال له رسول ﷺ يا أبا الحباب انى رأيت أى كيف رأيت مثل مارأيت اليوم قال مارأيت مثله قط ، قال فلم قلت ماقلت فقال يارسول الله استغفر لى وقال ابنه عبدالله يارسول الله استغفر له فاستغفر له ، وفى لفظ كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر نتبرضها من البرض ، وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ماشيتنا وركابنا ، وفى لفظ فرفعت اليه الدلو فغمس يده فيها فقال ماشاء الله أن يقول ، ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت آخرنا أخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد يقال لامانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد أن يكون ذلك فى قليب واحد ، قال بعضهم فلما ارتحلوا أخذ البراء رضى الله عنه السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شيء وفى كلام هذا البعض أن أباسفيان قال لسهيل بن عمرو رضى الله عنهما قد بلغنا انه ظهر بالحديبية قليب فيه ماء فقم بنا ننظر الى مافعل محمد فأشرفا على القليب والعين تنبع تحت السهم فقال مارأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل ، وفيه ان اباسفيان رضى الله عنه لم يكن حاضرا فى الحديبية وحمل ذلك على أن ذلك كان من أبى سفيان بعد ارتحاله ﷺ من الحديبية ينافيه ماقدمه هذا البعض أن عند ارتحالهم من الحديبية رفع السهم وجف القليب فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح فى رجال من خزاعة وكانت خزاعة مسلمها ومشركها لايخفون عليه ﷺ شيئا كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت قريش ربما تفطن لذلك فسألوه ما الذى جاء به وأخبرهم انه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته ، وفى المواهب أنه ﷺ قال لبديل ماتقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى آخره وان بديلا رضى الله عنه قال له سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال إنا جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأى منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال هذا كلامه .
والرواية المشهورة أن بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى قريش فقالوا يامعشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم أى فابلوهم بما يكرهون وقالوا ان كان جاء ولايريد قتالا فوالله لايدخلها علينا عنوة أى قهرا أبدا ولاتتحدث بذلك عنا العرب ، أى وفى لفظ انهم قالوا أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمرا تسمع العرب انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب مابيننا والله لا كان هذا أبدا ومناعين تطرف ثم بعثوا اليه ﷺ مكرز بن حفص أخا بنى عامر ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا ، قال هذا الرجل غادر ، أى وفى رواية فاجر ، فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحوا مما قال لبديل فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ثم بعثوا اليه ﷺ

الحليس ،

الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش يومئذ وتقدم عن الأصل ان الأحابيش هم بنو الهون بن خزيمة و بنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة و بنو المصطلق بن خزيمة ، أى وانه قيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبشى هم وقريش على أنهم يد واحدة على من عاداهم ماسجا ليل ووضح نهار وماسار حبشى فسموا أحابيش قريش [] فلما رآه رسول الله ﷺ قال ان هذا من قوم يتألهون أى يتعبدون و يعظمون أمر الاله ، وفى لفظ يعظمون البدن ، وفى لفظ يعظمون الهدى ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه بقلائده من عرض الوادى بضم المهملة ، أى ناحيته وأما ضد الطول فبفتح المهملة قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة موضعه الذى ينحر فيه من الحرم ، أى يرجع الحنين واستقبله الناس يلبون قدشعثوا ، صاح وقال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير و يمنع ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب الكعبة انما القوم أتوا عمارا أى معتمرين فقال رسول الله ﷺ أجل يا أخا بنى كنانة [] وقيل انه بمجرد أن رأى هذا الأمر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاما لما رأى فقال لهم فى ذلك أى قال انى رأيت ما لايحل منعه رأيت الهدى فى قلائده قد أكل أوباره أى معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقالوا فقالوا له اجلس فانما أنت أعرابى ولاعلم لك ، أى فما رأيت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفنا كم ولاعلى هذا عاقدنا كم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وماجاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه أى كف ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به ، ثم بعثوا الى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهذا هو الذى شبهه ﷺ بعيسى ابن مريم عليه السلام ولما قتله قومه قال ﷺ مثله فى قومه كصاحب يس كما سيأتى ذلك فقال يامعشر قريش انى رأيت مايلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد وأنى ولد فقالوا صدقت . وهذا يدل على أن ذهاب عروة بن مسعود رضى الله عنه انما كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه ﷺ ، وبه يعلم مافى المواهب ان عروة لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال أى قوم ألستم بالوالد الى آخره ، وفى لفظ ألستم كالوالد أى كل واحد منكم كالوالد لى وأنا كالولد له وقيل أنتم حى قد ولدنى لأن أمه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال يامحمد جمعت أوباش أى أخلاط الناس ثم جئت بهم الى بيضتك أى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لاتدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك أى انهزموا غدا ، وفى لفظ والله لا أرى وجوها أى عظماء وانى أرى أسرابا من الناس خليقا أى حقيقا أن يفروا ويدعوك وأبو بكر رضى الله عنه جالس خلف رسول الله ﷺ فقال له اعضض بظر اللات والبظر قطعة تبقى فى فرج المرأة بعد الختان ، وقيل التى تقطعها الخاتنة أنحن ننكشف عنه قال من هذا يامحمد قال ﷺ هذا ابن أبى قحافة فقال أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، أى على هذه الكلمة التى ... ولكن هذه بها ، وفى رواية والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك بها ، ... التى كانت لأبى بكر رضى الله عنه

عند عروة هي أن عروة استعان في حمل دية فأعانه الرجل بالواحد من الابل والرجل بالاثنين وأعانه أبو بكر رضي الله عنه بعشرة ابل شواب ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه أي وهذه عادة العرب ان الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كأنه ﷺ انما لم يمنعه من ذلك استمالة وتأليفا له والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله ﷺ أي بنعل السيف وهو مايكون أسفل القراب من فضة أو غيرها ويقول اكفف يدك عن وجهه، وفي رواية عن مس لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل اليك فانه لا ينبغي لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضي الله عنه إجلالا لرسول الله ﷺ ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة ويحك ماأفظك وماأغلظك أي ما أشد قولك، وفي رواية فلما أكثر عليه غضب عروة وقال ويحك ماأفظك وماأغلظك ليت شعري من هذا الذي آذاني من بين أصحابك والله اني لأحسب فيكم ألأم منه ولا شر منزلة فتبسم رسول الله ﷺ وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، أي لأن عروة كان عم والد المغيرة فالمغيرة يقول له ياعم لان كل قريب من جهة الأب يقال له عم وليس في الصحيح لفظ ابن أخيك فقال أي غدر أي ياغادر وهل غسلت غدرتك وفي لفظ سوأتك وفي لفظ ألست أسعى في غدرتك الا بالأمس، وفي لفظ ياغدر والله ماغسلت عنك غدرتك بعكاظ الا بالأمس وقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر، قيل أراد عروة بذلك انه الذي ستر غدر المغيرة بالأمس لأن المغيرة رضي الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، وفد هو واياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة اللات أي خدامها واستشرت عمي عروة في مرافقتهم فأشار علي بعدم ذلك قال فلم أطع رأيه فأنزلنا المقوقس في كنيسة للضيافة ثم أدخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر كبير القوم عني فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت أهون القوم عليه فأكرمهم وقصر في حقي، فلما خرجوا لم يعرض علي أحد منهم مواساة فكرهت أن يخبروا أهلنا باكرامهم وازدراء الملك بي فأجمعت قتلهم ونزلنا محلا فعصبت رأسي فعرضوا على الخمر فقلت رأسي تصدع ولكن أسقيكم فسقيتهم وأكثرت لهم بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم جميعا وأخذت كل مامعهم وقدمت على النبي ﷺ في مسجده فسلمت عليه وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال ﷺ الحمد لله الذي هداك للاسلام يامغيرة، فقال أبو بكر رضي الله عنه من مصر قدمت؟ قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك لأنهم من بني مالك فقلت كان بيني وبينهم مايكون بين العرب وقتلتهم وجئت بأسلابهم ليخمسها النبي ﷺ أو يرى فيها رأيه، فقال النبي ﷺ أما اسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيئا ولا أخمسه فانه غدر والغدر لا خير فيه، فقلت يارسول الله انما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت فقال ﷺ الاسلام يجب ماقبله. قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على أن يحمل عمي عروة ثلاث عشرة دية، وفي رواية لما وردوا على المقوقس أعطى كل واحد منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيئا فحقد عليهم، فلما رجعوا نزلوا منزلا وشربوا خمرا، ولما سكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم وأخذ أموالهم وجاء وأسلم فاختصم بنو مالك مع رهط المغيرة وشرعوا في المحاربة فسعى عروة في إطفاء نار الحرب وصالح بني مالك على ثلاث عشرة دية ردفعها عروة. ولما أسلم المغيرة قال له النبي ﷺ أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في

فى شىء . وفيه أن هذا مال حربى قصد أخذه والتغلب عليهم الا أن يقال هؤلاء مؤتمنون منه لأنهم اطمأنوا اليه ، أى ويذكر أن المغيرة بن شعبة هذا رضى الله عنه كان من دهاة العرب وأحصن فى الاسلام ثمانين امرأة ، ويقال ثلثمائة امرأة ، وقيل ألف امرأة ، قيل لاحدى نساء المغيرة انه دميم أعور فقالت هو والله عسيلة يمانية فى ظرف سوء ، ولما ولى رضى الله عنه الكوفة أرسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ماقصدت إلا أن يقال تزوج المغيرة الثقفى بنت النعمان بن المنذر والا فأى حظ لشيخ أعور فى عجوز عمياء وهذه هى القائلة لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما وفدت عليه وهو والى الكوفة وأكرمها فى دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولاملكتك يد استغنت بعد فقر ولاجعل الله لك الى لئيم حاجة ولاأزال عن كريم نعمة إلا جعلك السبب فى عودها اليه انما يكرم الكريم الكريم ، والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه أول من حيا سيدنا عمر رضى الله عنه بأمير المؤمنين * وعند مجىء عروة أخبر ﷺ عروة بما أخبر به من تقدم من أنه لم يأت لحرب فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى مايصنع به أصحابه لايتوضأ ، أى يغسل يديه الا ابتدروا وضوءه ، أى كادوا يقتتلون عليه ولايبصق بصاقا إلا ابتدروه ، أى يدلك به من وقع فى يده وجهه وجلده ولايسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، أى واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولايحدون النظر اليه تعظيما له ﷺ ، فقال يامعشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله مارأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشىء أبدا فروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ماعرض عليكم فانى لكم ناصح مع أنى أخاف أن لاتنصروا عليه فقالت له قريش لاتتكلم بهذا ياأبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل فقال ماأراكم الا ستصيبكم قارعة ، ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى وهو عظيم القريتين الذى عنته قريش بقولها (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقيل المعنى بذلك الوليد بن المغيرة ، ويقال ان عروة هذا كان جدا للحجاج لأمه . ويدل لذلك كما يدل للأول ماحكى عن الشعبى انه سأل الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل عليه فيها فكتب اليه والله لاأعذرك وأنت والى العراقين وابن عظيم القريتين * ودعا رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه الى قريش وحمله ﷺ على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، أى عقره عكرمة بن أبى جهل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ وأخبره بما لقى ثم دعا رسول الله ﷺ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له ، فقال يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى ومن فى عمه يمنعونه فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضى الله عنه فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانه لم يأت إلا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته أى ولعل ذكر أبى سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم انه لم يكن حاضرا بالحديبية ، أى صلحها ، وأمر ﷺ عثمان أن يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله وشيك ، أى قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لايستخفى فيها بالايمان ، وذكر بعضهم انه ﷺ بعث عثمان رضى الله عنه بكتاب

لقريش أى قبل فيه انه ماجاء لحرب أحد وانما جاء معتمرا بدليل مايأتى فى ردّهم عليه ، وقيل فيه ماوقع بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو ليقع الصلح بينهم على أن يرجع فى هذه السنة الحديث وأبهم لما احتبسوه أمسك ﷺ سهيل بن عمرو عنده كذا فى شرح الهمزية لابن حجر وقدمه على الأوّل فليتأمل فخرج عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة ودخل مكة من الصحابة عشرة أيضا باذن رسول الله ﷺ ، أى ليزوروا أهاليهم لم أقف على أسمائهم ولم أقف على انهم هل دخلوا مع عثمان أم لا فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قبل خيبر فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ وجعله بين يديه فجاء الى أبى سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ماأرسله به ، أى وهم يردّون عليه أن محمدا لايدخلها علينا أبدا ، فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله ﷺ قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف [] ، وفى رواية قال له أبان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف ، قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ قال وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا ، فقال رسول الله ﷺ ماأظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قال ومايمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظنى به أن لايطوف بالكعبة حتى نطوف لومكث كذا وكذا سنة ماطاف به حتى أطوف فلما رجع عثمان وقالوا له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت ، قال بئسما ظننتم بى دعتنى قريش الى أن أطوف بالبيت فأبيت والذى نفسى بيده لومكثت بها معتمرا سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ماطفت حتى يطوف رسول الله ﷺ اه وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان رضى الله عنه قد قتل ، أى وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة أيضا ، فقال ﷺ عند بلوغه ذلك لانبرح حتى نناجز القوم . أى نقاتلهم ودعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة أى بعد أن قال لهم ان الله أمرنى بالبيعة ، فعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه بينما نحن جلوس قائلون إذ نادى منادى رسول الله ﷺ ، أى وهو عمر بن الخطاب أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فسرنا الى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة فبايعناه ، أى وبايعه الناس على عدم الفرار وانه إما الفتح وإما الشهادة ، وهذا هو المراد بما جاء فى بعض الروايات فبايعناه على الموت ولم يتخلف منا أحد إلا الجدّ بن قيس ، قال لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل فى حقه فى غزوة أى غزوة تبوك من الآيات مايدل على ذلك كما سيأتى وهو ابن عمة البراء بن معرور رضى الله عنه وكان سيد بنى سلمة بكسر اللام فى الجاهلية وقد قال ﷺ لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجدّ بن قيس أى على بخل فيه قال وأىّ داء أدوأ من البخل ثم قال ﷺ بل سيدكم عمرو بن الجموح . وقيل قالوا يارسول الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء ابن معرور ، وهذا قال ابن عبد البر ان النفس اليه أميل ، ومما يدل للأوّل ما أنشده شاعر الأنصار رضى الله عنهم من قوله

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تسموه سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى * نبخله فيها وان كان أسودا
فتى مايخطى خطوة لدنيئة * ولامد يوما مّا الى سوأة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى أن يسوّدا

اذا جاءه السؤال أنهب ماله * وقال خذوه انه عائد غدا
ولو كنت ياجد بن قيس على التي * على مثلها عمرو لكنت المسودا

أى و بايع ﷺ عن عثمان فوضع يده على يده ، أى وضع يده اليمنى على يده اليسرى ، وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك ، أى وفى لفظ قال اللهم ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه ، فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا أنه ﷺ علم بعدم صحة القول بأن عثمان قد قتل أو ان ذلك كان بعد مجىء الخبر له ﷺ بان القول بقتل عثمان رضى الله عنه باطل [] وفيه انه حيث علم ﷺ ان عثمان لم يقتل لامعنى للبيعة ، لأن سببها كما علمت بلوغه الخبر أن عثمان قد قتل . الا أن يقال سببها ماذكر وقتل العشرة من الصحابة ، ويدل لذلك مايأتى قريبا أن عثمان رضى الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة فليتأمل أى وبهذا يرد ماتمسك به بعض الشيعة فى تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه ، لأن عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة ، وقد خوطبوا بقوله ﷺ أنتم خير أهل الأرض فانه صريح فى تفضيل اهل الشجرة على غيرهم . وأيضا على حضر بدرا دون عثمان ، وقد جاء مرفوعا لايدخل النار من شهد بدرا والحديبية * وحاصل الرد أن النبى ﷺ بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بانه فى حاجة الله وحاجة رسوله ﷺ وخلف رسول الله ﷺ عثمان رضى الله عنه عن بدر لتمريض بنته ﷺ وأسهم له كما تقدم فهو فى حكم من حضرها على انه سيأتى أنه رضى الله عنه بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة ، واستدل بقوله ﷺ أنتم خير أهل الأرض على عدم حياة الخضر عليه الصلاة والسلام حينئذ لأنه يلزم أن يكون غير النبى أفضل منه ، وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، وقد أشار الى امتناع عثمان رضى الله تعالى عنه من الطواف والى عدم صحة القول بأن عثمان قتل والى مبايعته ﷺ عنه صاحب الهمزية بقوله رحمه الله

وأبى أن يطوف بالبيت اذ لم * يدن منه الى النبى فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يدمن نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الأعمال بالترك حبذا الادباء

أى وامتنع رضى الله عنه أن يطوف بالبيت لأجل أنه لم يقرب الى النبى ﷺ من البيت جانب فجزته عن تلك العلة وهى ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يدمن نبيه عليه الصلاة والسلام تلك اليد البالغة فى الكرم ، وذلك فى بيعة الرضوان ، وذلك أدب عظيم عند عثمان رضى الله تعالى عنه حصل منه أمر عظيم مستغرب هو تضاعف ثواب الأعمال التى تركها بسبب تركها ، وهى الطواف وذكر أن قريشا بعثت الى أبى ابن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل . فقال له ابنه عبد الله رضى الله عنه يا أبت أذكرك الله أن لاتفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ فأبى حينئذ ، وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ ، وفى لفظ ان لى فى رسول الله أسوة حسنة ، فلما بلغ رسول الله ﷺ امتناعه رضى الله عنه أثنى عليه بذلك ، وكانت البيعة تحت شجرة هناك ، أى من أشجار السمر أى ولما جاء عثمان رضى الله تعالى عنه بايع تحت تلك الشجرة ، وقيل لها بيعة الرضوان ، أى لانه ﷺ قال لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة رواه مسلم [] وكانوا ألفا وأربعمائة على الصحيح . وجاء أنه ﷺ قال ياأيها الناس ان الله قد غفر

لأهل بدر والحديبية ، وتقدم أن الواو بمعنى أوفى حديث لايدخل النار من شهد بدرا والحديبية بدليل رواية مسلم هذه ، ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله ليس فى غزواته ﷺ مايعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية والراجح تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية ، وأنها التى تلى بدرا فى الفضيلة وأوّل من بايعه ﷺ سنان بن أبى سنان الأسدى ، كذا فى الأصل أنه الصواب بعد أن حكى أن أوّل من بايع أبو سنان ، أى وهو ماذهب اليه فى الاستيعاب حيث قال الأكثر الأشهر أن أباسنان أوّل من بايع بيعة الرضوان ، أى لا ابنه سنان وأبو سنان هذا هو أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنه ، وكان أكبر من أخيه عكاشة بعشرين سنة . وضعفه فى الأصل بأن أبا سنان رضى الله عنه مات فى حصار بنى قريظة ودفن بمقبرتهم ، أى كما تقدم . ولما بايعه سنان قال النبى ﷺ أبايعك على مافى نفسك ، قال ومافى نفسى ، قال أضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل ، وصار الناس يقولون له ﷺ نبايعك على مابايعك عليه سنان ، وقيل اول من بايع عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، وقيل سلمة بن الأكوع ، قال وذكر أن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره له ﷺ فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله ﷺ وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة ، أى لأنه ﷺ أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته بالاسلام وشهرته فى الثبات ، أى بدليل ماوقع له رضى الله عنه فى غزوة ذى قرد بناء على تقدمها على ماهنا أو تفرس فيه ﷺ ذلك بناء على تأخرها * وبايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مرتين ، أى وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى (لاتحلوا شعائر الله) الآية ان المسلمين لما صدّوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة ، فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله تعالى الآية ، أى لاتصدوا هؤلاء العمار أن صدكم أصحابهم ، قال وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله ﷺ فبعثت قريش أربعين ، وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ، أى وهو الذى بعثته قريش له ﷺ ليسأله نما جاء ، وقال ﷺ فى حقه هذا رجل غادر ، وفى لفظ رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليلا رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة ، أى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه الامكرزا فانه أفلت وصدق فيه قول النبى ﷺ انه رجل فاجر أو غادر كما تقدم وأتى بهم الى رسول الله ﷺ فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم ، فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم رضى الله عنه رمى بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ، وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله ﷺ جمعا ، منهم سهيل بن عمرو ، فلما رآه النبى ﷺ قال لأصحابه سهل أمركم ، فقال سهيل يامحمد ان الذى كان من حبس أصحابك ، أى عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا فابعث الينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا ، فقال رسول الله ﷺ انى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى ، فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه الى قريش بذلك ، فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان والعشرة رجال ، فأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم انتهى * ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس ، فبعثوا سهيل بن عمرو ، أى ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن

عبد

عبد العزى الى رسول الله ﷺ ليصالحوه على أن يرجع فى عامه هذا لئلا تتحدث العرب بأنه دخل عنوة أى وأنه يعود من قابل ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ، أى ثانيا ، فلما انتهى سهيل الى رسول الله ﷺ جثا على ركبتيه بين يديه ﷺ والمسلمون حوله جلوس وتكلم فأطال ، ثم تراجعا ، أى ومن جملة ذلك أن النبى ﷺ قال له تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به ، فقال له سهيل والله لاتتحدث العرب بنا أنا أخذنا ضغطة بالضم ، أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك من العام القابل ، ثم التأم الأمر بينهما على الصلح على ترك القتال الى آخر ماياتى ولم يبق الا الكتاب بذلك ، وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى أبا بكر رضى الله عنه ، فقال له يا أبا بكر أليس هو برسول الله ﷺ قال بلى ، قال أو لسنا بالمسلمين ، قال بلى ، قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى ، قال فعلام نعطى الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة فى ديننا ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه ياعمر الزم غرزه ، أى ركابه ، وفى رواية انه قال له أيها الرجل انه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت فانى أشهد انه رسول الله ، قال عمر رضى الله عنه وأنا أشهد انه رسول الله ، ثم أتى عمر رضى الله عنه رسول الله ﷺ فقال له مثل ماقال لأبى بكر ، فقال له النبى ﷺ أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولم يضيعنى ، ولقى عمر رضى الله عنه من ذلك الشروط الآتى ذكرها أمرا عظيما ، وجعل يرد على رسول الله ﷺ الكلام حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ألاتسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ يقول مايقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى قال له رسول الله ﷺ ياعمر انى رضيت وتأبى فكان عمر رضى الله عنه يقول مازلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون هذا خيرا هذا ، والذى فى الامتاع عكسهما ، أى انه بدأ بذكر لرسول الله ﷺ أولا ، ثم لأبى بكر ثانيا ، ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى بعد أن كان أمر أوس بن خولة أن يكتب ، فقال له سهيل لايكتب الا ابن عمك على أو عثمان ابن عفان ، فأمر عليا كرم الله وجهه ، فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا ، أى الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها ؛ لأن قريشا كانت تقولها وأول من كتبها أمية بن أبى الصلت ، ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن فى خبر ذكره المسعودى . أى وانما كتبها بعد أن قال المسلمون والله لايكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم ، فضج المسلمون ، وعن الشعبى رحمه الله كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبى أول ما كتب باسمك اللهم ، وتقدم أنه كتب ذلك فى أربع كتب حتى نزلت بسم الله مجريها ومرساها فكتب بسم الله ، ثم نزلت (قل ادعوا الله وادعوا الرحمن) فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) أى فكتبها وهذا السياق يدل على تأخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات ، لأن البسملة نزلت معها ، وتقدم الخلاف فى وقت نزولها فليتأمل ، ثم قال ﷺ اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، أى وفى لفظ لو علم انك رسول الله ما قاتلتك واتبعتك أترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ انى رسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن [illegible]

على كرم الله وجهه ماأنا بالذى أمحاه ، وفى لفظ لا أمحوك ، وفى لفظ والله لاأمحوك أبدا ، فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، وقال اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، وقال أنا والله رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن عبد الله ، وفى لفظ فجعل على يتلكأ ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله ، فقال له ﷺ اكتب فان لك مثلها تعطيها ، وأنت مضطهد ، أى مقهور وهو اشاره منه ﷺ لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما فانهما فى حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال الى رأس الحول ، وكان القتال فى صفر دام مائة يوم وعشرة أيام قتل فيه سبعون ألفا خمسة وعشرون ألفا من جيش على كرم الله وجهه من جملة تسعين ألفا وخمسة وأربعون ألفا من جيش معاوية من جملة مائة وعشرين ألفا ، فلما كتب الكاتب فى الصلح هذا ماصالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، فقال عمرو بن العاص رضى الله عنهما الذى هو أحد الحكمين اكتب اسمه واسم أبيه ، وأرسل معاوية يقول لعمرو لاتكتب أن عليا أمير المؤمنين ، لوكنت أعلم أنه أمير المؤمنين ماقاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت انه أمير المؤمنين ، ثم أقاتله ولكن اكتب على بن أبى طالب وامح أمير المؤمنين ، فقيل له يا أمير المؤمنين لاتمح امارة اسم أمير المؤمنين ، فانك ان محوتها لاتعود اليك ، فلما سمع على كرم الله وجهه ذلك ، وأمره بمحوها ، وقال امحها تذكر قول النبى ﷺ له فى الحديبية ماتقدم ، ومن ثم قال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولانشهد لك بذلك اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ، فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أنتشبه بالكفار ، فقال له على كرم الله وجهه ياابن النابغة ، أى العاهرة ومتى كنت عدوا للمسلمين هل تشبه الا أمك التى وقعت بك ، فقال عمرو لايجمع بينى وبينك مجلس أبدا ، فقال على كرم الله وجهه انى لأرجو الله أن يطهر مجلسى منك ومن أشباهك ، وذكر أن أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما أخذا بيد على كرم الله وجهه ، ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم ، وضجت المسلمون وارتفعت الأصوات ، وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية فى ديننا ، فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويومىء بيده اليهم أن اسكتوا ، ثم قال أرنيه الحديث ، وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وقيل سنتين ، وقيل أربع سنين ، أى وصححه الحاكم تأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض أى ويقال لهذا العقد هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة ، وقال زيادة على اشتراط الكف عن الحرب على انه من أتى محمدا ﷺ من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان أو أنثى ، قال السهيلى رحمه الله وفى رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله هذا كلامه ، ومن أتى قريشا ممن كان مع محمد أى مرتدا ذكرا كان أو أنثى لم نرده اليه ، وهذا الثانى يوافق قول أئمتنا معاشر الشافعية يجوز شرط أن لايردوا من جاءهم مرتدا . والاول يخالف قولهم لايجوز شرط رد مسلمة تأتينا منهم فان شرط فسد الشرط والعقد الا أن يقال هذا ماوقع عليه الأمر أولا ثم نسخ كما سيأتى وشرطوا أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة ، أى صدورا منطوية على مافيها لاتبدى عدواه ، وقيل صدورا نقية

من

من الغل والخداع منطوية على الوفاء بالصلح وأنه لا إسلال ولا إغلال ، أي لا سرقة ولا خيانة . قال سهيل وأنك ترجع عامك هــذا فلا تدخل مكة ، وأنه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة ، أى ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرها ، ويقال انه ﷺ هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة ، وهو ما وقع فى البخارى أى أطلق الله يده ﷺ بالكتابة فى تلك الساعة خاصة وعدّ معجزة له . قال بعضهم لم يعتبره أى القول بذلك أهل العلم ، ومعنى كتب أمر بالكتابة وفى النور وفى كون هذا أى انه كتب بيده فى البخارى فيه نظر والذى فى البخارى ، وأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ليكتب فكتب هــذا ما قاضى عليه محمد الحديث ، أي فلفظة بيده ليست فى البخارى ومع إسقاطها التأويل ممكن ، وتمسك بظاهر قوله ، فكتب أبو الوليد الباجى المالكى رحمه الله على أنه ﷺ كتب بيده فشنع عليه علماء الأندلس فى زمانه بأن هــذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) لان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن ، وبعد أن تحققت أميته ﷺ وتقررت بذلك معجزته ، لا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا ، أى ويقال ان الذى كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضى الله عنه ، وعده الحافظ ابن حجر رحمه الله من الأوهام ، وجمع بأن أصل هذا الكتاب كتبه علىّ كرم الله وجهه ، ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضى الله عنه لسهيل ابن عمرو ، أى فان سهيلا قال يكون هــذا الكتاب عندى ، وقال رسول الله ﷺ بل عندى فأخذه رسول الله ﷺ ، ثم كتب لسهيل نسخة أخذها عنده ، وعند كتابته اشترط أن يرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك ، وقالوا يارسول الله أتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ؛ ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، وفى لفظ قال عمر يارسول الله أترضى بهذا فتبسم ﷺ وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن أعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه فى شىء وليس منا بل هو أولى بهم ، فبينا رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف فى الحديد أى يمشى فى قيوده متوشحا سيفه قد أفلت الى أن جاء الى رسول الله ﷺ ورمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فجعل المسلمون يرحبون به ويهنئونه ، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه ، فضرب وجهه ، وفى لفظ أخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبى جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وأخذ بتلبيبه ، وقال يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الى [illegible] القضية بينى وبينك ، أى وجبت وتمت قبل أن يأتيك [illegible] قال صدقت فجعل ينتره شديدا ويجره ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل رضى الله عنه يصرخ بأعلى صوته يامعشر [illegible] أأرد الى المشركين يفتنونى عن دينى ألا ترون مالقيت فانه رضى الله عنه كان عذب عذابا [illegible] على أن يرجع عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى ما بهم ، أى فانهم كانوا لا يشكون فى دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا الصلح و[illegible] رسول الله ﷺ فى نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون [illegible] من

جاء مسلما منهم ، أي ورد أبي جندل اليهم بعد ضربه ، فقال رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم ، و بهذا استدل أئمتنا على أنه يجوز شرط ردّ من جاءنا منهم مسلما اليهم ولا نردّه اليهم الا اذا كان حرّا ذكرا غير صبيّ ومجنون وطلبته عشيرته ، وفي لفظ آخر أن النبي ﷺ قال لسهيل إنا لم نفض الكتاب بعد ، فقال لي لقد لجت القضية بيني و بينك ، أي تمّ العقد فرده . فقال النبي ﷺ فأجره لي ، فقال ما أنا بمجيز ذلك لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ، فقال مكرز وحويطب قد أجرناه لك لا نعذبه ، أي وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله أن مجيء أبي جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخاري ، وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد ، أما اني أقول لك لا تأخذ من محمد نصفا أبدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة ، فقال مكرز وأنا أرى ذلك ، وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومشى الى جنب أبي جندل ، أي وأبوه سهيل بجنبه يدفعه وصار عمر رضي الله عنه يقول لأبي جندل اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم كلب ، أي ومعك السيف يعرّض له بقتل أبيه ، أي وفي رواية أن دم الكافر عند الله كدم الكلب و يدني قائم السيف منه ، أي وفي لفظ وجعل يقول يا أبا جندل ان الرجل يقتل أباه في الله والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت ، فقال عمر نهانا رسول الله ﷺ عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل رضي الله عنه ما أنت أحق بطاعة رسول الله ﷺ مني ، فقال عمر رضي الله عنه وددت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فضنّ الرجل بأبيه . وفيه كيف يظن عمر حينئذ جواز قتله لأبيه حتى يعرّض له به ، الا أن يقال ظن ذلك لكونه يريد أن يفتنه عن دينه و يرجع الى الكفر وان كان ﷺ ، قال له يا أبا جندل اصبر واحتسب ، ورجع أبو جندل الى مكة في جوار مكرز بن حفص أي وحويطب ، فأدخلاه مكانا وكف عنه أبوه * وأبو جندل اسمه العاص ، وهو اخو عبد الله بن سهيل بن عمرو ، و إسلام عبد الله سابق على إسلام أبي جندل لان عبد الله شهد بدرا ، أي فانه خرج مع المشركين لبدر ، ثم انحاز من المشركين الى رسول الله ﷺ ، وشهد معه بدرا والمشاهد كلها ، وأبو جندل رضي الله عنه أوّل مشاهده الفتح . ودخلت خزاعة في عقده ﷺ وعهده ، أي وفي لفظ ووثب من هناك من خزاعة . فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم * ويذكر أن حويطبا قال لسهيل بادأنا أخوالك . يعني خزاعة بالعداوة ، وكانوا يستترون منا فدخلوا في عهد محمد وعقده ، فقال له سهيل ماهم الا كغيرهم هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد قوم اختاروا لأنفسهم أمرا فما نصنع بهم ، قال حويطب نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر . قال سهيل إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيسوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فينقض العهد بيننا وبينه * ومن هذا التقرير يعلم أن بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وأنها السبب الباعث لقريش عليه * ووقع في المواهب ما يقتضي أن البيعة كانت بعد الصلح وأن الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذي وقع بينه ﷺ و بين سهيل ابن عمرو ، فحبست قريش عثمان فحبس ﷺ سهيلا ، ولا يخفى عليك ما فيه * ولما فرغ رسول الله

ﷺ من الصلح وأشهد عليه رجالا من المسلمين أى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة أى ورجالا من قريش حويطبا ومكرزا قام الى هديه فنحره ، ومن جملته جمل لأبي جهل وكان نجيبا مهريا وكان يضرب فى لقاحه ﷺ فى رأسه برة ، أى حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ بذلك المشركين غنمه ﷺ يوم بدر كما تقدم قال وقد كان فرّ من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبي جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الأنصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله ﷺ لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا انتهى ، وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فأمسكوا هذا الجمل والإفلا تتعرضوا له ، أى فعرضوا عليه ﷺ ذلك فأبى ، وقال لولم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة وفرّق ﷺ لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية ، وفى رواية انه ﷺ بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسموا لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله ﷺ لحلق رأسه وكان الحالق لرأسه خراش بن أمية الخزاعى الذى بعثه الى قريش فعقروا جمله وأرادوا قتله كما تقدم ، فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبى قتادة وفى كلام بعضهم أى وهو السهيلى انه لم يقصر غيرهما ، ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم المحلقين وفى لفظ يرحم الله المحلقين وفى لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين أو قال اللهم ارحم المحلقين أو اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين ، فقال يرحم الله المحلقين والمقصرين ، وفى رواية قال والمقصرين فى الرابعة وقد قالوا له يارسول الله لم ظاهرت أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا أى لم يرجوا أن يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أى لأن الظاهر من حالهم انهم أخروا بقية شعورهم رجاء أن يحلقوها بعد طوافهم بالبيت وأرسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فألقتها فى الحرم ، وفيه أنه تقدم أن الحديبية أكثرها فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم ، وفى رواية انه ﷺ بعد فراغه من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضى الله عنها ، أى وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يارسول الله مرارا وهو لايجيبها ، ثم ذكر لها ما لقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا ، وفى لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ، قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لاتلمهم فإنهم قد داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت عليه ﷺ أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل كذلك ثم أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته بسم الله والله أكبر [illegible] ﷺ قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس [illegible] وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف ﷺ قافلا الى المدينة أى بعد أن أقام بالحديبية [illegible] عشرين يوما [illegible] ﷺ بين مكة والمدينة أى بكراع الغميم نزلت عليه سورة [illegible] رضى

الله عنه أنزلت على سورة هي أحب الى مما طلعت عليه الشمس وحصل للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا ، أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنأ كل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتفعل يارسول الله فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لاقينا العدو غداجياعا رجالا أى ثم قال ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله ﷺ ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ، ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله ، أى وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا و بقى مثله ، وفى مسلم خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فأخذنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى ﷺ فجمعنا من أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة ، قال الراوى فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جر بنا فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال أشهد أن لا إله إلا الله وانى رسول الله والله لايلقى الله عبد مؤمن بهما إلا احجب من النار ، وقال ﷺ لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو مايتوضأ به فجاء رجل بادارة وهى الركوة فيها نطفة من ماء ، أى قليل من ماء وقيل للماء نطفة لأنه ينطف أى يصب فافرغها فى قدح ، أى ووضع راحته الشريفة فى ذلك الماء . قال الراوى فتوضأنا كلنا ، أى الأربع عشرة مائة ندغفقه دغفقة ، أى نصبه صبا شديدا ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور ، فقال رسول الله ﷺ فرغ الوضوء والى تكثير الطعام والماء أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله فى وصف راحته الشريفة

أحيت المرملين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء

أى حفظت على المحتاجين للزاد والماء حياتهم فسلموا من موت قحط شديد أعوز القوم فى ذلك القحط زاد وماد ، وقال الامام السبكى فى تائيته فى تكثير الماء

وعندى يمين لايمين بان فى * يمينك وكفاحيثما السحب ضنت

ولما أنزلت عليه ﷺ سورة الفتح ، قال له جبريل عليه السلام نهنئك يارسول الله وهنأه المسلمون وتكلم بعض الصحابة وقال ماهذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك بئس الكلام بل هو أعظم الفتح لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الأمان وقدرأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد) وأنا أدعوكم فى أخراكم . أنسيتم يوم الأحزاب (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو اعظم الفتوح والله يانبى الله مافكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله و بأمره منا ، وقال له بعض الصحابة أى وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه السلام فانكم تأتونه وتطوفون به * أقول فيه انه تقدم ان ذلك كان من رؤيا لا عن وحى ، الا أن يقال يجوز أن يكون جاءه ﷺ الوحى بمثل ما رأى ثم أخبرهم بذلك والله أعلم ، وفى لفظ لما رأى رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة

هو

هو وأصحابه (آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين) وأخبرهم بذلك فلما صدّوا قالوا له أين رؤياك يارسول الله فأنزل الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) الآية * أقول ولا يخالف هذا ما تقدّم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وأن الأولى اقترن بها الوحى ، وذكر بعضهم أنه ﷺ لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لى عمر بن الخطاب فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف ﷺ بعرفة فقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الذى قلت لكم ، وفيه انه لم يتقدم فى الرؤيا أنه ﷺ يأخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة ، إلا أن يقال يجوز أن يكون ﷺ أخبر بذلك بعد الرؤيا وأن المراد من ذلك مجرد دخول مكة والله أعلم وأصابهم مطر فى الحديبية لم يبل أسفل نعالهم أى ليلا فنادى منادى رسول الله ﷺ أن صلوا فى رحالكم ، أى ووقع مثل ذلك فى حنين أنه أصابهم مثله فأمر ﷺ مناديه أن ينادى ألا صلوا فى رحالكم ، وقال ﷺ صبيحة ليلة الحديبية لما صلى بهم أتدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال الله عز وجل أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا برحمة الله وفضله فهو مؤمن بالله وكافر بالكواكب ومن قال مطرنا بنجم كذا ، وفى رواية بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بى وهذا عند أئمتنا مكروه لاحرام ، أى لان المراد بالايمان شكر نعمة الله حيث نسبها الى الله والكفر كفران النعمة حيث نسبها لغيره فان اعتقد أن النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته وهو ضد الايمان والأول انما نهى عنه لانه كان من أمر الجاهلية والا فهذا التركيب لا يقتضى أن يكون نوء كذا فاعلا ، ومن ثم لو قال مطرنا فى نوء كذا : أى فى وقت نوء كذا لم يكره وكان ابن أبىّ ابن سلول قال هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى ، أى وسمى الخريف خريفا لانه تخترف فيه الثمار ، أى تقطع والنوء سقوط نجم ينزل فى الغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق من أنجم المنازل وذلك يحصل فى كل ثلاثة عشر يوما الا الجبهة النجم المعروف فان لها أربعة عشر يوما ، قال بعضهم والانواء ثمانية وعشرون نوأ ، أى نجما كان العرب يعتقدون ان من ذلك يحدث المطر أو الريح ، وفى الحديث لو حبس الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله أصبح طائفة منهم به كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح بكسر الميم نجم يقال هو الدبران ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة و يمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ، ونقل عن عمر رضى الله عنه انه قال مطرنا بنوء كذا ولعله لم يبلغه النهى عن ذلك حيث قال ، قال العارف بالله ابن عطاء الله لعل هذا يكون ناهيا لك أيها المؤمن عن التعرض الى علم الكواكب واقتراناتها وما عسى أن تدعى وجود تأثيراتها ، واعلم أن لله فيك قضاء لابد أن ينفذه وحكما لابدّ أن يظهره فما فائدة التجسس على غيب علام الغيوب ، وقد نهانا سبحانه ان نتجسس على غيبه وصارت تلك الشجرة التى وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان ، و بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أى فى خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وأمر بها فقطعت ، أى خوف ظهور البدعة ، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أول من هاجر من النساء بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم خرجت من مكة وحده

وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة ، وفى الاستيعاب يقولون انها مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولا يعرف لها اسم الاهذه الكنية ، وهى أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لأمه ، ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله ﷺ فلما دخل ﷺ على أم سلمة أعلمته بها فرحب بأم كلثوم رضى الله عنها فخرج أخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يامحمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه . فلم يفعل النبى ﷺ ذلك ، أى بعد أن قالت له يارسول الله أنا امرأة وحال النساء الى الضعف فتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولاصبر لى ، فنزل القرآن بنقض ذلك العهد بالنسبة للنساء لمن جاء منهن مؤمنا لكن بشرط امتحانهن بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) أى فى مدة هذا العهد والصلح (مهاجرات فامتحنوهن) قال السهيلى رحمه الله ، وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة انها ماهاجرت ناشزة ولا هاجرت الالله ولرسوله ، وفى لفظ كانت المرأة اذا جاءت للنبى ﷺ حلفها عمر رضى الله عنه بالله ماخرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت لالتماس دنيا ولالرجل من المسلمين وبالله ماخرجت الاحبا لله ورسوله ، فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها ، أى ولما قدم الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا أن تحبس النساء ولم يكن لأم كلثوم رضى الله عنها زوج بمكة ، فلما قدمت المدينة زوّجها زيد بن حارثة ✶ وفى رواية لما كان ﷺ بالحديبية جاءته جماعة من النساء المؤمنات مهاجرات من مكة من جملتهن سبيعة بنت الحرث فأقبل زوجها وهو مسافر المخزومى طالبا لها ، وأراد مشركو مكة أن يردوهن الى مكة ، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاستحلف ﷺ سبيعة فحلفت ، فأعطى ﷺ زوجها مسافرا ما أنفق عليها فتزوجها عمر رضى الله عنه ، وهذا السياق يدل على أن الآية الكريمة نزلت بالحديبية وماقبله يدل على أنها نزلت بالمدينة وقد يقال لامانع من تكرر نزول الآية ، وأما فى غير مدة هذا العهد ، أى بعد نسخه بفتح مكة فلم تستحلف امرأة جاءت الى المدينة ولايرد صداقها الى بعلها ، ومن ثم ذهب أئمتنا الى أنه اذا شرط رد المسلمة اليهم فسدت الهدنة كما تقدم ، ولايجب دفع المهر للزوج لو جاءت مسلمة وقوله تعالى (وآتوهم) أى الأزواج (ما أنفقوا) أى من المهور محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الأصل براءة الذمة ، لأن البضع ليس بمال للكافر ، وفيه أن طلب رد المهور للازواج كان واجبا فى مدة العهد خاصة كما علمت وأنزل الله تعالى (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) أى نهى المؤمنين عن البقاء على نكاح المشركات ، فطلق الصحابة رضى الله عنهم كل امرأة كافرة فى نكاحهم حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له امرأتان فطلقهما يومئذ ، فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، فكان ﷺ فى مدة العهد يرد الرجال ولا يرد النساء ، أى بعد امتحانهن فقد جاء الى النبى ﷺ وهو بالمدينة أبو بصير رضى الله عنه ، وكان ممن حبس بمكة وكتب فى رده أزهر بن عوف رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء . وهو عم عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كتابا ، وبعث به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق ، فقدما على رسول الله ﷺ بالكتاب فقرأه أبى رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فاذا فيه قد عرفت ماشارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا

فابعث الينا بصاحبنا ، فقال النبي ﷺ ياأبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماعلمت ولايصلح لنا فى ديننا الغدر ، وأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك ، قال يارسول الله أتردنى الى المشركين يفتنونى عن دينى ، قال ﷺ ياأبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق معهما ، أى وصار المسلمون رضى الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كانوا بذى الحليفة جلس رضى الله عنه الى جدار ومعه صاحباه ، فقال أبو بصير رضى الله عنه لأحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا ياأخابنى عامر ، قال نعم انظر اليه ان شئت فاسله أبو بصير رضى الله عنه ، ثم علاه به حتى قتله ، وفى لفظ ان الرجل هو الذى سل سيفه ، ثم هزه فقال لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج يوما الى الليل ، فقال له أبو بصير أوصارم سيفك هذا ؟ قل نعم ، فقال ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد ، وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع اساره أى كتافه ، ثم ضربه به حتى برد ، فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله ﷺ والحصى يطن تحت قدميه . وفى لفظ والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه ، أى وأبو بصير فى أثره حتى أزعجه ، قال ﷺ ان هذا الرجل قد رأى فزعا ، وفى لفظ قد رأى هذا ذعرا ، فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، قال له ويحك مالك ، قال قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد وانى لمقتول واستغاث برسول الله ﷺ فأمنه فاذا أبو بصير رضى الله عنه أناخ بعير العامرى بباب المسجد ، ودخل متوشحا السيف ووثب على رسول الله ﷺ فقال يارسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يفتن بى ، فقال له رسول الله ﷺ اذهب حيث شئت ، فقال يارسول الله هذا سلب العامرى ، أى الذى قتله رحله وسيفه فخمسه . فقال له ﷺ اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك ، ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب أبو بصير رضى الله عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيرات قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ، أى انهم لما بلغهم خبره رضى الله عنه ، أى وانه ﷺ قال فى حقه ويل امه مسعر حرب ، لوكان معه رجال صاروا يتسللون اليه وانفلت أبوجندل بن سهيل بن عمرو رضى الله عنهما الذى رده يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين فارسا أسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ فى تلك المدة التى هى زمن الهدنة ، أى خوف أن يردهم الى أهليهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم ، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مادة قريش لايظفرون بأحد منهم الاقتلوه ولاتمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له ﷺ تسأله بالأرحام الا آواهم ولاحاجة لهم بهم * وفى رواية ان قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب رضى الله عنه فى ذلك وان قريشا قالوا انا أسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فأمسكه فى غير حرج ، أى وفى لفظ من أتاه فهو آمن فانا أسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لايصلح اقراره ، فكتب رسول الله ﷺ الى أبى جندل والى أبى بصير رضى الله عنهما أن يقدما عليه وان من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم لا يتعرضوا لأحد مر بهم

من قريش ولالعيرانهم ، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير رضى الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل رضى الله عنه مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل رضى الله عنه على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه ، ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيراتهم ، وعلمت أصحابه ﷺ ورضى عنهم الذين عسر عليهم رد أبى جندل الى قريش مع أبيه سهيل بن عمرو أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه وان رأيه ﷺ أفضل من رأيهم ، وعلموا بعد ذلك أن مصالحته ﷺ كانت أولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين ، فان الكفار لما أمنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فأثر فيهم الاسلام فأسلم كثير منهم ، وقد ذكر بعض المفسرين ان الذين أسلموا فى سنتى الفتح بناء على أن المدة كانت سنتين أو المعنى سنتين من الصلح أى من مدته يعدلون الذين أسلموا قبلهما . قال وعن بعضهم أى وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه انه كان يقول ما كان فتح فى الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد ﷺ وربه والعباد يعجلون والله لايعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد . لقد رأيت سهيل بن عمرو رضى الله عنه بعد اسلامه فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله ﷺ بدنه ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ، ودعا الحلاق لحلق رأسه فأنظر الى سهيل كلما يلقط من شعره ﷺ يضعه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، أى وأن محمدا رسول الله ﷺ فحمدت الله وشكرته الذى هداه للاسلام ، وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكان لى وفرة فجعلت الهوام أى القمل تتساقط على وجهى فمر بى رسول الله ﷺ * وفى رواية ملت الى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهى * وفى رواية أتيت النبى ﷺ فقال ادنه فدنوت يقول ذلك مرتين أو ثلاثا * وفى رواية أتى على رسول الله ﷺ زمن الحديبية وأنا أوقد تحت برمة ، وفى لفظ قدرلى ، فقال كأنك تؤذيك هوام رأسك ، قال أجل ، قال احلق واهد هديا ، فقال ما أجد هديا فقال صم ثلاثة أيام ، وفى لفظ فقال أيؤذيك هوام رأسك ، وفى لفظ لعلك آذاك هوام رأسك قلت نعم يارسول الله ، قال ماكنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا ، وأمرنى أن أحلق ، أى وفى رواية أصابتنى هوام فى رأسى وأنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، حتى تخوفت على بصرى وأنزل الله تعالى هذه الآية (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) أى فحلق (ففدية من صيام أوصدقة أونسك) فقال رسول الله ﷺ صم ثلاثة أيام أوتصدق بفرق ، أى زاد فى رواية من زبيب بين ستة مساكين . والفرق بفتح الفاء والراء ثلاثة آصع ، أى زاد فى رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع أو أنسك ، أى اذبح ماتيسر لك انتهى زاد فى رواية أى ذلك فعلت أجزأ عنك فحلقت ، ثم نسكت * أى وفى رواية الشيخين انسك شاة أوصم ثلاثة أيام أوأطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين ، قال ابن عبد البر عامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن ، وعليه عمل العلماء فى كل الأمصار وفتواهم ، وماورد من الترتيب فى بعض الأحاديث لو صح كان معناه الاختيار أولا فأولا . قال الزمخشرى فى سفر السعادة أمره ﷺ فى علاج القمل بحلق الرأس لتنفتح المسام وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة الفاسدة التى يتولد القمل منها ، وذكر فى الهدى أن أصول الطب ثلاثة ، الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ فالى الأول شرع التيمم خوفا من

استعمال الماء ، والى الثانى شرع الفطر فى رمضان فى السفر لئلا تتوالى مشقة السفر ومشقة الصوم والى الثالث بحلق رأس المحرم اذا كان به أذى من قمل ليستفرغ المادة الفاسدة والابخرة الرديئة ، وعند أئمتنا لابد أن يكون مايذبحه مجزئا فى الأضحية و بعد الحديبية قبل خيبر ، وقيل بعد خيبر نزلت آية الظهار (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) وسبب ذلك أن أوس بن الصامت لاعبادة ابن الصامت كما قيل ، أى وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، وفى لفظ كان به لمم أى نوع من الجنون . وكان فاقد البصر ، قال لزوجته خولة بنت ثعلبة ، وفى لفظ بنت خويلد ، وكانت بنت عمه وقد راجعته فى شئ فغضب ، فقال لها أنت علىّ كظهر أمى ، وكان ذلك فى زمن الجاهلية طلاقا أى كالطلاق فى تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لاتصل الىّ ، وقد قلت ماقلت حتى أسأل رسول الله ﷺ ، وفى لفظ انه لما قال لها أنت علىّ كظهر أمى أسقط فى يده ، وقال ما أراك الا قد حرمت على انطلقى الى رسول الله ﷺ فاسأليه ، فدخلت عليه ﷺ وهو يمشط رأسه الشريف ، أى عنده ماشطة ، أى وهى عائشة رضى الله عنها تمشط رأسه ، وفى لفظ كان الظهار أشد الطلاق وأحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم ترجع اليه أبدا ، فأخبرته فقال لها ﷺ ما أمرنا بشئ من أمرك ما أراك الا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وأنه أبو ولدى وأحب الناس الىّ ، فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى وتركى الى غير أحد وقد كبر سنى ودق عظمى ، وفى لفظ انها قالت اللهم انى أشكو اليك شدة وحدتى وماشق علىّ من فراقه ومانزل بى و بصبيتى ، قالت عائشة رضى الله عنها فلقد بكيت و بكى من كان فى البيت رحمة لها ورقة عليها ، وفى لفظ قالت يارسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا ذات مال وأهل فلما أكل مالى وذهب شبابى ونفضت بطنى وتفرق أهلى ظاهر منى ، فقال لها رسول الله ﷺ ما أراك الا قد حرمت عليه ، فبكت وصاحت وقالت أشكو الى الله فقرى ووحدتى وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الىّ جاعوا ، وصارت ترفع رأسها الى السماء فبينما هو ﷺ قد فرغ من شق رأسه وأخذ فى الشق الآخر أنزل الله عليه الآية فسرى عنه وهو يتبسم ، فقال ﷺ لها مريه فليحرر رقبة ، فقالت والله ماله خادم غيرى ، قال مريه فليصم شهرين متتابعين ، فقالت والله انه لشيخ كبير انه ان لم يأكل فى اليوم مرتين يدر بصره ؛ أى لو كان مبصرا فلا ينافى ماتقدم انه كان فاقد البصر ، قال فليطعم ستين مسكينا ، فقالت والله مالنا اليوم وقية فقال مريه فلينطلق الى فلان يعنى شخصا من الأنصار أخبرنى أن عنده شطر وسق من تمر يريد أن يتصدق به فليأخذه منه وفى رواية مريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا وليراجعك ، ثم أتته فقصت عليه القصة فانطلق ففعل ، أى وفى لفظ قال رسول الله ﷺ فانى سأعينه بفرق من تمر فبكت ، وقالت وأنا يارسول الله سأعينه بفرق آخر ، قال قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ، ثم استوصى بابن عمك خيرا * وفى رواية لما قال لها ﷺ ما أعلم الا قد حرمت عليه ، قالت لها عائشه رضى الله عنها وراءك فتنحت ، فلما أنزل عليه ﷺ الوحى وسرى عنه قال ياعائشة أين المرأة ، قالت هاهى هذه ، قال ادعيها فدعتها ، فقال لها النبى ﷺ اذهبى فجيئ بزوجك فذهبت فجاءت به وأدخلته على النبى ﷺ فاذا هو ضرير البصر فقير سيئ الخلق فقال ﷺ أتجد رقبة ، قال لا وفى لفظ قال مالى بهذا من قدرة ، قال أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين

قال والذى بعثك بالحق انى اذالم آكل المرة والمرتين والثلاث يغشى على" . وفى لفظ انى اذا لم آكل فى اليوم مرتين كل" بصرى ، أى لوكان موجودا ، قال أفتستطع أن تطعم ستين مسكينا قال لا ، إلا أن تعينني بها فأعانه رسول الله ﷺ فكفر عنه * وفى رواية أنه ﷺ أعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا ، فقال أطعمه ستين مسكينا ، قال بعضهم وكانوا يرون أن عند أوس رضى الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع ، وفيه انه خلاف الروايات من أنه لايملك شيئا . فقال على أفقرمنى ، فوالذى بعثك بالحق مابين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منى فضحك رسول الله ﷺ وقال اذهب به الى أهلك ، وهذا أوّل ظهار وقع فى الاسلام ومر عمر رضى الله تعالى عنه بخولة هذه فى أيام خلافته فقالت له قف ياعمر ، فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها وأطالت الوقوف وأغلظت له القول ، أى قالت له هيهات ياعمر عهدتك وأنت تسمى عميرا وأنت فى سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال لها الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ، فقال عمر رضى الله عنه دعها * وفى رواية فقال له قائل حبست الناس لأجل هذه العجوز ، قال ويحك وتدرى من هذه قال لا ، قال هذه امرأة قد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى الى الليل ما انصرفت حتى تنقضى حاجتها * قيل وفى هذه السنة التى هى سنة ست حرمت الخمر ، وبه جزم الحافظ الدمياطى ، وقيل حرمت سنة أربع ، أى ويدل له ماتقدم من اراقة الخمر وكسر جرورها فى بنى قريظة ، وقيل فى السنة الثالثة ، وقيل انما حرمت فى عام الفتح قبل الفتح ، قال بعضهم حرمت ثلاث مرات ، أى نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون يشربونها حلالا ، أى لغيره ﷺ أما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين سنة ، فلم تبح له قط ، وقد جاء أول مانهانى عنه ربى بعد عبادة الأصنام شرب الخمر ، وتقدم أن جماعة حرّموها على أنفسهم وامتنعوا من شربها ، ولازالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اسم كبير ومنافع للناس) فعند ذلك اجتنبها قوم لوجود الاثم وتعاطاها آخرون لوجود النفع ، أى وكانوا ربما شربوها وصلوا ، فلما نزل قوله تعالى (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) امتنع من كان يشربها لاجل النفع من شربها فى أوقات الصلاة ورجع قوم منهم عن شربها حتى فى غير أوقات الصلاة ، وقالوا لاخير فى شئ يحول بيننا وبين الصلاة * وسبب نزول هذه الآية ماجاء عن على كرم الله وجهه ، قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما أى وشرابا من الخمر فأكلنا وشربنا ، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة ، أى الجهرية وقدمونى فقرأت (قل ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون) ونحن نعبد ماتعبدون الى أن قلت وليس لى دين وليس لكم دين ، ثم نزلت الآية الأخرى الدالة على تحريمها مطلقا وهى (انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الى قوله فهل أنتم منتهون أى ولعل هذه الآية الاخيرة هى التى عناها أنس رضى الله عنه بقوله كما فى البخارى كنت ساقى القوم الخمر بمنزل أبى طلحة ، أى وهو زوج أمه رضى الله عنهم ، ونزل تحريم الخمر فمرّ مناد ينادى ألا ان الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة أخرج فانظر ماهذا الصوت ، قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادى ألا ان الخمر قد حرمت ، فقال لى اذهب فأهرقها ، فقال بعض القوم قتل قوم أى فى أحد وهى فى

بطونهم * وفى رواية قالوا يارسول الله كيف بمن مات من أصحابنا ، وكان شربها فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أى لأن ذلك كان قبل تحريمها مطلقا وقد جيء لعمر رضى الله عنه بشخص من المهاجرين الأولين قد سكر فأراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الآية فقال عمر لمن حضره ألا تردون عليه ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين ، ثم استشار عمر رضى الله عنه عليا كرّم الله وجهه فأشار عليه أن يجلده ثمانين جلدة ولعل هذا الشخص هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته فى بدر وتقدم فى ذلك أن الذى ردّ عليه بذلك عمر لا ابن عباس رضى الله عنهم وكذا وقع لأبى جندل رضى الله عنه مثل ذلك وانه أشفق أى خاف من ذلك ، فلما بلغ عمر رضى الله عنه كتب اليه ان الذى زين اليك الخطيئة هو الذى حظر ، أى منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب) الآية

غزوة خيبر

على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب ، أى الذى سميت باسمه المدينة كما تقدم ، وفى كلام بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها و بين المدينة الشريفة ثمانية برد كما فى سيرة الحافظ الدمياطى ، ومعلوم أن البريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال * ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية أقام شهرا و بعض شهر ، أى ذا الحجة ختام سنة ست وأقام من المحرم افتتاح سنة سبع أياما ، قيل عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج الى خيبر ، أى وهذا ما ذهب اليه الجمهور ونقل عن الامام مالك رضى الله عنه ان خيبر كانت سنة ست ، واليه ذهب الامام ابن حزم ، وفى التعليقة للشيخ أبى حامد انها كانت سنة خمس ، قال الحافظ ابن حجر وهو وهم ولعله انتقل من الخندق الى خيبر قال وقد استنفر ﷺ من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لاتخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، فأما الغنيمة فلا ، أى لاتعطوا منها شيئا ، ثم أمر مناديا ينادى بذلك فنادى به ، قال أنس رضى الله عنه وقال رسول الله ﷺ لأبى طلحة وهو زوج أم أنس كما تقدم حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا غلاما من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة مردفى وأنا غلام قد راهقت فكان رسول الله ﷺ اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا مايقول اللهم انى أعوذ بك من الهمّ والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال اه * أقول وهذا السياق يدل على أن أوّل خدمة أنس رضى الله عنه له ﷺ حينئذ وهو يخالف ماسبق أن عند قدومه ﷺ المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابنى وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين ، وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففى مسلم عن أنس قال جاءت بى أمى أم أنس الى رسول الله ﷺ وقد أزرتنى بنصف خمارها وردتنى بنصفه ، فقالت يارسول الله هذا أنيس ابنى أتيتك به ليخدمك فدع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وقد يقال لامخالفة لأنه يجوز أن يكون ﷺ انما قال لأبى طلحة ماذكر رجاء أن يأتى له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس ومن ثم لم يخرجه ﷺ معه ، وتقدم انه خرج معه

فى بدر فقد جاء انه قيل لأنس رضى الله عنه أشهدت بدرا مع رسول الله ﷺ فقال لا أم لك وأين غبت عن بدر ؛ وقد يقال جاز أن يكون عرض لأنس رضى الله عنه حين خروجه ﷺ الى خيبر مايقتضى الشفقة عليه فى عدم اخراجه معه والله أعلم ، واستخلف ﷺ على المدينة نميلة ، وقيل سباع بن عرفطة ، أى وصحح وكان الله وعده وهو بالحديبية أى عند منصرفه منها فى سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) [] أى مغانم خيبر ، وخرج معه ﷺ من نسائه أم سلمة رضى الله تعالى عنها وقال ﷺ فى سيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنهما أنزل فخذنا من هناتك ، وفى رواية من هنيهاتك ، وفى لفظ من هنياتك بقلب الهاء الثانية ياء ، أى من أراجيزك وأشعارك ، وفى لفظ أنزل فحرك بنا الركاب فقال يارسول الله قد تولى قولى أى الشعر ، فقال له عمر رضى الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز بقوله رضى الله تعالى عنه

والله لولا الله مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

الأبيات وفى مسلم * اللهم لولا أنت ما اهتدينا * قيل وصوابه فى الوزن لاهم أو يالله أو والله لكن فى تلك الأبيات فاغفر فداء لك مااقتفينا ، أى فاغفر مااكتسبنا وأصل الاقتفاء الاتباع ، وفى خطاب البارى عز وجل بفداء لك مالاينبغى لأنه لايقال للبارى عز وجل فديتك لأن ذلك انما يستعمل فى مكروه متوقع حلوله بالمفدى بالفتح فيجعل المفدى بالكسر نفسه فداء له من ذلك فيبذل نفسه عن نفسه * وأجيب عن ذلك بأن الشاعر لم يرد ذلك بل أراد أن يبذل نفسه فى رضاه سبحانه وتعالى وعند إنشاده الأبيات المذكورة قال له النبى ﷺ يرحمك ربك ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله وجبت ، أى الشهادة يارسول الله لولا أى هلا أمتعتنا به أى أبقيته لنا لنتمتع به ومنه أمتعنى الله ببقائك ، أى هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر لأنه ﷺ ماقال ذلك لأحد فى مثل هذا الموطن إلا واستشهد ، وفى لفظ ان القائل له أسمعنا رجل من القوم ، قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه صريحا وأن رسول الله ﷺ لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر ، قال ﷺ يرحمه الله فقتل فى هذه الغزاة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودى فجاءت ذبابته فى ركبته فمات من ذلك رضى الله عنه فقال الناس قتله سلاحه ، وفى رواية قتل نفسه أى فليس بشهيد ، فقال رسول الله ﷺ انه لشهيد وصلى عليه ﷺ والمسلمون ، وفى رواية قال سلمة بن الأكوع يارسول الله فداك أبى وأمى زعموا أن أخى عامرا حبط عمله ، وفى لفظ يزعم أسيد ابن حضير وجماعة من أصحابك أن عامرا حبط عمله اذقتل بسيفه ، فقال رسول الله ﷺ كذب من قال أى أخطأ فى قوله ، وان له أجرين وجمع بين أصبعيه ، وفى رواية انه لشهيد ، وفى لفظ انه لجاهد مجاهد وفى لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد فى أمره ، فلما قام بوصفين كان له أجران ، وقيل هو من باب جد مجد وشعر شاعر فهو تأكيد وكون عامر أخا سلمة هو خلاف ما تقدم انه عمه وهو الصحيح المشهور ، قال فى النور ويمكن الجمع بأن يكون عمه من النسب وأخاه من الرضاعة . أى وحينئذ يكون هذا محمل قول ابن الجوزى رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول الله ﷺ عامر وسلمة ابنا الأكوع ، وفى فتح البارى عن بعض الصحابة ، فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

* اذا الحروب أقبلت تلتهب *

فبرز له عامر رضي الله عنه يقول

قد علمت خيبر إني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه فذهب عامر يسفل لمرحب ، أي يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه ، أي أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك الحديث ، وكون عامر ارتجز لرسول الله ﷺ أي حدا به لا ينافي ما جاء أن البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله ﷺ في أسفاره لأن المراد في غالب أو في بعض أسفاره كما صرح به بعض الروايات وجاء انه ﷺ قال له أي للبراء اياك والقوارير وهو يدل على انه كان يرتجز لنسائه ﷺ وهو يخالف أن البراء كان حادي الرجال وأنجشة حادي النساء الا أن يقال جاز أن يكون البراء حدا للنساء في بعض الأسفار أو في بعض الأحيان وأنجشة كان في الغالب ، قال بعضهم كان أنجشة رضي الله تعالى عنه عبدا أسود وكان حسن الصوت بالحداء اذا حدا أعنقت الابل ، أي سارت العنق وأسرعت فلما حدا بأمهات المؤمنين قال له رسول الله ﷺ يا أنجشة رويدك رفقا بالقوارير ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر وكان وقت الصبح قال لأصحابه رضي الله عنهم قفوا ثم قال . أي وفي لفظ قال لهم قولوا اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ، أي وفي لفظ أدخلوا على بركته تعالى وكان ﷺ يقولها لكل قرية دخلها ، أي وجاء أنه ﷺ لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ اربعوا على أنفسكم ، أي ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم . قال عبدالله بن قيس رضي الله عنه وكنت خلف دابته ﷺ فسمعني أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فقال يا عبدالله بن قيس . قلت لبيك يارسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول الله فداك أبي وأمي قال لا حول ولا قوة إلا بالله ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين أمره ﷺ بأن أصحابه يرفعون أصواتهم بالتلبية ، وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما آذى بدليل قوله ﷺ اربعوا على أنفسكم ، أي ارفقوا بها كما تقدم فلا منافاة ولما أبصر ﷺ عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم قالوا محمد والخميس أي الجيش العظيم سمي قيل له الخميس لانه خمسة أقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحين و[illegible] و[illegible] هرابا قال وذكر انه كان بها عشرة آلاف مقاتل وانهم كانوا [illegible] أن رسول الله ﷺ [illegible] حين بلغهم أن رسول الله ﷺ يغزوهم وهم يخرجون ويصطفون صفوفا ثم يقولون [illegible] هيهات هيهات ، وذكر أن عبدالله بن أبي ابن سلول أرسل اليهم يخبرهم [illegible] خذوا حذركم وأدخلوا أموالكم حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا [illegible] وقوم [illegible] شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل ، [illegible] ﷺ صبيحتهم بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم [illegible] حتى [illegible] الشمس [illegible] وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم [illegible]

[illegible] ﷺ [illegible]

فقال رسول الله ﷺ الله أكبر خربت خيبر إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، أى وبذلك استدل على جواز الاقتباس من القرآن ، وانما قال ﷺ خربت خيبر لأنه لما رأى آلة الهدم التى هى الفؤوس والمساحى تفاءل ﷺ بأن حصونهم ستخرب أو أخذ ذلك من اسمها أوأن ذلك دعاء بلفظ الخبر ، قال الامام النووى رحمه الله والأصح أنه أعلمه الله بذلك ويوافقه مافى فتح البارى ويحتمل أن يكون قال ذلك بطريق الوحى ويؤيده قوله إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، أى لأنه نزل بساحتهم وهى فى الأصل الفضاء بين الأبنية وابتدأ رسول الله ﷺ من حصونهم بحصون النطاة قبل حصون الشق ، وقيل بحصون الكتيبة ، أى لأنهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه ﷺ الحبب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان الرأى تكلمنا فقال رسول الله ﷺ هو الرأى ؟ فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمرة النخل ، أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال ﷺ أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضى الله عنه ؟ فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضى الله عنه ، وقال يارسول الله وجدت لك منزلا . فقال رسول الله ﷺ على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول ، أى وفى لفظ ان راحلته ﷺ قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله ﷺ الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا ؛ وفى الأصل أنه نزل بذلك ليحول بين أهل خيبر و بين غطفان لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله ﷺ ، وقد يقال لا مخالفة بين هذه الروايات الثلاث فليتأمل ، وابتنى رسول الله ﷺ هناك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر ، أى وأمر ﷺ بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها ، قال قيل وقاتل ﷺ يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان و بيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس ، وماقيل انه ﷺ يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته إكاف من ليف . أى ففى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز أن يكون ركب ذلك الحمار فى الطريق وحال القتال ركب ذلك الفرس انتهى * أقول يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر وظاهر هذا الكلام انه ﷺ باشر القتال بنفسه وتقدم انه ﷺ لم يباشر القتال بنفسه الا فى أحد ، ويبعد أن يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل أحد اذ لو قتل أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعى الى نقله وقد يكون المراد بقولهم وقاتل ﷺ بنفسه أى قاتل جيشه ، ويدل لذلك مافى الامتاع وأخذ على حصن ناعم ، أى وهو من حصون النطاة بالرمى ويهود تقاتل ورسول الله ﷺ على فرس يقال له الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة وفى يده قناة وترس وقد دفع ﷺ لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى الى رسول الله ﷺ فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى

مهموما والله أعلم ، وفي ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب ، وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بأنهما اجتمعا على ذلك وسيأتي مايدل على أن قاتله غيرهما ، وقد يقال لامانع من أن يكونوا ، أي الثلاثة تجمعوا على قتله أي فان محمود بن مسلمة رضي الله عنه كان قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه ، أي وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبي ﷺ فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضي الله عنه من شدة الجراحة ، وجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى رسول الله ﷺ فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال ﷺ لاتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لاتدرون ماتبتلون به منهم فاذا لقيتموه فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ، ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ، أي وفي سياق بعضهم مايدل على أنه ﷺ مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد ابن مسلمة رضي الله عنه للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان فاذا أمسى رجع ﷺ الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جرحه وكان ﷺ يناوب بين أصحابه في حراسة الليل ، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل ﷺ عمر رضي الله عنه فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر به عمر رضي الله عنه أن يضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله ﷺ فوجده يصلي فسمع ﷺ كلام عمر فسلم وأدخله عليه فدخل باليهودي فقال رسول الله ﷺ لليهودي ماوراءك ، فقال تؤمنني ياأبا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال ، ولعل المراد ماأبقوه من ذراريهم فلاينافي ماتقدم من انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة أوان ذلك الخبر أخبر بحسب مافهم أنهم يجعلون ذراريهم في الشق والحال أنهم انما يذهبون ليجعلوا ذراريهم في حصون الكتيبة فليتأمل ، وفي هذا الحصن الذي هو الحصن الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الأرض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله ، قال رسول الله ﷺ ان شاء الله ، قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لايعرفه غيري ، وأخرى ، قيل ماهي ؟ قال يستخرج المنجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ، ثم قال ياأبا القاسم احقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه ﷺ الى الاسلام فقال أنظرني أياما ، ثم قال ﷺ لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لأعطين الراية [illegible] رجل يحب الله ورسوله ويحبانه ، وفي لفظ قال ﷺ لأدفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله [illegible] الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة رضي الله عنهم أحد له منزلة عند النبي ﷺ الا يرجو أن يعطاها ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ، ولعل ذلك لاينافي ماجاء وفي تقييد [illegible] صلى الله عليه وسلم قال لهم [illegible] أولأبعثن اليكم رجلا [illegible] ، وفي رواية مثل نفسي [illegible]

أموالكم ، قال عمر رضي الله عنه فوالله ماتمنيت الامارة إلا يومئذ وجعلت أنصب صدرى له ﷺ وجاء أن يقول هو هذا فالتفت ﷺ الى على كرّم الله وجهه فأخذ بيده وقال هو هذا هو هذا ، وقد يقال لايلزم من محبة الشيء تمنيه بخلاف العكس ففي هذه الغزاة أحب الامارة وماتمناها وفي وفد ثقيف المتأخر عن هذه الغزاة تمناها لأن الوصف فى ذلك أبلغ من الوصف هنا فليتأمل ، ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته ﷺ ، أى فى خيبر ، قال اللهم لامعطى لما منعت ولامانع لما أعطيت فبعث ﷺ الى على كرم الله وجهه وكان أرمد شديد الرمد أى وكان قد تخلف فى المدينة ثم لحق بالقوم ، أى فقيل له انه يشتكى عينيه فقال ﷺ من يأتينى به فذهب اليه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى ﷺ قد عصب عينيه فعقد له ﷺ اللواء ، أى لواءه الأبيض ، فعن ابن اسحق وابن سعد لم تكن الرايات إلا يوم خيبر ، أى فانه ﷺ فرّق الرايات يومئذ بين أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم ، وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله ﷺ سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها تدعى العقاب ، وفى كلام المقريزى لما ذكر رتب الرياسة فى الجاهلية ذكر أن العقاب كان فى الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب وجاء الاسلام وهى عند أبى سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبى طلحة من بنى عبد الدار ، وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله وكانت له ﷺ راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواؤه أبيض دفعه الى على كرم الله وجهه ، وفيه أن ذلك اللواء يقال له العقاب . وفى سيرة الدمياطى رحمه الله وكانت ألويته ﷺ بيضاء وربما جعل فيها الأسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك العلم ، ولعل هذا اللواء الذى فيه الأسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له ﷺ لواء أبيض مكتوب فيه لااله إلا الله محمد رسول الله ، أى بالسواد ولعله محمل قول بعضهم كان له ﷺ لواء أغبر وربما كان من خز بعض نسائه [] فقال على كرّم الله وجهه يارسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فتفل ﷺ ، وفى لفظ بصق فى عينيه ، أى بعد ان وضع رأسه فى حجره ، وفى لفظ فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع ، قال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ ، وفى لفظ فما رمدت ولاصدعت ، وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة ، وفى هذا السياق لطيفة وهى أن من طلب شيئا أو تعرّض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب شيئا ولم يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك ﷺ بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكن لأجل سؤاله إياه ذلك أخر عنه سنة ، أى وبعد السنة دعاه الملك وتوّجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من إستبرق وفوض اليه أمر مصر ، وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لاتقع إلا على رأس من لايريدها زاد فى رواية عن على كرم الله وجهه أنه ﷺ دعا له فقال اللهم كفه الحر والبرد ، قال على كرم الله وجهه فما وجدت بعد ذلك اليوم لاحرّا ولابردا أى فكان يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين ، وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وفى ذلك ضحكة بعضهم ، قال دخل رجل على علىّ كرّم الله وجهه وهو يرعد تحت سمل قطيفة ، أى خلقة حاقة فقال ياأمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال نصيبا وأنت تصنع بنفسك هكذا ؟ فقال والله لا أرزؤكم من مالكم وانها لقطيفتى التى

خرجت بها من المدينة ، وقد يقال لامخالفة لأنه يجوز أن تكون رعدته رضى الله عنه ليست من البرد خلاف ماظنه السائل لجواز أن تكون لحمى أصابته فى ذلك الوقت ، وقد أشار الى التفل صاحب الهمزية رضى الله تعالى عنه بقوله

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعيني عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

وفى قوله ﷺ لأدفعن الراية اطلاق الراية على اللواء ، ومن ذلك قوله ﷺ لعلى كرم الله وجهه خذ هذه الراية ، وتقدم أن الراية قد يطلق عليها لواء هذا ، وفى كلام بعضهم أن أبا سفيان رضى الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التى كانت لايحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب ، هذا كلامه ، فلعل تسمية رايته ﷺ بالعقاب لكونها كذلك ، فقال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم يارسول الله ، قال أن يشهدوا أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم * وفى رواية لما أعطاه ﷺ الراية قال له امش ولاتلتفت ، فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يارسول الله علام أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لاإله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ، أى حساب بواطنهم وسرائرهم على الله ، لأنه المطلع وحده على مافيها من إيمان خالص أونفاق وكفر زاد فى رواية وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ، أى تتصدق بها فى سبيل الله ، فقد جعل ﷺ عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لايقر من نطق بهما على ترك الصلاة ولا على ترك الزكاة ، ومن ثم قال له ﷺ وأخبرهم بما يجب عليهم ، وفى لفظ قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، أى وعن حذيفة رضى الله عنه لماتهيأ على كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة ، قال له رسول الله ﷺ ياعلى والذى نفسى بيده ان معك من لايخذلك ، هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لوضرب به الجبال لقطعها ، فاستبشر بالرضوان والجنة ياعلى انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم * وفى رواية انه ﷺ كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه ، فبعث أبا بكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد ، أى برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث رجلا من الأنصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح ، فقال عليه الصلاة والسلام لأعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار وفى لفظ كرار غير فرار ، فدعا عليا كرم الله وجهه وهو [illegible] فى عينيه ، ثم [illegible] راية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، أى ودعا له [illegible] * وفى رواية [illegible]

الحديد وشد ذا الفقار ، أى الذى هو [illegible] فى وسطه و [illegible] فخرج على كرم الله وجهه بها يهرول حتى ركزها تحت الحصن فصاح عليه يهودى [illegible] من أنت ؟ قال على بن أبى طالب ، فقال اليهودى [illegible] على [illegible] الحصن وكان أول من خرج [illegible] على [illegible] فقتله [illegible]

[illegible]

فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ، ثم ألقاه من يده أى وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوى فجهدت أنا وسبعة نفر على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر ، قال بعضهم فى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر ، قال وقيل ولم يقدر على حمله أربعون رجلا ، وقيل سبعون * وفى رواية أن عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوه مكانه ؛ وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن ، قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية وفى بعضها ، قال الذهبى انه منكر ، وفى الامتاع وزعم بعضهم أن حمل على كرم الله وجهه الباب لا أصل له ، وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ، ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ ، وجاء أن مرحبا لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن فى سلاحه ؛ أى وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول من أبيات

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

ومعنى شاكى السلاح تام السلاح ، ومعنى مجرب أى معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ، ثم صار يقول هل من مبارز ، فقال رسول الله ﷺ من هذا ؟ قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا له يا رسول الله أنا الموتور أى الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ بثاره الثائر قتل أخى بالأمس قال ﷺ فقم اليه اللهم أعنه عليه ، فقتله محمد بن مسلمة رضى الله عنه ، أى فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وأمسكته فضربه محمد رضى الله عنه فقتله ، ويدل لذلك قول الامام المزنى رحمه الله فى المختصر أن النبى ﷺ يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقيل القاتل له على كرم الله وجهه ، وبه جزم مسلم رحمه الله فى صحيحه ، قال بعضهم والأخبار متواترة به ؛ وقال ابن الأثير الصحيح الذى عليه أهل السير والحديث أن عليا كرم الله وجهه قاتله ، وفى الاستيعاب والصحيح الذى عليه أكثر أهل السير والحديث أن عليا قاتله ، ويروى أن عليا كرم الله وجهه ورضى عنه لما خرج اليه ارتجز بقوله

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره

وقيل بدله * كليث غابات كريه المنظره * أى فان أم على كرم الله وجهه سمته أسدا باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائبا ، فلما قدم كره ذلك وسماه عليا ؛ أى ومن أسماء الأسد حيدره والحيدرة الغليظ القوى ؛ وقيل لقب بذلك فى صغره لأنه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ، ويقال ان ذلك كان كشفا من على كرم الله وجهه فان مرحبا كان رأى فى تلك الليلة فى المنام أن أسدا افترسه فذكره على كرم الله وجهه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه ، ويروى أن عليا كرم الله وجهه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الأضراس وفى ذلك يشير بعضهم ، وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا
قد فؤادى فى الهوى قدة * قد على فى الوغى مرحبا

أى رقه بجامع من كون القاتل لمرحب عليا كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بأن محمد

ابن مسلمة أثبته ، أى بعد أن شق على كرم الله وجهه هامته لجواز أن يكون شق هامته ولم يثبته فأثبته محمد بن مسلمة ، ثم ان عليا كرم الله وجهه وقف عليه ، أى ويدل لذلك مافى بعض السير عن الواقدى رحمه الله لما قطع محمد بن مسلمة ساقى مرحب قال له مرحب أجهز على ، فقال لا ذق الموت كما ذاقه أخى ومر به على كرم الله وجهه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله ﷺ فى سلبه ، فقال محمد يارسول الله ماقطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت ، وكنت قادرا أن أجهز عليه فقال على كرم الله وجهه صدق ، فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه ، ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحب فلا ينافى مامر عن فتح البارى ، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر أى وهو يرتجز بقوله

قدعلمت خيبر أنى ياسر ✱ شاكى السلاح بطل مغاور

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز ؛ فخرج له الزبير رضى الله عنه ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ يارسول الله انه يقتل ابنى ، فقال رسول الله ﷺ بل ابنك يقتله ان شاء الله ، فقتله الزبير رضى الله عنه ، أى وعند ذلك قال له ﷺ فداك عم وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير ، وذكر الزمخشرى أن هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة ، حيث قال انه يعنى الزبير رضى الله عنه أول من استحق السلب ، وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو ، فقال رجل ورجل ، فقال النبى ﷺ قم يازبير ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب واحدى يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ أيهما علا صاحبه قتله ، فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله ، فنفله رسول الله ﷺ سلبه وقال السلب للقاتل ، هذا كلامه فليتأمل فانى لم أقف فى كلام أحد على أن بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة ✱ وفى رواية ان القاتل لياسر على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أى ويمكن الجمع بمثل ماتقدم ، وكان شعار المسلمين أمت أمت وفى رواية يامنصور أمت أمت ، ومن جملة من قتل من المسلمين الأسود الراعى كان أجيرا لرجل من اليهود يرعى غنمه ، وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم . أى وفى الامتاع اسمه يسار ، فجاء اليه ﷺ وهو محاصر خيبر ، وقال يارسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم ✱ وفى رواية انه قال ان أسلمت فماذا لى ؟ قال الجنة فأسلم ، فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها ، وفى لفظ انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك ، فقال ﷺ له اضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها . فقام الأسود فأخذ حفنة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك . فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم رضى الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر . وفى رواية سهم غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة وهو الذى لا يعرف راميه فقتله وما سجد لله سجدة ؛ فأتى به الى رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه . ثم أعرض عنه ، فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه ؟ فقال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك ، [illegible] العبد [illegible] وقد تمكن [illegible] وفتح [illegible] ذلك الحصن [illegible]

وهو أوّل حصن فتح من حصون النطاة على يد عليّ كرم الله وجهه ، أى وعن عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله ﷺ من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بنى قة ، أى وهى أوّل دار فتحت بخيبر وهى بالنطاة وهى منزل ياسر أخى مرحب وظاهر السياق أنها حصن ناعم ، ويروى أن عليا كرّم الله وجهه لما فتح الحصن أخذ الرجل الذى قتل أخا محمد بن مسلمة وسلمه اليه فقتله وتقدّم أن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل أخيه على ماتقدّم ، وسيأتى أنه ﷺ دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه وهذا يؤيد ماتقدّم من أن الثلاثة ، أى مرحب وكنانة وذلك الرجل الذى سلمه عليّ له اشتركوا فى قتل أخى محمد بن مسلمة ، قال وأصاب المسلمين رضى الله عنهم مجاعة وأرسلت أسلم الى رسول الله ﷺ أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول له ﷺ ان أسلم يقرءونك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال زيد ابن حارثة أخو أسماء والله إنى لأرجو أن يكون البعث الى رسول الله ﷺ مفتاح الخير فجاءه ﷺ أسماء و بلغه ماقالت أسلم فدعا لهم فقال اللهم انك قدعرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه وندب الناس ، وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ماغابت الشمس من ذلك اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن أكثر طعاما منه ، أى من شعير وتمر وودك ، أى من سمن وزيت وشحم وماشية ، ومتاعا منه ، ولا يخالف هذا ماتقدّم عن عائشة فى وصف حصن ناعم من قولها ماشبع رسول الله ﷺ الى آخره ولا ماتقدّم من أنهم أدخلوا أموالهم حصون الكتيبة لأنه يجوز أن يكون المراد بأموالهم النقود ونحوها دون ماذكر هنا ، وكان فى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فقتله وخرج آخر مبارزا يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى رضى الله تعالى عنه فضربه على هامته فقتله وقال له خذها وأنا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده ، فقال ﷺ لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد ، أى وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب ابن المنذر رضى الله تعالى عنه فحرض ﷺ المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب رضى الله تعالى عنه فهزمت يهود وأغلقت الحصون عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون و يأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيئا كثيرا ونادى منادى رسول الله ﷺ كلوا واعلفوا ولا تحملوا ، أى لاتخرجوا به إلى بلادكم ، وهذا دليل لما ذهب اليه إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أن للغانمين أخذ ماتعم الحاجة اليه من الطعام ومايؤكل غالبا من القوت وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجيش بدار الحرب إلى أن يصلوا الى غير دار الحرب مما يباع فيه ، وليس لهم أخذ ماتندر الحاجة اليه كالفانيذ والسكر ، ولاينافى ذلك ماذكر لأنه يجوز أن يكون الاذن فى كل مجموع ماذكر ، وفى الصحيحين عن عبدالله بن مغفل رضى الله تعالى عنه ، قال أصبت من فىء خيبر ، أى من غنيمتها جراب شحم فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها ، أى وهو أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصارى رضى الله تعالى عنه فأخذ بناحيته وقال هلم [illegible] حتى

نقسمه بين المسلمين ، فقلت والله لا أعطيكه فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم لا أبالك خل بينه و بينه فأرسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه ، وفي الامتاع أنهم وجدوا في هذا الحصن الذي هو حصن الصعب آلة حرب دبابات ومنجنيقا ، أي وذلك موافق لما تقدم عن ذلك المخبر له ﷺ بأن في حصن في بيت منه تحت الأرض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف ، ولعل وجود ذلك كان بدلالة ذلك الرجل عليه ، ولما فتح ذلك الحصن تحوّل من سلم من أهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل ، أي ويعبر عن هذا بقلة الزبير رضي الله تعالى عنه : أي الذي صار في سهم الزبير بعد ذلك وهو آخر حصون النطاة ، أي فحصون النطاة ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة ، فأقام المسلمون على حصار هذا الحصن الذي هو حصن قلة ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود وقال له ﷺ يا أبا القاسم تؤمّني على أن أدلك على ما تستريح به فانك لو مكثت شهرا لا تقدر على فتح هذا الحصن فان به دبولا وهي الأنهر الصغيرة تحت الأرض يخرجون ليلا فيشربون منها ، فان قطعت عنهم شربهم أهلكتهم فأمّنه ﷺ وسار الى دبولهم فقطعها فعند ذلك خرجوا وقاتلوا أشدّ القتال وفتح ذلك الحصن ، ثم سار المسلمون الى حصار حصون الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح أعرف عند أهل اللغة فكان أوّل حصن بدأ به من حصني الشق حصن أبيّ فقاتل أهله قتالا شديدا ، وخرج رجل منهم يقال له غزوال يدعو الى البراز فبرز له الحباب رضي الله تعالى عنه وحمل عليه فقطع يده اليمنى ونصف الذراع فبادر راجعا منهزما إلى الحصن فتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفف عليه فخرج آخر مبارزا فخرج له رجل من المسلمين فقتل ذلك الرجل وقام مكانه يدعو للبراز فخرج له أبو دجانة رضي الله تعالى عنه فضربه أبو دجانة رضي الله تعالى عنه فقطع رجله ، ثم ذفف عليه وعند ذلك أحجمت يهود عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن ودخلوه يقدمهم أبو دجانة رضي الله تعالى عنه فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البريء وهو الحصن الثاني من حصني الشق فتمنعوا به أشدّ التمنع ، وكان أهله أشد رميا للمسلمين بالنبل والحجارة حتى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ وعلقت به فأخذهم ﷺ كفا من حصباء فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ في الأرض وأخذ المسلمون من فيه أخذا ذريعا ، أي فحصون الشق اثنان حصن أبيّ وحصن البريء ، وحينئذ يتأمل في قول الحافظ الدمياطي في سيرته : والشق وبه حصون منها حصن أبيّ وحصن البريء * أقول وفي الامتاع انهم وجدوا في حصن الصعب الذي هو أحد حصون النطاة منجنيقا ، أي كما أخبر بذلك اليهودي الذي جاء به عمر رضي الله تعالى عنه وأدخله عليه ﷺ وأمّنه كما تقدم وانهم نسبوا المنجنيق الذي وجدوه في حصن الصعب على هذا الحصن الذي هو حصن البريء من حصون الشق ، أي [illegible] ويخالف قول بعضهم [illegible] نصب المنجنيق إلا في غزوة [illegible] إلا أن يقال يجوز أن يكون المراد بعدم نصبه أنه لم يرم به إلا في غزوة [illegible] هنا فنصب [illegible] ، ووجدوا في هذا الحصن آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب [illegible] ﷺ [illegible] وها واصحوا وكان [illegible] رواية سخنوا فيه [illegible] ، وحكمة [illegible]
[illegible]
[illegible]

وهى ثلاثة حصون القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على كرّم الله وجهه ومنه سبيت صفية رضى الله تعالى عنها كما قاله الحافظ ابن حجر ، قال وقيل كان اسمها قبل أن تسمى زينب فلما صارت من الصفى سميت صفية ، والصفى ما كان يصطفيه ﷺ لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم على ما تقدّم ، وكان فى الجاهلية لأمير الجيش ربع الغنيمة ومن ثم قيل له المرباع ، قال السهيلى رحمه الله كانت أموال النبى ﷺ من ثلاثة أوجه من الصفى والهدية وخمس الخمس هذا كلامه ، ولا يخفى أنه يزاد على ذلك الفىء ☆ وانتهى المسلمون الى حصار الوطيح بالحاء المهملة مأخوذ من الوضح وهو فى الأصل ما تعلق بمخالب الطير من الطين سمى الوطيح باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وحصن سلالم ويقال له السلاليم وهو حصن بنى الحقيق آخر حصون خيبر ، ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهما فهمّ ﷺ أن يجعل عليهم ، أى على من فيهما المنجنيق أى ينصبه عليهم ولم يرم به ؛ فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب واحدا منهم إلا ثوب واحد على ظهره ؛ وفى لفظ وتركوا مالهم من مال وأرض من الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبز إلا ثوبا واحدا فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله ورسوله بريئة منهم أن يكتموه شيئا من متاعهم يسألهم عنه ، فعلم أن حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحا عنوة بل صلحا فكانا فيئا لرسول الله ﷺ وهو دليل على انهم لم يقاتلوا فى حال حصارهم لأن الفىء ما جلوا عنه من غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفىء ما صولح عليه أهل بلد من الكفار أنه وان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين فى حال حصارهم برمى الحجارة أو النبل ؛ وفى فتح البارى نقلا عن ابن عبد البر أنه جزم بأن حصون خيبر فتحت عنوة وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال هذا كلامه فليتأمل ، فان بالقتال يخرج عن كونه فيئا ، ولعل المراد قتال بنبل ورمى بالحجارة والا فقد تقدّم أنه لم يخرج منهما أحد للمقاتلة فليتأمل ، فان كلامه يقتضى ان بالحصار وبالقتال بنحو النبل يخرج ذلك عن كونه فيئا له ﷺ ويكون غنيمة ، ولعله مذهب المالكية الذى هو مذهب ابن عبد البر رحمه الله تعالى . وفى الأصل عن ابن شهاب رحمه الله أنه قال بلغنى أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال هذا كلامه ، فظاهره أن القتال وقع من الذين جلوا فى حال حصارهم و إلا فقد علمت أن الذين جلوا لم يخرج أحد منهم مقاتل فى حال حصارهم ، وسيأتى ما يصرح بأن ما جلوا عنه فىء لا غنيمة ، ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها أى ووجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر ﷺ بدفعها اليهم . وهو يخالف ما قاله أئمتنا أن كتبهم تحرم الانتفاع بها لكونها مبدلة تمحى ان أمكن أو تمزق وتجعل فى الغنيمة فتباع إلا أن يدعى أن تلك المصحف لم تكن مبدلة وغيبوا الجلد الذى كان فيه حلى بنى النضير ، أى وعقود الدر والجوهر الذى جلوا به لأنهم لما جلوا كان سلام بن أبى الحقيق رافعه ليراه الناس وهو يقول بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الأرض وخفضها كما تقدم فقال رسول

الله ﷺ لسعية بن عمرو ، أي وهو عم حي بن أخطب وفي لفظ سعية بن سلام بن أبي الحقيق وفي الامتاع وسأل ﷺ كنانة بن أبي الحقيق أين مسك ، أي جلد حي بن أخطب ، أي وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حي لأن حييا كان عظيم بني النضير وإلا فهو لا يكون الا عند بني الحقيق فقال أذهبته الحروب والنفقات فدفع رسول الله ﷺ سعية بن عمرو للزبير رضي الله تعالى عنه فسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد قال وفي رواية أنه ﷺ أتى بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم وبالربيع أخوه فقال لهما رسول الله ﷺ أين آنيتكما التي كنتم تعيرونها أهل مكة . أي لأن أعيان مكة إذا كان لأحدهم عرس يرسلون فيستعيرون من ذلك الحلي انتهى ، أي والآنية والكنز عبارة عن حلي كان أولا في جلد شاة ثم كان لكثرته في جلد ثور ثم كان لكثرته في جلد بعير كما تقدم فقالا أذهبته النفقات والحروب فقال ﷺ العهد قريب والمال أكثر من ذلك انكما ان كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحلت دماءكما وذراريكما فقالا نعم فأخبره الله بموضع ذلك الحلي : أي فانه ﷺ قال لرجل من الأنصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو قال عن يسارك مرفوعة فائتني بما فيها فانطلق فجاءه بالآنية ، ويمكن الجمع بين هذا وماتقدم ومايأتي انهم فتشوا عليه في خربة حتى وجدوه بأن التفتيش كان في أول الأمر واعلام الله تعالى له بذلك كان بعد فجيء به فقوم بعشرة آلاف دينار ، أي لأنه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجوهر والزمرذ وعقود أظفار مجزع بالذهب فضرب أعناقهما وسبى أهلهما أي وفي لفظ آخر لما فتحت خيبر أتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وفي لفظ ابن ربيعة بن أبي الحقيق وكان عنده كنز بني النضير فسأله ﷺ عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فقال إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أي من كنانة حين رأى النبي ﷺ فتح حصن النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه في خربة ، أي وفيه ان هذا لايناسب ماسبق من أن حييا كان يطيف بتلك الخربة إلا أن يقال جاز أن يكون دفنه في تلك الخربة في محل آخر غير الذي دفنه فيه حيي فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت ان وجدنه عندك أقتلك ؟ قال نعم ، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم . ثم سأله مابقي فأبى أن يؤديه فأمر به الزبير رضي الله تعالى عنه فقال عذبه حتى نستأصل ماعنده فكان الزبير رضي الله تعالى عنه يقدح بزند ، أي بالزناد الذي يستخرج به النار على صدره حتى أشرف على نفسه وأخذ منه جواز [illegible] لمن يتهم بقر بالحق فهو من السياسة الشرعية ثم دفعه ﷺ لمحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه فضرب عنقه بأخيه محمود ، أي ولا مانع أن يكون سؤاله وتعذيب الزبير وقع لسعية ولكنانة [illegible]

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم أي التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله ﷺ سبايا منها صفية رضي الله تعالى عنها بنت حيي بن أخطب من سبط هرون بن عمران أخي موسى عليهما الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وجعلها عند أم سليم أي هي من خدمه ﷺ حتى اعتدت وأسلمت ، ثم أعتقها ﷺ وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، أي أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا في المآل ، أي لم يجعل لها شيئا غير العتق . وقد سئل أنس رضي الله تعالى عنه عن صفية فقيل له يا أبا حمزة ما أصدقها ؟ قال نفسها أعتقها وتزوجها [illegible]

فقهائنا على أن من خصائصه ﷺ جواز نكاح الأمة الكتابية وجواز وطئها بملك اليمين من أنه ﷺ كان يطأ صفية قبل اسلامها بملك اليمين ويرد أيضا على من استدل من فقهائنا على استحباب الوليمة للسرية بأنه ﷺ أولم على صفية كما علمت أنها زوجة لا سرية ، أي لكن ذكر بعض فقهائنا أنه ﷺ لما أولم على صفية رضي الله تعالى عنها قالوا ان لم يحجبها فهي أم ولد وان حجبها فهي امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت بالزوجة لم يترددوا في كونها زوجة أو سرية وذلك بعد أن خيرها ﷺ بين أن يعتقها فترجع الى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه فقالت أختار الله ورسوله ، وذكر في الأصل أن جعل عتق الأمة صداقها من خصائصه ﷺ وقد ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ، وذهب الامام أحمد رحمه الله الى عدم الخصوصية وقال ابن حبان لم ينقل دليل على أنه خاص به ﷺ دون أمته ، وقيل ان دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله ﷺ صفية فوهبها له ، وقيل وقعت في سهمه رضي الله تعالى عنه ، ثم ابتاعها ﷺ منه بتسعة أرؤس أي واطلاق الشراء في ذلك على سبيل المجاز ، على أنه يخالف ما تقدم أنها من صفيه ﷺ قبل القسمة ، وفي البخاري جمع السبي فجاء دحية رضي الله تعالى عنه فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي ، فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فقال ادعوه بها فجاء بها . فلما نظر اليها النبي ﷺ قال خذ جارية من السبي غيرها أي فأخذ غيرها ، أي والتي أخذها غيرها هي أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية كما في الأم لامامنا الشافعي رضي الله عنه عن سيرة الواقدي ؛ وقول الرجل للنبي ﷺ يا نبي الله أعطيت دحية صفية يدل على أنه اسمها وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها زينب فسماها ﷺ صفية كما تقدم * وفي رواية ان صفية سبيت هي وبنت عم لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود ، فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها ﷺ قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وقال ﷺ لبلال أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ، ثم دفع ﷺ بنت عمها لدحية الكلبي رضي الله تعالى عنه ، وفي رواية وأعطى دحية بنتي عمها عوضا عنها ، أي وقد جاء انه ﷺ لما دخل بصفية رأى بأعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة ؟ فقالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق تعني زوجها ، أي وهي عروس وأنا نائمة فرأيت كأن القمر وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تمنى ملك العرب ، وفي لفظ حين نزل رسول الله ﷺ خيبر وكانت عروسا رأت كأن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت ذلك على زوجها ، فقال والله ما تمنين إلا هذا الملك الذي نزل بنا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها ولا مانع من تعدد الرؤية أو أنها رأت الشمس والقمر في وقت واحد ، وسيأتي في الكلام على زوجاته ﷺ انها قصت ذلك على أبيها ففعل بها ذلك ، وسيأتي أن لا مانع من تعدد الواقعة وأنهما فعلا بها ذلك ، وتقدم أن جويرية رضي الله تعالى عنها رأت القمر أيضا وقع في حجرها وكون صفية رضي الله تعالى عنها كانت عروسا عند مجيئه ﷺ خيبر ربما يدل على أن سلام ابن مشكم طلقها قبل الدخول بها . فقد تقدم أن كنانة تزوج بها بعد أن طلقها سلام بن مشكم فليتأمل ، وعن صفية رضي الله تعالى عنها أنها قالت انتهيت الى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره الي منه قتل أبي وزوجي وقومي ، فقال ﷺ يا صفية أما اني أعتذر اليك مما صنعت بقومك

انهم قالوا لى كذا وكذا وقالوا فىّ كذا وكذا ، وفى رواية ان قومك صنعوا كذا وكذا ومازال ﷺ يعتذر الىّ حتى ذهب ذلك من نفسى ، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب الىّ منه ﷺ وأعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن طهرت من الحيض فى قبة بعد أن دفعها ﷺ لأم سليم لتصلح من شأنها وبات تلك الليلة أبو أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله ﷺ فرأى مكان أبى أيوب فقال مالك يا أبا أيوب ، قال يارسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك فقال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ، قال السهيلى رحمه الله فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستشفون به فيستصحون ، أى ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين ، فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضى الله عنه هنالك فأوصى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مكانا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبروهم انه كبير من أكابر الصحابة فقالت الروم ليزيد ماأحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه فقال لهم يزيد لئن فعلتم ذلك ليهدمن كل كنيسة بأرض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه مااستطاعوا ، أى وجاء أنه ﷺ لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد أن يعرس بها فأبت فوجد النبى ﷺ فى نفسه فلما سار ووصل الصهباء مال الى دومة هناك فطاوعته ، فقال لها ماحملك على إبائك حين أردت المنزل الأول ، قالت يارسول الله خشيت عليك قرب يهود ، وهذا المحل الذى هو الصهباء هو الذى ردت فيه الشمس لعلىّ بعد ماغربت كما تقدم ، وأقام ﷺ بذلك المحل ثلاثة أيام وجعل وليمتها حيسا فى نطع صغير ، والحيس تمر وأقط وسمن ، أى ففى البخارى فأصبح النبى ﷺ عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الرجل يجئ بالسمن ، أى وجعل الرجل يجئ بالأقط ، وذكر أيضا السويق ولا يخفى أن الحيس خلط السمن والتمر والأقط الا أنه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق ، وهذا يدل على أن الوليمة على صفية رضى الله تعالى عنها كانت نهارا ، وذهب ابن الصلاح من أئمتنا الى أن الأفضل فعلها ليلا ، قال بعضهم وهو متجه ان ثبت أنه ﷺ فعلها ليلا ، أى لأحد من نسائه وقد جاء لابد للعرس من وليمة ، وقال لأنس آذن من حولك أى ليأكلوا من ذلك الحيس وكان ﷺ يضع لها ركبته لتركب فتضع رجلها على ركبته الشريفة حتى تركب ، وفى لفظ لما وضع ﷺ ركبته لتركب عليها أبت أن تضع قدمها على ركبته الشريفة ووضعت فخذها على ركبته ، أى ولعل هذا الذى منها كان فى أول الأمر [illegible] وعن صفية رضى الله تعالى عنها ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله ﷺ [illegible] ركب بى فى خيبر وأنا على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فتضرب رأسى مؤخرة الرحل فيمسنى بيده ويقول يا هذه مهلا ونهى ﷺ عن اتيان الحبالى من النساء اللاتى سبين [illegible] أحد امرأة من السبى غير حامل حتى يستبرئها أى تحيض [illegible] وفى لفظ أمر ﷺ مناديه [illegible] من آمن [illegible] واليوم الآخر لا يسق [illegible] زرع الغير ولا يطأ امرأة حتى [illegible] حتى تحيض [illegible] ﷺ عن شخص [illegible] من [illegible] تدخل معه فى [illegible] ﷺ عن [illegible] أكل [illegible]

حتى تقرحت أشداقهم ، أى وذلك قبل النهى ثم رأيت فى الترغيب والترهيب عن أبى ثعلبة انه غزا مع رسول الله ﷺ خيبر فوجدوا فى جنانها بصلا وثوما فأكلوا منه وهم جياع ، فلما راح الناس الى المسجد اذا ريح بصل وثوم ، فقال النبى ﷺ من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا وليس فى ذلك نهى عن أكل الثوم والبصل ، أى مطلقا انما النهى عن اتيان المسجد لمن أكلهما تأمل ، ومن ثم جاء انه لما قال ذلك ﷺ قال الناس حرم ذلك ، فلما بلغه ﷺ ماقالوا قال أيها الناس انه ليس لنا تحريم ما أحل الله ولكنها شجرة أكره ريحها ، وعن فرقد السنجى ما أكل نبى قط ثوما ولا بصلا . ونهى ﷺ عن متعة النساء فنى مسلم عن على رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ؛ قال بعضهم والراجح أن النهى عن متعة النساء لم يكن فى خيبر فانه شىء لم يعرفه أهل السير ولارواه أهل الاثر ، ويدل لذلك ماقيل أن ثنية الوداع انما سميت بذلك لأنهم فيها ودعوا النساء اللاتى تمتعوا بهن فى خيبر ، أى وانما كان تحريمها عام الفتح ، أى ولامعارضة لأنه أحل بعد ذلك أى بعد خيبر فى عام الفتح ، ثم حرم فيه بعد ثلاثة أيام كما سيأتى ، وقيل حرمت فى حجة الوداع وقيل فى غزوة أوطاس وهذا هو الصحيح ، وسيأتى فى غزوة الفتح الجمع بين هذه الأقوال ، قال السهيلى رحمه الله وأغرب ماروى فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك وفى حديث خرجه بوداود ان تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع ومن قال من الرواة انه كان فى غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول انه كان عام الفتح هذا كلامه وعن امامنا الشافعى رضى الله عنه لاأعلم شيئا حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة ، أى فقد حرمت مرتين ، ونقل السهيلى رحمه الله وغيره عن بعضهم أنها أبيحت وحرمت ثلاث مرات وعن بعضهم أنها أبيحت وحرمت أربع مرات ، ولينظر هذا مع قول بعضهم ن أول من حرم المتعة سيدنا عمر رضى الله عنه ، وقيل لم يحرمها ﷺ مطلقا بل عند الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة اليها أى عند خوف الزنا وبذلك كان يفتى ابن عباس رضى الله عنهما وفى كلام فقهائنا والنهى عن نكاح المتعة فى خبر الصحيحين الذى لو بلغ ابن عباس رضى الله عنهما لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا مخالفا فى ذلك لكافة العلماء ، وقد وقعت مناظرة فى المتعة بين القاضى يحيى بن أكثم وأمير المؤمنين المأمون فان المأمون نادى باباحة المتعة فدخل عليه يحيى بن أكثم وهو متغير اللون بسبب ذلك وجلس عنده ، فقال له المأمون مالى أراك متغيرا قال لما حدث فى الاسلام ، قال وماحدث . قال النداء بتحليل الزنا ، قال المتعة زنا ، قال نعم المتعة زنا قال ومن أين لك هذا قال من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما الكتاب فقد قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون) الى قوله (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) ياأمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا . قال فهى الزوجة التى عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد ، قال لا ؛ قال فقد صار متجاوز هذين من العادين ؛ وأما السنة فقد روى الزهرى بسنده الى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادى بالنهى عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها فالتفت المأمون للحاضرين وقال أتحفظون هذا من حديث الزهرى ، قالوا نعم يا أمير المؤمنين ، فقال المأمون أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة ، ونهى صلى الله عليه وسلم فى خيبر

عن لحوم الحمر الأهلية ، أى فانهم أصابهم جوع فوجدوا الحمر الاهلية ، أى ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون ، وقيل لم يدخلوها الحصون فأخذها رهط من المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها فى القدور والبرام وجعلوا يطبخونها للأكل ، فرّبهم النبى ﷺ فسألهم عما فى القدور والبرام ، قالوا لحوم الحمر الانسية ، أى المخالطة للأنس ، فنهاهم ﷺ عن أكلها حتى ان تقدور أكفئت و نها لتفور ، أى وفى البخارى أن النبى ﷺ رأى نيرانا توقد يوم خيبر ، قال علام توقد هده النيران ؟ قالوا على الحمر الانسية ، قال اكسروها واهريقوها ، قالوا ألا نهريقها ونغسلها ، قال اغسلوا ＊ وفى رواية انه ﷺ قال ماهذه النيران على أى شىء توقد ، قالوا على لحم ، قال على أى لحم ؟ قالوا على لحم حمر انسية ، فقال رسول الله ﷺ أهريقوها واكسروها ، فقال رجل يارسول الله أونهريقها ونغسلها ، فقال أوذاك ، وعدوله ﷺ الى هذا الثانى اما باجتهاد أو وحى ، وجاء أنه ﷺ عند ذلك أمر عبد الله بن عوف أن ينادى فى الناس أن لحوم الحمر الاهلية لا تحل لمن يشهد أن محمدا رسول الله ، وأمر أن تكفأ القدور ولا يأكلوا من لحوم القدور شيئا . وفى مسلم فأمر رسول الله ﷺ أبا طلحة فنادى أن رسول الله ﷺ ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فانها رجس أو نجس ، وهذا السياق كله يدل على انهم لم يأكلوا منها شيئا ＊ وفى السيرة الهشامية وأكل المسلمون من لحوم الحمر ، فقام رسول الله ﷺ فنهى الناس عن أمور سماها لهم ، وهذا يرد القول بأنه انما نهى عن أكلها للحاجة اليها أو لأنها أخذت قبل القسمة . وروى أبو داود باسناد على شرط مسلم عن جابر رضى الله عنه ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال ، ولم ينهنا رسول الله ﷺ عن الخيل ＊ وفى رواية ورخص فى أكل الخيل ، أى أباح أكلها ، وفى مسلم عن أسماء رضى الله عنها ، قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه ، أى وعلم رسول الله ﷺ بذلك ولم ينكره ، وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية والبغال والخيل ، قال السهيلى رحمه الله ، وحديث الاباحة أصح ، وجاء أنه ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل لحم الجلالة وعن ركوبها ، حتى تعلف أربعين يوما ، والجلالة هى التى تأكل الجلة وهى الروث والعذرة ، وذكر الهروى أنه ﷺ كان لا يأكل الدجاج الجلالة حتى تقصر فى تحبس ثلاثة أيام ، وذكر فقهاؤنا أن الحمر الأهلية حلت بعد تحريمها ، ثم حرمت فيما أمس ، ونهى ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ، أى وذى مخلب من الطير وعن بيع المغانم حتى تقسم ، ووجدت ﷺ مائدة فأكل متكئا وطئى بالسورة . وكان يؤثره الرجل فاذا [illegible] ﷺ يده الشريفة ، وروى ابن ماجه بسند جيد كما قاله الحافظ ابن كثير انه ﷺ كان [illegible] بطلاء وطلى [illegible] جسده أهله . وحيث يكون المراد [illegible] رواية [illegible] الرواية صريحة [illegible] بذلك لمن يتوب [illegible] نورة [illegible] [illegible] رضى الله عنها [illegible] أطلى رسول الله ﷺ بالنورة ، فلما فرغ [illegible] عليكم بالنورة فانها طيبة وطهور ، وان الله تعالى يذهب بها عنكم أوساخكم [illegible] لهم ، ومن [illegible] عمر رضى الله عنه ، وعن [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] وقد [illegible] الحمام أدخل [illegible] صحب رسول الله ﷺ [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما [illegible] ﷺ [illegible] عمر رضى الله عنه [illegible] .

وجاء أنه ﷺ كان يتنوّر كل شهر ويقلم أظفاره كل خمسة عشر يوما ، وماورد أنه ﷺ لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو أقوى منه وأكثر عددا على أن المثبت مقدّم على النافي ، أي وفي الينبوع ، وقول أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ كان لايتنوّر وكان يحلق محمول على الغالب من أمره ﷺ * وفي الخصائص الصغرى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ماتنور نبي قط ، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقت لقص الشارب وتقليم الأظفار أن لايدع ذلك أربعين يوما ، أي وكان ﷺ يقص أظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم ، وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم فائدة نفيسة وهي ذكر التوقيت للتنور وقص الاظفار ، قال بعضهم وفيه نظر ، فان بدنه ﷺ كان في غاية الاعتدال ، فلايقاس به ﷺ غيره في ذلك نظير ماقالوه فيما صح انه ﷺ كان يوضئه المدّ ويغسله الصاع ان ذلك خاص بمن يكون بدنه كبدنه عليه الصلاة والسلام نعومة واعتدالا ، والازيد ونقص المتفاوت فكذلك هنا ، ومن ثم قال الأئمة رحمهم الله في نحو حلق العانة ونتف الابط والقلم للظفر وقص الشارب ، ان ذلك لايتقيد بمدة ، بل يختلف باختلاف الأبدان والحال ، فيعتبر وقت الحاجة الى ازالة ذلك ، وبهذا يرد على من قال يكره التنور في أقل من شهر ، وقدم عليه ﷺ بخيبر الأشعريون ، أي ومنهم أبوموسى الأشعري رضي الله عنه ، والدوسيون ومنهم أبوهريرة رضي الله عنه ، فسأل ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا ، قال وعن موسى بن عقبة رحمه الله أن أحد الأشعريين ومن ذكر معهم أي وهم الدوسيون من هذين الحصنين الذين فتحا صلحا ، وتكون مشاورة رسول الله ﷺ في اعطائهم ليست استنزالا لهم عن شيء من حقهم ، وانما هي المشورة العامة ، أي المأمور بها في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) انتهى * أقول وهذا صريح في ان ذلك كان فيئا له ﷺ فهما وما فيهما مما أفاء الله عليه ﷺ لأن الفيء ماجلوا عنه من غير قتال ، أي من غير مصافة للقتال * والحاصل أن أرض خيبر ونخلها غنيمة لأنه ﷺ غلب على النخل والأرض وألجأهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح والسلالم فانهما فتحا صلحا على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط أن لايكتموه شيئا من أموالهم ، وان من كتم شيئا انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لنفسه وذراريه ، وهذان الحصنان هما المرادان بالكتيبة في قول بعضهم ، كان ﷺ يطعم من الكتيبة أهله لما علمت انهما من حصون واتهما ومافيهما مما أفاء الله عليه وكونه ﷺ كان يطعم أهله مما فيهما واضح . وأما اذا كان المراد يطعم من الأرض والنخيل التي اللتين بالحصنين فقد يتوقف فيه لما تقدم أن أرض خيبر ونخلها غنيمة وذلك شامل للأرض والنخيل المتعلقين بالحصنين فليتأمل والله أعلم . وفي النور وقدم عليه ﷺ بعد فتح خيبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض الحبشة ومعه الأشعريون أبوموسى الأشعري وأخوه أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهم ، ولكن أبوموسى أصغرهم وأقواهم ، ركبوا في سفينة مع جعفر بالحبشة ، أي لأنهم هاجروا الى الحبشة من اليمن كما تقدم ، وقبل قدومهم اليه ﷺ قال ﷺ يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا ، فقدم الأشعريون ، وذكر أنهم عند مجيئهم صاروا يرتجزون : غدا نلقى الأحبه . محمدا وحزبه ، وفي كلام بعضهم مايفيد انه ﷺ قال في حقهم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة ، الفقه يمان والحكمة يمانية ، ولما أقبل عليه ﷺ جعفر رضي الله عنه قام ﷺ اليه فاعتنقه وقبّل بين عينيه

وفي رواية قبل جبهته ، أي وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبل بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة ، وقال بعضهم انها مكروهة وحديث جعفر يحتمل أن يكون قبل النهي عنها فانه نهى عن المعانكة وهي المعانقة ، وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل * أقول لم يجب بذلك سيدنا مالك رضي الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضي الله عنه صافحه مالك وقال له لولا انها بدعة لعانقتك ، فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومني النبي ﷺ قال مالك تعني جعفر بن أبي طالب ، قال نعم ، قال ذلك حبيب خاص ليس بعام ، أي فذلك من خصوصياته ، فقال له سفيان ما عم جعفرا يعمنا وما يخصه يخصنا ، أي فالأصل عدم الخصوصية ، ثم قال له سفيان أتأذن لي أن أحدثك بحديثك قال نعم ، فقال حدثني فلان عن فلان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكر الحديث المتقدم عنه ، وقد جاء أنه ﷺ التزم زيد بن حارثة رضي الله عنه حين قدم عليه من مكة ، وأما المصافحة فقد جاء أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام ، فقال النبي ﷺ ان أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة ، وقال من تمام تحيتكم المصافحة . وقال ﷺ لصفوان بن أمية لما قدم عليه والى عدي ابن حاتم ، قال السهيلي وليس هذا معارضا لحديث من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ، لأن هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب أن لا يقام له ، وكان ﷺ يقوم لفاطمة رضي الله عنها وكانت تقوم له ﷺ هذا كلامه والله أعلم . ولما رآه ﷺ جعفر حجل أي مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله ﷺ لأن أهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم ، وكان رسول الله ﷺ يقول له أشبهت خلقي وخلقي ، وفي لفظ جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا ، وكان ﷺ يسميه أبا المساكين . لأنه رضي الله عنه كان يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه . وذكر بعضهم أنه لما قال له ﷺ أشبهت خلقي وخلقي رقص من لذة هذا الخطاب . ولم ينكر عليه ﷺ رقصه ، وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع ، ثم قال ﷺ والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر رضي الله عنه ، وقيل قدم مع جعفر رضي الله عنه سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف ، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام . وفي لفظ قدم معه سبعون كانوا أصحاب [illegible] ، وقيل كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام ، وقيل كانوا ثمانين رجلا أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام [illegible] وسول الله ﷺ [illegible] وهو [illegible]

[illegible] عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible] عصيهم .

[illegible] فقام ﷺ [illegible] يا رسول الله

فقال [illegible] أبو هريرة

رضي [illegible] رضي الله عنه [illegible] المدينة وكان

[illegible] ﷺ

[illegible] الله [illegible]

[illegible] زوج النبي ﷺ [illegible]

عقد عليها وهي بالحبشة فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك ، وبقيت هي على اسلامها كما تقدم ، وقد أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه في المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشي ليزوّجها منه ﷺ ، قالت أم حبيبة رضي الله عنها رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي يا أم المؤمنين ففزعت ، فأوّلتها بأن رسول الله ﷺ يتزوّجني ، قالت فما شعرت الا وقد دخلت عليّ جارية النجاشي ، فقالت لي ان الملك يقول لك ان رسول الله ﷺ كتب اليه أن يزوّجك منه ، فقلت لها بشرك الله بالخير . و يقول لك وكلي من يزوّجك ، فأرسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد رضي الله عنه ، أي وأعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين ، أي خلخالين وخواتيم فضة سرورا بما بشرت به ، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشي رضي الله عنه . فقال « الحمد لله الملك القدوس » أي وفي لفظ بدل ذلك « المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وانه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام * أما بعد فان رسول الله ﷺ كتب اليّ أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبنا الى مادعا اليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربعمائة دينار ، أي وفي لفظ أربعمائة مثقال ذهب ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت الى مادعا اليه رسول الله ﷺ وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ » ، أي ودفع النجاشي الدنانير لخالد بن سعيد ، فقبضها منه ، وقيل انه أنقدها لها النجاشي على يد جاريته التي بشرتها ، فلما جاءتها بتلك الدنانير أعطتها خمسين دينارا ، وقد يقال يجوز أن يكون النجاشي استردها من خالد ثم دفعها لتلك الجارية أو أمر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لأم حبيبة فلا مخالفة ، وهذا السياق يدل على أن النجاشي كان هو الوكيل عنه ﷺ ، وفي كلام بعض فقهائنا أنه ﷺ وكل عمرو بن أمية في نكاح أم حبيبة . وقد يقال معنى توكيل عمرو ارساله بالوكالة للنجاشي ، أي ثم لما أرادوا أن يقوموا بعد العقد قال النجاشي اجلسوا فان من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا ، قالت أم حبيبة رضي الله عنها ، فلما كان من الغد جاءتني جارية النجاشي فردّت عليّ جميع ما أعطيتها وقالت ان الملك عزم عليّ أن لا أرزأك شيئا . وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر . فجاءت بورس وعنبر وزباد كثير . وقالت حاجتي اليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه ، وكانت كلما دخلت عليّ تقول لا تنسي حاجتي اليك ، ثم أرسل النجاشي أم حبيبة مع شرحبيل بن حسنة ، أي قالت أم حبيبة ولما دخلت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت معي جارية النجاشي وأقرأته منها السلام ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته ، وجاء انه لما رجعت اليه ﷺ مهاجرة الحبشة قال ألا تخبروني بأعجب شيء رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم يارسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم وعلى رأسها قلة فيها ماء فمرت بصبي فدفعها فوقعت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت أي قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع

الاولين .

الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون تعلم أمرى وأمرك عنده فقال رسول الله ﷺ صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم ، وذكر انه لما أقبل رسول الله ﷺ على خيبر ودنا منها بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم . قال محيصة جئتهم فجعلوا يتربصون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحرث وسيد اليهود مرحب ماترى أن محمدا يقرب اليه فمكثت عندهم يومين ، ثم أردت الرجوع فقالوا نحن نرسل معك رجالا منا يأخذون لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون أنه ﷺ لا يقدر على فتح خيبر حتى جاءهم أناس من حصن ناعم وأخبروهم أن رسول الله ﷺ فتحه فأرسلوا رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع فى نفر يصالحون رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الأموال ففعل ذلك رسول الله ﷺ ، وقيل تصالحوا معه على أن يكون لهم نصف الأرض ولرسول الله ﷺ النصف الآخر فكان فدك على الأول لرسول الله ﷺ وعلى الثانى كان له نصفها لأنها لم تؤخذ بمقاتلة فكان ﷺ ينفق منها و يعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها أيمهم ولما مات ﷺ وولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضى الله عنها أن يجعلها أو نصفها لها فأبى ، وروى لها أنه ﷺ قال انا معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة : أى على المسلمين ومما يؤيد الثانى ماقيل انه لما أجلاهم عمر رضى الله عنه مع يهود خيبر كما سيأتى اشترى منهم حصتهم التى هى النصف بمال بيت المال ، فلما صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقيل له ان مروان اقتطعها ، أى جعلها اقطاعا له ، فقال أرأيتم أمرا منعه رسول الله ﷺ فاطمة أى بقوله ﷺ لانورث ماتركناه صدقة ليس لى بحق وانى أشهدكم انى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله ﷺ ، أى صدقة على المسلمين وطلب الصلح كان بعد أن أرادت غطفان وسيدهم عيينة بن حصن أن يعينوا أهل خيبر ، أى وكانوا أربعة آلاف فان يهود خيبر لما سمعوا بمجيئه ﷺ اليهم أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهودة بن قيس فى أربعة عشر رجلا الى غطفان ليستمدوا بهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين فجمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر ، أى ويقال ان رسول الله ﷺ أرسل اليهم أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيئا سماه لهم ، أى وهو نصف ثمارها فأبوا وقالوا جيراننا وحلفاؤنا ، فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوه القوم ، أى ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم ، أى فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا على الصعب والذلول ، أى مسرعين على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل خيبر ، أى وفى رواية سمعوا صوتا : أيها الناس أهليكم خولفتم اليهم فرجعوا ولم يروا لذلك نبأ ، ويدل للثانى أن غطفان لما قدموا عليه ﷺ خيبر ، قال عيينة بن حصن لرسول الله ﷺ وقد وجده ﷺ فتح حصونها أعطنى الذى وعدتنى ، وفى رواية أعطنى مما غنمت من حلفائى فانى امتنعت عنك وعن قتالك ، فقال له رسول الله ﷺ كذبت ولكن الصياح الذى سمعت أنفذك الى أهلك ولكن لك ذو الرقيبة ، قال عيينة وما ذو الرقيبة ؟ قال الجبل الذى رأيت فى منامك أنك أخذته ، أى ان عيينة بن حصن لما سمع الصرخة رجع الى أهله فلم يجد شيئا رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر [illegible] القرب منه ، فرسول الله [illegible] عيينة و[illegible] فانى رأيت [illegible] أنى أعطيت ذا الرقيبة [illegible] أخذت برقبته [illegible]

خيبر وجد رسول الله ﷺ قد فتح خيبر الحديث ، وقدم عليه ﷺ حينئذ أيضا حجاج بن علاط السلمي وأسلم ، والعلاط وسم في العنق وهو أبو نصر بن حجاج الذي نفاه عمر رضي الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفي تهتف به وتقول الأبيات التي منها

هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج ياابن المتمنية يعيره بذلك ، وكان الحجاج مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فأذن لي أن آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا باسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه فأذن له رسول الله ﷺ فقال يارسول الله لابدّ لي من أن أقول ، أي أتقوّل واذكر ماهو خلاف الواقع ، أي ما احتال به لما يوصل الى أخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار الى خيبر ، أي أهل القوة والمنعة بعد ماوقع بينهم من المراهنة على مائة بعير في أن النبي ﷺ يغلب أهل خيبر أولا ، فقال حويطب بن عبدالعزى وجماعة بالأوّل ، وقال ابن عباس بن مرداس وجماعة بالثاني ، فقالوا حجاج عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامي ياحجاج انه قد بلغنا أن القاطع يعنون رسول الله ﷺ قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر مايسركم فاجتمعوا عليّ يقولون إيه ياحجاج فقلت لهم لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتل غير أهل خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لانقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم ، وفي لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لأهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين ظهركم ، قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى ماهنالك فجمعوا لي مالي على أحسن مايكون ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين ، وسمع بذلك العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه فجعل لايستطيع أن يقوم ثم بعث الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجلّ من أن يكون الذي جئت به حقا ، فقال له حجاج أقرئ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره واكتم عني فأقبل الغلام ، فقال أبشر أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يمسه شيء وأخبره بذلك فأعتقه العباس رضي الله تعالى عنه وقال لله عليّ عتق عشر رقاب . فلما كان ظهرا جاءه حجاج فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام . أي قال اني أخشى الطلب فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فوافقه العباس على ذلك فقال إني قد أسلمت وان لي مالا عند امرأتي ودينا على الناس لو علموا باسلامي لم يدفعوه اليّ إني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي بن أخطب وقتل بن أبي الحقيق . فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس تلك الليالي الثلاث فلما مضى حجاج أي ومضت الثلاث عمد العباس رضي الله تعالى عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون اذا مر بهم لايصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة فقال كلا والذي حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله أخبرني حجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على يد رسوله ﷺ وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله واصطفى رسول الله صفية بنت حيي بن أخطب لنفسه وتركته عروسا بها ، أي وانما قال ذلك ليكتم

ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون ألا ياعباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك هذا . وفى الدلائل للبيهقى رحمه الله لما فتح رسول الله ﷺ خيبر قال حجاج بن علاط يارسول الله ان لى بمكة مالا وان لى بها أهلا وأنا أريد أن آتيهم فأنا فى حل ان أنا نلت منك وقلت شيئا فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ماشاء فقال لامرأته حين قدم أخفى علىّ واجمعى ماكان عندك فانى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ففشا ذلك بمكة فاشتد ذلك على المسلمين وأظهر المشركون فرحا وسرورا وبلغ العباس رضى الله تعالى عنه الخبر فقعد وجعل لايستطيع أن يقوم فأرسل العباس رضى الله تعالى عنه غلاما له الى الحجاج ويلك ماتقول فالذى وعد الله خير مما جئت به ، فقال حجاج ياغلام أقرئ أبا الفضل السلام وقل له فليخل بى فى بعض بيوته فآتيه بالخبر على مايسره . فلما بلغ العبد باب الدار قال أبشر ياأبا الفضل فوثب العباس فرحا حتى قبل مابين عينيه فأخبره بقول حجاج فأعتقه . ثم جاء حجاج فأخبره بافتتاح رسول الله ﷺ خيبر وغنم أموالهم وأن سهام الله قد جرت فيها وأن رسول الله ﷺ اصطفى صفية بنت حيي لنفسه وخيرها بين أن يعتقها وتكون له زوجة أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون له زوجة ولكن جئت لمالى ههنا أن أجمعه وأذهب به وانى استأذنت رسول الله ﷺ أن أقول فأذن لى أن أقول ماشئت فأخف علىّ يا أبا الفضل ثلاثا ثم اذكر ماشئت ، قال فجمعت له امرأته متاعه فلما كان بعد ثلاث أتى العباس رضى الله تعالى عنه امرأة حجاج فقال مافعل زوجك قالت ذهب وقالت لايحزنك الله ياأبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك فقال أجل لايحزننى الله فلم يكن لمحمد الا ماأحب فتح الله على يد رسوله خيبر واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه فان كان لك فى زوجك حاجة فالحقى به قالت أظنك والله صادقا قال فانى والله صادق والأمر على ماأقول . ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش الحديث . قال ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر كان التمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فقال بردوا لها الماء فى الشنان ، أى القرب ثم صبوا عليكم منه بين أذانى الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم وعن سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه أصابتنى ضربة يوم خيبر ، فقال الناس أصيب سلمة بن الأكوع فأتيت رسول الله ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيت منها ساعة . وفى هذه الغزوة أراد ﷺ أن يتبرز فقال لابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، ياعبد الله أنظر هل ترى شيئا فنظرت فاذا شجرة واحدة فأخبرته فقال لى انظر هل ترى شيئا فنظرت شجرة أخرى متباعده من صاحبتها فأخبرته فقال قل لهما ان رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا فقلت لهما ذلك فاجتمعا فاستتر بهما . ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها وفى الامتاع عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله ﷺ الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى علىّ باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها . فقال انقادى علىّ باذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى كان ﷺ بالمنصف مما بينهما ولأم بينهما وقال التئما علىّ باذن الله تعالى فالتأمتا ...

جابر رضى الله تعالى عنه فخلوت أحدث نفسى فحانت منى التفاتة فاذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا وذهبت كل واحدة الى محلها الحديث ولا بعد فى تعدد الواقعة ، ووقع له ﷺ مجىء بعض الشجر اليه قبل أن يهاجر ﷺ فقد جاء أنه ﷺ خرج الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ماشاء الله من تكذيب قومه وقولهم له أتضلل آباءك وأجدادك يامحمد ومن خضبهم له بالدماء فقال يارب أرنى اليوم آية أطمئن اليها ولا أبالى بمن آذانى بعدها وكان ذلك الوادى به شجر فأمر أن يدعو شجرة من تلك الشجر ، وفى لفظ غصنا من أغصان شجرة فدعا ذلك فانتزع من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ، ثم أمره ﷺ بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم أنه على الحق وقال لا أبالى بمن آذانى بعد هذا من قومى * أقول ووقع له ﷺ اجابة الحجر ، فعن تفسير الفخر الرازى انه ﷺ كان مع عكرمة بن أبى جهل بشط ماء ، فقال عكرمة للنبى ﷺ ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الحجر كان فى الجانب الآخر يسبح فى الماء ويجىء اليك ولا يغرق ، فأشار اليه ﷺ فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدى رسول الله ﷺ وشهد له بالرسالة ، فقال النبى ﷺ لعكرمة يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فأشار اليه ﷺ فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة فى ذلك الوقت وانما أسلم يوم فتح مكة والله أعلم ، وعند خروجه ﷺ الى هذه الغزوة أمر ﷺ مناديا ينادى من كان مضعفا أوضعيفا أو مصعبا ، أى راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب أوناقة صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جىء به الى النبى ﷺ قال ماشأن صاحبكم فأخبروه ، قال يابلال ما كنت أذنت فى الناس من كان مصعبا . أى راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فأبى ﷺ أن يصلى عليه وأمر ﷺ بلالا فنادى فى الناس الجنة لاتحل لعاص ثلاثا ، وفيها مات شخص من الصحابة ، فقال ﷺ صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين ، وفيها أنه ﷺ قال لرجل من المسلمين هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا أشد القتال فارتاب بعض الصحابة أى كيف يكون من أهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة ، فلما كثرت الجراحات فى ذلك الرجل ووجد ألمها أخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال قم يابلال فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث ، وفى رواية ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وتقدم فى غزوة أحد مثل ذلك ولا بعد فى التعدد ان لم يكن من الاشتباه على الراوى * أقول فى سيرة الحافظ الدمياطى لما فتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب ابنة الحرث أخى مرحب وهى امرأة سلام بن مشكم تسأل ، أى الشاة أحب الى محمد ﷺ فيقولون الذراع ، قيل وانما أحب ﷺ الذراع لأنه هادى الشاة وأبعدها من الأذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ، ثم عمدت الى سم لايلبث أن يقتل من ساعته فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله ﷺ المغرب بالناس انصرف وهى جالسة عند رحله فسأل عنها فقالت يا أبا القاسم هدية أهديتها لك ، فأمر بها ﷺ فأخذت منها ووضعت بين يديه ﷺ وأصحابه حضور أومن حضر منهم ، وفيهم بشر بن البراء بن معرور ،

فقال

فقال رسول الله ﷺ ادنوا فقعدوا وتناول رسول الله ﷺ الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله ﷺ لقمة ازدرد بشر ما فى فيه وأكل القوم منها ، فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع أو الكتف تخبرنى أنها مسمومة فقال بشر والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى ، أى لقمتى التى أكلتها فما منعنى أن ألفظها إلا أن أنغص عليك طعامك فلما أكلت ما فى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون ازدردتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان أى أسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات . وقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفى ، أى والمتبادر من المكان مكان الأكل وربما يدل له عدم ذكر بشر فى الحجامة وطرح منها لكلب فمات اهـ ، أى فلم يأكل الا بشر رضى الله تعالى عنه وحينئذ يكون المراد بقوله وأكل القوم منها ؛ أى أرادوا الأكل ، أى ووضعوا أيديهم بدليل قوله ﷺ ارفعوا أيديكم ويدل له ما يأتى عن الامتاع ، وفى الأصل انها أهدتها لصفية رضى الله تعالى عنها فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليهما تلك الشاة فتناول رسول الله ﷺ الكتف وفى رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم ألقاها أى ولم يبتلعها أى وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن تناول شىء منها وقال ان كتف هذه الشاة تخبرنى انى نعيت فيها ، فقال بشر والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فيما أكلته فما منعنى من لفظه إلا أنى أعظمت أن أنغصك طعاما فلم يقم بشر رضى الله تعالى عنه من مكانه حتى كان لا يتحوّل الا ان حوّل . والى هذا أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وأحييت عضو الشاة بعد مماتها * فجاء بنطق موضح للنصيحة

وقال رسول الله لا تأكل آكلى * فزينب سامتنى الهوان وسمت

وهذا يؤيد القول بأن كلام نحو الجماد يكون بعد أن يخلق الله فيه الحياة ، ومذهب الأشعرى رحمه الله أن الله يخلق فى نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه ؛ أى وليس من لازم ذلك وجود الحياة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله أى حجمه أبو طيبة مولى بنى بياضة ، وقيل أبو هند وهو مولى بنى بياضة أيضا ، أى وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رءوسهم . أى وهم كما فى الامتاع ثلاثة نفر وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيئا ؛ وفيه انه لا معنى لاحتجام أصحابه اذا لم يأكلوا شيئا ومن ثم قال فى سفر السعادة واحتجم ﷺ بين الكتفين فى ثلاثة مواضع وأمر من أكل أى من أراد أن يأكل معه بذلك الا أن يقال مجرد وضع اليد ربما سرى بسببه السم الى الجسد ؛ وقال ﷺ الحجامة فى الرأس هى المعينة أمرنى بها جبريل عليه السلام حين أكلت طعام اليهودية . وقد احتجم رسول الله ﷺ فى غير هذه الواقعة مرارا فى محال مختلفة . فقد جاء أنه ﷺ احتجم على الأخدعين مرتين واحتجم وسط رأسه الشريف . وكان يسميها منقذة أى ونقل انه سحر ففى سفر السعادة لما سحره اليهودى ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية أمر ﷺ بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة فى كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لاحظ له فى الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه . ودخل عليه ﷺ الأقرع بن حابس وهو يحتجم فى القمحدوة . فقال يا بن أبى كبشة لم احتجمت وسط رأسك ، فقال يا بن حابس ان فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والنعاس والجنون . أى وفى الحديث الحجامة فى الرأس

شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه ، وفى الحديث اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والأحد ، وفى بعض الروايات يوم الأحد شفاء ويحتاج للجمع ، وجاء النهى عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى ، وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم ، وفى حديث بعض رواته واهى الحديث احتجم ﷺ ثلاثا فى النقرة والكاهل ووسط الرأس ، وسمى واحدة النافعة والأخرى المعينة والاخرى المنقذة ، وقال ﷺ خير ماتداويتم به الحجامة ومامررت ليلة أسرى بى بملأ من الملائكة الاقالوا يامحمد مر أمتك بالحجامة ، قال فى الهدى والحجامة فى البلاد الحارة أنفع من الفصد ، والأولى أن تكون فى الربع الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء ، وتكره فى الأربعاء والسبت ، قيل ويوم الجمعة ، وفى الحديث من احتجم يوم الأربعاء أو السبت وحصل له برص لا يلومن إلا نفسه ، وجاء أمره ﷺ باجتناب الحجامة يوم الأربعاء فانه اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام بالبلاء ومايبدو جذام ولا برص الا يوم الأربعاء وليلة الاربعاء * ثم أرسل رسول الله ﷺ الى تلك اليهودية فقال أسممت هذه الشاة ! فقالت من أخبرك ؟ قال أخبرتنى هذه التى فى يدى وهى الذراع قالت نعم ، قال ماحملك على ماصنعت ؟ قالت بلغت من قومى مالايخفى عليك . أى وفى لفظ قتلت أبى وعمى وزوجى ونلت من قومى مانلت ، فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر ، فعفا عنها رسول الله ﷺ ، والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الأشقياء

فأذاع الذراع مافيه من سم بنطق اخفاؤه ابداء

وبخلق من النبى كريم * لم تقاصص بجرحها العجماء

أى ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته فى الشاة ومرات كثيرة يطلب الشقوة ويتحلى بها الأشقياء الذين لاخلاق لهم ، فأخبر ذلك الذراع النبى ﷺ بالنطق بما فيه من السم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابداء واظهار له ﷺ و بسبب ماتحلى به ﷺ من كمال الحلم والعفو لم يقاصص تلك المرأة بجرحها ، أى بجرح سمها لأن السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر ، فلما مات بشر رضى الله تعالى عنه أمر بها فقتلت . أى وقيل وصلبت كما فى أبى داود وعبارة السهيلى رحمه الله وقد روى أبو داود أنه قتلها . ووقع فى كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها هذا كلامه ، وقيل انه تركها لأنها أسلمت وانعفو عنها أى عدم مؤاخذتها كان قبل أن يموت بشر رضى الله تعالى عنه فلما مات بشر دفعها ﷺ الى أولياء بشر فقتلوها ، وفى الامتاع واختلفت الآثار فى قتلها ؛ ففى صحيح مسلم انه لم يقتلها . وقال ابن اسحق أجمع أهل الحديث على أن رسول الله ﷺ قتلها ، وقد علمت أنه لامخالفة لكن قتلها مشكل على ماعليه أئمتنا معاشر الشافعية من أن من ضيف بمسموم يقتل غالبا مميزا فمات كان شبه عمد لاقود فيه . وفى كلام بعضهم انها قالت قد استبان لى الآن انك صادق وانى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين أسلمت كذا فى جامع معمر عن الزهرى أنها أسلمت ، قال معمر هكذا ، قال الزهرى انها أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وأمر ﷺ بتلك الشاة فأحرقت * وفى رواية بعد

سؤال اليهودية واعترافها بسط ﷺ يده الى الشاة ، وقال لأصحابه كلوا باسم الله فأكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك أحدا منهم ، قال ابن كثير ، وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكر أن أخت بشر بن البراء دخلت عليه ﷺ فى مرضه الذى مات فيه فقال لها هذا أوان انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر والابهر العرق المتعلق بالقلب * وقد قسم ﷺ غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ، ومن جملة من أعطاه ﷺ أبو سبيعة بن المطلب بن عبد مناف واسمه علقمة ولم يقسم ﷺ لمن غاب من أهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ورضخ ﷺ للنساء ، أى وكن عشرين امرأة فيهن صفية عمته ﷺ وأم سليم وأم عطية الأنصارية ، وعن بعضهم قالت أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة ، فقلت يارسول الله قد أردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا ، فقال على بركة الله ، قلت فخرجنا معه ، فلما افتتح خيبر رضخ لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها فى عنقى فوالله لا تفارقنى أبدا وأوصت أنها تدفن معها ، زاد فى السيرة الهشامية أنها قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله ، قالت فلما كان الصبح وأناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها . قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله ﷺ حالى قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم ، قال فأصلحى من نفسك ثم خذى اناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودى لمرتحلك قالت فكنت لا أطهر من حيضة الا جعلت فى طهرى ملحا ، وأوصت أن يجعل ذلك فى غسلها حين ماتت * ثم دفع ﷺ لاهل خيبر الأرض لما قالوا له ﷺ نحن أعلم بها منكم واعمرها بشرط ما يخرج منها من تمر أو زرع ، وقال لهم على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، أى وهذا يخالف ما عليه أئمتنا من انه لا يجوز فى عقد الجزية أن يقول الامام أو نائبه أقركم ما شئنا بخلاف ما شئتم ، لأنه تصريح بمقتضى العقد لأن لهم نبذ العقد متى شاءوا ، وذكر أئمتنا أنه يجوز منه ﷺ لا منا أن يقول أقرركم ما شاء الله لأنه يعلم مشيئة الله دوننا والشطر فى هذا ظاهر فى النصف ولم أقف على تعيينه فى رواية ، وكان ﷺ يرسل الى أهل خيبر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه خارصا . قيل وانما خرص عليهم عبد الله عاما واحدا ، ثم مات وهذا يخالفه قول بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه يأتيهم كل عام يخرصها يعنى الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال يا أعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الىّ ولأنتم أبغض الىّ من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى [illegible] على أن لا أعدل فقالوا بهذا قامت السموات والأرض ، وكان يخرص عليهم بعده جبار بن صخر . وكان خارص لأهل المدينة [illegible] أقول أى ساقاهم على النخل وزارعهم على الأرض [illegible] على ماذكر أى على جواز المساقاة وجواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك مخصصا [illegible] عن المزارعة أى ما تكون تبعا للمساقاة وهو لا يتم الا ان كانت أرض خيبر جميعها بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وأنه ﷺ دفع لهم بذرا لأن فى المزارعة يجب أن يكون البذر من المالك لا من العامل ، ولم أقف فى شئ من الطرق على أنه ﷺ دفع لهم بذرا [illegible] ظاهر الرواية يدل على أن البذر منهم ، وصرحت به رواية مسلم وبعد أن تكون أراضى خيبر كلها كانت بين النخل بحيث يعسر سقيها

بدون النخل وحينئذ يكون الواقع فى خيبر انما هى المخابرة ، وهى المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل وهى باطلة عندنا . بل قيل عند المذاهب الأربعة ولو تبعا للمساقاة والله أعلم ، ثم ان الصديق رضى الله تعالى عنه أقرهم بعده ﷺ ، ثم أقرهم عمر رضى الله تعالى عنه إلى أن خرج ولده عبد الله رضى الله تعالى عنهما فى خلافة أبيه الى خيبر ، فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه ؛ فقام عمر رضى الله تعالى عنه خطيبا ، فقال ان رسول الله ﷺ كان عامل أهل خيبر على أموالهم ، أى أرضهم ونخيلهم وقال لهم نقركم على ما أقركم الله وان عبد الله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، وقد رأيت إجلاءهم ، أى ووافقه الصحابة على ذلك فان عمر رضى الله تعالى عنه قام خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أيها الناس ان يهود فعلوا بعبد الله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمظهر بن رافع ما فعلوا مع عدوانهم على عبد الله بن سهيل فى عهد رسول الله ﷺ ولا أشك انهم أصحابه وأنا أريد أن أجلو يهود فان رسول الله ﷺ قال أقركم ما أقركم الله ، وقد أذن الله فى اجلائهم فقام طلحة بن عبد الله ، فقال قد والله أحسنت يا أمير المؤمنين ووفقت فهم أهل سوء ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه من معك على مثل رأيك ؟ قال المهاجرون جميعا والأنصار . فسر بذلك عمر رضى الله تعالى عنه . وقوله وفعلوا بمظهر ما فعلوا ، أى لأن مظهر بن رافع قدم خيبر بأعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملوا له بأرضه فأقام بخيبر ثلاثة أيام . فقال لهم رجل من يهود أنتم نصارى ونحن يهود ، وهذا سيدكم من قوم عرب قهرونا بالسيف ، وأنتم عشرة رجال ورجل واحد يسوقكم الى الجهد والبؤس وتكونون فى رق شديد ؛ فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه ؛ فقالوا له ليس معنا سلاح ، فدست اليهود لهم سكينتين أو ثلاثة ؛ فلما خرجوا من خيبر أقبلوا على مظهر بسكاكينهم ، فخرج مظهر يعدو الى سيفه ، وكان فى قرابه على راحلته ، فأدركوه قبل الوصول اليه و بعجوا بطنه ، ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فآووهم وزوّدوهم الى الشام ، وجاء عمر رضى الله تعالى عنه الخبر بقتل مظهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوانهم على عبد الله بن سهيل ، أى فانه وجد قتيلا فى خيبر لأهل حصن الشق فسألهم أخوه محيصة فقالوا له لا والله مالنا به من علم . قال فجئت أنا وأخى عبد الرحمن وأخى حويصة وهو أكبرنا الى رسول الله ﷺ فأراد أخى عبد الرحمن يتكلم وهو أصغرنا ، فقال له رسول الله ﷺ كبر كبر فسكت فأردت أن أتكلم ؛ فقال كبر كبر فسكت فتكلم أخى حويصة ، وذكر أن اليهود تهمتنا وظننا ، فقال ﷺ إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يأذنوا بحرب ، وكتب ﷺ اليهم فى ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه ؛ فقال ﷺ لى ولأخوى تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد . قال فتحلف لكم يهود ، قلنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فوداه رسول الله ﷺ من عنده بمائة ناقة خمس وعشرين جذعة وخمس وعشرين حقة وخمس وعشرين ابنة لبون وخمس وعشرين بنت مخاض ، وعن ابن المسيب رحمه الله كانت القسامة فى الجاهلية ، ثم أقرها ﷺ فى الاسلام فى الأنصارى الذى وجد قتيلا فى جب من جباب يهود ، فلما أجمع الصحابة على ذلك على ما أراده سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه جاءه أحد بنى الحقيق ، فقال يا أمير المؤمنين تخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على أموالنا وشرط ذلك لنا ؛ فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أظننت أنى نسيت قول رسول الله ﷺ كيف بك اذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصك

ليلة بعد ليلة ، فقال هذه كانت هزيلة من أبي القاسم ، فقال كذبت ياعدو الله ، ثم بلغه رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال لايبقى دينان في جزيرة العرب ، وقوله لأخرجن اليهود والنصارى ، وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب ، وفي رواية آخر ماتكلم به النبي ﷺ أخرجوا اليهود من الحجاز وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز ، أي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة ، وخيبر لمدينة ، والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتملة عليه ، أي فالمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة ، لأن عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم الى تيما و بعضهم الى أريحا وتيما من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز ، وقيل له حجاز لانه حجز بين نجد وتهامة ففحص عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك حتى تيقنه وثلج صدره فأجلى يهود خيبر ، أي وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره وأجلى يهود فدك ونصارى نجران ، فلا يجوز اقامتهم بذلك أكثر من ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج ولم يخرج يهود وادي القرى وتيما لأنهما من أرض الشام لامن الحجاز ، ثم ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها كما قسمت على عهد رسول الله ﷺ ، وروى أنه ﷺ لما افتتح خيبر أصاب حمارا أسود ، فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لايركبهم الا نبي ، وقد كنت أتوقعك لتركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الأنبياء غيرك ، قد كنت لرجل يهودي فكنت أتعثر به عمدا ، وكان يجيع بطني و يضر بظهري ، فقال له النبي ﷺ فأنت يعفور ، وكان رسول الله ﷺ يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ ألقى نفسه في بئر جزعا على رسول الله ﷺ فمات ، قال ابن حبان هذا خبر لا أصل له واسناده ليس بشيء ، وقال ابن الجوزي لعن الله واضعه فانه لم يقصد إلا القدح في الاسلام والاستهزاء به ، وقد قال شيخنا العماد بن كثير هذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولاضعيف ، وسألت شيخنا المزي رحمه الله فقال ليس له أصل وهو ضحكة ، وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضي عياض في الشفاء والسهيلي في روضه ، وكان الأولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين

غزوة وادي القرى

ثم عند منصرفه ﷺ من خيبر أتى وادي القرى وأهله يهود فدعاهم ﷺ الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، أي برز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله تعالى عنه ، فبرز آخر فقتله علي كرم الله وجهه ، ثم برز آخر فقتله أبو دجانة رضي تعالى عنه ، فقاتلهم المسلمون الى المساء وقتل منهم أحد عشر رجلا ففتحها رسول الله ﷺ عنوة وغنمه الله أموالهم وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله ﷺ وترك الأرض والنخيل في أيدي أهله ، أي من بقي منهم وعاملهم على نحو ماعامل عليه أهل خيبر ، وفي لفظ ومن رسول الله ﷺ على يهود وترك في أيديهم أراضي وادي القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الأجرة ، قيل حصرهم ليالي ، ثم

النجاشي لطيفة وهي صحابي أسلم على يد تابعي ولايعرف مثله ومن حين أسلم خالد رضي الله تعالى عنه لم يزل رسول الله ﷺ يوليه أعنة الخيل فيكون فى مقدمها والله أعلم

عمرة القضاء أي ويقال لها عمرة القضية

أي لأن رسول الله ﷺ قاضى قريشا عليها أي صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص . قال السهيلي رحمه الله وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص ، أي لأنها كانت فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة ، أي وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن البيت منها سنة ست وليست قضاء عن العمرة التي صدّ عن البيت فيها فإنها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة فى عمره ﷺ التي اعتمرها ﷺ بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي قرنها مع حجه فى حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من أنه كان قارنا وكلها فى ذي القعدة الا التي كانت مع حجه وقد مكث ﷺ فى مكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه انه اعتمر خارجا من مكة الى الحل فى تلك المدة أصلا ولم يفعل هذا على عهده ﷺ الا عائشة رضي الله تعالى عنها كما سيأتي فى حجة الوداع وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو على ما يراه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ، أما على من يرى أن العمرة تفسد بالصد عنها وانه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فواضح انها قضاء وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخاري فيها لأنه ﷺ خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة ومن ثم قيل لها غزوة الأمن وخرج رسول الله ﷺ قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا فى الحديبية ، أي من أنه يدخل مكة فى العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام وفى أنس الجليل ما يفيد أن اشتراط الثلاثة أيام كان فى عمرة القضاء ففيه : ثم خرج رسول الله ﷺ معتمرا عمرة القضاء فأبى أهل مكة أن يدعوه ﷺ يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام وأن لا يخرج من أهلها أحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا أن يقيم بها وأصحابه كانوا ألفين ، أي وأمر أن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف أحد الا من استشهد فى خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها ، أي جعل فى عنق كل بعير قطعة من جلد أو نعلا بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار ، أي وجعل عليها ناجية بن جندب ، قال وحمل رسول الله ﷺ السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، أي وعلى السلاح بشير بوزن أمير بن سعد وخرج ﷺ من باب المسجد ، فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل ... بين يديه رسول الله تحت السلاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب ، فقال رسول الله ﷺ لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا منا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فقدم الخيل محمد بن مسلمة فلما كان بمر الظهران

وجد

وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله : أى وقد رأوا سلاحا كثيرا فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذى رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش وقالوا ماأحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه ، ثم ان قريشا بعثت مكرز بن حفص فى نفر من قريش اليه ﷺ ، فقالوا والله يامحمد ماعرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب ، فقال ﷺ انى لاأدخل عليهم بسلاح ، فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع مكرز الى مكة سريعا وقال ان محمدا لايدخل بسلاح وهو على الشرط الذى شرط لكم انتهى ، فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لايروه ﷺ يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة و بغضا وحسدا لرسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه مكة : أى راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقون به قد توشحوا السيوف يلبون ، ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وهى ثنية كداء بالمد ، أى وكان ﷺ اذا دخل مكة قال : اللهم لاتجعل منيتنا بها يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها ، أى وجعل ﷺ السلاح فى بطن ناجح موضع قريب من الحرم وتخلف عنده جمع من المسلمين ، أى نحو مائتين من أصحابه عليهم أوس بن خولى وقعد جمع من المشركين بجبل قيقعان ينظرون اليه ﷺ والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قالوا أى كفار قريش أن المهاجرين أوهنتهم ، أى أضعفتهم حمى يثرب ، وفى لفظ قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فاطلع الله نبيه ﷺ على ماقالوا ، ثم قال ﷺ رحم الله أمرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، أى ليروا المشركين أن لهم قوة أى فعند ذلك قال المشركون : أى قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا انهم لينفرون ، أى يثبون نفر الظبى ، أى الغزال وانما لم يأمرهم ﷺ بالرمل فى الأشواط كلها رفقا بهم واضطبع ﷺ بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك وهذا أول رمل واضطباع فى الاسلام ، وأقام ﷺ وأصحابه ثلاثة أيام ، فلما تمت الثلاثة التى هى أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى رسول الله ﷺ يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا نناشدك الله والعقد الا ماخرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله ﷺ هو وأصحابه منها وكان ﷺ تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية رضى الله عنها . أى وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة وهى أخت أم الفضل زوج العباس رضى الله تعالى عنهما وأخت أسماء بنت عميس لأمها زوج حمزة رضى الله تعالى عنه ، وكان تزوجه ﷺ ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة ، وقيل بعد أن حل منها . وقيل وهو محرم ، أى وهو مارواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ورواه الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فانه ﷺ كان قد بعث اليها جعفر رضى الله عنه ليخطبها ، ولما انتهت اليها خطبة النبى ﷺ كانت على بعيرها . فقالت البعير وما عليه لله ورسوله ، أى ومن ثم قيل انها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ . وقيل جعلت أمرها الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، أى وقيل جعلت أمرها لأم الفضل أختها فجعلت أم الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس وأصدقها عنه ﷺ أربعمائة درهم ولام من نكاحه ﷺ وهو محرم عثمان

من خصائصه ﷺ حل عقد النكاح فى الاحرام ، أى وفى كلام السهيلى كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أى فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج ، أى كما أراد ذلك الشاعر بقوله فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ورعا فلم أر مثله مقتولا

أى فى شهر حرام فانه قتل فى أيام التشريق هذا كلام السهيلى ، قال ابن كثير رحمه الله وفيه نظر لأن الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما متضافرة بخلاف ذلك التى منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه ، وعن ابن المسيب غلط ابن عباس ، أو قال وهم ابن عباس ما تزوجها النبى ﷺ الا وهو حلال ، ومن ثم روى الدارقطنى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، قال السهيلى فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس . وذكر بعض فقهائنا انه ﷺ وكل أبا رافع رضى الله تعالى عنه فى نكاح ميمونة رضى الله تعالى عنها ، وفى بعض السير ، وعن أبى رافع قال تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال . وأنا الرسول بينهما . رواه البيهقى والترمذى والنسائى ، وأراد ﷺ أن يبنى بها فى مكة فلم يمهلوه يبنى بها ، قال وقد قال لهم ما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاما ، فقالوا لا حاجة لنا فى طعامك اخرج عنا من أرضنا ، هذه الثلاثة قد مضت ، وفى لفظ دل لهم انى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا * وفى رواية جاءوا اليه ﷺ فى قبته التى نصبها بالأبطح . وذلك وقت الظهر ، وقيل وقت الصبح ولا مخالفة لجواز مجيئهم له فى الوقتين ، وعند مجيئهم له ﷺ كان مع الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب ناشدتك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فغضب سعد بن عبادة رضى الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبى ﷺ ، فقال له انك القائل كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض آبائك ، أى وفى لفظ قال يا عاض بظر أمه أرضك وأرض أمك دونه ليست أرضك ولا أرض آبائك ، والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال يا سعد لا تؤذ قوما زارونا فى رحالنا وأسكت الفريقين ثم انه ﷺ أمر أبا رافع رضى الله تعالى عنه أن ينادى بالرحيل ولا يمسى بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتى له بميمونة حين يمسى ، فخرج بها ، ولقيت ميمونة رضى الله تعالى عنها من سفهاء مكة عناء ، فعن أبى رافع رضى الله تعالى عنه لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبى ﷺ ولميمونة ، فقلت لهم ما شئتم هذه والله الخيل والسلاح ببطن يأجج وأنتم تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين مكسين . وأقام ﷺ بسرف بكسر الراء وهو محل بين مساجد عائشة وبطن مرو [illegible] قرب الى مسجد عائشة ، وفيه دخل ﷺ بميمونة ، أى تحت شجرة هناك وكان محل موتها و[illegible] دفنت فيه بعد ذلك وهو ﷺ أخبرها بأنها لا تموت بمكة . فلما ثقل عليها المرض وهى بمكة [illegible] من مكة [illegible] موت [illegible] رسول الله ﷺ أخبرنى بذلك فحملوها حتى أتوا بها [illegible] ودفنت [illegible] ، أى وهى آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وآخر من توفى من [illegible] دخوله ﷺ مكة أخذ عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى [illegible] فهو رضى الله تعالى عنه وعنا وعن المسلمين

يقول

يقول من أبيات

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وفي لفظ
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

وما قيل

نحن قتلناكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * أو يذهل الخليل عن خليله

قاله عمار بن ياسر يوم صفين لايمنع أن يكون ذلك من كلام ابن رواحة رضي الله تعالى عنه وتمثل به عمار رضي الله تعالى عنه ، أي وأما ماروى أنه ﷺ قال أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله ، فقال فيه الدار قطني رحمه الله تفرد به بعض الرافضة ، قال وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال مه يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ، فقال رسول الله ﷺ خل عنه ياعمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل ، وذكر أنه ﷺ قال ايها يا ابن رواحة قل «لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . ونصر عبده . وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده» فقالها وقالها الناس ، أي وفي الامتاع وكان ابن رواحة يرتجز في طوافه وهو آخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام ايها يا ابن رواحة «قل لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . ونصر عبده . وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده» فقالها وقالها الناس وطاف ﷺ على راحلته واستلم الحجر بمحجنه ، وذكر أنه ﷺ دخل البيت ، فلم يزل به حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة . فقال عكرمة ابن أبي جهل لقد أكرم الله تعالى أبا الحكم يعني والده أبا جهل حيث لم يسمع هذا العبد يقول مايقول وقال صفوان بن أمية الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا ، وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أذهب أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة ، وسهيل بن عمرو لما سمع ذلك غطى وجهه وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله تعالى عنهم ، قال بعضهم وكون ماذكر أي من دخوله ﷺ داخل الكعبة وأذان بلال رضي الله تعالى عنه فوق ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور اذ المشهور أن ذلك كان في يوم الفتح ويدل لذلك ماقيل لم يدخل ﷺ الكعبة وانه أراد ذلك فأبوا وقالوا لم يكن في شرطك ، فأمر بلالا فأذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها ، قال الواقدي في هذا القيل به أثبت * قول [illegible] لأول [illegible] دخلت [illegible]
استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها اني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي من بعدي ، أي لاتخاذهم ذلك سنة الا أن يقال يجوز أن يكون ذلك كان منه ﷺ [illegible] فتح مكة . وينبغي أن يكون هذا من [illegible] النبوة فان الناس يحصل لهم من [illegible] لا يعبر عنه من [illegible] والأمور [illegible] ﷺ [illegible] والمروة [illegible]
[illegible] الهدى [illegible] وحلق [illegible]
من حلق [illegible]
[illegible] ﷺ [illegible]

ببقر فاشتراه الناس منه وأمر ﷺ من تحلل أن يذهب الى السلاح و يأتى آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا ، ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة تبعته عمارة، أى وقيل اسمها أم أبيها ، وقيل امامة وقيل أمة الله ، قال ابن عبد البر والمثبت أمامة وأمها سلمى بنت عميس بنت عمه حمزة رضى الله تعالى عنه تنادى ياعمّ ياعمّ ، أى وفى لفظ أن أبا رافع خرج بها فتناولها علىّ كرم الله وجهه ، فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك ، فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علىّ وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم ، فقال زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه أنا أحق بها لأنها بنت أخى أى وأنا وصيه لأنه ﷺ آخى بين حمزة وزيد ، أى وجعل حمزة رضى الله تعالى عنه وصيه ، وقال علىّ كرم الله وجهه أنا أحق بها لأنها ابنة عمى وجئت بها من مكة ، وقال جعفر رضى الله تعالى عنه أنا أحق بها لانها بنت عمى وخالتها تحتى ، أى وهى أسماء بنت عميس فقضى بها ﷺ لجعفر رضى الله تعالى عنه ، وقال الخالة بمنزلة الأم هذا ، وفى الامتاع ، وكلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه رسول الله ﷺ فى عمارة بنت حمزة رضى الله تعالى عنهما ، وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة ، فقال علام تترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين ، وانه لما قضى بها لجعفر رضى الله تعالى عنه حجل جعفر حول النبى ﷺ فقال ماهذا ياجعفر : فقال يارسول الله كان النجاشى اذا أرضى أحدا أقام فحجل حوله ، وفيه انه فعل مثل ذلك بخيبر * ومابالعهد من قدم . الا أن يقال يجوز أن يكون فى خيبر فعل ذلك ولم يره النبى ﷺ ، وفى لفظ لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، وفيه تقديم الخالة فى الحضانة على العمة ، لأن عمتها صفية رضى الله تعالى عنها كانت موجودة ، وقال ﷺ لعلىّ كرم الله وجهه فى هذا الموطن أنت أخى وصاحبى ، وفى لفظ أنت منى وأنا منك ، وقال ﷺ لجعفر رضى الله تعالى عنه أشبهت خلقى وخلقى ، أى وقد تقدم منه ﷺ ذلك له فى خيبر ، وقال ﷺ لزيد رضى الله تعالى عنه أنت أخى ومولاى ، وفى لفظ أنت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم

غزوة موءتة

بضم الميم وبالهمزة ساكنة و بترك الهمزة موضع معروف عند الكرك ، وفى كلام السهيلى مؤتة مهموز الفاء وأما الموتة بلاهمز فضرب من الجنون ، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخة ونفثه ، وفسره راوى الحديث فقال نفثه السحر ونفخه الكبر وهمزه الموتة هذا كلامه ، كانت هذه الغزوة فى جمادى الأولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحرث بن عمير الأزدى بكتاب الى هرقل عظيم الروم بالشام ، أى فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى ، أى وهو من أمراء قيصر على الشام ، فقال أين تريد لعلك من رسل محمد قال نعم ؟ فأوثقه ربطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره . فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك اشتد الأمر عليه ، فجهز جمعا من أصحابه وعدتهم ثلاثة آلاف و ندبهم الى مقاتلة ملك الروم وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس * قال وفى رواية

فان أصيب ابن رواحة فلترتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود فقال ياأبا القاسم ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من بنى اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان أصيب فلان لابدّ أن يصاب أي ولو عدّ مائة أصيبوا جميعا ، ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى محمد أبدا ان كان نبيا وزيد يقول أشهد أنه نبي وعقد ﷺ لواء أبيض ودفعه لزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم ، وذكر بعضهم أنه ﷺ نهاهم أن يأتوا مؤتة فغشيتهم ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة انتهى . وودعهم الناس وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين قال ويقال ان رسول الله ﷺ خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال أى بعد قوله أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولاتقتلوا امرأة ولاصغيرا ولابصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرة ولاتهدموا بناء انتهى ، وقال لهم المسلمون دفع الله عنكم وردكم غانمين فضوا حتى نزلوا من أرض الشام فبلغهم أن هرقل ملك الروم فى مائة ألف من الروم وانضم اليه من قبائل العرب أي المتنصرة أى من بنى بكر ولخم وجذام مائة ألف ، وفى رواية كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة آلاف كما مرّ فلما بلغهم ذلك أقاموا فى ذلك المحل ليلتين ينظرون فى أمرهم أهل يبعثون لرسول الله ﷺ يخبرونه بعدد عدوهم ، فاما أن يمدهم برجال أو يأمرهم بأمر فيمضوا اليه فشجعهم عبدالله بن رواحة ، وقال لهم ياقوم والله ان الذى تكرهون للذى خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن مانقاتل الناس بعدد ولاقوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به فانما هى احدى الحسنيين إما ظهور و إما شهادة ، أى فقال الناس صدق والله ابن رواحة فضوا للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب فانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الجمعان عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه ومعه راية رسول الله ﷺ ، أى لواؤه حتى قتل رضى الله تعالى عنه فأخذ الراية جعفر رضى الله تعالى عنه وقاتل على فرس أشقر ثم نزل عنه وعقره ، أى وهو أول رجل من المسلمين عقر فرسه وأوّل فرس عقر فى سبيل الله عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة ، و به استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار وتقاتل عليه المسلمين ، ثم قاتل رضى الله تعالى عنه فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية فأخذ الراية وقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه فأخذها عبدالله بن رواحة رضى الله تعالى عنه وتقدم بها وهو على فرسه وجعل يتردد فى النزول عن فرسه ، ثم نزل وقاتل حتى قتل ، أى وحينئذ اختلط المسلمون والمشركون وأراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه يقول ياقوم يقتل الانسان مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا [] فأخذ الراية ثابت بن أرقم رضى الله تعالى عنه وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت فقال ماأنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ، أي و يقال ان ثابت بن أرقم دفعها الى خالد رضى الله تعالى عنه وقال أنت أعلم بالقتال منى ، أى فقال له خالد أنت أحق به منى لأنك ممن شهد بدرا ثم أخذه خالد رضى الله تعالى

عنه ومانع القوم وثبت ، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما . قال وفى رواية قاتلوا المشركين حتى هزموهم ، فعند ابن سعد ان خالدا رضى الله تعالى عنه لما أخذ اللواء حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا وأظهر الله المسلمين ، قيل وسبب ذلك أن خالدا رضى الله تعالى عنه لما أصبح جعل مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة فظن المشركون مجىء مدد للمسلمين فرعبوا وانهزموا فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم ويجوز أن يكون ذلك بعد انحياز المسلمين فلا منافاة بين الروايتين ، وكانت مدة القتال سبعة أيام وروى البخارى عن خالد رضى الله تعالى عنه قال اندقت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية انتهى وأطلع الله تعالى رسوله ﷺ على ذلك فأخبر به أصحابه ، أى فانه لما اطلع على ذلك نادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان ، وقال أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد رضى الله تعالى عنه شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر رضى الله تعالى عنه فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة رضى الله تعالى عنه وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ، ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفى لفظ ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبدالله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير إمرة حتى فتح الله عليهم * قال وفى رواية أنه ﷺ قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفى لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه ، وعن عبد الله بن أبى أوفى قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبى ﷺ فقال ياخالد لم تؤذى رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يارسول الله انهم يقعون فى فأرد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم وكون هذا نصرا وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا مائتى ألف والصحابة ثلاثة آلاف أى كما تقدم اذ كان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية * وفى رواية أصاب خالد رضى الله عنه منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما يأتى أن طائفة منهم فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون الى آخر ما يأتى ، وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنهما ، أى زوج جعفر رضى الله عنه قالت دخل على رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه ، فقال ائتينى ببنى جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه أى و بكى حتى تقطر لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقمت أصيح وأجتمع على النساء أى وجعل رسول الله ﷺ يقول لها يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربى خدا ، وجاء اليه ﷺ رجل فقال يارسول الله ان النساء عيين وفتن قال فارجع اليهن فأسكتهن فذهب ثم رجع ، فقال له مثل الأول وقال نهيتهن فلم يطعنى فقال اذهب فأسكتهن فان أبين فاحث فى أفواههن التراب ، وقال ﷺ اللهم قد تقدم ، يعنى جعفرا الى أحسن الثواب فاخلفه فى ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك فى ذريته ، وخرج رسول الله ﷺ الى أهله وقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم انتهى ، أى وفى لفظ دخل ﷺ على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه

فقال ﷺ على مثل جعفر فلتبك الباكية ، وفى لفظ البواكى ثم قال ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم ، وفى رواية فانهم قد شغلهم ماهم فيه ، وعن عبدالله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما أن سلمى مولاة النبى ﷺ عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله رضى الله عنه فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله ﷺ مع اخوتى وفى لفظ أنا وأخى فى بيته ثلاثة أيام ، ندور معه ﷺ كلما صار فى بيت إحدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا ، وهذا الطعام الذى فعل لآل جعفر رضى الله عنهم قال السهيلى هو أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة ، قال عبدالله رضى الله عنه ودعالى ﷺ وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيئا ولا اشتريت شيئا الا بورك لى فيه ، ولما قدم عليه ﷺ بعض أصحابه بخبر الجيش قال له رسول الله ﷺ ان شئت فأخبرنى وان شئت فأخبرتك ، قال فأخبرنى يارسول الله فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه له ، فقال والذى بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان أمرهم لكما ذكرت ، فقال رسول الله ﷺ ان الله رفع لى الأرض حتى رأيت معركتهم ، أى وحين رأى ذلك ﷺ ، قال قد حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت ، وقال ﷺ مثل لى جعفر وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا ، أى اعتراضا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل لى انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجههما ، وأما جعفر فانه لم يفعل ، وعن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر رضى الله عنه فجاءه الشيطان لعنه الله فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد رضى الله عنه . قال وفى رواية رأيتهم أى فيما يرى النائم ، وفى رواية لقد رفعوا الى أى فى الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب فرأيت فى سرير عبدالله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه أى انحرافا ؟ فقلت عم هذا ، فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى انتهى ، أى فانه كما تقدم صار يستنزل نفسه ويتردد فى النزول بعض التردد ، وفى لفظ دخل عبدالله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يارسول ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل ، فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد ، وقال ﷺ ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ، قال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ، وفى لفظ طعنة ورمية ، وفى لفظ آخر ضربه رومى فقده نصفين فوجدوا فى احدى شقيه بضعة وثمانين جرحا وفيما أقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح ، أى وقيل أربعا وخمسين ورواية التسعين أثبت فان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء ، فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فانى عشت حتى تغرب الشمس أفطرت ، قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره وعمره احدى وأربعون سنة ، وقيل ثلاث وثلاثون سنة ؛ وفيه انه تقدم انه كان أسن من على بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ثم رأيت ابن كثير رحمه الله ، قال وعلى ماقيل انه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن عليا كرم الله وجهه أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور . فأقام بمكة ثلاث

عشرة سنة وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة . وكونه رضى الله عنه مات صائما لايناسب كونه شق نصفين ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال كنا مع رسول الله ﷺ فرفع رأسه الى السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا قال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم على ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ولقيهم الصبيان ينشدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن جعفر فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه ، وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله ﷺ هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء ، وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة * وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله تعالى من يديه ، وروى جناحان من ياقوت ، أى وذكر السهيلى رحمه الله أن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيهما جعفر رضى الله عنه يقتدر بهما على الطيران لأنهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق للوهم أى لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، أى ولا يضر فى ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم وصار المسلمون يحثون فى وجوههم التراب ويقولون لهم يافرارون فررتم فى سبيل الله فصار رسول الله ﷺ يقول بل هم الكرارون وفى لفظ انهم قالوا يارسول الله نحن الفارون ، فقال لهم رسول الله ﷺ بل أنتم العكارون ، أى الكرارون ، وهو دليل على انه كان بينهم محاجزة وترك للقتال ، وعن بعض الصحابة لما قتل ابن رواحة رضى الله عنه انهزم المسلمون رضى الله عنهم أسوأ هزيمة ثم تراجعوا ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا شرا حتى أن الرجل يجىء الى أهل بيته يدق عليهم بابه فيأبون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت مع أصحابك ، فقتلت حتى ان نفرا من الصحابة رضى الله عنهم جلسوا فى بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم صاحوابه وصار رسول الله ﷺ يرسل اليهم رجلا رجلا ، ثم يقول أنتم الكرارون فى سبيل الله ويعنون بالفرار انحيازهم مع خالد رضى الله عنه حين انحاز العدو عنهم وانما انحاز خالد رضى الله عنه لترتيبه العسكر ، وقد مدح النبى ﷺ خالدا رضى الله عنه على ذلك وأثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد رضى الله عنه فلما أخبر النبى ﷺ بذلك قال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه قال استكثرته عليه ، فقال رسول الله ﷺ ادفعه له ، وكان عوف بن مالك رضى الله عنه كلم خالدا فى دفع ذلك لذلك الرجل قبل أن يقدموا على رسول الله ﷺ ، فلما مر خالد بعوف بن مالك أطلق لسانه فى خالد رضى الله عنه وقال له أما ذكرت لك ذلك ونحوه فغضب ﷺ وقال لخالد لاتعطه ياخالد هل أنتم تاركون لى أمرائى ، وفيه ان القاتل استحق السلب فكيف منعه * وأجيب بأنه يجوز أن يكون دفعه له بعد وانما أخر دفعه تعزيرا لعوف رضى الله عنه حين أطلق لسانه فى خالد وانتهك حرمته وتطييبا لقلب خالد رضى الله عنه للمصلحة فى اكرام الأمراء ، وهذا السياق يدل على أن الجيش كله رضى الله عنهم قيل عنهم لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما رأوا من كثرة العدو فليتأمل ، وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل ، والحق انها ليست من الغزوات بل من السرايا الآتى ذكرها لانه ﷺ لم يكن فيها والله أعلم

فتح مكة شرفها الله تعالى

كان فى رمضان سنة ثمان ، وكان السبب فى ذلك انه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ و بين قريش كان فيه أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ كما تقدم، وكان قبل ذلك بينهما دماء ، أى فحجز الاسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم على ماهم عليه من العداوة ، وكانت خزاعة حلفاء عبدالمطلب بن هاشم جد النبى ﷺ ، أى يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبدالمطلب واغتصبه إياها فاضطرب عبدالمطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض معه أحد منهم ،وقالواله لاندخل بينك و بين عمك وكتب الى أخواله بنى النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فأتوا نوفلا وقالواله ورب البنية لتردن على ابن أختنا ماأخذت والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس ، وكان ﷺ يعلم بذلك الحلف فاهم أوقفوه على كتاب عبدالمطلب وقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه أى بالحديبية ، وهو باسمك اللهم هذا حلف عبدالمطلب بن هاشم لخزاعة اذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقرّ بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا و بينكم عهود الله وميثاقه ومالاينسى أبدا ، اليدواحدة والنصر واحد ماأشرق ثبير وثبت حراء مكانه وما بل بحر صوفة ، وفى الامتاع أن نسخة كتابهم باسمك اللهم هذا ماتحالف عليه عبدالمطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة مابل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لاينقض ولاينكث ماأشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وماأقام الأخشبان وعمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبدالمطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون ، فعلى عبدالمطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبدالمطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أوغرب أوحزن أوسهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا ، فقال رسول الله ﷺ ماأعرفنى بحقكم وأنتم على ماأسلفتم عليه من الحلف ، فلما كانت الهدنة وهى ترك القتال التى وقعت فى صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر ، أى طائفة منهم يقال لهم بنونفاثة ، أى وفى الامتاع وسببها أن شخصا من بنى بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين لما كان بينهم من العداوة فطلب بنونفاثة من أشراف قريش أن يمدوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ، أى جاءوهم ليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير فأصابوا منهم ، أى قتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبدالعزى ، أى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضى الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ولازالوا بهم إلى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة ، أى ولم يشاوروا فى ذلك أباسفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم ذلك وظنوا أنهم لم يعرفوا وان هذا

لايبلغ رسول الله ﷺ ، فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ندموا وجاء الحرث بن هشام الى أبى سفيان وأخبره بما فعل القوم فقال هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتنى هند بنت عتبة يعنى زوجته أنها رأت رؤيا كرهتها ، رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة فكره القوم ذلك ، وعندذلك خرج عمرو وقيل عمر بضم العين وصححه الذهبى ابن سالم الخزاعى ، أى سيد خزاعة فى أربعين راكبا ، أى من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعى حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ودخل المسجد ووقف على رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد بين الناس وقال من أبيات

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا

ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال النبى ﷺ نصرت ياعمرو بن سالم ، أى ودمعت عينا رسول الله ﷺ ، قال وقال لاينصرنى الله ، وفى لفظ لانصرت ان لم أنصر بنى كعب يعنى خزاعة مما أنصر به نفسى ، وفى رواية لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى زاد فى رواية وأهل بيتى ثم مرت سحابة فى السماء وأرعدت فقال رسول الله ﷺ ان هذا السحاب ليستهل ، أى وفى لفظ لينصب بنصر بنى كعب يعنى خزاعة ، أى وعن بشر بن عصمة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خزاعة منى وأنامنهم ، وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله ﷺ وإعلامه بذلك حدثت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ صبيحة الوقعة ، قال لها لقد حدث فى خزاعة حدث ، قالت فقلت يارسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذى بينك وبينهم ، فقال ينقضون العهد لأمر يريده الله فقلت خير قال خير ، وفى لفظ قالت لخير أو لشر قال لخير ، وعن ميمونة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بات عندها ليلة فقام ليتوضأ للصلاة ، قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا ، فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد قال هذا راجز بنى كعب يعنى خزاعة يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل ، أى بطنا منهم وهم بنو نفاثة قالت ميمونة فأقمنا ثلاثا ، ثم صلى رسول الله ﷺ الصبح فسمعت الراجز يقول * يارب انى ناشد محمدا * الى آخر ماتقدم انتهى ، وعندذلك قال ﷺ لعمرو بن سالم وأصحابه فيمن تهمتكم قالوا بنو بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر ، ولما ندمت قريش على نقضهم العهد أرسلوا أبا سفيان ليشد العقد ويزيد فى المدة فقالوا له مالها سواك اخرج الى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة فخرج أبوسفيان ومولى له على راحلتين وأسرع السير لأنه يرى أنه أول من خرج من مكة الى رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ للناس قبل قدوم أبى سفيان كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة وهو راجع بسخطه ، ثم رجع بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا أباسفيان ، أى ومولى له كل على راحلة وقد بعثته قريش الى رسول الله ﷺ ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد أن فارقوه فأخذ بعرا وفتته

فوجد

فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة الشريفة ، قال وفى رواية أنه ﷺ قال لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا فى الأودية ، أى ليخفى مجيئهم للنبى ﷺ فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل ، أى وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق وان أباسفيان لقى بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبوسفيان أن يكون بديل جاء الى رسول الله ﷺ المدينة ، فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لاعلم لنا بها ، أى وقالوا انما كنا فى الساحل نصلح بين الناس فى قتل ، ثم صبر أبوسفيان حتى ذهب أولئك القوم ، وفى لفظ قال من أين أقبلت يابديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال ماأتيت محمدا قال لا ، فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها ، قال أبوسفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى ، قال أبوسفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى ، فلما قدم أبوسفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى ﷺ ورضى عنها ، ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال يابنية ماأدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش النبى ﷺ وأنت مشرك نجس ، قال والله لقد أصابك بعدى شر فقالت بل هدانى الله تعالى للاسلام وأنت تعبد حجرا لايسمع ولايبصر واعجبا منك ياأبت وأنت سيد قريش وكبيرها ، فقال أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد ، ثم خرج حتى أتى النبى ﷺ وقال له انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا فى المدة . فقال رسول الله ﷺ لذلك جئت ياأباسفيان ، قال نعم فقال رسول الله ﷺ هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل ، فقال رسول الله ﷺ فنحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبوسفيان القول على رسول الله ﷺ فلم يرد عليه شيئا ، هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمهما الله أن مجيئه لام حبيبة رضى الله عنها بعد مجيئه للنبى ﷺ ثم ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ماأنا بفاعل ، وفى رواية قال لأبى بكر جدد العقد وزدنا فى المدة ، فقال أبو بكر جوارى فى جوار رسول الله ﷺ والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله ﷺ فوالله لولم أجد الا الذر لجاهدتكم أى بها . وفى رواية أنه قال له ماكان من حلفنا جديدا أخلقه الله وما كان مقطوعا فلاوصله الله ، فعند ذلك قال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شرا وفى لفظ سوءا ثم جاء الى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال انه ليس فى القوم أقرب بى رحما منك فزد فى المدة وجدد العقد فان صاحبك لايرده عليك أبدا . فقال عثمان جوارى فى جواره ﷺ انتهى ثم جاء فدخل على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها ، فقال ياعلى انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لى الى محمد ، فقال ويحك يا أباسفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ماستطيع أن نكلمه فالتفت الى فاطمة رضى الله عنها ، فقال يا بنة محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله مابلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ ، أى وفى رواية انه قال لفاطمة أجيرى بين الناس ، فقالت انما أنا امرأة قال قد أجارت أختك يعنى زينب أبا العاص بن الربيع يعنى زوجها [illegible] ذلك الى رسول الله ﷺ فقال لا أمرى أحد [illegible]

فكلمى عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا ، فقال يا أبا سفيان انه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول ﷺ بجوار وقول فاطمة رضى الله عنها فى حق ابنيها انهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من أن شرط من يؤمّن أن يكون مكلفا ، وأما قولها وانما أنا امرأة فلا يوافق ما عليه أئمتنا من أن للمرأة والعبد أن يؤمّنا لأن شرط المؤمّن عند أئمتنا أن يكون مسلما مكلفا مختارا وقد أمّنت زينب بنت النبى ﷺ زوجها أبا العاص بن الربيع ، وقال ﷺ قد أجرنا من أجرت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم كما سيأتى فى السرايا ، وقد تقدم ذلك قريبا عن أبى سفيان ، وسيأتى قريبا أن أم هانئ أجارت وأنه ﷺ قال لها أجرنا من أجرت يا أم هانئ ، لكن سيأتى ان هذا كان تأكيدا للأمان الذى وقع منه ﷺ لأهل مكة لا أمان مبتدأ ، ثم ان أبا سفيان أتى اشراف قريش والأنصار وكل يقول جوارى فى جوار رسول الله ﷺ ثم جاء الى على كرم الله وجهه وقال يا أبا الحسن انى أرى الأمور قد انسدت علىّ فانصحنى قال والله لا أعلم لك شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى أجرت بين الناس زاد فى رواية ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى ، قال وفى رواية انه جاء الى النبى ﷺ فقال يا محمد انى أجرت بين الناس ، أى وقال لا والله ما أظن أحدا يخفرنى ويردّ جوارى ، فقال رسول الله ﷺ أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، وفى لفظ يا أبا سفيان انتهى ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش انه صبأ واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل ، فلما أخبرها أى وقد دنا منها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير ، فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رءوسهما بالدم ليدفع عنه التهمة ، فلما رأته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد قال لا والله لقد أبى علىّ وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له ، وفى رواية قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علىّ شيئا ، ثم جئت الى ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو ، أى وفى رواية أعدى العدوّ ، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعته فوالله لا أدرى أيغنى عنى شيئا أم لا ، قالوا وبم أمرك قال أمرنى أن أجير بين الناس ، أى قال لى لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا يخفر جواره. ففعلت ، قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا أى وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة والله لم يزدنى فلوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك أى ازالة خفارتك عليهم لهين ، والله أراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه أن يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، أى قال لعائشة جهزينا وأخفى أمرك فدخل أبو بكر رضى الله عنه على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ ، أى تجعل قمحا سويقا ودقيقا ، وفى لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أى بنية أمركن رسول الله ﷺ بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدرى ... ... قال أن يستشير ﷺ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير الى مكة

كما سيأتي ثم أنه ﷺ أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز ، أي وفي الامتاع ان أبا بكر رضي الله عنه لما سأل عائشة رضي الله عنها دخل عليه ﷺ فقال يارسول الله أردت سفرا ؟ قال نعم ؟ قال أفأتجهز ، قال نعم قال فأين تريد يارسول الله ، قال قريشا وأخف ذلك ياأبا بكر وأمر ﷺ الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريده ، وقد قال له أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله أوليس بيننا و بينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد واطو ماذكرت لك ، وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بني الأصفر قال لا قال أفتريد أهل نجد قال لا قال فلعلك تريد قريشا قال نعم ، قال يارسول الله أليس بينك و بينهم مدة قال أولم يبلغك ماصنعوا ببني كعب يعني خزاعة قال وأرسل ﷺ الى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ، أي وذلك بعد أن تشاور رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة فذكر له أبو بكر رضي الله عنه مايشير به إلى عدم السير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضي الله عنه حيث قال نعم هم رأس الكفر زعموا أنك ساحر وأنك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولون وايم الله لاتذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر ﷺ أن أبا بكر كابراهيم وكان في الله ألين من اللين وان عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر وأن الأمر أمر عمر ، وتقدم نحو هذا لما استشارهما ﷺ في أسارى بدر ، أي ثم قدمت المدينة من قبائل العرب أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، ثم قال ﷺ اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، أي وفي رواية قال اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة وأخذ بالانقاب أي الطرق ، أي أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها ، أي وقال لهم لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الارددتموه ولما أجمع ﷺ المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش ، أي الى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا و يقال أعطاها عشرة دنانير وكساها بردا ، أي وقال لها أخفيه مااستطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق قال وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت قدمت على رسول الله ﷺ المدينة وأسلمت وطلبت منه البرة وشكت الحاجة فقال لها رسول الله ﷺ ماكان في غنائك مايغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل منهم من قتل ببدر تركوا الغناء فوصلها ﷺ وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغني به انتهى ، فجعلت الكتاب في قرون رأسها أي ضفائر رأسها خوفا أن يطلع عليها أحد ، ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد ، أي وقيل عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد أي ولا مانع أن يكون أرسل الكل ، و بعض الرواة اقتصر على بعضهم فقال ﷺ أدركا امرأة بمحل كذا قد كتب معها حاطب كتابا الى قريش يحذرهم ماقد جمعناه في أمرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فان أبت فاضربوا عنقها فخرجا حتى أدركاها في ذلك المحل الذي ذكره ﷺ فقالا لها أين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال

لها على كرم الله وجهه انى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب أولنكشفنك أوأضرب عنقك ، فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه ، وفى البخارى أخرجته من عقاصها ولامنافاة ، وفيه فى محل آخر أخرجته من حجزتها ، والحجزة معقد الازار والسراويل ، قال بعضهم ولامانع أن يكون فى ضفائرها وانها جعلت الضفائر فى حجزتها فدفعته اليه ، وسيأتى أنها ممن أباح ﷺ دمه يوم الفتح ثم أسلمت وعفا عنها فأتى رسول الله ﷺ بذلك الكتاب ، أى وصورة الكتاب أن رسول الله ﷺ قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لوسار اليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فانه منجز له ماوعده فيكم فان الله تعالى ناصره ووليه ، وقيل فيه ان محمدا ﷺ قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ، وقيل فيه ان رسول الله ﷺ قد آذن بالغزو ولاأراه الايريدكم وقد أحببت أن تكون لى يد بكتابى اليكم * أقول لامانع أن يكون جميع ماذكر فى الكتاب بأن يكون فيه ان محمدا ﷺ قد آذن ، أى أعلم بالغزو وقد نفر ، أى عزم على أن ينفر فاما اليكم وإما الى غيركم ولا أراه الايريدكم وهذا كان قبل أن يعلم بسيره الى مكة ، فلما علم ألحق بالكتاب أن رسول الله ﷺ قد توجه : أى يريد التوجه اليكم بجيش الى آخره ، و بعض الرواة اقتصر على مافى بعض الكتاب والله أعلم . فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ماحملك على هذا ، فقال والله انى لمؤمن بالله ورسوله ماغيرت ولابدّلت ، وفى لفظ ماكفرت منذ أسلمت ولاغششت منذ نصحت ولاأحببتهم منذ فارقتهم ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولاعشيرة ولى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، أى وفى لفظ قال يارسول الله لاتعجل علىّ انى كنت امرأ ملصقا أى حليفا من قريش ، وفى كلام بعضهم مايفيد أن الملصق هو الذى لانسب له ولادخل فى حلف قال ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم وأهليهم بمكة ولم يكن لى قرابة فأحببت أن أتخذ فيهم يدا أحمى بها أهلى ، أى وهى أمه ، ففى بعض الروايات كنت غريبا فى قريش وأمى بين أظهرهم فأردت أن يحفظونى فيها ومافعلت ذلك كفرا بعد اسلام وقد علمت أن الله تعالى منزل بهم بأسه لايغنى عنهم كتابى شيئا ، فقال رسول الله ﷺ انه قد صدقكم ، فقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يارسول الله دعنى لأضرب عنقه فان الرجل قد نافق ، وفى لفظ قال له قاتلك الله ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم ، وفى رواية دعنى أضرب عنقه لأنه يعلم أنك يارسول الله أخذت على الطرق وأمرت أن لاندع أحدا يمر ممن تنكره الا رددناه انتهى * وأقول مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق ، أى خالف الأمر لاأنه أخفى الكفر لقوله ﷺ قد صدقكم ورأى أن مخالفة أمره ﷺ مقتضية للقتل ولكن رواية البخارى أنه قد صدقكم ولاتقولوا له إلا خيرا . وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله إلا أن يقال يجوز أن يكون قول عمر لذلك كان قبل قول رسول الله ﷺ ماذكر وبعد قول عمر رضى الله عنه دعنى لأضرب عنقه ، قال رسول الله ﷺ انه قد شهد بدرا ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ، وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى رواية لا يدخل النار أحد شهد بدرا ، وعند ذلك فاضت عينا عمر رضى الله عنه بالبكا . أى وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة) الآيات وفى قوله (عدوّى

وعدوكم) منقبة عظيمة لحاطب رضي الله عنه بأن في ذلك الشهادة له بالايمان وقوله (تلقون اليهم بالمودة) أي تبدونها لهم ، وذكر بعضهم أن البلتعة في اللغة التظرف بالظاء المشالة يقال تبلتع في كلامه اذا تظرف فيه ✲ ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم ابن الحصين الغفاري ، وقيل ابن أم مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطي في سيرته وخرج لعشر ، وقيل الليلتين ، وقيل لثنتي عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقيل ثمان عشرة ، وهو في مسند الامام أحمد بسند صحيح ، قال ابن القيم انه أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان ، أي وصدر به في الامتاع ، وقيل خرج لتسع عشرة مضين من شهر رمضان في سنة ثمان قال في النور لاأعلم خلافا في الشهر والسنة ، وما في البخاري ان خروجه ﷺ من المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة ، أي فيكون في السنة التاسعة فيه نظر وكان ﷺ في عشرة آلاف أي باعتبار من لحقه في الطريق من القبائل كبني أسد وسليم ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار ، وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا ، وقيل كان ﷺ في اثني عشر ألفا ، ولما وصل ﷺ الى الأبواء أوقريبا منها لقيه أبوسفيان ابن عمه الحرث ، وكان الحرث أكبر أولاد عبدالمطلب وكان يكنى به كما تقدم ، وكان أبوسفيان أخاه ﷺ من الرضاعة على حليمة كما تقدم ولقيه عبدالله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب أخو أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها لأبيها ، لأن والدة أم سلمة عاتكة بنت جندل الطعان ، وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما تسمى عاتكة ، فكان عنده أربع عواتك ، وكان محيء الحرث وعبدالله له ﷺ يريدان الاسلام وكانا رضي الله تعالى عنهما من اكبر القائمين على رسول الله ﷺ ومن أشد الناس اذاية له ﷺ أي بعد أن كان الحرث قبل النبوة آلف الناس له ﷺ لايفارقه كما تقدم ، وقد تقدم بعض ذكر أذيتهما له ﷺ فأعرض ﷺ عنهما فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما ، أي قالت له لايكون ابن عمك وابن عمتك أي وصهرك أشقى الناس بك ، فقال ﷺ لاحاجة لي بهما أما ابن عمي يعني أباسفيان فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري يعني عبد الله أخا أم سلمة فهو الذي قال لي بمكة ماقال أي قال له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر اليك ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله أرسلك الى آخر ماتقدم . فلما خرج الخبر اليهما ، قال أبو سفيان ومعه ابن له والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا . ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعا وعطشا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وقبل ﷺ اسلامهما ، وقيل ان عليا كرم الله وجهه قال لأبي سفيان ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف (تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) فانه ﷺ لايرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه ففعل ، فقال رسول الله ﷺ (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ، وكان أبو سفيان رضي الله عنه بعد ذلك لايرفع رأسه الى رسول الله ﷺ حياء منه لأنه عاداه ﷺ نحو عشرين سنة يهجوه ولم يتخلف عن قتاله . وكان ﷺ بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ، ويقول أرجو أن تكون خلفا من حمزة رضي الله عنهما . أي ورد له

ﷺ يوما الصيد كل الصيد فى جوف الفرا ، وفى رواية قال له ﷺ أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا * وفى سفره ﷺ صام وصام الناس حتى اذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الأولى ، أى وهو محل بين عسفان وقديد أفطر ، أى وقيل أفطر بعسفان وقيل أفطر بقديد وقيل أفطر بكراع الغميم ولا منافاة لتقارب الأمكنة ، وقال بعضهم لامانع أن يكون ﷺ كرر الفطر فى تلك الأماكن لتتساوى الناس فى رؤية ذلك فأخبر كل منهم عن محل رؤيته قال وفى رواية انه ﷺ لما خرج ووصل الى محل يقال له الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام رضى الله عنه فى مائتين ونادى منادى رسول الله ﷺ من أحب أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر ، أى وفى الامتاع لما خرج ﷺ من المدينة نادى مناديه من أحب أن يصوم فليصم ، وفى بعض الأيام صب رسول الله ﷺ على رأسه الماء ووجهه من شدة العطش ، وفى لفظ من شدة الحر وهو صائم * وفى رواية انه ﷺ لما بلغ الكديد بلغه أن الناس شق عليهم الصيام ، أى وانهم ينظرون فيما فعلت فاستوى ﷺ على راحلته بعد العصر ودعا باناء فيه ماء ، وقيل لبن فشرب ، ثم ناوله لرجل بجنبه فشرب ، فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام ، فقال أولئك العصاة ، أى لأنهم خالفوا أمره ﷺ لهم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو لأنه ﷺ قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فلم يزل ﷺ يفطر حتى انسلخ الشهر انتهى ، أى وفى قديد عقد ﷺ الألوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران ، أى وهو الذى يقال له الآن بطن مر عشاء ، أى وقد أعمى الله الاخبار عن قريش اجابة لدعائه ﷺ فلم يعلموا بوصوله اليهم ، أى ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره اليهم ، فأمر ﷺ أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان العباس رضى الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما ، أى مظهرا للاسلام مهاجرا ، فلقى رسول الله ﷺ بالجحفة ، وقيل بذى الحليفة فرجع معه الى مكة ، أى وأرسل أهله وثقله الى المدينة ، وقال له رسول الله ﷺ هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة ، قال العباس رضى الله عنه ورقت نفسى لأهل مكة ، أى وقل ياصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، قال العباس رضى الله عنه فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء أى زاد بعضهم التى أهداها له دحية الكلبى ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أوصاحب لبن أوذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة فوالله انى لأسير اذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل ابن ورقاء وهما يتراجعان ، أى وقد خرجا وحكيم بن حزام أى بعد أن خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام فلقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الأخبار و ينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به أى لأنهم علموا بمسيره ﷺ ولم يعلموا الى أى جهة ، وفى سيرة الدمياطى ولم يبلغ قريشا مسيره أهمهم ذلك حين سار اليه وهم مغتمون يخافون من غزوه اياهم ، فبعثوا أباسفيان بن حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان رأيت محمدا فخذ لنا منه أمانا ، أى فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة ، و بديل يقول له هذه والله خزاعة حمشتها حرب ، وحمشتها بالحاء المهملة والشين المعجمة ، أى أحرقتها وقيل بالسين المهملة ، أى اشتدت عليها

من

من الحماسة وهي الشدة وأبو سفيان يقول خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها أي وفي رواية ان القائل هذه خزاعة غير بديل ، وان بديلا هو القائل هؤلاء أكثر من خزاعة وهو المناسب لأن بديلا من خزاعة ، قال العباس رضي الله عنه فعرفت صوت أبي سفيان ، أي وكان أبو سفيان صديقا للعباس ونديمه ، قال العباس فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي ، فقال أبو الفضل فقلت نعم ، قال مالك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله ﷺ في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أي وفي رواية قد جاءكم بعشرة آلاف ، فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وأمي ، قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك فركب خلفي ، أي ورجع صاحباه جئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ واذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا عم رسول الله ﷺ على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال من هذا ؟ وقام الي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة فسبقته فاقتحمته عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر في أثري ، فقال يارسول الله هذا أبو سفيان ، أي عدو الله قد أمكن منه من غير عقد ولا عهد ، فدعني لأضرب عنقه ، قال قلت يارسول الله اني قد أجرته ، ولعل العباس وعمر رضي الله عنهما لم يبلغهما قوله ﷺ انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه ان صح ، قال العباس رضي الله ، ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ماقلت مثل هذا ، أي ولكنك قد عرفت انه من رجال عبد مناف ، قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا أني قد عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله ﷺ من اسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ اذهب به يا عباس الى رحلك ، فاذا أصبحت فائتني به ، وفي البخاري ان الحرس ظفروا بأبي سفيان ومن معه وجاءوا بهم الى رسول الله ﷺ فأسلموا وجمع بعضهم بأنه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس ، أي ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس بن عبد المطلب فأجارهم ، أي وأتى بأبي سفيان وتأخر صاحباه ، قال وفي لفظ أخذهم نفر من الأنصار بعثهم رسول الله ﷺ عيونا فاخذوا بخطم أبعرتهم ، فقالوا من أنتم ؟ قالوا نحن أصحاب رسول الله ﷺ وهاهو . فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاءوا بهم الى عمر رضي الله تعالى عنه ، أي لأنه كان في تلك الليلة على الحرس كما تقدم ، فقالوا جئناك بنفر من أهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان مازدتم ، فقالوا والله أتيناك بأبي سفيان ، فقال احبسوه فحبسوه حتى أصبح ، فغدوا به الى رسول الله ﷺ انتهى وفيه مالا يخفى ، فان الجمع بينه و بين ماقبله بعيد ، قال العباس ، ولما قال لي رسول الله ﷺ اذهب به يا عباس الى رحلك فذهبت به ، فلما أصبح غدوت على رسول الله ﷺ أي بعد أن نودي بالصلاة وثار الناس ، ففزع أبو سفيان وقال للعباس يا أبا الفضل مايريدون قال الصلاة * وفي رواية ما للناس أأمروا في بشيء . قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله ﷺ ثم رآهم يركعون اذا ركع و يسجدون

اذا سجد ، فقال للعباس ياعباس مايأمرهم بشيء الا فعلوه ، فقال له العباس لونهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه ، فقال مارأيت ملكا مثل هذا الملك لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر ثم قال للعباس كلمه فى قومك هل عنده من عفو عنهم ، فانطلق العباس بأبى سفيان حتى أدخله على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ، قال بأبى وأمى أنت ماأحلمك وأكرمك وأوصلك ، لقد ظننت أنه لوكان مع الله إله غيره لما أغنى عنى شيئا بعد ، قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ، قال بأبى أنت وأمى أما والله هذه فان فى النفس حتى الآن منها شيئا ✻ قال وفى رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس ، وان العباس قال يارسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك ، فقال رسول الله ﷺ أدخلهم فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم ، أى عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا أنى رسول الله ، فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام ، فقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيئا فأرجئها انتهى ، أى أخرها الى وقت آخر ، وفى أسد الغابة أنه ﷺ ، قال ليلة قرب من مكة فى غزوة الفتح ان بمكة أربعة نفر من قريش أربأبهم عن الشرك وارغب بهم فى الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو ، أى وهذا يدل على القول بان جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه ، وذكر بعضهم انه أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح ، فقال العباس رضى الله تعالى عنه لأبى سفيان ويحك اسلم واشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فشهد شهادة الحق فأسلم ، وذكر عبد بن حميد أن النبى ﷺ حين عرض الاسلام على أبى سفيان ، قال له كيف أصنع بالعزى ، فسمعه عمر رضى الله تعالى عنه من وراء القبة ، فقال له تخرأ عليها ، فقال له أبو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم ، وكان فى هذا تصديق أمية بن أبى الصلت فانه كان يقول كنت أرى فى كتبى ان نبيا يبعث فى حرتنا فكنت أظن بل كنت لاأشك أنى أناهو ، فلما دارست أهل العلم اذهو فى بنى عبد مناف فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر الا عتبة بن ربيعة فلما جاوز الأربعين سنة ولم يوح اليه علمت أنه غيره ، قال أبو سفيان فخرجت فى ركب أريد اليمن فى تجارة فمررت بامية بن أبى الصلت فقلت له كالمستهزئ به يا أمية قد خرج النبى الذى قد كنت تنعته ، قال انه حق فاتبعه ، قلت مايمنعك من اتباعه قال مايمنعنى من اتباعه إلا الاستحياء من بنيات ثقيف انى كنت أحدثهم انى هو يرينني تابعا لغلام من بنى عبد مناف ، ثم قال لأبى سفيان كأنى بك يا أباسفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدى حتى يأتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد ، رواه الطبرانى فى معجمه ، وذكر بعضهم أن أمية هذا كان يتفرس فى بعض الأحيان فى لغات الحيوان فمر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو ، فقال هذا البعير يقول ان فى رحله مسلة تصيب ظهره فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل ، فوجدوا المسلة كما قال ، وذكر أن حكيم بن حزام قال يارسول الله جئت باوباش الناس من يعرف ومن لايعرف الى أهلك وعشيرتك ، فقال رسول الله ﷺ هم أظلم وأفجر قد غدرتم بعقد الحديبية وتظاهرتم على بنى كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان فى حرم الله وأمنه ، فقال بديل صدقت والله يارسول الله، لقد غدروا بنا والله لوأن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا مانالوا منا الذى نالوا ،

فقال

فقال حكيم قد كنت يارسول الله حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك لهوازن ، فانهم أبعد رحما وأشد عداوة، فقال رسول الله ﷺ انى لأرجو أن يجمعها لى ربى فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وأخذ أموالهم وذراريهم ، وقال له أبو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم ، قال رسول الله ﷺ نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ، قال العباس فقلت يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، أى فحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقى فى الاسلام مثل ذلك كان من أشراف قريش فى الجاهلية والاسلام وأعتق فى الجاهلية مائة رقبة وفى الاسلام مثل ذلك فانه حج فى الاسلام ، وأوقف بعرفة مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة وعقد ﷺ لأبى رويحة الذى آخى ﷺ بينه وبين بلال لواء وأمره أن ينادى من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن ، أى وانما قال ذلك لما قال له أبو سفيان وماتسع دارى ومايسع المسجد ، ولما قال له ﷺ ذلك قال أبو سفيان هذه واسعة ، ثم أمر ﷺ العباس أن يحبس أباسفيان وبديلا وحكيم بن حزام [] أى وعليه انما خص أبو سفيان بالذكر فى بعض الروايات لشرفه قال له احبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها ، قال العباس ففعلت ، فمرت القبائل كلها كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال ياعباس من هذه فأقول سليم فيقول مالى ولسليم ، أى فان أوّل القبائل مرّ سليم ، وفيها خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت بالفاء والدال المهملة القبائل كلها ماتمر قبيلة الاسألنى عنها ، فاذا قلت له بنو فلان ، قال مالى ولبنى فلان ، أى وقد ذكرها بعضهم مرتبة ، فقال أوّل من مر خالد بن الوليد فى بنى سليم بضم السين ، فقال أبو سفيان ياعباس من هولاء ؟ قال هذا خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم ، قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه فى خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب ؟ فقال أبو سفيان من هؤلاء ، قال الزبير قال ابن أخيك قال نعم ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع، ولما مرت أشجع قال أبو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس أدخل الله الاسلام قلوبهم فهذا فضل الله [] حتى مر به رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء لابسهم الحديد . والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة ، وفيها المهاجرون والأنصار . لايرى منهم الا الحدق من الحديد أى فيها ألفا دارع وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول رويدا حتى يلحق أوّلكم آخركم . قال سبحان الله ياعباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله ﷺ فى الأنصار فقال مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، فقال أبو سفيان والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقلت ياأباسفيان انها النبوة فقال نعم اذن ثم قلت له النجاء بالفتح والمد الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية رضى الله تعالى عنهم . وأخذت بشاربه وقالت كلاما معناه اقتلوا الخبيث الدنس الذى لاخير فيه قبح

من طليعة قوم * أى وفى رواية انها أخـذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتـلوا الشيخ الأحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم و بلادكم فقال لها ويحك أسكتى وادخـلى بيتك . وقال و يحكم لا تغرنـكم هـذه من أنفسكم فانه قد جاءكم مالاقبل لـكم به من دخـل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وماتغنى عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سـلاحه فهو آمن ومن دخـل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخـل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد ، أى و بهـذا استدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة و به قال امامنا الشافعى رحمه الله ، وقال غيره فتحت عنوة ، وفى رواية أن النبى ﷺ وجه حكيم بن حزام مع أبى سفيان بعد اسلامهما الى مكة ، وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت بأسفل مكة ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة واستثنى ﷺ جماعة أمر بقتلهم وهم أحـد عشر رجلا ، أى وفى الامتاع ستة نفر وأربع نسوة وان وجدوا متعلقين بأستار الـكعبة منهم عبدالله بن أبى سرح وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بنى عامر وكان أحد النجباء الـكرام من قريش رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وعبدالله بن خطل وقينتاه وعكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك والحويرث بن نفيل ومقيس بن حبابة وهبار بن الأسود رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكعب بن زهير رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو أخو أبى جهل لأبويه وزهير بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وسارة مولاة لبعض بنى عبدالمطلب رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك وعاشت الى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وتقدم أنها كانت حاملة لـكتاب حاطب بن أبى بلتعة وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وزهير بن أبى سلمى ، أى وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان ووحشى بن حرب رضى الله تعالى عنـه [] فانه أسلم بعد ذلك ، وفى رواية أن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه كان معه راية رسول الله ﷺ أى على الأنصار ، ولما مر على أبى سفيان وهو واقف بمضيق الوادى ، قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، أى الحرب والقتال اليوم أستحل الحرمة ، وفى لفظ الـكعبة اليوم أذل الله قريشا ، فلما أقبل رسول الله ﷺ قال بعضهم ورأيته مع الزبير رضى الله تعالى عنه ، فلما مر بأبى سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يارسول الله أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس برّ وأرحمهم وأوصلهم فقال عثمان وعبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما يارسول الله فانا لا نأمن من سعد أن يكون له فى قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ يا أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا ، أى وفى رواية اليوم يعظم الله فيه الـكعبة اليوم تـكسى فيه الـكعبة وأرسل رسول الله ﷺ الى سعد بن عبادة ، أى أرسل عليا كرم الله وجهه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضى الله تعالى عنهما ، وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلى كرم الله وجهه خشية ان يقع من ابنه قيس مالا يرضاه ﷺ . أى لأن قيسا رضى الله تعالى عنه كان من دهاة العرب وأهل الرأى والمـكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ماوقع بينه و بين معاويه لما ولاه

سيدنا علي كرّم الله وجهه بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه مصر لرأى العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم مالا مزيد عليه وقفت له رضي الله تعالى عنه عجوز: وقالت له أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران. فقال ماأحسن هذا السؤال. وقال لها لأكثرن الجرذان ببيتك فملأ بيتها طعاما وادما. وقيل قالت له مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها لأدعهن يثبن وثبة الأسود. ثم ملأ بيتها طعاما ولامانع من تعدد الواقعة ومن هذا الوادي ماكتب به بعضهم الى عبدالملك بن مروان ياأمير المؤمنين أشكو اليك الشرف. فقال له ماأحسن مااستمنحت وأعطاه عشرة آلاف درهم. فقيل له في ذلك فقال يسئل مالايقدر عليه و يعتذر فلا يعذر ولما أشرف أبوه سعد رضي الله تعالى عنهما على الموت قسم ماله في أولاده. وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد ولد له ذلك الحمل كلمه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في أن ينقض ماصنع أبوه من تلك القسمة. فقال نصيبي للمولود ولاأغير ماصنع أبي ولم يكن في وجه قيس رضي الله تعالى عنه شعر. وكان مع ذلك جيلا وكانت الأنصار رضي الله تعالى عنهم تقول وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا، وكان له ديون على الناس كثيرة. فلما مرض رضي الله تعالى عنه استبطأ عوّاده فقيل له انهم مستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادي كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له. فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه. ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عن سعد اذ صار لابنه قيس رضي الله تعالى عنهما. قال وروى أن سعدا أبى أن يسلم اللواء الا بأمارة من رسول الله ﷺ. فارسل ﷺ اليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضي الله تعالى عنهما انتهى. وفي صحيح البخاري أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة وهي أقل، وفي رواية الحميدي وهي أجل الكتائب بالجيم قال في الأصل وهي أظهر من رواية أقل لأنها كانت خاصة المهاجرين، فيها رسول الله ﷺ والراية مع الزبير رضي الله تعالى عنه، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة. أي وان يغرز رايته عند أدنى البيوت. وقال لاتقاتلوا الامن قاتلكم، وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم. أي فانهم أسلموا بعد ذلك [] قد جمعوا ناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا. وكان من جملتهم رجل كان يعد سلاحا و يصلح من شأنه فتقول له زوجته. أي وقد كانت أسلمت سرا لماذا تعد ماأرى فيقول لمحمد وأصحابه فتقول له والله ماأراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم. وفي تاريخ مكة للأزرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبري نبالا له. وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبري هذا النبل. قال بلغني أن محمدا يريد أن يفتح مكة و يغزوها فلئن كان لأخدمنك خادما من بعض من أستأسره فقالت له والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه لورأيت خيل محمد. فلما دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح أقبل ذلك الرجل اليها. فقال و يحك هل من مخبأة فقالت له فأين الخادم فقال لها دعي عنك وأنشد الأبيات الآتية. هذا كلامه * وسبب ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما لقيهم الجمع المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل. وقالوا له لاتدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل، وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل. وفي رواية أنه لما دخل بيته قال لامرأته أغلقي على بابي قالت وأين ماكنت تقول أين الخادم الذي كنت وعدتني تسخر به فقال

* انك لوشهدت يوم الخندمة * عبارة الازرق * وأنت لو أبصرتنا بالخندمة *
اذ فر صفوان وفر عكرمه * واستقبلتنا بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت حولنا وهمهمه * لا تنطق فى اللوم أدنى كلمه

والغمغمة الصوت الذى لا يفهم والنهيت بالمثناة تحت وفوق الزحير والهمهمة صوت فى الصدر أى واستمر خالد رضى الله تعالى عنه يدفعهم الى أن وصل الحزورة الى باب المسجد ، أى وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون ، فرأى ﷺ وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل و بدئ بالقتال ، فلم يكن له بد من أن يقاتل من يقاتله ، وما كان يارسول الله ليخالف أمرك فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل وفى رواية جعل ﷺ الزبير رضى الله تعالى عنه على إحدى المجنبتين ، أى وهما الكتيبتان تأخذ إحداهما اليمين والأخرى اليسار والقلب بينهما وخالدا على الآخرى وأباعبيدة على الرجالة . وفى لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة . أى الذين لادروع لهم . قال فى شرح مسلم فهم رجالة لادروع عليهم . وقد أخذوا بطن الوادى . ولعل ذلك كان قبل الدخول الى مكة فلاينافى ماسيأتى أنه ﷺ أعطى الزبير رضى الله تعالى عنه راية وأمره أن يعرزها بالحجون لايبرح حتى يأتيه فى ذلك المحل وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية . وقد بوشت قريش أبواشا . أى جمعوها من قبائل شتى فنادى رسول الله ﷺ أباهريرة رضى الله تعالى عنه وقال لى اهتف . أى صح لى بالأنصار فهتف بهم فجاءوا وطافوا برسول الله ﷺ . فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال ﷺ بيديه احداهما على الاخرى أحصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا . أى ودخلوا من أعلى مكة . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل منهم ماشاء وما أحد يوجه الينا منهم شيئا . وفى لفظ فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه أى لايقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لاقريش أى لاجماعة قريش بعد اليوم لأن الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الأعظم فيقال السواد الأعظم و يعبر عنها بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش . وعند ذلك قال ﷺ من أغلق بابه فهو آمن . قال ووجه ﷺ اللوم على خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه . وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يارسول الله بدءونا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح . وقد كففت مااستطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه ، وفى لفظ أنه ﷺ قال لرجل من الأنصار عنده يافلان قال لبيك يارسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله ﷺ يأمرك أن لاتقتل بمكة أحدا . فجاء الانصارى فقال ياخالد ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة . فجاء الى النبى ﷺ رجل من قريش فقال يارسول الله هلكت قريش لاقريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لايلقى أحدا من الناس الا قتله قال ادع لى خالدا فدعاه له فقال ياخالد ألم أرسل اليك أن لاتقتل أحدا قال بل أرسلت ان اقتل من قدرت عليه . قال ﷺ ادع لى الأنصارى فدعاه له ، فقال أما أمرتك أن تأمر خالدا ان لايقتل أحدا قال بلى ولكنك ردت أمرا وأراد الله غيره فسكت رسول الله ﷺ

ولم يقل للأنصاري شيئا فقال رسول الله ﷺ كف عن الطلب ، قال قد فعلت . فقال رسول الله ﷺ قضى الله أمرا ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر . وهي الساعة التي أحلت لرسول الله ﷺ أي وهذه المقاتلة التي وقعت لخالد رضي الله تعالى عنه لاتنافي كون مكة فتحت صلحا كما تقدم أي لأنه ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة وأما قوله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط لهم في الامان . وقوله احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال ومن ثم قتل خالد رضي الله تعالى عنه من قاتل من الكفار وارادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهما أخته أم هانئ كما سيأتي لعله تأول فيهما شيئا أوجرى منهما قتال له وتأمين أم هانئ لهما من تأكيد الأمان الذي وقع للعموم فلا حجة في كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور ، وقيل أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه أبو هريرة والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه وأسفلها الذي سلكه خالد رضي الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ، ودخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصواء أي مردفا أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين ، ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة ، وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر ، وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواؤه أسود ، وعن جابر رضي الله تعالى عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب أي وهي التي كانت بخيبر وتقدم انها كانت من برد عائشة وعنها رضي الله تعالى عنها انها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين من أعلى مكة وهذا هو المعروف خلافا لمن قال انه دخل من أسفل مكة وهي ثنية كدى بضم الكاف والقصر والتنوين وسيأتي انه عند الخروج خرج صلى الله عليه وسلم من هذه . وبهذا استدل أئمتنا على انه يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانيـة أي واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه امامنا الشافعي رضي الله عنه في الأم ، وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا أي وسيأتي ذلك عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها أي وكان شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الاوس يا بني عبيد الله أي شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضا في ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لو وجد ☆ ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس ، قال وذلك بالحجون موضع ما غرز الزبير رضي الله تعالى عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب أبي طالب الذي حصرت فيه بنو هاشم أي وبنو المطلب قبل الهجرة بقبة من أدم نصبت له هناك ومعه صلى الله عليه وسلم فيها أم سلمة وميمونة زوجتاه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما فعن جابر رضي الله تعالى عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا ، قال جابر رضي الله تعالى عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر أي لان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب

ان لاينا كحوهم ولايبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ماتقدم فى قصة الصحيفة انتهى ، وفيه انه سيأتى فى حجة الوداع انهم تحالفوا بالمحصب ، ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم ، قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بالمحصب وعن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما . قال يارسول الله أين تنزل غدا تنزل فى دارك ، فقال وهل ترك لنا عقيل من دار ؟ وتقدم مايغنى عن اعادته هنا فكان صلى الله عليه وسلم يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة ، وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة أى مهاجرا يوم الاثنين أى ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين . ثم سار صلى الله عليه وسلم والى جانبه أبو بكر رضى الله تعالى عنه يحادثه و يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته ، أى ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه آخذ بزمامها ليستلم الحجر بمحجن فى يده . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حىّ من أحياء العرب صنم قد شدّ ابليس أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخرّ لوجهه ، وفى لفظ لقفاه ، وفى لفظ فما أشار لصنم من ناحية وجهه الاوقع لقفاه ولا أشار لقفاه الاوقع على وجهه من غير أن يمسه بما فى يده ، يقول (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) حتى مر عليها كلها * وفى رواية فأقبل صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وفى يده قوس أخذ بسيته والسية ما انعطف من طرف القوس فأتى صلى الله عليه وسلم فى طوافه على صنم الى جنب البيت أى من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام [] فجعل يطعن بها فى عينيه ، ويقول (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) أى فأمر به صلى الله عليه وسلم فكسر ، فقال الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه لابى سفيان قد كسر هبل أما انك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم انه قد أنعم ، فقال أبو سفيان رضى الله تعالى عنه دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان ، أى وانتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة ، قال وعن على كرم الله وجهه ، قال انطلق بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى الكعبة ، فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبى ، ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته ، قال اجلس فجلست ، ثم قال صلى الله عليه وسلم ياعلى اصعد على منكبى ففعلت أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه اصعد على منكبى واهدم الصنم ، فقال يارسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك ان أعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد أنت فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فصعد علىّ كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به ، قال على فلما نهض بى فصعدت فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وخيل لى حين نهض بى انى لو شئت لنلت أفق السماء ، أى وفى رواية قيل لعلى كرم الله وجهه كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كان من حالى انى لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت ، وعند صعوده كرم الله وجهه ، قال له صلى الله عليه وسلم ألق صنمهم الأكبر وكان من نحاس ، أى وقيل من قوارير أى زجاج * وفى رواية لما ألقى الاصنام لم يبق الاصنم خزاعة موتدا

بأوتاد من حديد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر * أقول وهذا السياق يدل على ان هذا الصنم غير هبل وان هبل ليس أكبر أصنامهم بل هـذا أكبر منه ولم أقف على اسمه ، ومما يدل على ان الذى كسر هو هبل قول الزبير رضى الله تعالى عنه كما تقدم لابى سفيان ان هبل الذى كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر ، قال دعنى ولا توبخنى لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك ، وفى الكشاف ألقاها جميعها و بقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر ، فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون و يقولون مارأينا أسحر من محمد * وفى خصائص العشرة لصاحب الكشاف زيادة وهى ونزلت من فوق الكعبة وانطلقت أنا والنبى صلى الله عليه وسلم نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه ، وهذا يدل على ان ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتأمل ، وفى الكشاف أيضا كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت لقبائل العرب أصنام يحجون اليها و ينحرون لها ، فشكا البيت الى ربه عز وجل ، فقال يارب الى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك ، فأوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك نوبة جديدة فلأملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالبيت : هذا كلامه ، ودخل رسول الله ﷺ الكعبة ، أى بعد أن أرسل بلالا رضى الله تعالى عنه الى عثمان بن أبى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة الى آخر ماسيأتى ، و بعد أن محيت منها الصور ، أى فانه ﷺ أمر عمر رضى الله تعالى عنه وهو بالبطحاء ان يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد ترك صورة ابراهيم ، فقال ﷺ ياعمر ألم آمرك أن لاتترك فيها صورة قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) هذا ، وفى كلام سبط ابن الجوزى ، قال الواقدى رحمه الله أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما أن يقدما الى البيت ، وقال لعمر لاتدع صورة حتى تمحوها الاصورة ابراهيم هذا كلامه . فليتأمل * وفى رواية عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما . قال دخلت على رسول الله ﷺ فى الكعبة فرأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل ﷺ يمحوها أى وتلك الصور هى صور الملائكة وصور ابراهيم واسمعيل فى أيديهما الازلام يستقسمان بها أى واسحق و بقية الانبياء كما تقدم فى بنيان قريش الكعبة وصورة مريم ، فقال قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بالازلام قط ، أى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون عمر رضى الله تعالى عنه ترك مع صورة ابراهيم صورة اسمعيل ومريم وصورة الملائكة ووجد صورة حمامة من عيدان بفتح العين المهملة وكسرها بيده ثم طرحها ودعا بزعفران فلطخه بتلك التماثيل أى بموضعها وصلى بها ركعتين بين اسطوانتين ، وفى لفظ بين العمودين اليمانيين ، وفى لفظ المقدمين و بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع انتهى ، أى وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل * وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامة بن زيد و بلال وعثمان بن أبى طلحة زاد فى رواية والفضل ابن العباس ، قال الحافظ ابن حجر ، وفى رواية شاذة فأغلقوا عليهم الباب ، وفى لفظ آخر فأغلقا أى

عثمان و بلال فأجاف أى اغلق عليهم عثمان الباب وجمع بأن عثمان هو المباشر لذلك لانه من وظيفته و بلال رضى الله تعالى عنه كان مساعدا له فى الغلق ، أى ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم وذهب عنى أن أسأله كم صلى وهذا يدل على أن قول بلال رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى أى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم وفى كلام السهيلى فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى فيها ركعتين ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أخبرنى أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج ، فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين أى بين الباب والحجر الذى هو الملتزم ، وقال هذه القبلة فبلال رضى الله تعالى عنه مثبت للصلاة فى الكعبة وأسامة رضى الله تعالى عنه ناف والمثبت مقدم على النافى ، على أنه جاء ان أسامة رضى الله تعالى عنه أخبر أيضا بأنه ﷺ صلى فى الكعبة * وأجيب بأن أسامة حيث أثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد ماعنده أى وفى مجمع الزوائد للحافظ الهيتمى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فصلى بين الساريتين ركعتين ، ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين . ثم قال هذه القبلة . ثم دخل ﷺ مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اختلف . وسبب الاختلاف تعدد دخوله ﷺ ففى المرة الاولى دخل وصلى وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل على أن ذلك كان يوم الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضى الله تعالى عنهم صحيحتان لانه صلى الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك فى حجة الوداع هذا كلامه فليتأمل ، أى ثم أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى مقام ابراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ، ثم أخره على ماتقدم ودعا ﷺ بماء فشرب منه وتوضأ . وفى لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب أى يغلبهم الناس على وظيفتهم وهى النزع من زمزم لنزعت منها دلوا أى فان الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم فى ذلك مع أن النزع من وظيفة بنى عبد المطلب وانتزع له العباس رضى الله تعالى عنه دلوا فشرب منه وتوضا فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم وفى لفظ لا تسقط قطرة لأحد انسان ان كان قدر مايشربها شربها والامسح بها جلده والمشركون يقولون مارأينا ولاسمعنا ملكا قط بلغ هذا * ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أى والناس حوله خرج أبو بكر وجاء بأبيه رضى الله تعالى عنهما يقوده ، وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه ؟ وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه تكرمة لأبى بكر ، فقال أبو بكر يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه [illegible] بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فأسلم رضى الله تعالى عنه ، وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر باسلام أبيه رضى الله تعالى عنه [illegible] قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام [illegible] من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة ، وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك [illegible] وكان رأسه ولحيته بيضا كالثغامة ، فقال غيروهما وجنبوهما السواد أى [illegible] ولا تشبهوا باليهود والنصارى * وفى رواية اليهود

والنصارى

والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وجاء أن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحناء والكتم قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب أبو بكر رضى الله تعالى عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضى الله تعالى عنه بالحناء وجاء يا معشر الانصار حمروا أو صفروا وخالفوا أهل الكتاب وكان عثمان رضى الله تعالى عنه يصفر . وعن أنس رضى الله تعالى عنه دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو أبيض الرأس واللحية ، فقال ألست مؤمنا قال بلى قال فاختضب لكن قيل انه حديث منكر . وجاء من اختضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة . قيل انه حديث منكر وجاء يكون آخر الزمان رجال من أمتى يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ، قيل هو غريب جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كسعد بن أبى وقاص والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم أى وعقبة بن عامر المدفون بمصر . قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابى متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل فى ذلك

تسود أعلاها وتأبى أصولها * ولا خير فى الأعلى اذا فسد الأصل

وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضى الله تعالى عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وأمره بالغزو فى البحر وكان عقبة رضى الله تعالى عنه يقول ما أنصفنا معاوية عزلنا وغربنا لم يبلغهم النهى أو فهموا أن النهى للكراهة ، وقد جاء أول من جزع من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه فى عارضه . فقال عليه الصلاة والسلام يارب ما هذه الشوهة التى شوهت بخليلك فاوحى الله اليه هذا سربال الوقار ، ونور الاسلام وعزتى وجلالى ما ألبسته أحدا من خلقى يشهد أن لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى الا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا وأنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار ، فقال يارب زدنى فاصبح رأسه مثل الثغامة البيضاء وفى المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائى ، أى وفى كلام ابن الجوزى رحمه الله أول من خضب بالسواد فرعون ، ومن أهل مكة أى من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضى الله تعالى عنه اخضبوا بالسواد فانه أنكى للعدو وأحب للنساء فليتأمل وكان لابى بكر رضى الله تعالى عنه أخت صغيرة فى عنقها طوق من فضة اقتلعه انسان من عنقها فاخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه بيد أخته وقال انشدكم بالله والاسلام طوق أختى فما أجابه أحد ، ثم قال الثانية والثالثة فما أجابه أحد فقال رضى الله تعالى عنه يا أختاه احتسبي طوقك فوالله ان الامانة فى الناس اليوم لقليل قال بعضهم ولم يعش لابى قحافة رضى الله تعالى عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنات الا أم فروة التى نكحها أولا [illegible] من الاشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الدارى وهى هذه المذكورة هنا . وقيل كانت له بنت أخرى تسمى عريبة وعليه فيحتمل أن تكون هى المذكورة هنا وتقدم [illegible] أبى بكر رضى الله تعالى عنهما لما كان المسلمون فى دار الارقم وأمه بنت عم أبيه ، قال بعضهم لم يكن أحد من صحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وجميع أبنائه و بناته غير أبى بكر . و بنوه ثلاثة عبدالله وهو أكبرهم مات أول خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضى الله تعالى عنهم ولد محمد فى حجة الوداع وهو المقتول بمصر و بناته ثلاثة أسماء وهى أكبرهن وهى شقيقة عبدالله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم وعنهن ، مات أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهى ببطن أمها ، وتقدم أول الكتاب فى حقه (ر [illegible]

أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي) الآيات قال بعضهم لايعرف في الصحابة أربعة أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن وابن عبدالرحمن محمد ويكنى بابي عتيق أي وقد قيل ان قيل هل تعرفون أربعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق أي من الذكور كل ابن الذي قبله * أجيب بانهم هؤلاء الاربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبدالرحمن محمد ، و بقولنا من الذكور لايرد ما أورد على ذلك أن هذا يصدق على أبي قحافة وابنه أبي بكر وبنته أسماء وابنها عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم نعم يرد على ذلك حارثة أبو زيد فانه أسلم على ماذكره الحافظ المنذري ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد وجاء اسامة بولد في حياته صلى الله عليه وسلم أي ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك المولود الى أن يقال كان من شأنهم اذا ولد لاحدهم مولود جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع في أسماء الصحابة وحينئذ يقال لاجل عدم ورود من ذكر ليس لنا أربعة ذكور معروفة أسماؤهم و بعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لاجل عدم الورود ليس لنا أربعة ليسوا من الموالي الى أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن أبي بكر عبدالرحمن وابن عبد الرحمن محمد أبو عتيق فليتأمل * لايقال هذا موجود في غير بيت الصديق فقد ذكروا في الصحابة أربعة كذلك أي ذكور كل واحد أبو الذي بعده عرفت أسماؤهم وليس فيهم مولى وهم أياس بن سلمة بن عمرو بن لال * لانا نقول المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم * ومن الفوائد المستحسنة أنه ليس في الصحابة قال بعضهم بل ولا في التابعين من اسمه عبدالرحيم وثلاثة ذكور أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم على نسق وهم السائب والد إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وأبوه عبيد وجده عبد يزيد * ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره و يدعوه والانصار تحته قال بعضهم لبعض أما الرجل فادركته رغبة في قربته ورأفة بعشيرته فنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بما ذكر القوم فلما قضي الوحي رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر الانصار قلتم : أما الرجل فادركته رغبة في قربته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم فما اسمي اذن أي ان فعلت ذلك كيف اسمي وأوصف باني عبدالله ورسوله كلا لاأفعل ذلك اني عبدالله ورسوله أي ومن كان هذا وصفه لايفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه صلى الله عليه وسلم يبكون و يقولون والله ماقلنا الذي قلنا الا الضن أي البخل بالله و برسوله أي لانسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم و يصدقانكم * وفي رواية ان الانصار رضي الله تعالى عنهم قالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله أرضه و بلده يقيم بها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشيء يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم أي وتقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة غير ذلك وهو أن الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك وأظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم ، وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل عبدالله بن

أبي سرح لانه كان أسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وكان ﷺ اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال ان محمدا لا يعلم ما يقول فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة وقيل أنه لما كتب (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الى قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) تعجب من تفصيل خلق الانسان فنطق بقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) قبل املائه فقال له رسول الله ﷺ اكتب ذلك هكذا انزلت فقال عبدالله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الي فارتد ولحق بمكة فقال لقريش اني كنت أصرف محمدا كيف شئت كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وكلما أقوله يقول اكتب هكذا نزلت فلما كان يوم الفتح وعلم باهدار النبي ﷺ دمه لجأ الى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فقال له يا أخي استأمن لي رسول الله ﷺ قبل ان يضرب عنقي فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له ثم أتى به الى النبي ﷺ فأعرض عنه النبي ﷺ فصار عثمان رضي الله عنه يقول يارسول الله أمنته والنبي ﷺ يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبدالله قال ﷺ لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال ﷺ لعباد بن بشر وكان نذر ان رأى عبدالله قتله أي وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبي ﷺ يشير اليه أن يقتله فقال له ﷺ انتظرتك أن تفي بنذرك قال يارسول الله خفتك أفلا أومضت الي فقال انه ليس لنبي أن يومض * وفي رواية الايماء خيانة ليس لنبي أن يومي * وفي رواية لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين أي وهذا يدل على أن خائنة الاعين الايماء بالعيون أي أن يومي بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو اللمز هذا ، وقيل أنه أسلم وبايع والنبي ﷺ بمر الظهران وصار يستحي من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ لعثمان أما بايعته وأمنته قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحي منك قال الاسلام يجب ما قبله وأخبره عثمان رضي الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء جاء للنبي ﷺ يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا ، وانما أمر ﷺ بقتل ابن خطل لانه كان ممن أسلم أي قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبدالله وبعثه رسول الله ﷺ لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ في شعره وكانت له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله ﷺ الذي يصنعه وقد قيل انه ركب فرسه لابسا للحديد وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره خبره فأمر بقتله ، وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقا بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب أي فقتله سعد بن حريث وأبو برزة * وقيل قتله الزبير رضي الله عنه ، وقيل سعد بن ذؤيب ، وقيل سعد بن زيد . قال في النور والظاهر اشتراكهم فيه جميعا جمعا بين الاقوال . وأمر ﷺ بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله ﷺ للاخرى فأمنها وأسلمت ، والحويرث بن نقيذ انما أمر ﷺ بقتله لانه كان يؤذي

رسول الله ﷺ بمكة ويعظم القول في أذيته وينشد الهجاء وكان العباس عم رسول الله ﷺ ورضي عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى به الارض ، قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك اليوم وقد خرج يريد أن يهرب ، ومقيس بن صبابة انما أمر بقتله لانه كان قد أتى النبي ﷺ مسلما طالبا لدية أخيه هشام بن صبابة رضي الله عنه قتله رجل من الانصار في غزوة ذي قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبي ﷺ دية أخيه ثم انه عدا على الانصاري قاتل أخيه فقتله بعد أن أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم ، قتله ابن عمه نميلة بن عبدالله الليثي أي بعد أن أخبر نميلة بأن مقيسا مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر فذهب اليه فقتله وذلك بردم بني جمح ، وقيل قتل وهو معلق بأستار الكعبة ، وأما هبار بن الاسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وانما أمر ﷺ بقتله لانه كان عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص الى المدينة فأهوى اليها هبار ونخس بعيرها ، وفي رواية ضربها بالرمح فسقطت من على الجمل على صخرة أي وكانت حاملا فألقت ما في بطنها واهراقت الدماء ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم فقال النبي ﷺ ان لقيتم هبارا فاحرقوه ثم قال انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر انه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال سب من سبك فانتهوا عنه ؛ وهذا السياق يدل على انه أسلم قبل أن يذهب الى المدينة ، وفي لفظ ولما رجع النبي ﷺ الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال « يا محمد أنا جئت مقرا بالاسلام وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله » واعتذر اليه أي ولد ﷺ بعد أن وقف عليه وقال السلام عليك يا نبي الله لقد هربت منك في البلاد فأردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صفحك عمن جهل عليك وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان مني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا هبار عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ما كان قبله وقوله مهاجرا فيه انه لا هجرة بعد فتح مكة الا أن يقال هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل الى آخر أخذا مما يأتي ان شاء الله في عكرمة ، وأما عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه ﷺ انما أمر بقتله لانه كان أشد الناس هو وأبوه أذية للنبي ﷺ وكان أشد الناس على المسلمين . ولما بلغه ان النبي ﷺ أهدر دمه فر الى اليمن واتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحرث بن هشام بعد أن أسلمت فوجدته في ساحل البحر يريد أن يركب السفينة وقيل وجدته في السفينة فردته أي بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك فقد استأمنت لك فجاء معها فاسلم وحسن اسلامه أي بعد أن قال يا محمد هذه يعني زوجي أخبرتني أنك أمنتني قال صدقت انك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم يا عكرمة ما تسألني شيئا أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال ﷺ اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به ، أي ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به أي ورمى صلى الله عليه وسلم رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا [illegible] من فضلاء الصحابة * وفي بهجة المجالس في أنس الجالس لابن

عبد البر رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه
وقال لمن هذا فقيل لأبي جهل فشق ذلك عليه ﷺ وقال لايدخلها الانفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة
ابن أبي جهل مسلما فرح به وأوّل ذلك العذق لعكرمة ، والعكرمة الاثى من الحبر واستدل بذلك على
تأخر الرؤيا وأنها تكون لغير من ترى له قال وصار عكرمة قبل اسلامه يطلب امرأته أم حكيم يجامعها فتأبى
وتقول أنت كافر وأنا مسلمة والاسلام حائل بيني و بينك فقال ان أمرا امنعك عني لأمر كبير ، أي ولما قتل
عكرمة رضي الله عنه فى اليرموك فى قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد وأراد أن يدخل بها
فجعلت تقول له لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى أن أصاب
فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى
الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها خالد فيها فقتلت
بها سبعة من الروم وقال ﷺ قبل أن يقدم عليه عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يأتيكم عكرمة
مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى ولا يلحق الميت انتهى أى وفى رواية لاتسبوا
الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا ، وفى أخرى لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء ، وفى أخرى اذكروا
محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وجاء انه شكا اليه ﷺ قولهم عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول
الله ﷺ وقال لا تؤذوا الأحياء بسب الاموات وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الأنصار ما أضحكك يارسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال
أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل عكرمة شهيدا فى قتال الروم فى وقعة اليرموك كما مر .
وسارة رضى الله عنها فانها أسلمت وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتلها لأنها كانت مغنية بمكة وكانت
تغنى بهجائه صلى الله عليه وسلم وهى التى وجد معها كتاب حاطب وقد استؤمن لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأمّنها وأسلمت كما تقدم ، والحرث بن هشام وزهير بن أمية استجارا بأم هانئ بنت أبي طالب
اخت على بن أبى طالب كرم الله وجهه شقيقته ولم تكن أسلمت اذ ذاك فأراد على قتلهما ، فعنها رضى الله عنها
انها قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من أحمائى أى من أقارب
زوجها هبيرة بن أبى وهب مستجيران بى فأجرتهما وذكر الأزرقى بدل زهير بن أمية عبد الله بن أبى
ربيعة فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال والله لأقتلنهما أى وقال تجيرى المشركين فخلت بينه
و بينهما فخرج فاغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فوجدته
يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه ، فقلت أم
هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا بأم هانئ . وفى الرواية الاولى فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به ثم صلى
ثمانى ركعات من الضحى ثم أقبل على فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ماجاء بك ؟ فأخبرته خبرهما فقال
أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما . وفى البخارى أيضا انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فى
بيتها ثم صلى الضحى ثمانى ركعات أى ولما ذكر ذلك لابن عباس رضى الله عنهما قال [illegible]
أمر على هذه الآية (يسبحن بالعشى والاشراق) [illegible] صلاة الاشراق [illegible] صلاة الاشراق
وفى لفظ ماعرفت صلاة الاشراق الا الساعة [illegible]
ان صلاة الضحى صلاة الاشراق خلاف [illegible]
[illegible]

الذى هو أصل التحر ير ومن دخل مكة وأراد أن يصلى الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة و به ألغز فقيل شخص يستحب له الاغتسال لصلاة الضحى فى مكان خاص ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنهما مارأيت رسول الله ﷺ صلى سبحة الضحى قط وانى لأسبحها أى أصليها وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله ماأخبرنى أحد انه رأى النبى ﷺ يصلى الضحى الا أم هانىء وهذا ينازع فيه ماياتى أن صلاة الضحى مما اختص بوجوبها صلى الله عليه وسلم ، وأسلمت أم هانىء ذلك اليوم الذى هو يوم الفتح أى وجاء أنه ﷺ قال لها هل عندك من طعام نأكله قالت ليس عندى الا كسر يابسة وأنا استحى أن أقدمها اليك فقال هلمى بهن فكسرهن فى ماء وجاءت بملح فقال هل من أدم فقالت ماعندى يارسول الله الاشئ من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ، ثم حمد الله ، ثم قال نعم الأدم الخل ياأم هانىء لايقفر بيت فيه خل أى وقد جاء أنه ﷺ سأل أهله الادام فقالوا ماعندنا الا الخل فدعا به فجعل يأكل به و يقول نعم الادام الخل" وفى الحديث عن جابر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له حتى يفرغ وجاء نعم الادم الخل . اللهم بارك فى الخل فانه كان إدام الانبياء قبلى ولم يقفر بيت فيه خل" وعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال أخذنى رسول الله ﷺ بيدى ذات يوم الى بعض حجر نسائه فدخل ، ثم أذن لى فدخلت فقال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فأخذ رسول الله ﷺ قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا فوضعه بين يدى ، ثم أخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدى ، ثم قال ﷺ هل من أدم ؟ فقالوا لا الا شئ من خل قال هاتوه فنعم الادم الخل وفى رواية فان الخل نعم الادام قال جابر رضى الله تعالى عنه فمازلت أحب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم مازلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر ، وصفوان بن أمية استأمن له عمير بن وهب أى قال له يانبى الله ان صفوان سيد قومى قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فأنك أمنت الاحمر والاسود فقال صلى الله عليه وسلم أدرك بن عمك فهو آمن فقال أعطنى آية يعرف بها أمانك فأعطى صلى الله عليه وسلم لعمير عمامته التى دخل بها مكة ، أى وفى لفظ أعطاه برده أى بعد أن طلب منه العود فقال لاأعود معك الأن تأتينى بعلامة أعرفها فقال امكث مكانك حتى آتيك به فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده أى بعد أن قال له اعزب عنى لاتكلمنى ، فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا يزعم أنك أمنتنى قال صدق فقال يارسول الله أمهلنى بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ، أى ثم خرج مع النبى ﷺ الى حنين ، ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها أى بالجعرانة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملآنا نعما وشاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هولك وما فيه فقبض صفوان مافى الشعب . وقال ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبى فأسلم كما سيأتى ، وهند امرأة أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فانها أسلمت بعد وانما أمر ﷺ بقتلها لانها مثلت بعمه حمزة رضى الله تعالى عنه يوم أحد ولاكت قلبه كما تقدم ، وكعب بن زهير رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد وانما أمر ﷺ بقتله لانه كان ممن يهجو

رسول الله ﷺ ، ووحشي رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قتل عمه حمزة رضي الله تعالى عنه يوم أحد وكانت الصحابة أحرص شئ على قتله ففر الى الطائف وقد قدمنا اسلامه استطرادا ، قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء يبايعهم على الاسلام أي على شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا . أي وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فأخذته الرعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فأني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ، أي وكان من جملة من بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما ، فعن معاوية رضي الله تعالى عنه لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت اياك أن تخالف اباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت أسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له أي بعد أن استشار فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال استكتبه فانه أمين وأردفه النبي ﷺ يوما خلفه فقال مايليني منك ؟ قلت بطني . قال اللهم املأه حلما وعلما ، وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب زاد في رواية ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا وأهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال النبي ﷺ يوما لمعاوية يامعاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تليها ويذكر أنه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشئ من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وادرجوني في الرداء وازروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ، وقد بشر بمعاوية رضي الله تعالى عنه بعض كهان اليمن وسبب ذلك أن أمه هند كانت قبل أبيه أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ثم خرج الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة التي هي هند ولى هاربا وأبصره الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله . وقال لها من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت رجلا ولا انتبهت حتى أيقظتني فقال لها الحقي بأبيك ، وتكلم فيها الناس فقال لها أبوها عتبة يا بنية ان الناس قد اكثروا فيك فأنبئيني نبأك . فان كان الرجل عليك صادقا دسست اليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له أنه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه ياهذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الكاهن الفلاني تنكرت حالة هند وتغير وجهها فقال لها أبوها اني قد أرى مابك من تنكر الحال وما ذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل أن يشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا أبتاه ماذاك لمكروه عندي ولكني أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني

ماسيما يكون على سبة فى العرب قال انى سوف أختبره من قبل أن ينظر فى أمرك فصفر بفرس حتى أدلى ثم أخذ حبة من حنطة فأدخلها فى احليله وأوكأ عليها بسير فلما وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وانى قد خبأت لك خباء أختبرك به فانظر ماهو قال سمرة فى كمرة قال أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت انظر فى أمر هذه النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها و يقول انهضى حتى دنا من هند فضرب كتفها . وقال انهضى غير وسخاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لأحرصن على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله تعالى عنهم وقد قال له صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فأحسن . وفى رواية اذا ملكت من أمر أمتى شيئا فاتق الله واعدل ، و يؤثر عنه رضى الله تعالى عنه أنه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى رضى الله تعالى عنه حتى علا نحيبه ، كتب الى عائشة رضى الله تعالى عنها اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه : من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام ، وكتبت اليه رضى الله تعالى عنها مرة أخرى : أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن أى وذلك اسقاط الأجنة زاد فى لفظ ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم أى ولا تقعدن مع الرجال فى خلاء أى لا تجتمع امرأة مع رجل فى خلوة ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البهتان أن تلحق بزوجها ولدا ليس منه أى ولا يغنى عنه الزنا كما أن ذلك لا يغنى عن الزنا وقد تحبل ولا يلحقه بأحد ولا تعصين فى معروف ، وجاء أن بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعطيك فيه قال لا تصعحن أى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا وفى لفظ ولا تحلقن سعرا ولا تحرقن قرنا ولا تشققن جيبا ولا تدعين بالويل ، وجاء هذه النوائح يجعل يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلاب وجاء تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول وبلاه ، وجاء النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ، وجاء لا تصل الملائكة على نائحة وجاء ليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر وجاء أن هندا قالت له ﷺ انك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال أى لأن الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط ولما قالت لما قال ﷺ ولا تسرقن والله انى كنت أصيب من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل عفا الله عنك اى فضحك النبى ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يانبى الله وأنها

قالت

قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين أوتزنى الحرة يارسول الله ولما قال ولاتقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وفى لفظ هل تركت لنا ولدا الاقتلته يوم بدر وفى لفظ أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم وفى لفظ ربيناهـم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضى الله تعالى عنه حتى استلقى وتبسم ﷺ وفى لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم ، ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه قالت والله أن اتيان البهتان لقبيح زاد فى لفظ وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ، ولما قال ﷺ ولاتعصينني فى معروف قالت والله ماجلسنا مجلسنا هـذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى معروف ، وفى لفظ أنها أتته منتقبة بالأبطح وقالت انى امرأة مؤمنة أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ، ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله ﷺ مرحبا بك ، قال بعضهم وفى اسلام أبى سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها أى لأنها أسلمت بعده بليلة واحدة واقرارهما على نكاحهما حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه ، ثم أرسلت اليه ﷺ بهدية وهى جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت فأذن لها فدخلت عليه وهو ﷺ بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من بنى عبد المطلب وقالت له ان مولاتى تعتذر اليك وتقول أن غنمها اليوم لقليل الوالدة فقال رسول الله ﷺ اللهم بارك لكم فى غنمكم وأكثر والدتها فكثر الله ذلك تقول تلك المولاة لقد رأينا من كثرة غنمها ووالدتها مالم نكن نرى قبل وجاءت اليه وقالت يارسول الله ان أباسفيان رجل مسيك فهل على من حرج أن أطعم من الذى له عيالنا ؟ فقال لها لا عليك أن تطعميهم بالمعروف . وفى لفظ ان أباسفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ماأخذت منه وهو لايعلم قال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف أى وجاء ان بعض النساء قالت هلم نبايعك يارسول الله قال لاأصافح النساء وانما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة وفى لفظ قولى لألف امرأة كقولى لامرأة واحدة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يصافح رسول الله ﷺ امرأة قط وانما كان يبايعهن بالكلام وعن الشعبى بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب وقيل له غمس يده فى اناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة قال ابن الجوزى والقول الاول أثبت وقد ذكر المبايعات له ﷺ لافى خصوص يوم الفتح على حروف المعجم فى كتاب التلقيح وتقدم عن أم عطية رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ، ثم أرسل اليهن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله ﷺ اليكن يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا وقرأ الى قوله تعالى فى معروف فقلن نعم فمد يده من خارج ومددن أيديهن من داخل البيت . ثم قال اللهم أشهد ولعل ذلك كان بحائل والقصة مأمون ومن ﷺ لعمه العباس أين ابنا أخيك ؟ يعنى أبالهب عتبة ومعتب لاأراهما ، قال العباس رضى الله تعالى عنه قد تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما فأتيت بهما فدعاهما الى الاسلام فأسلما فسر رسول الله ﷺ باسلامهما ودعا لهما ، ثم قام رسول الله ﷺ وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ، ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه ﷺ فقلت له سرك الله يارسول الله انى أرى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى [illegible] حنينا والطائف ولم يخرجا من مكة [illegible] وقامت عين معتب [illegible] وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال

قال رسول الله ﷺ يوم الفتح هذا ماوعدني ربي ، ثم قرأ (اذا جاء نصر الله والفتح) انتهى وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رضي الله تعالى عنه بقوله

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذلك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ماتلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

أي أجاب دعوته ﷺ الرفيع والوضيع وعن الاول كنى بالخضراء التي هي السماء فقد جاء في حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر أنها أشد بياضا من اللبن وخضرتها من صخرة خضراء تحت الارض وكنى عن الثاني بالغبراء التي هي الارض وانما كانت غبراء لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصر له ﷺ على أعاديه وفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذي كان به ﷺ وبأصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته ﷺ وتوالت له عليهم الاغارة المحيطة بهم من سائر الجوانب * وجاء أنه ﷺ لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن طلحة رضي الله تعالى عنه فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي قبل الفتح وأسلموا كما تقدم واستمر في المدينة الى أن جاء معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة وبه يرد ماروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فأبى أن يدفعه له وقال لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه منه ولوى علي كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وأنه لما نزل قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) أمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع له المفتاح متلطفا به فجاءه علي كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي كرم الله وجهه لان الله أمرنا برده عليك فأسلم * ثم لما دعا صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء اليه أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها أن لايقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح ولا يصام يوم الأضحى ولا يوم الفطر، ثم قال يامعشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون وفي لفظ ماذا تقولون ماذا تظنون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت أي وفي لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على عضادتي الباب ، ثم قال ماذا تقولون ماذا تظنون أني فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) وفي لفظ فاني أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا ، والطليق في الاصل الاسير اذا أطلق فخرجوا فكأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام هل وذكر أنه ﷺ لما فرغ من طوافه أرسل بلالا رضي الله عنه الى

عثمان بن طلحة يأتي بمفتاح الكعبة فجاء الى عثمان فأخبره فقال انه عند أمي فرجع بلال الى رسول الله ﷺ فأخبره ان المفتاح عند أمه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا فقال عثمان يارسول الله أرسلني أخلصه لك منها فأرسله فجاء اليها فطلبه ، منها فقالت لا واللات والعزى لاأوصله اليك أبدا فقال ياأمه ادفعيه الي فانه قدجاء أمر غير ما كنا عليه ان لم تفعلي قتلت انا وأخي و يأخذه منك غيري فأدخلته حجزتها وقالت أي رجل يدخل يده ههنا أي وقالت له أنشدك الله أن يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله ﷺ قائم ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فبيناهو يكلمها اذسمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول ياعثمان اخرج فقالت يابني خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن تأخذه تيم وعدي أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فحنى عليه وتناوله ، أي وفي رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فأخذه مني وفتح الكعبة ، وفي رواية انه قال له هاك المفتاح بأمانة الله ، وفي لفظ لما أبت أمه ان تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه أولاخرجن هذا السيف من منكبي ، فلما رأت ذلك أعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب ، ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ، وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبائل بغي * مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافي الطعـ * ـن منها ماشانها الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن ان الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاكفاء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش * قطعتها التراث والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى القريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

أي ألقت قومه الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل بغيهم التي مدها المكر والدهاء حالة كون ذلك منهم فسبب مكرهم أتتهم من قبله خيل تتبختر بها راكبوها الى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع في الحرب قصدت في أبدانهم الرماح بسبب قصدها من كانت الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ماشانها الايطاء أي لعدم وجوده فيها والايطاء في القافية تكريرها

متحدة اللفظ والمعنى وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية فى محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا أظلم الجو حتى ظن ان وقت العدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بأرض مكة عند فتحها أمسكت عند ذلك الغبار لكثرته الجون وهو كداء بالفتح والمد أعلى مكة لكثرة ما أعطاه ﷺ للناس وأعطى النبى ﷺ القليل من الناس كداء بالضم والمد وهو أسفل مكة وهذه لغة فيه قليلة ، وعند ذلك قل غباره ، وأهلكت تلك الخيول أوجها من الناس بمكة ممن أباح دمه ومن قاتل وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون اليها مل من تلك البيوت خلوها عن أنس بها والرجوع اليها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم لمن سأله العفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وحلفوه بالقربى التى وصلت اليه من بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة التى قطعتها المقاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا ﷺ عفو قادر لم يكدر ذلك العفو عنهم اغراء سفهائهم به حالة كون ذلك الاغراء منهم فيما مضى واذا كان القطع والوصل لله تساوى عند فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعداء والابعاد للاقارب والبعداء والذى تقريبه وابعاده لله لا لغيره يستوى عنده سبه والمبالغة فى مدحه اذا أتاه ذلك من غيره ، ومن ثم لو كان انتقامه لهوى النفس الأمارة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحم ودام ابعاده لها كيف ، وقد قام لله فى أموره كلها فبسبب ذلك أرضى الله تباين منه ﷺ لاعدائه ووفاء لاوليائه فعله ﷺ كله جميل ولا بدع فى ذلك اذ ما يسيل مما فى الاناء على ظاهره الا ما كان فى تلك الاناء فمن امتلأ قلبه خيرا كانت أفعاله كلها خيرا ومن امتلأ قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا * ثم جلس ﷺ فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فى كمه فقام اليه على كرم الله وجهه فقال يارسول الله اجمع لنا ؛ وفى لفظ اجمع لى الحجابة مع السقاية ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أعطيكم ماتبذلون فيه أموالكم للناس ، أى وهو السقاية لاماتأخذون فيه ، من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم ، وفى رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم . أى منهم على كرم الله وجهه ، فقال رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء ، وقيل نزلت هذه الآية (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) فى شأن عثمان بن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له أى لما أخذه على كرم الله وجهه ، وقال يارسول الله اجعل لنا الحجابة مع السقاية فقال ﷺ اعلى أكرهت وآذيت وأمره ﷺ ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ، فقد أنزل الله فى سأنك أى أنزل الله عليه ذلك فى جوف الكعبة وقرأ عليه الآية ، ففعل على كرم الله وجهه ذلك وسياق هذه الرواية يدل على ان عليا كرم الله وجهه اخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان ، فلما نزلت الآية أمره ﷺ ان يرد المفتاح لعثمان ، والسقاية كما تقدم كانت أحواضا من أدم يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحج ويطرح فيها التمر والزبيب فى بعض الأوقات . وفى كلام الازرقى كان لزمزم حوضان حوض بينها وبين الركن يشرب منه وحوض من ورائه للوضوء ، أى ولعل هذا كان بعد الفتح والسقاية قام بها العباس رضى الله عنه بعد موت ابيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد تكلم [illegible] من الخشية مع ابن عباس ، فقال له ابن عباس مالك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والاسلام قام بها [illegible] بعد موت [illegible] عبد المطلب واعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس

يوم الفتح واستمر المفتاح مع عثمان رضى الله عنه الى ان أشرف على الموت ولم يعقب دفعه الى أخيه شيبة ، ومن ثم عرفت ذريته بالشيبيين ، أى وفى رواية دفع ﷺ مفتاح الكعبة الى عثمان والى شيبة ابن عمه . وقال خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة لاينزعها منكم الاظالم أى وكون شيبة ابن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ ابن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة . فأبو طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان ، وفى كلام ابن الجوزى مايوافقه وهو أن عثمان لما هاجر الى المدينة وأسلم سنة ثمان لم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبى ﷺ فى فتح مكة . أى وقد تقدم ثم رجع الى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفى رسول الله ﷺ . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة واستمر مقيما بها حتى مات بها فى أول خلافة معاوية رضى الله عنه فلم يزل عثمان رضى الله عنه يلى فتح البيت الى أن أشرف على الموت دفع المفتاح الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة فى ولد شيبة وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهى صناعة نبى الله ادريس عليه الصلاة والسلام ، وفى رواية انه ﷺ لما دعا عثمان بن طلحة . وقال له أرنى المفتاح فأتاه به ، فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يارسول الله اجعله لى مع السقاية فكف عثمان يده فقال ﷺ أرنى المفتاح فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده ، فقال رسول الله ﷺ ياعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتنى المفتاح فقال هاك بأمانة الله ، ولعل هذا كان قبل دخوله ﷺ الكعبة فيكون طلب العباس رضى الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة و بعده . وفى رواية أنه قال له ائتنى بالمفتاح قال فأتيته به فأخذه . ثم دفعه الىّ وقال خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم الاظالم . وفى لفظ غيره ان الله رضى لكم بها فى الجاهلية والاسلام انى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لاينزعها منكم الاظالم . وفى رواية لايظلمكموها الا كافر ولامانع أن يكون ذلك بعد أن دفعه على كرم الله وجهه له بأمره ﷺ وكأنه ﷺ أحب أن يؤدى الأمانة بيده الشريفة من غير واسطة . وقال له ياعثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف فقال عثمان رضى الله عنه : فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى قلت لك قال رضى الله عنه فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لى بمكة قبل الهجرة ، وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فلما أقبل ليدخلها أغلظت عليه ونلت منه وحلم علىّ . ثم قال صلى الله عليه وسلم ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت قد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم منى موقعا وظننت ان الأمر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم . قال فلما قال لى يوم الفتح ذلك قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دخل يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن أى للظهر على ظهر الكعبة وأبو سفيان وعتاب بن أسيد . وفى لفظ خالد بن أسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أى أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا العبد فيسمع منه مايغيظه . فقال الحرث أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ، أى وفى رواية انه قال ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ولامانع من وجود الأمرين منه . أى تقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من

جماعة لما أذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبة أيضا ، أى وقال غير هؤلاء من كفار قريش لقد أكرم الله فلانا يعنى أباه اذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة ، وفى لفظ والله الحدث العظيم أن يصبح عبد بنى جمح ينهق على بيته . فقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبى ﷺ فقال لهم لقد علمت الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم فقال أما أنت يا فلان فقد قلت كذا وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا فقال أبو سفيان اما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله ﷺ فقالوا نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك ، وجاء أن النبى ﷺ خرج على أبى سفيان وهو فى المسجد ، فلما نظر اليه أبو سفيان قال فى نفسه ليت شعرى بأى شئ غلبنى فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حتى ضرب يده بين كتفيه ، فقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أشهد أنك رسول الله وصار بعض قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا ، وكان من جملتهم أبو محذورة رضى الله عنه ، وكان من أحسنهم صوتا ، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله ﷺ ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا فعلمت انه رسول الله فألقى عليه صلى الله عليه وسلم الأذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة ، وكان سنه ست عشرة سنة وعقبه بعده يتوارثون الأذان بمكة ، وتقدم ان أذان أبى محذورة وتعليمه صلى الله عليه وسلم الأذان كان مرجعه من حنين ، وتقدم طلب تأمل الجمع بينهما ، وفى تاريخ الأزرقى أن جويرية بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة ، ولقد جاء لأبى الذى جاء محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه وعن الحرث بن هشام قال لما أجارتنى أم هانئ وأجاز رسول الله ﷺ جوارها فصار لا أحد يتعرض لى وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمر على وأنا جالس فلم يتعرض لى وكنت أستحى أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياى فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقينى بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق ، فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومى ، أى وقيل عبد الله بن السائب بن أبى السائب ، وقيل السائب بن عويمر ، وقيل قيس بن السائب بن عويمر . قال فى الاستيعاب وهذا أصح ماقيل فى ذلك ان شاء الله تعالى ، وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية . فقال فأخذ عثمان وغيره يثنون على فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلمونى به كان صاحبى ، وفى لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لا يدارى ولا يمارى قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك أى تتوقف صحتها على الاسلام وهى الأعمال المتوقفة على النية التى شرطها الاسلام وهى اليوم تتقبل منك اذ ترجو الاسلام * وأرسل سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه ولده عبد الله أى أخذ له أمانا منه ﷺ فقال يا رسول الله أبى تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمرى ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال سهيل كان والله برا صغيرا وبرا كبيرا فكان سهيل رضى الله تعالى عنه يقبل ويدبر

وخرج الى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرّانة * وذكر أن فضالة ابن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح . قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يافضالة قال فضالة نعم يارسول الله ، قال ماذا كنت تحدّث به نفسك قال لاشئ كنت أذكر الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أستغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضى الله تعالى عنه يقول والله مارفع يده عن صدرى حتى ماخلق الله شيئا أحب الىّ منه ، قال ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف الى الكعبة ، وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله تعالى قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لأحد كان قبلى ولم تحل لأحد يكون بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة ، أى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم * وقد جاء فى صحيح مسلم لايحل أن يحمل السلاح بمكة يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين ان شاءوا فدم قاتله وان شاءوا فعقله ، ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، وهو ابن الاقرع الهذلى من بنى بكر فانه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش بمشقص فى بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا ، أى والمشقص ما طال من النصال وعرض . قال ابن هشام و بلغنى أنه أول قتيل وداه النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنه تقدم فى خيبر أنه ودى قتيلا . وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح «لاتغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة» قال العلماء أى على الكفر ، أى لايقاتلوا على أن يسلموا . ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره * ولما أسلمت هند رضى الله تعالى عنها عمدت الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك فى غرور ، ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التى حول مكة ، أى لانهم كانوا اتخذوا مع الكعبة أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان فى كل حى صنم من ذلك كما تقدم . العزى وسواع ومناة . وسيأتى الكلام على ذلك فى السرايا ان شاء الله تعالى أى وفى هذا العام الذى هو عام الفتح كانت غزوة أوطاس ، وأوطاس هى هوازن . وحلل صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها . ففى صحيح مسلم عن بعض الصحابة قال أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المتعة خرجت أنا ورجل الى امرأة من بنى عامر كأنها بكرة عيطاء ، وفى لفظ مثل البكرة العنطنطة فعرضنا عليها أنفسنا . فقلنا لها هل لك أن يستمتع منك أحدنا ؟ فقالت ما تبذلون قلنا بردينا وفى لفظ رداءينا فجعلت تنظر فترانى أجمل من صاحبى وترى برد صاحبى أحسن من بردى فاذا نظرت الىّ أعجبتها واذا نظرت الى برد صاحبى أعجبها . فقالت أنت وبردك تكفينى فكنت معها ثلاثا * والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم الفتح ثم نسخ فى أيام الفتح واستمر تحريمه الى

يوم القيامة وكان فيه خلاف فى الصدر الأول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه وعدم جوازه قال بعض الصحابة رأيت رسول الله ﷺ قائما بين الركن والباب وهو يقول أيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع ألا وان الله حرمها الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا أى لكن فى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر * وفى رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضى الله تعالى عنه وقد تقدم فى غزاة خيبر عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه لا أعلم شيئا حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة ، وهو يدل على أن اباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به وهذا يعارض ماتقدم أن الصحيح انها حرمت فى حجة الوداع الا أن يقال يجوز أن يكون تحريمها فى حجة الوداع تأكيدا لتحريمها عام الفتح فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة كما يدل عليه كلام امامنا الشافعى لكن يخالفه مافى مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها ، وقد يقال مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح لان غزاة أوطاس كانت فى عام الفتح كما تقدم وماتقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من جوازها رجع عنه ، فقد قال بعضهم والله مافارق ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع الى قول الصحابة فى تحريم المتعة ونقل عنه رضى الله تعالى عنه أنه قام خطيبا يوم عرفة وقال أيها الناس ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير * والحاصل أن المتعة من الامور الثلاثة التى نسخت مرتين . الثانى لحوم الحمر الأهلية . الثالث القبلة كذا فى حياة الحيوان ، قال واستقرض ﷺ من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها ﷺ فى أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والأداء اهـ أى وأقام ﷺ بمكة أى بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخارى يقصر الصلاة فى مدة اقامته وبهذا الثانى قال أئمتنا ان من أقام بمحل لحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومى الدخول والخروج ولعل سبب اقامته المدة المذكورة انه كان يترجى حصول المال الذى فرقه فى أهل الضعف من أصحابه فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة الى حنين لحرب هوازن وجاء اليه ﷺ سعد بن أبى وقاص ، وقد أخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة . فقال سعد يارسول الله هذا ابن أخى عتبة بن أبى وقاص عهد الى انه ابنه أى قال اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة زمعة فانه منى فاقبضه اليك ، فقال عبد بن زمعة يارسول الله هذا أخى ابن وليدة أبى زمعة ولدته على فراشه أى مع كونها فراشا له فنظر ﷺ الى ذلك الولد فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبى وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك ياعبد بن زمعة من أجل انه ولد على فراش أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة احتجبى منه ياسودة لما رأى عليه من شبه عتبة أى خشى أن يكون ابن خاله فأمرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم يرها حتى لقى الله . وفى بعض الروايات احتجبى منه ياسودة فليس لك بأخ ، وسرقت امرأة فاراد ﷺ قطعها ففزع قومها الى أسامة ابن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم يستشفعون به فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجهه ﷺ وقال أتكلمنى فى حد من حدود الله تعالى ، فقال أسامة استغفر لى يارسول الله ثم قام ﷺ

خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان ما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، وفى كلام بعضهم كانت العرب فى الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى * وولى ﷺ عتاب بن أسيد رضى الله تعالى عنه وعمره إحدى وعشرون سنة أمر مكة وأمره ﷺ أن يصلى بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك ﷺ معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه فى الكشاف ، وعنه ﷺ انه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله أى وقال ذلك ثلاثا فكان رضى الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق . فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا ، فقال ﷺ انى رايت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم هذا ، وفى تاريخ الازرقى ان النبى ﷺ قال لقد رأيت أسيدا فى الجنة وأنى أى كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد ، فقال ﷺ هذا الذى رأيت ادعوه لى فدعى له فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال ياعتاب أتدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا ، فان قيل كيف يقول ﷺ عن أسيد انه رآه فى الجنة ثم يقول عن ولد أسيد انه الذى رآه فى الجنة ، قلنا لعل عتابا كان شديد الشبه بأبيه أسيد فظن ﷺ عتابا أباه فلما رآه عرف انه عتاب لا أسيد ، وفى كلام سبط ابن الجوزى عتاب بن أسيد استعمله رسول الله ﷺ على أهل مكة لما خرج الى حنين وعمره ثمانى عشرة سنة . وفى كلام غيره مايفيد أنه ﷺ انما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة الا أن يقال لا مخالفة ومراده باستخلافه ابقاؤه على ذلك وينبغى أن يكون ماتقدم عن الكشاف من قول أهل مكة له ﷺ لقد استخلفت على أهل الله عتاب ابن أسيد الى آخره بعد ابقائه على استخلافه لما لا يخفى . وكان رسول الله ﷺ رأى فى المنام ان أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده كما تقدم مثل ذلك فى أبى جهل وولده عكرمة رضى الله تعالى عنه ، ولما ولاه ﷺ على مكة جعل له فى كل يوم درهما فكان رضى الله تعالى عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم فى كل يوم ويروى أنه قام فخطب الناس ، فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم أى نه درهم فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما فى كل يوم فليست لى حاجة الى أحد * وعن جابر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ استعمل عتاب بن أسيد على مكة وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة ولعل الدرهم كل يوم يحرز القدر المذكور أى أربعين أوقية فى السنة فلا مخالفة وفى السنن الكبرى للبيهقى وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذى قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر فالقاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

غزوة حنين

اسم موضع قريب من الطائف وفى كلام بعضهم الى جنب ذى المجاز وهو سوق الجاهلية وتقدم ذكره وفى كلام بعض آخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذى كانت به الوقعة فى آخر الامر ، أى وسببها انه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان أهلهما كانوا طغاة عتاة مردة ، قال قال أئمة المغازى لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض فأشفقوا أى خافوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية أى لا مانع له دوننا والرأى أن يغزوه فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعت هوازن أمرها اه أى جمعوا وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصيرى أى بالصاد المهملة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر أى لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أى وقيل قارب المائتين قاله ابن الجوزى، وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب أى لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الأسود وكان سن مالك بن عوف إذ ذاك ثلاثين سنه فأمر الناس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة ، فقال دريد للناس بأى واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم محل الخيل وفى لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس والحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاى وبالنون ماغلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء والسين المهملة ماصلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون أى صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء ، واليعار بضم المثناة تحت وبالعين المهملة المخففة والراء صوت الشاء أى وخوار البقر أى صوتها ، قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال اين مالك أى وكان توافق معه على أن لا يخالفه فانه قال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز أى غالبهم اما قتلا واما خروجا عن ذل وصغار ، فقال له لا نخالفك فى أمر تراه ، فقيل له هذا مالك ، فقال يامالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فانقض به قال أبو ذر أى زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به [illegible] الأصل أى صوت [illegible] ثم قال [illegible] راعى ضأن والله هل يرد المنهزم شئ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك [illegible] ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد و[illegible] بالمهملة [illegible] بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وفتحها الحظ لو كان

يوم

يوم علا ورفعة ماغابا ، ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك ، فقال دريد لهوازن قد شرط يعني مالكا أن لا يخالفني فقد خالفني فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها رأي أوذكر قالوا أطعناك أي ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا الابل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا ، وفي لفظ صفت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم صفت النساء على الابل ، ثم صفت الغنم ، ثم صفت النعم ، ثم قال للناس اذا رأيتموهم شدوا عليهم شدة رجل واحد و بعث عيونا له أي وهم ثلاثة أنفار أرسلهم لينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ماتماسكنا ان أصابنا ماترى وان أطعتنا رجعنا بقومك ، فقال أف لكم بل أنتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك ومضى على ما يريده ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل اليهم رجلا من أصحابه : أي وهو عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وأمره أن يدخل فيهم و يسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم أي ومكث فيهم يوما أو يومين وسمع ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر أي وجاءه رجل فقال يارسول الله اني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا انا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشابهم اجتمعوا الى حنين فتبسم ﷺ وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فاجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر السير الى هوازن وذكر له ﷺ أن عند صفوان بن أمية ولم يكن أسلم يومئذ بل كان مؤمنا أدرعا وسلاحا فأرسل ﷺ اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يامحمد ، فقال ﷺ بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس ؛ وفي رواية الامام أحمد قال صفوان عارية مؤداة ، فقال ﷺ العارية مؤداة فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، قيل وسأله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها ففعل وذكر أن بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له ، فقال أما اليوم يارسول الله في الاسلام أرغب

* قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح ، فقال له كأني أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين اه أي وتقدم أن نوفلا هذا فدى نفسه وكان في أسرى بدر بألف رمح وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة أي على ماتقدم قال بعضهم وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير دين يرجون الغنائم ولا يكرهون أي من لم يصدق ايمانه أن تصيبه في لفظ أن الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه أي فقد خرج معه ﷺ وصحبه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو فلما قربوا من محل العدو صفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه وأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه راية ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه ولواء الاوس أعطاه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه [illegible] وفي كل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك [illegible] فيها الألوية والرايات يحملها رجال منهم وركب ﷺ بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة ، [illegible] واستقبلهم [illegible] وهي [illegible] المهاجرين [illegible]

ومروا بشجرة سدرة كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم ، أى يعلقونها بها ، فقالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم ، فلما كان بحنين وانحدروا فى الوادى ، أى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا أكمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد ، أى وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كانهم جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم ، أى وعن البراء رضى الله تعالى عنه وسأله رجل ، فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، وأما ماروى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لامن النبى صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم قط فى موطن من المواطن كما تقدم ؛ وعن البراء رضى الله عنه كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى أحد على أحد أى ويقال ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى من كان اسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهزموا فهم أول من انهزم وتبعهم الناس وعند ذلك قال أبو قتادة رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه ماشان الناس قال أمر الله ، وهذا السياق يدل على انهم انهزموا مرتين الاولى فى أول الامر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم والذى فى الاصل الاقتصار على الاولى وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن أخيه الحرث وربيعة بن الحرث ومعتب ابن عمه أبى لهب وفقئت عينه ولم أقف على أيهما كانت ، أى وورد فى عدد من ثبت معه روايات مختلفة . فقيل مائة . وقيل ثمانون . وقيل اثنا عشر . وقيل عشرة . وقيل كانوا ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله انى عبد الله ورسوله ؛ وعن العباس رضى الله عنه كنت آخذا بحكمة بغلة رسول الله ﷺ ، أى وهى الشهباء التى أهداها له فروة بن عمرو الجزامى ، أى صاحب البلقاء وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة . وقيل التى يقال لها دلدل التى أهداها له المقوقس ، وفى البخارى التى أهداها له ملك أيلة قال بعضهم والاول أثبت ، ويدل للثانى ما أخرجه أبو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله ﷺ دلدل البدى فألزقت بطنها بالارض الحديث وأبو سفيان بن الحرث آخذ بركابه ﷺ وهو يقول حين رأى مارأى من الناس الى أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شئ ؛ فقال صلى الله عليه وسلم ياعباس اصرخ يامعشر الانصار ياأصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى لفظ ياعباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا ونصروا أى وانما خص ﷺ العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادى غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم ، وبين سلع والغابة ثمانية أميال ، وغارت الخيل يوما على المدينة فنادى واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من عظم صوته وفى لفظ آخر نادى ياأصحاب

السمرة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة ، أي وخص سورة البقرة بالذكر لانها اول سورة نزلت في المدينة لان فيها (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) وفيها (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) وفيها (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) في لفظ نادى يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لانهم كانوا صبرا في الحرب أوغلب فأجابوا لبيك لبيك وفي لفظ يا لبيك يا لبيك ، أي وفي البخاري لما أدبروا عنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين التفت عن يمينه ، فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك ، ويجوز أن يكون هذا بعد نداء العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم وصار الرجل يلوى بعيره فلا يقدر على ذلك ، أي لكثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل ، وفي لفظ عطفة البقر على أولادها فلرماحهم أخوف عندي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القوم وهم يجتلدون ، أي وكان شعارهم كيوم فتح مكة . فقال صلى الله عليه وسلم الآن حمي الوطيس ، وهو حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الاصل التنور وهذه من الكلمات التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب ، أي وصار يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، وهذا السياق يدل على أن المائة انتهت اليه ﷺ بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بأن الذين ثبتوا معه ﷺ لم يبلغوا المائة وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة ابن النعمان يا حارثة كم ترى الناس الذين ثبتوا لحزرتهم مائة فقلت يارسول الله مائة فلما كان يوم من الايام مررت على رسول الله ﷺ وهو يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد، فقال جبريل عليه السلام يا محمد من هذا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان ، فقال جبريل عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام قال فلما أخبرني بذلك رسول الله ﷺ . قلت له ما كنت أظنه الادحية الكلبي واقفا معك : وفي رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي ﷺ لم يبق معه الأربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم على بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الاقتل وذكر بعضهم أنه رأى أبا سفيان بن الحرث حينئذ آخذا بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ما تقدم أن الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وأن أبا سفيان بن الحرث كان آخذا بركابه ﷺ لجواز أن يكون أخذ بزمامها بعد أخذه بركابه صلى الله عليه وسلم . وعن أبي سفيان بن الحرث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدى السيف مصلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر الى فقال له العباس يارسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه ؛ فقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت الي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو سفيان ابن الحرث من شبان أهل الجنة أو من سيد فتيان أهل الجنة وليس قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب الى آخره من الشعر لان شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية بناء على

ان مشطور الرجز ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث ردعلى الخليل فى قوله ان الرجز شعر بأنه وقع منه صلى الله عليه وسلم فى قوله المذكور وقد قال الله تعالى (وماعلمناه الشعر وماينبغى له) ورد بأن مايقع موزونا الا عن قصد لايقال له شعر ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع زيادة ، وانما قال صلى الله عليه وسلم أناابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله فى حياته كما تقدم فليس من الافتخار بالآباء الذى هو من عمل الجاهليه كما تقدم فى قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك والفواطم ، وأخذ من هذا أنه لا بأس بالانتساب فى موطن الحرب ، وذكر الخطابى أنه صلى الله عليه وسلم انما قال أنا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب أيام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرّفهم بها وذكرهم اياها ، وهى احدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم * ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته . وقيل لم ينزل بل قال ياعباس ناولنى من الحصباء فانخفضت به بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب قال بعضهم كأن الله أفقه أى أفهم البغلة كلامه ﷺ أى علمت مراده ، وفى رواية كما تقدم أنه قال لها يادلدل البدى فلبدت أى انخفضت ، وفى رواية قال اربضى دلدل فربضت . وقيل ناوله العباس ذلك . وقيل ناوله على . وقيل ابن مسعود رضى الله عنهم فعنه حادت به بغلته ، فمال السرج . فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته ، ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه ، أى وفى رواية قال حم لاينصرون ، وفى رواية جمع بينهما فما خاف الله منهم انسانا الا ملأت عينيه وفمه ترابا تلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين [] أى وقال بعضهم ماخيل الينا الا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لناحلبة شاة أن كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن فى آثارهم اذ صاحب بغلة بيضاء واذا هو رسول الله ﷺ فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت اياها . والى رميه ﷺ بالحصى أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ماالعصا عنده وماالالقاء

أى ورمى ﷺ بالحصى فأهلك ذلك الجيش العظيم أى شىء عصا موسى عند ذلك الحصى ؟ وأى شىء القاء موسى عليه السلام لتلك العصا عند القاء ذلك الحصى ؟ شتان مابينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا أعظم لان انقلاب العصا حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولان ابتلاعها حبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت سماهم بل زاد بعدها طغيانهم وعتوهم على موسى عليه السلام بخلاف هذا الحصى فانه أهلك العدو وشتت شمله ، أى وذكر انه عند القتال انزل الله تعالى قوله (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) الى قوله (غفور رحيم) فقد جاء ان بعض أصحابه أى وهو أبو بكر رضى الله عنه كما فى سيرة الحافظ الدمياطى قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة رشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءته تلك الكلمة ، وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المسلمين . وقيل قال ذلك فتى من الانصار أى وهو سلمة بن الاكوع أو سلامة بن وقش أى وجاء انه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه . وقال اللهم أنشدك ماوعدتنى اللهم لاينبغى لهم ان يظهروا علينا ، ذكره البيهقى فى الاسماء والصفات عن الضحاك . قال دعا موسى عليه الصلاة

والسلام حين توجه الى فرعون لعنه الله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وأنت حى لاتموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم لاتأخذه سنة ولانوم ياحى ياقيوم وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورجل من الانصار يريدانه ، فأتى علىّ من خلفه وضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما فى نفوسهم من الضغن ومنهم أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه ، قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام فى كنانته ، فقال لاتنتهى هزيمتهم يعنى المسلمين دون البحر ، أى وقال والله غلبت هوازن ؛ فقال له صفوان بفيك الكثيب أى الحجارة والتراب ؛ وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من مكة وأظهروا الشماتة . وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها ، أى وقال آخر أى وهو أخو صفوان لأمه ألا قد بطل السحر اليوم ، فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أى أسقط أسنانك والله لأن يربنى من الربوبية أى يملكنى ويدبر أمرى رجل من قريش أحب الىّ من ان يربنى رجل من هوازن ، وفى رواية مرّ رجل من قريش على صفوان بن أمية ، فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لايجبرونها أبدا فغضب صفوان رضى الله عنه ، وقال أتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الىّ من رجل من الاعراب ، وقال عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه وكونهم لايجبرونها أبدا هذا ليس بيدك ؛ الامر بيد الله ليس الى محمد منه شىء ان أديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا . فقال له سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث ، فقال له ياأبا يزيد انا كنا على غير شىء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لايضر ولاينفع ، وعن شيبة الحجبى رضى الله عنه . أى حاجب البيت ويقال لبنيه بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث عن سبب اسلامه ، قال مارأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات ؛ ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة وسار الى حرب هوازن . قلت أسير من قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها أى ولعلى اليوم أدرك ثأرى من محمد . أى لان أباه وعمه قتلا يوم أحد قتلهما حمزة رضى الله عنه كما تقدم . وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته لايزداد ذلك الامر عندى الا شدة . فلما اختلط الناس نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد ما أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الىّ شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه ، وفى رواية لما هممت به حال بينى وبينه خندق من نار وسور من حديد فنادانى صلى الله عليه وسلم ياشيبة ادن منى فدنوت منه فالتفت الىّ وتبسم وعرف الذى أريد منه فمسح صدرى . ثم قال اللهم أعذه من الشيطان ، قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذ أحب الىّ من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى ، ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى الله أعلم انى أحب أن أقيه بنفسى كل شىء ولو لقيت تلك الساعة أبى لو كان حيا لأوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن

لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة وقربت اليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوى عليها قائما وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه ، أى لايلوى أحد منهم على أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه وانبعهم المسلمون يقتلونهم حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ، وفى رواية من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه ، وفى الاصل فى غزوة بدر ان المشهور ان قول النبى صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين ، وأما ماروى انه قال ذلك يوم بدر ويوم أحد فأكثر مايوجد فى رواية من لايحتج به ، ومن ثم قال الامام مالك رضى الله عنه لم يبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين ، وتعقب مافى الأصل بأنه وقع ذلك فى غزوة مؤتة كما فى مسلم وهى قبل الفتح ، وفى كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول الامر وانما تجدد يوم حنين للاعلام العام والمناداة لا لمشروعيته ، وحدث أنس رضى الله عنه ان أباطلحة رضى الله عنه استلب وحده عشرين رجلا ، أى قتلهم وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة رضى الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا رجل من المشركين يريد اعانة المشرك على المسلم فأتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقى بيده الأخرى فوالله ماأرسلنى حتى وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلنى فسقط وضربته فقتلته وأجهضنى القتال عن استلابه ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، قلت يارسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب وأجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه ، فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله فأرضه عنى من سلبه ؛ فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لايرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله ، وفى لفظ ، قال أبو بكر رضى الله عنه أى للنبى صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والأضيبع تصغير ضبع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق اردد عليه سلبه قال أبو قتادة رضى الله عنه فأخذته منه فاشتريت بثمنه ، أى السلب الذى جمعته بستانا ، وأدرك ربيعة ابن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد ماذا تريد ، قال أقتلك . قال ومن أنت ، قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى . ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا ، فقال له بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخرة الرحل ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله . فقالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا . وقالت له ألا اكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا . فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله . أى وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضى الله عنه . وقيل عبد الله ابن قسع وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وهى حازمة وسطها ببردها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله . فقال لها زوجها أبو طلحة ماهذا الخنجر معك ياأم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بججته به ، فقال أبو طلحة ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرميصاء فعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، أى وكان يقال لها الغميصاء والرميصاء وهى التى يخرج القذى من عينها . ومن ثم قال بعضهم ، قيل لها الرميصاء لرمص كان فى عينها ، وعن ولدها أنس بن مالك رضى الله عنه ؛ قال قدمت أبى مالك عنها مشركا ثم خطبها عمى أبو طلحة

وهو مشرك فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم ، فقالت له انى أتزوجك ولا آخذ منك صداقا غيره فتزوجها ، قال أنس رضى الله عنه ، قال النبي ﷺ دخلت الجنة فسمعت خشفة ، فقلت من هذا ؟ فقالوا هذه العميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وعنه رضى الله عنه كان النبي ﷺ لايدخل على أحد من من النساء الا أزواجه والا أم سليم فانه كان يدخل عليها ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال انى أرحمها قتل أخوها معى ، ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها كأزواجه ، ولاينافى انه ﷺ كان يدخل على غيرها من نساء الانصار ، لان من خصائصه ﷺ جواز الاختلاء بالأجنبية ، فكان يدخل على أخت أم سليم وهى أم حرام بالراء رضى الله عنها وتفلى له رأسه الشريف وينام عندها ويدخل على الربيع ، ثم رأيته فى الامتاع اشار الى ذلك ، وفى مزيل الخفاء أن أم سليم وأختها خالتا النبي ﷺ من جهة الرضاع وعليه فلا دلالة فى دخوله ﷺ عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية ، وعن أنس رضى الله عنه : قال مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، أى وهو أبو عمير الذى كان ﷺ يداعبه ويقول أبا عمير مافعل النغير ، ذكره السيوطى فى كتابه تبريد الاكباد ، وفى كلام بعضهم مايفيد أنه غيره فقالت لاهلها لاتحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقال مافعل ابنى قالت هو أسكن ما كان فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت انه قد شبع وأصاب منها ، قالت ياأبا طلحة أرأيت لوأن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا . قال لا . قالت فاحتسب ابنك فغضب . ثم انطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ بارك الله لكما فى غابر ليلتكما ، قال فحملت بعبدالله المذكور ، قالت ولما ولدته حملته وحثت به الى رسول الله ﷺ . فقال هل معك تمر ، فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن ﷺ فى فيه الشريف فلاكهن ، ثم فغرفا الصبي فمجه فيه فجعل الصبي يتلمظ ؛ فقال رسول الله ﷺ حب الانصار التمر وسماه عبدالله ، أى وجاء لعبدالله هذا الذى جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قدقرءوا القرآن ، ولما أخبر أبو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم . قال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل صابرة بنى اسرائيل ، فقيل يارسول الله ما كان من خبرها ؛ قال كان فى بنى اسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس فى داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا فى بئر كانت فى الدار فكرهت ان تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب ، فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناى . قالت هما فى البيت وانها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال أين ابناى . قالت هما فى البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبرى * ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى آثارهم أبا عامر الاشعرى رضى الله عنه ، وسيأتى فى السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره . قال شيبة فدخل خباءه فدخلت عليه مادخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه وسرورا به ، فقال ياشيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثنى بكل ما اضمرته فى نفسى مما لم أذكره لأحد قط . فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفرلى فقال غفر الله لك . أى وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضى الله عنها بأبى أنت وأمى يارسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل : فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان الله قد كفى وأحسن وعن عائذ بن عمرو قال اصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى فسال الدم على وجهى وصدرى فسدّ النبى صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى ثم دعالى فصار أثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس وجرح خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى جرحه فلم يضره ، أى فعن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ماهزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشى فى المسلمين و يقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لانه قد أثقل بالجراحة فتفل النبى ﷺ فى جرحه فبرئ * وعن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيئا أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا و بين القوم فنظرت فاذا نمل اسود مبثوث قد ملأ الوادى لم أشك انها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم ، وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله أن سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم أى فعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليها عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض وكتائب لانستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم * ولما وقعت الهزيمة أسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن شيبة الحجبى قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ماخرجت اسلاما ولكن خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش فوالله انى لواقف مع رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله انى لأرى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لايراها الا كافر فضرب بيده صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فارفع ﷺ يده عن صدرى الثالثة حتى ماأجد من خلق الله أحب الى منه ويحتاج الى الجمع بينه و بين ماتقدم على تقدير صحتهما ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبى والغنائم ان تجمع فجمع ذلك كله وأحضره الى الجعرانة أى بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من أهل الحديث شددها ، وسمى المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك قبل وهى التى نقضت غزلها من بعد قوة ، فكان بها الى ان انصرف رسول الله ﷺ . أى من غزوة الطائف وفى هذه الغزوة سمى طلحة بن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

غزوة الطائف

ولما علم ﷺ ان مالك بن عوف وجماعة من أشراف قومه لحقوا بالطائف عند انهزامهم أى والطائف بلد كبير كثير الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمى بذلك لان جبريل عليه السلام طاف به حين نقله من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أى ان الله يرزقهم أى أهل مكة من الثمرات ... وقيل ... تحصينا لهم وقيل هى جنة أصحاب الصريم ... جبريل عليه السلام فسار بها الى مكة وطاف بها حول البيت ثم أنزلها فى ذلك المكان ... ذلك اسم شخص من ... وان أولئك القوم تحصنوا ... حصين ... وتوجه اليهم وترك السبى

بالجعرانة أي ، وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسبي والغنائم الى الجعرانة مع بديل بن ورقاء الخزاعي ، وفي كلام السهيلي وكان سبي حنين ستة آلاف رأس فدولى صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم هذا كلامه ، أي ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لان أبا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سيأتي فلا معارضة ، أي ومر ﷺ بحصن مالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط ، أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ومر ﷺ بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف . أي وكان من ثمود قوم صالح أي وقد أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ثم دفن فيه أي بعد ان كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة ، فلما خرج من الحرم الى المكان المذكور أصابته النقمة ؛ فعن بعض الصحابة حين خرجنا مع رسول الله ﷺ الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث ، وفي العرائس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله تعالى فرجع فوقف خارجا من الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته ، وخرج من الحرم الى هذا المحل أصابه الحجر فقتله فدفن فيه ، وأبو رغال هذا هو الذي كان دليلا لابرهة ليوصله الى مكة لما مر أبرهة بالطائف وتلقاه أهله وأظهروا له الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فارسلوا أبا رغال معه دليلا كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم آية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ان انتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن ، وقدم صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه على مقدمته أي وهي خيل بني سليم مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك حتى وصل . فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رمياشديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات . أي وممن أصيب أبو سفيان بن حرب أصيبت عينه فأتى النبي ﷺ وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي ﷺ ان شئت دعوت فردت عينك وان شئت فالجنة ، وفي لفظ فعين في الجنة قال فالجنة ورمى بها من يده . أي وقلعت عينه الثانية في قتال يوم اليرموك عند مقاتلة الروم فان أبا سفيان رضي الله تعالى عنه كان في ذلك اليوم يحرض المسلمين على قتال الروم والثبات لهم ويقول لهم [illegible] اللهم أنزل نصرك على عبادك [illegible] توفي وهم في الاستعداد للقتال باليرموك وكان الامير على [illegible] تعالى عنه ولما ولي سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل البريد [illegible] العسكر [illegible] يخبرهم [illegible] وتأ يرأي عمر [illegible]

الله تعالى عنهما وأخبره بما أخبر به الجند فاستحسن ذلك منه وأخذ الكتاب فجعله فى كنانته وخاف ان هو أظهر ذلك يتخاذل العسكر ، ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضى الله تعالى عنه الكتاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فتولى أبو عبيدة ثم بعث أبو عبيدة أباجندل رضى الله تعالى عنه بشيرا الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح على المسلمين ولما عزل سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد وولى أباعبيدة خطب الناس ، وقال انى اعتذر اليكم من خالد بن الوليد انى نزعته وأثبت أباعبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد وابن عم أم سيدنا عمر فقال والله ما عدلت ياعمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وجفوت ابن العم فقال عمر رضى الله تعالى عنه انك قريب القرابة حديث السن غضبت لابن عمك

* ومات ممن خرج بالطائف اثناعشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف الآن وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب رضى الله تعالى عنهما فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوما أى غير يومى الدخول والخروج وهذا هو المراد بقول فقهائنا لانه صلى الله عليه وسلم أقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة وقيل فى مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة وعندها أخوها عبدالله ومخنث ولذا المخنث يقول ياعبدالله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لايدخل هذا عليكن ، وأراد المخنث بالاربع التى تقبل بهن عكنها الاربع التى فى بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهى الثمانية التى تدبر بهن أى وفى الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع وكان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى أنه لا يفطن لشئ من أمر النساء ولا أربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد ويقال لعبدالله أخى أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك ببادية أى رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت وبادية بالياء تحتلا بالنون بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت تغنت بين رجليها مثل الاناء المكفوء ثم نفر كأنه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لاأرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع ، وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمنعت النظر ما كنت أظن هذا الخبيث يعرف شيئا من أمر النساء وفى الاغانى ان هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث قال لعبد الله ابن أمية ان فتح الله عليكم الطائف فاسأل النبى صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فانها رداح شموع نجلاء ان تكلمت تغنت يعنى من الغنة واذا قامت تثنت مورده الخدين منحطة المأنتين لقحاء المخدين مسرولة الساقين كأنها قضيب بان وفى لفظ كأنها خوط بانة قصفت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذيها شئ مخبوء كأنه الاناء المكفوء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال قد غلغلت النظر ياعدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحمى وقال لايدخل على أحد من نسائكم فقيل له صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس وقيل نفى صلى الله عليه وسلم [illegible] الى الحمى فشكيا الحاجة فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان الناس

ثم

ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفى رسول الله ﷺ دخلا المدينة فأخرجهما أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فلما توفى دخلا المدينة فأخرجهما عمر رضى الله تعالى عنه ، فلما مات دخلا ، وغيلان أبو بادية هو الذى أسلم وعنده عشر نسوة فأمره ﷺ أن يمسك أربعا ويفارق سائرهن ، واختلف الفقهاء فى ذلك ، فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا ، وقال فقهاء العراق يمسك التى تزوج أولا ثم الذى تليها الى الرابعة ، واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال ، وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له أى ولدك أحب اليك ، فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يعافى والصغير حتى يكبر ، وكان المخنثون فى زمانه ﷺ ثلاثة هيت وماتع وهدم ، وقيل لهم ذلك لأنه كان فى كلامهم لين ، وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا أنهم يأتون الفاحشة الكبرى ، ويحتمل أن يكون كل من ماتع وهيت كان معه ﷺ فى تلك الغزوة ، وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ، ويدل لهذا الاحتمال انه نفاهما ، وفى البخارى أن القائل لعبد الله ما تقدم هو هيت ، ويحتمل أن الذى كان معه ﷺ أحدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر خلط من بعض الرواة فليتأمل ، وقال أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ونادى من يبارز فلم يطلع اليه أحد ، ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد ، وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ، ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين ، فان أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا اه ، ونصب عليهم المنجنيق أى ورمى به كما فى كلام غير واحد من أئمتنا ، وهو أوّل منجنيق رمى به فى الاسلام ، أى أرشده اليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال انا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدوّنا ، أى ويقال ان سلمان رضى الله تعالى عنه هو الذى عمله بيده ، وفيه انه تقدم فى خيبر أنه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات إلا أن يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذى بالطائف لأنه يجوز أن يكون الذى وجدوه فى خيبر لم يكن معهم فى الطائف ، وتقدم فى خيبر أنه ﷺ لما حاصر الوطيح وسلالم أربعة عشر يوما ولم يخرج أحد منهما همّ ﷺ أن يجعل عليهم المنجنيق ، وتقدم عن الامتاع أنه ﷺ نصب المنجنيق على حصن البراء ، وقد قدمنا أن ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق إلا فى غزوة الطائف لأنه يجوز أن يكون مراد هذا البعض لم يرم به إلا فى غزوة الطائف ، أى كما أشرنا اليه ، وأوّل من صنع المنجنيق ابليس فان نمروذا لعنهما الله لما أراد أن يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار بنى الى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ، ولما ألقوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم ، فتمثل لهم ابليس لعنه الله فى صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه فى تلك النار ، وأوّل من رمى به فى الجاهلية جذيمة الأبرش وهو أوّل من أوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة ورحفوا بها الى جدار الحصن ليحرقوه ، وفى الامتاع دخلوا تحت دبابتين وكانا من جلود البقر ، فأرسلت اليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال . أى والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الألف موحدة ثم تاء التأنيث وهى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم ، أى ونخيلهم وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله والرحم ، فقال رسول الله ﷺ انى أدعها لله وللرحم ، فنادى رسول الله

ﷺ أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر ، فخرج منهم بضعة عشر ، أى وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ، ونزل منهم شخص فى بكرة ، فقيل له أبو بكرة ، أى وكان عبدا للحرث بن كلدة فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، قال واستأذن رسول الله ﷺ عيينة بن حصن فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل فى حصنهم ، فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ، أى زاد بعضهم ولا تعطوا بأيديكم ولا تتأثروا ، أى لا يشق عليكم قطع هذا الشجر ، فرجع الى رسول الله ﷺ فقال له ماقلت لهم ياعيينة ؟ قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة ، فقال له رسول الله ﷺ كذبت ، انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة ، فقال صدقت يارسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك اهـ ولم يؤذن لرسول الله ﷺ فى فتح الطائف ، أى فان خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، قالت له يارسول الله مايمنعك أن تنهض الى أهل الطائف ، قال لم يؤذن لنا الآن فيهم ، وما أظن أن نفتحها الآن ، وقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك ، فقال لم يؤذن لنا فى قتالهم ، فقال رضى الله تعالى عنه كيف نقبل فى قوم لم يأذن الله فيهم ، وفى لفظ ان خولة قالت يارسول الله اعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فقال لها ﷺ وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف ياخولة ، فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ ، فقال يارسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته لها ، قال قلته ، قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله ، قال لا ، قال أو أذن بالرحيل قال بلى ، واستشار رسول الله ﷺ بعض الناس أى وهو نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام ، فقال له يارسول الله ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك ، فأمر رسول ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأذن فى الناس بالرحيل ، فقبح الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا ، فقال رسول الله ﷺ فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت الناس جراحات ، فقال رسول الله ﷺ انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك ، أى تعجبا من سرعة تغير رأيهم لأنهم رأوا أن رأيه ﷺ أبرك وأنفع من رأيهم ، فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله ﷺ قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، فلما ارتحلوا واستقلوا ، قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، وقيل يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف ، فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ، ولعل صاحب الهمزية رحمه الله يشير الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى ✽ وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما ✽ فهو بحر لم تعيه الأعباء

أى آذاه ﷺ قومه من قريش وغيرهم فأرخى جفنه حياء ، وصاحب عدم الانتقام شأنه ارخاء الجفن [illegible] علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو [illegible] وسع لم تتعبه الأحمال الثقالة . ومن جملة من جرح [illegible] عبدالله بن أبى بكر الصديق رضى الله [illegible] رماه بسهم أبو محجن ، وطال له ذلك الجرح الى أن مات به فى خلافة أبيه ، [illegible] وكان يحكم [illegible] شديدا مر عليه أبوه يوم جمعة

رهو

وهو يلاعبها وقد صلى الناس . فقال عبدالله أوجع الناس فسمعه أبوه ، فقال أشغلتك عن الصلاة لاجرم لاتبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبدالله بسبب طلاقها فاطلع عليه أبوه يوما فسمعه يقول أبياتا من جلتها

فلم أرى مثلى طلق اليوم مثلها * ولامثلها فى غير جرم تطلق

فقال له ياأباعبدالله راجع عاتكة ، فقال لأبيه قف بمكانك ، وكان معه غلام مملوك له ، فقال للغلام أنت حر لوجه الله أشهدا أنى قد راجعت عاتكة ، فلما مات رضى الله تعالى عنه رثته بقولها فى أبيات

آليت لاتنفك عينى حزينة * عليك ولاينفك جلدى أغبرا

ثم تزوّجها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فلما أعرس بها ، قال له على كرم الله وجهه أتأذن لى أن اكلم عاتكة ، فقال لاغيرة عليك كلمها ، فقال لها علىّ كرم الله وجهه أنت القائلة البيت

آليت لاتنفك عينى قريرة * عليك ولاينفك جلدى أصفرا

قالت لم أقل هكذا ، وبكت وعادت الى حزنها ، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ياأبا الحسن ماأردت الا افسادها على ، فلما قتل عمر رضى الله تعالى عنه رثته بأبيات منها

من لنفس عادها احزانها * ولعين شفها طول السهد

جسد لفف فى أكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضى الله تعالى عنه ، فلما قتل رثته بأبيات منها تخاطب قاتله

ثكلتك امك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها سيدنا علىّ كرم الله وجهه ، فقالت له لم يبق للاسلام غيرك وأنا أنفس لك عن القتل ومن ثم قيل فى حقها من أراد الشهادة فعليه بعاتكة ، وعند منصرفه ﷺ من ذلك ، أى وبينا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف اذ غشى سدرة فى سواد الليل وهو فى وسن النوم ، فانفرجت السدرة له نصفين فمر رسول الله ﷺ بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها ، أى وعند انحداره ﷺ الى الجعرانة لقيه سراقة ، وهو واضع الكتاب الذى كتبه له ﷺ عند الهجرة بين أصبعيه وينادى أناسراقة ، وهذا كتابى ، فقال ﷺ هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فأدنوه منه وساق اليه الصدقة وسأله عن الضالة من الابل تردحوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك من أجر ، فقال له رسول الله ﷺ نعم فى كل ذات كبد حراء أجر ، وعند وصوله ﷺ الى الجعرانة أحصى السبى فكان ستة آلاف رأس ، والابل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألفا وأربعة آلاف اوقية فضة فأعطى ﷺ للمؤلفة ، أى من أسلم من أهل مكة . فكان أولهم أباسفيان بن حرب رضى الله عنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الابل وقال ابنى يزيد فقال له يزيد الخير . أعطاه كذلك وقال ابنى معاوية فأعطاه كذلك فأخذ أبوسفيان رضى الله عنه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لأنت كريم فى الحرب وفى السلم ، أى وفى لفظ لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وقد سالمتك فنعم المسالم أنت ، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا ، وأعطى حكيم بن حزام رضى الله عنه مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى ، فأعطاه اياها ، أى وفى الامتاع وسأله حكيم بن حزام مائة من الابل فأعطاه ، ثم سأله مائة فأعطاه ، ثم سأله مائة فأعطاه ، وقال له ياحكيم هذا المال خضر

حلو من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ماعداها ، أى وقال يارسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ، ثم ان عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله . فقال عمر يامعشر المسلمين انى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له من هذا الفئ فيأبى أن يأخذه ، وأعطى ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة مثله وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الابل ، فقال فى ذلك شعرا أى يعاتبه ﷺ به حيث فضل الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن عليه وهو

أتجعل نهبى ونهب العبيد * (يعنى فرسه) * بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرادس فى مجمع

وما كنت دون امرئ منهم * ومن تضع اليوم لا يرفع

فأعطاه ﷺ تمام المائة * أى وفى رواية انه قال اقطعوا عنى لسانه ، وفى الكشاف انه ﷺ قال ياأبا بكر اقطع لسانه عنى واعطه مائة من الابل ، هذا كلامه وحينئذ يتوقف فى قولهم فظن ناس أنه ﷺ أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فأتى به الى الغنائم ، وقيل له خذ منها ماشئت ، فقال انما أراد رسول الله ﷺ أن يقطع لسانى بالعطاء فكره أن يأخذ منها شيئا فبعث اليه رسول الله ﷺ بحلة ، وفى رواية فأتم له رسول الله ﷺ مائة ، وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو صحيح أيضا لأن بدرا جد حصن أبو أبيه فانتسب تارة الى أبيه حصن وتارة الى جد أبيه بدر فان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، ويروى بدل مرداس شيخى بالافراد يعنى والده ، ويروى بالتثنية يعنى والده وجده ، وفى كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة أصناف ، صنف يتألفهم رسول الله ﷺ ليسلموا كصفوان بن أمية وصنف ليثبت اسلامهم كأبى سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والأقرع ابن حابس ، لكن فى رواية قيل يارسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة ، فقال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكنى تألفتهما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه ، وتقدم أن جعيلا هذا كان من فقراء المسلمين ، وكان رجلا صالحا دميما قبيحا ، وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم أحد ، وقال ان محمدا قد مات ، وجاء انى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه ، وقال ﷺ ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات بن حبان وأعطى صفوان بن أمية ماتقدم ذكره وهو جميع مافى الشعب من غنم وابل و بقر ، وكان مملوأ أوكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم ، أقول فى كلام ابن الجوزى رحمه الله اعلم أن من المؤلفة قلوبهم أقواما تؤلفوا فى بدء الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة ، وانما ذكرهم العلماء فى المؤلفة اعتبارا ببدايه أحوالهم ، وفيهم من لم يعلم منه حسن الاسلام ، والظاهر بقاؤه على حالة التأليف ولا يمكن أن نميز بين من حسن اسلامه ، و بين من لم يحسن اسلامه لجواز أن يكون من ظننا به شرا على خلاف ذلك الانسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل الينا أمره فالواجب أن نظن بكل من

نقل

نقل عنه الاسلام خيرا ، وقد جاء عن أنس رضى الله عنه ، قال كان الرجل يأتى النبى ﷺ فيسلم لشىء يعطاه من الدنيا فلا يمسى حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا ومافيها . هذا كلام ابن الجوزى والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح بيسير ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، والله أعلم ولازال ﷺ يعطى الرجل مابين مائة وخمسين من الابل ، أى وذلك من الخمس كما سيأتى ثم أمر ﷺ زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم أى مابقى منها ، وهى الأربعة الأخماس الباقية بعد اعطاء من تقدم ماتقدم من الخمس وقسمتها عليهم ، أى بعد ان اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يارسول الله أقسم علينا حتى ألجئوه ﷺ الى شجرة فاختطفت رداءه ، فقال ردوا ردائى أيها الناس فوالله ان كان لى فيه شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ماألفيتمونى بخيلا ولاجبانا ولا كذوبا ، ثم قام ﷺ الى جنب بعيره فأخذ وبرة من سنامه ثم رفعها ، ثم قال أيها الناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة ، فجاء شخص من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، وقال يارسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها بردعة بعير لى دبر ، فقال أما نصيبى منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها وألقاها ، ويروى ان عقيلا كان دفع لامرأته ابرة أخذها من الغنيمة ، أى فانها قالت له انى قد علمت انك قد قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك ، فسمع منادى رسول الله ﷺ يقول من أخذ شيئا فليرده حتى الخيط والمخيط فرجع وأخذها منها وألقاها فى الغنائم ، وفى كلام السهيلى أن أبا جهم بن حذيفة العدوى كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء وأخذ من الأنفال زمام شعر فمانعه أبو جهم ، فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله ﷺ فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال أقدنى منه ، فقال خذ مائة ودعه فقال أقدنى منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقيدك من وال عليك فقومت المائة والخمسون بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة ، ولما قسم مابقى خص كل رجل أربعا من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنتى عشرة بعيرا وعشرين ومائة شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم إلا لفرس واحد ومن ثم لم يعط الزبير رضى الله عنه الا لفرس واحد وكان معه أفراس وبه أخذ امامنا الشافعى رضى الله عنه فقال لايعطى الا لفرس واحد ، وقال بعض المنافقين ، قيل وهو معتب هذه القسمة ماعدل فيها ولا أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فتغير وجهه الشريف ، أى حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شىء أحمر يدبغ به الجلد ، وفى رواية فغضب ﷺ غضبا شديدا واحمر وجهه وقال من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخى موسى عليه السلام لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر انتهى . ولعل من ذلك ان قارون ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حمله البغى والتمرد على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلا على أن ترمى موسى بنفسها وأحضر بنى اسرائيل وأعلمهم بذلك ودعا موسى عليه السلام وقال له ان قومك اجتمعوا فاخرج اليهم لتأمرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام اليهم وقال لهم يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه حتى يموت ومن زنى وهو لم ينكح جلدناه مائة جلدة فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل زعموا انك فجرت بفلانة فطلب فدعاها [illegible] فقال موسى يافلانة أنشدك بالذى أنزل التوراة أصدق قارون [illegible] شهدتنى فقد أشهد انك برىء وانك رسول

الله وان قارون جعل لى جعلا على أن أرميك بنفسي وجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما ختمه وقالت للملأ ان قارون أعطاني هاتين وهذا ختمه ، وأعوذ بالله أن أفترى على الله فنظر القوم الى ختمه فعلموا صدقها فخرّ موسى ساجدا . فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فانى أمرت الأرض أن تطيعك فخسف به فهو يتجلجل فى الأرض يخسف به فى كل يوم مقدار قامة الى يوم القيامة ، ولعل من ذلك أيضا ان بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام ان طائفة تزعم ان الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا ، فأوحى الله لموسى عليه السلام أن اختر سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل أنت وهرون واستخلف يوشع ففعل ، فلما سمعوا كلامه سبحانه سألوه أن يريهم الله جهرة ، ومن ذلك نسبته الى أنه قتل أخاه هرون عليهما السلام كما تقدم ، أى وقيل ان قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذوالخويصرة التميمي وهو غير ذى الخويصرة اليماني الذى بال فى المسجد فقد جاء ان ذا الخويصرة التميمي وقف على رسول الله ﷺ وقال يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ أجل ، فكيف رأيت قال لم أرك عدلت فغضب رسول الله ﷺ ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ، فقال عمر رضى الله عنه ألا أقتله قيل وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ألا أضرب عنقه ، قال الامام النووى رحمه الله ولا تعارض لأن كل واحد منهما استأذن فيه ، أى وفى مسلم ، فقام اليه عمر رضى الله عنه فقال يارسول الله ألا أضرب عنقه قال لا ثم ادبر ، فقام اليه خالد رضى الله عنه فقال يارسول الله ألا أضرب عنقه ، قال لا لعله أن يكون يصلى ، قال خالد رضى الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه ، فقال رسول الله ﷺ انى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ، وفى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بعث على كرّم الله وجهه وهو باليمن بذهبة فى تربتها ، أى لم تخلص من ترابها الى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر الأقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير فغضبت قريش فقالوا يعطى صناديد نجد و يدعنا ، فقال رسول الله ﷺ انى انما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ فمن يطع الله ان عصيته يأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى ، وفى رواية ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله ، ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وان الرجل الذى قال له ماذكر يحتمل أن يكون واحدا منهما أو من شيعة ذلك الرجل الذى قال له فى أحدهما ، وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوارج وأنه ﷺ قال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، وفى رواية قال عمر رضى الله عنه يارسول الله دعنى ، فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس انى أقتل أصحابى ان هذا وأصحابه ، أى جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، وفى لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود ، أى قتلا مستأصلا لعامتهم ، وفى رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ، وبهذا استدل من يقول بجواز قتل الخوارج ، وقد قاتلهم على كرم الله وجهه ، وقد سئل ﷺ عن الخوارج أمشركون هم فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا

وهؤلاء

وهؤلاء يذكرون الله كثيرا ؟ فقيل ماهم ، فقال أصابتهم فتنة فعموا وصموا ، لم يجعلهم ﷺ كفارا لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل ، وحينئذ يكون المراد بالدين فى وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبعده رواية بدل الايمان الاسلام ، وكان مصداق ماقاله رسول الله ﷺ ان ذا الخويصرة خرج منه حرقوص المعروف بذى الثدية وهو أول من بويع من الخوارج بالأمانة ، والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وبخليده فى النار ويحكمون بأن دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها داركفر ولا يصلون جماعة ، وسبب مقاتلة سيدنا على كرم الله وجهه لهم انهم نقموا عليه التحكيم الذى وقع بينه و بين معاوية فى صفين ، وقالوا لاحكم الا الله وأنت كفرت حيث حكمت الحكمين فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك ، وان تكن الأخرى فانا نابذك على سواء (ان الله لايهدى كيد الخائنين) فلما أيس من رجوعهم اليه قاتلهم ، وحرقوص هذا أول مارق من الدين وكان رجلا أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة فقد جاء عنه ﷺ ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض ، ولما قاتلهم على كرّم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتى به فاذا هو له ثدى كثدى المرأة ، وفى رواية التمسوه فى القتلى فلم يجدوه فقام على كرم الله وجهه بنفسه فطاف فى القتلى فأخرجوه من بينهم ، فكبر على كرم الله وجهه ثم قال صدق رسول الله ﷺ سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض ، فقام اليه عبيدة السلمانى ، فقال ياأمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو أسمعت هذا من رسول الله ﷺ ، فقال اى والله الذى لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما أعطى رسول الله ﷺ ماأعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجدوا فى أنفسهم ، أى غضبوا حتى كثرت منهم القالة ، أى وهى القول الردىء أى حتى قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطى قريشا ، وفى لفظ الالفاء والمهاجرين ، و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، أى وفى لفظ ان هذا لهو العجب ان سيوفنا تقطر من دماء قريش وان غنائمنا ترد عليهم ، وفى رواية اذا كانت شديدة ندعى اليها و يعطى الغنيمة غيرنا ، وفى رواية سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فان كان من أمر الله صبرنا وان كان من أمر رسول الله ﷺ استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فقال يارسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، أى غضبوا لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما ولم يكن فى هذا الحى من الانصار منها شىء ، قال فأين أنت من ذلك ياسعد فقال يارسول الله ماأنا إلا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة ، أى وهى قبة من أدم أى وفى كلام بعضهم ان الحظيرة الزربية التى تجعل للابل والغنم من الشجر لتقيها من البرد والريح ؛ ولعل هذا باعتبار الأصل فلا مخالفة ، فلما اجتمعوا له أتى سعد اليه ﷺ فقال اجتمع لك هذا الحى من الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ ، أى فقال لهم أفيكم أحد من غيركم قالوا لا الا ابن أخت لنا ، فقال رسول الله ﷺ ان ابن أخت القوم منهم ، وفى رواية قال من كان ههنا من غير الأنصار فليرجع الى رحله ، يذكر بعضهم ان سبب ايراد ابن أخت القوم منهم أنه ﷺ قال لعمر رضى الله عنه اجمع لى من هنا من قريش فجمعهم له ثم قال تخرج اليهم أم يدخلون قال أخرج فخرج ﷺ فقال

يامعشر قريش هل فيكم من غيركم قالوا لا إلا ابن أختنا فقال ابن أخت القوم منهم ، ثم قال يامعشر قريش ان أولى الناس بى المتقون فانظروا لا يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهى انتهى ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يامعشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ، والمقالة كما علمت الكلام الردىء ، والجدة الغضب والمعروف أنه الموجدة ، ومن ثم قال بعضهم الجدة فى المال والموجدة فى الغضب ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى وأعداء فألف بين قلوبكم ، أى وفى لفظ وكنتم متفرقين فجمعكم الله ، وفى لفظ يامعشر الأنصار ألم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الأسماء أنصار الله وأنصار رسوله قالوا بلى الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال ﷺ ألا تجيبونى يامعشر الأنصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله لله ولرسوله المنة والفضل ، أى وفى لفظ قالوا يارسول الله وجدتنا فى ظلمة فأخرجنا الله بك الى النور ووجدتنا على شفا جرف من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد نبيا فافعل ماشئت فأنت يارسول الله فى حل ، قال اذن والله لوشئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك ، أى وخائفا فآمناك أوى أى ان كان متعديا كما هنا فالأفصح المد وان كان قاصرا فالأفصح القصر قال تعالى (وآويناهما الى ربوة) وقال تعالى (اذ أوى الفتية الى الكهف) قال فقال الانصار المن لله ولرسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ماحديث بلغنى عنكم فسكتوا فقال ماحديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الأنصار أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ يعطى قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، أى وفى رواية ما الذى بلغنى عنكم قالوا هو الذى بلغك لانهم لايكذبون ، فقال رسول الله ﷺ انى لأعطى رجالا حديثو عهد بكفر أتألفهم اهـ أى وفى رواية ان قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وانى أردت أن أجبرهم وأتألفهم أوجدتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم فى لغاعة بضم اللام وغينين معجمتين أى شىء قليل من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا أى ليحسن اسلامهم و يسلم غيرهم تبعا لهم ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لايزلزل ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الأنصار ، أى لانتسبت الى المدينة ولوسلك الناس شعبا ، أى بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وفى لفظ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا ، أى وقوله ﷺ للأنصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ليس من المن المذموم فى قوله ﷺ آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ للأنصار ألا تجيبونى الخ فليتأمل ، أى وقد جاء فى مدح الأنصار اللهم اغفر للأنصار وأبناء الانصار ولأزواج الأنصار ولذرارى الأنصار ، الانصار كرشى وعيبتى وان الناس يكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ، وفى لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الأنصار وعلى ذرية ذرية الأنصار وقال للأنصار أنتم شعار والناس دثار ، أى والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه ﷺ من غيرهم وقال الأنصار حبهم ايمان و بغضهم نفاق ، اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الانصار ولأبناء أبناء الأنصار

ولنساء

ولنساء الأنصار ولنساء أبناء الأنصار ولنساء أبناء أبناء الأنصار. وفي لفظ اللهم اغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولذراري ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لايبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال لاتؤذوا الأنصار فمن آذاهم فقد آذاني ومن نصرهم فقد نصرني ومن أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن بغى عليهم فقد بغى عليّ ومن قضى لهم حاجة كنت في حاجته يوم القيامة أسرع ان الله اختار دارهم لاعزاز دينه واختارهم لنبيه انصارا، وقال ﷺ حب الأنصار آية الايمان و بغضهم آية النفاق وقال في الأنصار لايحبهم إلا مؤمن ولايبغضهم الامنافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم أنتم أحب الناس اليّ قالها ثلاثا، قال وقال حسان رضي الله عنه في مدح الأنصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا * للنائبات وماخافوا وماضجروا

انتهى، أي وقد وقع له ﷺ نظير ذلك، فعن عمرو بن ثعلبة انه ﷺ سبى فأعطى قوما ومنع قوما، وقال انا لنعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما الى ماجعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تعلبة فكان عمرو رضي الله عنه يقول مايسرني ان لي بها حمر النعم، ولما أسرت أخته ﷺ من الرضاعة الشيماء بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم بعدة، ويقال الشماء بغير ياء، واختلف في اسمها صارت تقول والله اني أخت صاحبكم ولايصدقوها، فأخذها طائفة من الأنصار حتى أتوابها رسول الله ﷺ فقالت يامحمد اني أختك، قال وما علامة ذلك؟ الحديث، ثم قال لها ارجعي الى الجعرانة تكونين مع قومك فاني أمضي الى الطائف، فرجعت الى الجعرانة، فلما قدم ﷺ الجعرانة جاءته فقالت يارسول الله اني أختك، أي وأنشدته أبياتا، قال وماعلامة ذلك بكسر الكاف لأنه خطاب لمؤنث، قالت عضة عضضتنيها في ظهري * وفي رواية في وجهي * وفي رواية في ابهامي وأنا متوركتك، فعرف رسول الله ﷺ العلامة * وفي رواية قال لها ان تكوني صادقة فان بك مني أثرا لن يبلى، فكشفت عن عضدها، ثم قالت نعم يارسول الله حلتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة فعرف رسول الله ﷺ العلامة فليتأمل، وعند ذلك قام ﷺ لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، أي ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فاخبرته بموتهما، أي وقال لها سلي تعطي واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي، أي بعد أن قال لها قومها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته قومك لرجونا ان يحابينا فأتته فقالت أتعرفني، قال ما أنكرك فمن أنت؟ قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب، وآية ذلك اني حلتك ذات يوم فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها، ثم استوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبه لها، فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هي أيمن على قومها منها، وخيرها ﷺ وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أمتعتك وترجعي الى قومك، قالت بل تمتعني وتردني الى قومي. فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية، وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء، وقيل ان القادمة عليه ﷺ أمه من الرضاع التي هي حليمة، وتقدم الكلام على ذلك، قال بعضهم وهذا العطاء الذي أعطاه رسول الله ﷺ للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس الذي هو سهمه ﷺ لامن أربعة أخماس الغنيمة ولا لاستأذن الغانمين في ذلك لأنهم ملكوها بحوزهم لها، ثم قدم ﷺ وفد

هوازن ، وهم أربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير بن صرد ، وفى لفظ يكنى بأبى صرد وأبو برقان بالموحدة عم رسول الله ﷺ من الرضاعة ، أى فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك * وفى رواية قالوا يارسول الله ان فيمن أصبتهم الأمهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازى الأقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله ، وقال زهير يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، أى لأن مرضعته ﷺ حليمة كانت من هوازن ، أى وقال له أيضا ولوملحنا أى أرضعنا للحرث بن أبى شمر ، أى ملك الشام أوللنعمان ابن المنذر ، أى ملك العراق ثم نزل منا بمثل مانزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده أبياتا يستعطفه ﷺ بها منها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك مملوءة من محضها الدرر

أى الدفعات الكثيرة من اللبن انا لنشكر للنعماء ان كفرت ، أى جحدت وفى لفظ

انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
انا نؤمل عفوا منك نلبسه * هدى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال ﷺ ان أحسن الحديث أصدقه ابناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم ، أى وفى لفظ البخارى أحب الحديث الىّ أصدقه فاختارو احدى الطائفتين اما السبى واما المال * وفى رواية وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لاتقدمون ، أى لانه ﷺ انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة ، وفى لفظ انه ﷺ قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها ، فأى الأمرين أحبّ اليكم أطلب لكم السبى أم الأموال ، وانما قال ﷺ لهم قد وقعت المقاسم ، أى لانه لايجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم ، وانما يمن عليهم قبله كما وقع له ﷺ فى يهود خيبر ، ولا يخفى أن هذا فى الرجال دون الذرارى ، فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير ، فقال ﷺ اما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، أى وقال لهم فاذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله ﷺ الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله ﷺ فى أبنائنا ونسائنا ، أى بعد أن قال لهم ﷺ اظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ ، أى بعد أن أثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين ، وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أوّل مايفئ الله علينا فليفعل كذا فى البخارى ، وفى لفظ أنه ﷺ قال وأما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل انسان ست فرائض من أوّل سبى أسبيه * وفى رواية فمن أحب منكم أن يعطى غير مكره فليفعل . ومن كره أن يعطى ويأخذ الفداء فعلىّ فداؤهم . ثم قال ﷺ أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، فقال المهاجرون والأنصار رضى الله تعالى عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة

فلا ، وقال العباس بن مرداس أما أنا و بنوسليم فلا ، فقالت بنوسليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال العباس بن مرداس وهنتمونى أى أضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا * وفى رواية فقال رسول الله ﷺ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده من النساء سبى فطابت نفسه أن يرده فليرده ، ومن أبى فليرد عليهم ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول مايفئ الله علينا ، قالوا رضينا وسلمنا ، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولما فرق ﷺ النساء نادى مناديه ألا لاتوطأ الحبالى حتى يضعن ولاغير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ، قال أصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداءهن فسألنا رسول الله ﷺ عن العزل ، فقال اصنعوا مابدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد ، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ، وكانت اليهود تزعم أن العزل الموءودة الصغرى ، فقال رسول الله ﷺ كذبت اليهود ولو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه ، وجاء لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا ، وقد جاء فى الحديث ماقالت اليهود ، ففى مسلم وابن ماجه العزل الوأد الخفى ، أى لأن التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتأمل ، وقد مر الكلام على ذلك مبسوطا ، والفريضة البعير الذى يؤخذ فى الزكاة لأنه فرض وواجب على رب المال والى عفوه ﷺ عن هوازن ، أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

من فضلا على هوازن اذ كان * له قبل ذاك فيهم رباء

وأتى السبى فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء

فحباها برا توهمت النا * س به انما السباء هداء

بسط المصطفى لها من رداء * أى فضل حواه ذاك الرداء

فغدت فيه وهى سيدة النسوة والسيدات فيه اماء

أى أعتق ﷺ هوازن قبيلة أمه من الرضاعة التى هى حليمة السعدية ، وكانوا ستة آلاف آدمى وانما أعتقهم لأجل أنه ﷺ كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد ، أى تربيته فيهم ولأجل أن أخته من الرضاعة أتت فى ذلك السبى ، وتلك الأخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع باخوته ﷺ فأعطاها برا وفعل معها معروفا حتى وقع فى وهم الحاضرين بسبب ذلك ان سباءه هداء لها بكسر الهاء كالعروس التى تهدى لزوجها ومن بره ﷺ لها انه بسط لها رداءه لتجلس عليه ، أى شرف لذلك الرداء شرف عظيم ، لاغاية له بسبب مماسته لجسده التشريف فصارت فى ذلك السبى سيدة من فيه من النساء . وصار السيدات التى فيه بالنسبة اليها اماء ، وليتأمل الجمع بين كون أخته المذكورة هى الشافعة فى السبى وقبلت شفاعتها و بين كون السائل فيهم هوزان والاصل اقتصر على سؤال الوفد ، ورد جميع السبى ولم يتخلف منه أحد الاعجوز من عجائزهم ، كانت عند عيينة بن حصن أبى أن يردها ، وقال حين أخذها أرى عجوزا انى لأحسب أن لها فى الحى نسبا وعسى أن يعظم فداؤها ، ثم ردها بعد ذلك بعشر من الابل ، وقيل بست أخذ ذلك من ولدها بعد أن ساومه فيها مائة من الابل ، وقال له ولدها والله ماثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولافوها ببارد ولاصاحبها بواجد أى بحزين لفراقها ولادرها بماكد بالنون أى غزير وهو من الاضداد . وقيل قائل ذلك له زهير وقد

يقال لامخالفة لجواز أن زهير هو ولدها ، فقال عيينة خذها لابارك الله لك فيها قال وذلك ببركة دعائه ﷺ دعا على من أبى أن يرد من السبى شيئا أن يبخس ، أى يكسد فان ولدها دفع له فيها مائة من الابل فأبى ، ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالمائة ، فقال لاأدفع الاخمسين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بخمسين فقال لاأدفع الاخمسة وعشرين فأبى ، فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا أخذها الا بعشرة * وفى رواية الا بستة فقال له ماتقدم ، ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله ﷺ كسا السبى قبطية قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندى فما فارقها حتى أخذ لها منه ثوبا ، والقبطيه بضم القاف وهو ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم أهل مصر وضم القاف من التغيير فى النسب ، أى وفى كلام بعضهم وزعموا أن رسول الله ﷺ أمر رجلا ان يقدم مكة فيشترى للسبى ثياب المتعة فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا ، قال ، وأمر رسول الله ﷺ بحبس أهل مالك بن عوف النضرى بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية ، وكلمه الوفد فى ذلك فقالوا يارسول الله أولئك سادتنا ، فقال رسول الله ﷺ انما أريد بهم الخير ، ولم يجز ان تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف ، وقال رسول الله ﷺ لوفد هوزان مافعل مالك بن عوف قالوا يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال رسول الله ﷺ اخبروه انه ان آتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ مالكا ماصنع رسول الله ﷺ فى قومه وان ماله وأهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا ان تحبسه ثقيف اذا علموا الحال ، وركب فرسه وركضه حتى أتى الدهناء محلا معروفا ركب راحلته ولحق برسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة وأسلم ورد عليه أهله وماله واستعمله ﷺ على من أسلم من هوازن ، فكان لايقدر على سرح لثقيف الا أخذه ولارحل الاميله ، وكان رضى الله تعالى عنه يرسل بالخمس مما يغنم لرسول الله ﷺ اه ، أى وجاء اعرابى الى النبى ﷺ فى هذا المحل الذى هو الجعرانة ، وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين لأن المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابى جبة وهو متضمخ بخلوق ، أى مصفر لحيته ورأسه ، وقد أحرم بعمرة فقال افتنى يارسول الله ، وفى رواية قال له كيف ترى فى رجل أحرم فى جبة بعد ماتضمخ بطيب فسكت ساعة ، ثم نزل عليه الوحى . فلما سرى عنه قال أين السائل عن العمرة اخلع عنك الجبة واغسل عنك أثر الخلوق ، وفى رواية قال له ﷺ ما كنت تصنع فى حجك ، قال كنت أنزع هذه الجبة وأغسل هذا الخلوق ، فقال ﷺ اصنع فى عمرتك ما كنت صانعا فى حجك ، واستند لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام بما يبقى عند الاحرام ، والراجح عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه استحباب ذلك * وجاءه ﷺ رجل فوقف على رأسه التشريف ﷺ فقال يارسول الله ان لى عندك موعدا ، فقال ﷺ له صدقت فاحتكم فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال ﷺ هى لك ولقد احتكمت يسيرا واصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التى دلته على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت أحزم وأجزل حكما منك حين حكمهما موسى عليه الصلاة والسلام فقالت حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة ، كذا ذكره الغزالى رحمه الله ، قال السخاوى وهذا أخرجه ابن حبان والحاكم وصحح أسناده . وفيه نظر كما قال العراقى وهذا أصل فى عدم اخلاف الوعد بالخير ، ونقل الامام النووى رحمه الله ان جماعة ذهبوا الى وجوب الوفاء بذلك ووجهه السبكى

رحمه الله بأن اخلاف الوعد كذب ، والكذب حرام وترك الحرام واجب ، وذكر الغزالى رحمه الله ان اخلاف الوعد لايكون كذبا الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء ، أى ويدل لذلك ماجاء عن عبد الله بن ربيعة قال جاء رسول الله ﷺ الى بيتنا وأناصبي صغير فذهبت لالعب ، فقالت أمى ياعبد الله تعال أعطك ، فقال رسول الله ﷺ ماأردت أن تعطيه ، قالت أردت أن أعطيه تمرا قال لولم تفعلى كتبت عليك كذبة * وأحرم ﷺ من الجعرانة ودخل مكة ليلا واستمر يلبى حتى استلم الحجر ، ثم رجع من ليلته وأصبح بها كبائت ، وفى لفظ أصبح بمكة كبائت ، وفيه نظر ولم يسبق هديا فى هذه العمرة وحلق رأسه وكان الحالق لرأسه الشريف أبا هند الحجام ، وقيل أبوخراش بن أمية الذى حلق رأسه ﷺ فى الحديبية وأتى بأعمال العمرة بعد أن أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، وقال اعتمر منها سبعون نبيا

غزوة تبوك

بعدم الصرف للعلمية والتأنيث ، ووقع فى البخارى صرفها نظرا للموضع ، أى ويقال لها غزوة العسيرة ، ويقال لها الفاضحة لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين ، ففى شهر رجب سنة تسع أى بلاخلاف ، ووقع فى البخارى أنها كانت بعد حجة الوداع ، قيل وهوغلط من النساخ ، بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء المحل المعروف أى وذكر بعضهم ان سبب ذلك أن متنصرة العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى قد خرج يدعى النبوّة هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم ، فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا ، أى ولم يكن لذلك حقيقة ، أى وانما ذلك شيء ، قيل لمن يبلغ ذلك للمسلمين ليرجف به ، وكان ذلك فى عسرة فى الناس وجدب فى البلاد ، أى وشدة من نحو الحر وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم [] أى وكونه عند طيب الثمار يؤيد قول عروة بن الزبير ان خروجه ﷺ لتبوك كان فى زمن الخريف ولاينافى ذلك وجود الحر فى ذلك الزمن ، لأن أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وورّى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمن ، أى وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم ، وأمر الناس بالجهاز ، أى وبعث الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله ، أى أكد عليهم فى طلب ذلك ، وهى آخر غزواته ﷺ وأنفق عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، قال فانه جهز عشرة آلاف انفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيل ، وهى تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد ومايتعلق بذلك حتى ماتربط به الأسقية ، أى وفى كلام بعضهم انه أعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال ﷺ اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض ، أى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه رأيت رسول الله ﷺ من أوّل الليل الى أن طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه ، وجاء أنه ﷺ قال سألت ربى أن لايدخل النار من صاهرته أوصاهرنى ، وجاء رضى الله تعالى عنه بألف دينار فصبها فى حجر النبى ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقلبها بيديه ويقول ماضرّ عثمان ماعمل بعد اليوم يرددها مرارا اه

وفي رواية جاء بعشرة آلاف دينار الى رسول الله ﷺ فصبت بين يديه فجعل ﷺ يقول بيديه ويقلبها ظهراً لبطن ، ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها . أي ولعل هذه العشرة الآلاف هي التي جهز بها العشرة آلاف انسان وانها أي العشرة غير الألف التي صبها في حجره ﷺ ، وأنفق غير عثمان أيضا من أهل الغنى قال وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله ﷺ هل أبقيت لأهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ هل أبقيت لأهلك شيئا قال النصف الثاني وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بمائة أوقية ، أي ومن ثم قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما كانا خزانتين من خزائن الله في الأرض ينفقان في طاعة الله تعالى . وجاء العباس رضي الله تعالى عنه بمال كثير ، وكذا طلحة رضي الله تعالى عنه وبعثت النساء رضي الله تعالى عنهن بكل ما يقدرن عليه من حليهن ، وتصدق عاصم بن عدي رضي الله تعالى عنه بسبعين وسقا من تمر اه وجاءه ﷺ جمع ، أي سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يتحملونه ، أي يسألونه أن يحملهم . فقال ﷺ لا أجد ما أحملكم عليه وعند ذلك (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون) أي ما يحملهم ومن ثم قيل لهم البكاءون ومنهم العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه ولم يذكره القاضي البيضاوي في السبعة وحمل العباس رضي الله تعالى عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضي الله تعالى عنه بعد الجيش الذي جهزه ثلاثة ، أي وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل واحد منهما صاعين من تمر وعدهم مغلطاي ثمانية عشر ، وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري قال أرسلني أصحابي الى رسول الله ﷺ اسأله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان أصحابي أرسلوني اليك لتحملهم ، فقال والله لا أحملكم على شيء ، وفي رواية والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فرجعت حزينا الى أصحابي من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه حيث حلف على أن لا يحملهم ، قال فرجعت الى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادي أين عبد الله بن قيس فأجبته قال أجب رسول الله ﷺ يدعوك ، فلما أتيته قال خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها الى أصحابك ، زاد بعضهم فعند ذلك قال بعضهم لبعض ، أغفلنا رسول الله ﷺ ، أي حلفناه على يمين العلق ، وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا يبارك لنا في ذلك ، فأتوه فذكروه فقال عليه الصلاة والسلام أنا ما حملتكم الله حملكم ، ثم قال اني لا أحلف يمينا فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير ، أي فهو ﷺ انما حلف أن لا يتكلف لهؤلاء حملا بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم حملا فلا حنث ، وفيه أن هذا لا يناسب قوله اني لا أحلف الى آخره * وأجيب بأن هذا استئناف قاعدة لا تدل على أن النبي ﷺ حنث في يمينه بل خرج الكلام على تقدير كأنه قال لو حنثت في يميني حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك شرعا واسعا بل ندبا راجحا ، ويؤيده انه لم ينقل ان رسول الله ﷺ كفر عن هذه اليمين وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله . وقد يقال ان حمل العباس رضي الله تعالى عنه اثنين منهم الى آخره كان قبل وجود هذه الابعرة الستة أو يدعى ان هؤلاء غير من تقدم ، فلما تجهز رسول الله ﷺ ... بالناس ... ألفا ، أي وقيل أربعون ألفا ، وقيل سبعون ألفا

وكان

وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ، وقيل بزيادة ألفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله تعالى عنه على ماهو المشهور ، وقال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو أثبت عندنا وقيل سباع ابن عرفطة ، أى وقيل ابن أم مكتوم ، وقيل على بن أبى طالب ، قال ابن عبدالبر وهو الأثبت هذا كلامه ، وفى كلام ابن اسحق وخلف عليا كرّم الله وجهه على أهله وأمره بالاقامة فيهم ، وتخلف عنه عبدالله بن أبىّ ابن سلول ومن كان من المنافقين بعد أن خرج بهم وعسكر عبدالله بن أبىّ على ثنية الوداع ، أى أسفل منها لأن معسكره ﷺ كان على ثنية الوداع وكان عسكر عبدالله بن أبى أسفل منه ، قال ابن اسحق رحمه الله وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين ، أى والتعبير عن ذلك بالزعم واضح لأنه يبعد أن يكون عسكر عبدالله مساويا لعسكره ﷺ فضلا عن كونه أكثر منه فليتأمل ، وقال عند تخلفه يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحرّ والبلد البعيد ، أى مالاطاقة له به يحسب محمد ان قتال بنى الأصفر معه اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله ﷺ وبأصحابه ، أى وقيل للروم بنو الأصفر لأنهم ولد روم بن العيص بن اسحق نبى الله عليه السلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به ، فقد ذكر العلماء بأخبار القدماء أن العيص تزوّج بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل له الأصفر ، وقيل الصفرة كانت بأبيه العيص [] ولما ارتحل رسول الله ﷺ عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ورايته ﷺ العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الأوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وراية الخزرج الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية ، أى لبعضهم راية ولبعضهم لواء وكان قد اجتمع جمع من المنافقين أى فى بيت سويلم اليهودى ، فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الأصفر ، أى وهم الروم كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنهم يعنى الصحابة غدا مقرنون فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين ، والجلاد الضرب بالسيوف ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك لعمار بن ياسر رضى الله عنه ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بل قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه وقالوا (انما كنا نخوض ونلعب) فأنزل الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) وقال ﷺ للجد بن قيس ياجد هل لك فى جلاد بنى الأصفر قال يارسول الله أو تأذن لى ، أى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى أنه مامن رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) الآية ، وفى لفظ أنه ﷺ قال اغزوا تبوك تغنموا بنات بنى الأصفر نساء الروم ، فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فأنزل الله تعالى الآية (ألا فى الفتنة سقطوا) أى فى التخلف عن رسول الله ﷺ والرغبة عنه ، وفى لفظ انه ﷺ قال للجد بن قيس ياأبا وهب هل لك أن تخرج معنا لعلك تحتقب أى تردف خلفك من بنات الأصفر . فقال ائذن لى ولا تفتنى . فقال ابنه عبد الله رضى الله عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق . وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده ، فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لأنت أشد على من محمد . وفى رواية ان الجد بن قيس

لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي ﷺ ولكن أعينك بمالى فأنزل الله تعالى (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) وتقدم أنه لم يبايع بيعة الرضوان ، وتقدم أنه تاب من النفاق وحسنت توبته وأنه ﷺ قال لبنى ساعدة من سيدكم ؟ فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه ، فقال وأى داء أدوأ من البخل ، قالوا يارسول الله من سيدنا ، فقال بشر بن البراء بن معرور ، وفى رواية سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح ، وذكر ابن عبدالبر أن النفس أميل الى الأول ، ومات الجد بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقال بعض المنافقين لبعض لاتنفروا فى الحر فأنزل الله تعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أى يعلمون (وجاء المعذرون) أى وهم الضعفاء والمقلون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم ، وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله ، وقد عناهم الله تعالى بقوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) قال السهيلى وأهل التفسير يقولون ان آخر براءة نزل قبل أولها وان أول مانزل منها (انفروا خفافا وثقالا) قيل معناه شبابا وشيوخا ، وقيل أغنياء وفقراء ، وقيل أصحاب شغل وغير ذى شغل وقيل ركبانا ورجالة ، ثم نزل أولها فى نبذ كل ذى عهد الى صاحبه كما تقدم ، وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لايتهم فى اسلامه * ولما خلف ﷺ عليا كرم الله وجهه أرجف به المنافقون ، وقالوا ماخلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك أخذ على كرم الله وجهه سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال يانبى الله زعم المنافقون انك ماخلفتنى الا استثقلتنى وتخففت منى ، فقال كذبوا ولكننى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لانبى بعدى ، أى فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف هرون عليه السلام فى قومه فرجع على الى المدينة ، وعن على كرم الله وجهه قال خرج رسول الله ﷺ فى غزوة وخلف جعفرا فى أهله ، فقال جعفر والله لا أتخلف عنك نخلفنى ، فقلت يارسول الله أتخلفنى الى شىء تقول قريش أليس يقولون ماأسرع ماخذل ابن عمه وجلس عنه وأخرى ابتغى الفضل من الله لأنى سمعت الله يقول (ولايطئون موطئا يغيظ الكفار) الآية ، فقال أماقولك أن تقول قريش ماأسرع ماخذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا انى ساحر وانى كاهن وانى كذاب ، وأما قولك تبتغى الفضل من الله فلك أبى اسوة أى حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال ، أماترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى عليهما السلام ، أى ولم يتخلف عنه على كرم الله وجهه فى مشهد من المشاهد الا فى هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة أن هذا من النص التفصيلى على خلافة على كرم الله وجهه قالوا لأن جميع المنازل الثابتة لهرون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلى كرم الله وجهه من النبى ﷺ والا لما صح الاستثناء أى استثناء النبوة بقوله الا أنه لانبى بعدى ، ومما ثبت لهرون من موسى استحقاقه للخلافة عنه لوعاش بعده أى دون النبوة . ورد بأن هذا الحديث غير صحيح كما قاله الآمدى وعلى تسليم صحته ، بل صحته هى الثابتة لأنه فى الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وكل من الرافضة والشيعة لايرى حجة فى الامامة وعلى تسليم أنه حجة فلاعموم له بل المراد مادل عليه ظاهر الحديث أن عليا كرم الله وجهه خليفة عن النبى ﷺ فى أهله خاصة مدة غيبته بتبوك كما أن هرون كان خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة ، فعلى تسليم انه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير

حجة

حجة فى الباقى أوحجة ضعيفة . وقد استخلف ﷺ فى مرار أخرى غير على فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة ، وصار بعد مسيره ﷺ يتخلف عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه * وكان ممن تخلف عن مسيره معه ﷺ أبو خيثمة ، ولما أن سار ﷺ أياما دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها و بردتا فيها ماء وهيأتا طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله ﷺ فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف . ثم قال والله لاأدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيأ لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه كما فى الكشاف ، أى ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك ، وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك . فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ، فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا ركب مقبل . فقال رسول الله ﷺ كن أبا خيثمة . فقالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ أولى لك يا أبا خيثمة : ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ، أى وأولى لك كلمة تهديد وتوعد * ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته ، وقال لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم ، أى لأن البكاء يتبعه التفكر والاعتبار فكأنه ﷺ أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم فى الارض وامهالهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه ، وهو سبحانه يقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك ، ونهى ﷺ الناس أن يشربوا من مائها شيئا وأن لايتوضئوا به للصلاه وأن لا يعجن به عجين وأن لايحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وأن العجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل . وأن الطبيخ الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا . ثم ارتحل بالناس . أى لازال سائرا حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة . وأخبرهم ﷺ أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة : أى وقال من كان له بعير فليشد عقاله ، ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق ، وخرج آخر كذلك فى طلب بعير له ند فاحتمله الريح حتى ألقته بجبل طيء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ . فقال ألم أنهكم أن يخرج أحدكم الا ومعه صاحبه : ثم دعا للذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طيء فأرسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة * وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس . واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر . ثم أصبح الناس ولاماء معهم . أى وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها * فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه

ويجعل مابقى على كبده ، وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى ﷺ ، أى قال له أبو بكر يارسول الله قدعوّدك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم فدعا ، أى ورفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا مايحتاجون اليه . قال وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى ، فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى (وتجعلون رزقكم) أى بدل شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى حيث تنسبونه للانواء . وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شئ قال سحابة مارّة انتهى وفى لفظ أنهم لما شكوا اليه ﷺ شدة العطش . قال ﷺ لعلىّ لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا . فقالوا يانبىّ الله ماهذا بحين انواء فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب فمطروا حتى سال كل واد فمرّ رسول الله ﷺ برجل يغرف بقدحه ، ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية * وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة ان محمدا يزعم أنه نبىّ وأنه يخبركم بخبر السماء وهو لايدرى أين ناقته . فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لاأعلم الا ماعلمنى الله ، وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاءوا بها ، أى وتقدم له صلى الله عليه وسلم نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق التى هى المريسيع ولا بعد فى تعدد الواقعة ويحتمل أن يكون من خلط بعض الرواة . ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال لمن به والله لعجب فى شئ حدثناه رسول الله ﷺ عن مقالة قائل أخبره الله عنه وذكر المقالة . فقال له بعض من فى رحله هذه المقالة قالها فلان يعنى شخصا فى رحله أيضا قالها قبل أن تأتى بيسير ، فقال ياعباد الله فى رحلى داهية وماأشعر أى عدوّ الله اخرج من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل منها بشرّ حتى هلك ، وتباطأ جمل أبى ذرّ رضى الله عنه لما به من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا فى بعض المنازل ، أى وقبل مجيئه قالوا له يارسول الله تخلف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره . فقال ﷺ دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشى . فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله ﷺ كن أباذرّ فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله ﷺ رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، وكان كما قال صلى الله عليه وسلم انه يموت وحده . فقدمات رضى الله عنه وحده بالربذة لما أخرجه عثمان رضى الله عنه اليها . أى فانه بعد موت أبى بكر رضى الله عنه خرج من المدينة الى الشام . فلما ولى عثمان رضى الله عنه شكاه معاوية رضى الله عنه اليه فانه كان يغلظ على معاوية فى بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضى الله عنه من الشام ثم أسكنه الربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند موته أن غسلانى وكفنانى ثم اجعلانى على قارعة الطريق فأوّل من يمرّ بكم قولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه . فلما مات رضى الله عنه فعلا به ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي و يقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فواروه . ثم حدثهم عبدالله بن مسعود خبره أي وفي الحدائق عن أم ذر . قالت لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال مايبكيك . قلت ومالى لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولا بدّ لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا . فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقدمات في قرية واني أنا الذي أموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبت ، وفي رواية ما كذبت ولا كذبت فانظرى الطريق . فقالت قد ذهب الحاج وتقطعت السبل . فقال انظرى فقالت كنت أشتد الى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع اليه فأمرضه فبينما أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا اليّ ووضعوا السياط في نحورها يستقبلون اليّ ، فقالوا مالك ياأمة الله . فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه : قالوا ومن هو قلت أبو ذر . قالوا صاحب رسول الله ﷺ قلت نعم فأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم . وقال ابشروا فانكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث ، وقال والله لوكان لى أو لها مايسعنى كفنا ما كفنت الا فيه واني أنشدكم الله والاسلام لا يكفنني منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أونقيبا ولم يكن منهم أحد سلم من ذلك الا فتى من الانصار فقال والله لم أصب مما ذكرت شيئا أنا أكفنك في ردائي هذا وثوبين معي من غزل أمي فمات فكفنه الفتى الانصارى ودفنه في النفر الذين معه ✲ أقول يحتاج الى الجمع بين هذا وماتقدم وقد يقال لاينافي ذلك ماتقدم عن ابن مسعود رضى الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد أن كفن بكفن الانصارى ولا ينافي ذلك ماتقدم من قول الراوى فلما مات فعلا أى زوجته وغلامه ذلك أى غسله وتكفينه ، ولا ينافي ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه أعينونا على دفنه ، ولا ينافي ذلك قول الراوى هنا ودفنه : أى الفتى الانصارى في النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشتركوا مع غيرهم في ذلك وأبو ذر رضى الله عنه اسمه جندب ، وقيل اسمه سلمة بن جنادة . وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق ✲ وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر . وكان رضى الله عنه من الأقدمين في الاسلام ، قال ابن عبد البر كان خامس رجل أسلم فليتأمل ، وقال صلى الله عليه وسلم أبو ذر في أمتى شبيه عيسى ابن مريم في زهده وبعضهم يرويه من ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى الى أبى ذر ، والى وجود ما أخبر ﷺ عن أبى ذر من أنه يموت وحده أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وعاش أبوذر كما قلت وحده ✲ ومات وحيدا في بلاد بعيدة

قال وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله ﷺ لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبدالرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية ، وقال لهم ﷺ بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم . ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته اه ، أى ولعل هذا لاينافي ماتقدم . وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس ، وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل ، أي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الاخلف أبي بكر أي في مرض موته لان المراد صلاة كاملة أو تكرر الصلاة هذا * وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكى القاضي عياض رحمه الله انه لايجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لايصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لالعذر ولا لغيره ، وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعاله وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ فليتأمل * ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت ، قال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك ، أي وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم انكم لتأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحا النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي ، وأمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من مائها ، وقد سبق اليها رجلان أي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك . وفي رواية سبق اليها أربعة من المنافقين ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ في شن فغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير ، وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها ﷺ لهم فجاشت بالماء ، والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

فيوما بوقع النبل جئت بشربهم * ويوما بوقع الوبل جدت بسقية

وحينئذ أي وحين اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط الاعتراض بأن وقع النبل لم يكن بتبوك وانما كان بالحديبية على ان الذي بالحديبية انما هو غرز سهم واحد لاسهام فليتأمل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماهنا ملئ جنانا أي بساتين ، وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم . قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة ، وقال في قومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كادت الشمس قيد رمح . أي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته وغلبته عيناه قال ألم أقل لك يابلال اكلأ لنا الفجر ، وفي رواية أن بلالا رضي الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يابلال أين ماقلت ؟ قال يارسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك ، أي وفي لفظ أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدئ بلالا للنوم كما يهدئ الصبي حتى ينام ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به النبي الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد انك رسول الله وانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد . ثم صلى وتقدم في خيبر أي في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان ذلك ﷺ [illegible] بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك ، وفي منصرفه من تبوك قال أبو قتادة

رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه . فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال من هذا فقلت أبو قتادة يارسول الله خفت ان تسقط فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته فانتبه فقال ياأباقتادة هل لك فى التعريس فقلت ماشئت يارسول الله فقال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاءوا فعرسنا * وفى رواية قال أبو قتادة رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك منى ؟ قلت مازال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله كما حفظت نبيه وهذا تقدم فى منصرفه من خيبر ولامانع من التعدد و يحتمل ان هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتأمل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة ، وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ، ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشمس فى ظهره فقمنا فزعين . ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها و بقى فيها شئ ، وفى رواية جرعة من ماء ، ثم قال لى احفظ علينا ميضأتك ، وفى رواية ازدهر بها ياأباقتادة فسيكون لها نبأ الحديث * وفى رواية ماأيقظنا الاحر الشمس ، فقلنا انا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء الاداوة التى هى الميضأة وفضل فضل فقال ياأباقتادة احتفظ بما فى الاداوة واحتفظ بالركوة فان لهما شأنا ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس ، وفى لفظ ان عمر رضى الله عنه هو الذى أيقظ النبى صلى الله عليه وسلم بالتكبير . أقول ظاهر هذه الرواية أنهم صلوا بمحلهم ولم ينتقلوا . وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذى أصابتكم فيه الغفلة وفى لفظ ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان ، وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا أسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها فما أيقظنا الاحر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأنا لا ندرى ما يحدث له صلى الله عليه وسلم فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه [illegible] فى غزوة بنى المصطلق فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس [illegible] وكان رجلا جليدا فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر و يرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية ان الصديق رضى الله عنه استيقظ [illegible] لا زال يسبح و يكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات [illegible] فقال لاضير ارتحلوا فارتحل فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى [illegible] وفيه التصريح بأن هاتين الجملتين [illegible] غزوة تبوك لا وليس [illegible] مع [illegible] . وفى [illegible]

النبوة للبيهقى عن بعض الصحابة و بعد أن صلينا وركبنا جعـل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ماصنعنا بتفريطنا فى صـلاتنا ، فقال النبى ﷺ ماهـذا الذى تهمسون دونى فقلنا يارسول الله بتفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة حسـنة ، ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الاخرى ، وفى فتح البارى اختلف فى تعيـين هذا السفر ففى مسلم انه كان فى رجوعهم من خيبر قريب من هـذه القصة ، وفى أبى داود أقبـل النبى ﷺ من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا ، الحديث ، وفى مصنف عبد الرزاق ان ذلك كان بطريق تبوك وقد اختلف العلماء هـل كان ذلك أى نومهم عن صـلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الاصيلى رحمه الله بأن القصة واحـدة وتعقبه القاضى عياض رحمه الله بأن قصة أبى قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين ، ومما يدل على تعدد القصة اختـلاف مواطنها ، وفى الطبرانى قصة شبيهة بقصة عمران وان الذى كلأ لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما أيقظنى الاحر الشمس ، فجئت أدنى القوم فأيقظته وأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبى صـلى الله عليـه وسـلم فليتأمل ، وتقدم عن الامتاع قال عطاء ابن يسار ان ذلك كان فى تبوك وهـذا لا يصح والا فالآثار الصحاح على خلاف قوله مسنده ثابتة والله أعلم * واستشـكل ذلك بقوله ﷺ نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ، وقوله ﷺ لعائشة وقد قالت له أتنام قبـل أن توتر قال تنام عينى ولا ينام قلبى * وأجيب عنـه بأجوبة أحسنها ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ولا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ، ومن الأجوبة أنه صلى الله عليـه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبـه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان كان الأنبياء عليهـم الصلاة والسلام مثله فى ذلك ويكون قوله ﷺ نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ، ولا تنام قلوبنا أى غالبا ويكون هـذا حاله دائما وأبدا اذا كان متوضئا لقولهـم ، انه لا ينقض وضوؤه ﷺ بالنوم ، وفى جعـله العين محلا للنوم نظر لان العين انما هى محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب ، قال الحافظ السيوطى وكون القلب محـلا للنوم دون العـين لا يشكل عليـه ، قوله ﷺ تنام عيناى ولا ينام قلبى لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه * واستشـكل قوله ﷺ ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان ، وفى لفظ ارتحلوا فان هذا وادبه شيطان بأنه يقتضى تسلط الشيطان على النبى ﷺ لأن الظاهر ان وجود الشـيطان هو السبب فى النوم عن الصـلاة . وأجيب بأنه على تسليم ذلك فان تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره . فى بعض الروايات كما تقـدم ان الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهـدئه كما يهدأ الصبى حتى نام ، ثم لحـق ﷺ بالجيش وقبـل لحوقه ﷺ بهـم قال لأصحابه ماترون الناس يعنى الجيش فعـلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال ﷺ لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشـدوا وذلك ان أبا بكر وعمـر رضى الله عنهـما أرادا ان ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقطع عطشا فدعا رسول الله ﷺ وقال أين صاحب الميضأة قيـل هو ذا يارسـول الله . قال جئـنى بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء . وفى رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ ما فى الاداوة فيها ووضع أصابعـه

الشريفةعليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا ، وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس ، أى على ماتقدم ومن الابل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا ، وواضح ان هذه العطشة غير المتقدمة التى دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر ، وفى كلام بعضهم انه لما حصل للقوم العطش أرسل صلى الله عليه وسلم نفرا ويقال عليا والزبير يستعرضون الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء ماء ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروامنها ماء عزوها ان وأتوا بهامع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء * وفى رواية اذانحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها فى الماء فقالت أنا وأهلى أحوج اليه منكم فسألوها ان تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر * وفى رواية الذى يقال له الصابئ وخير الأشياء انى لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم خلوا عنها * وفى رواية قلنا لها أين الماء قالت أهاه أهاه لا ماء لكم بينكم و بين الماء مسيرة يوم وليلة ، ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذنين لنا فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به ، فقالت شأنكم ، فقال صلى الله عليه وسلم لأبى قتادة هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ، ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملاؤه ورووا إبلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها ، والميضأة هى الاداوة لأنه يتوضأ منها ، وفى الدلائل للبيهقى فجعل فى اناء من مزادتيها ثم قال فيه ماشاء الله أن يقول ، زاد فى رواية ثم مضمض ثم رد الماء فى المزادتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى ثم أمر الناس أن يملئوا آنيتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمى والله مارزأنا من مائك شيئا ولكن الله عز وجل هو الذى سقانا ، والعزالى جمع عزلاء والعزلاء هى التى تجعل فى فم القربة لينزل فيها الماء من الراوية وهى المرادة بالمزادة ، وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وهذه وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيئا * وفى رواية ان تلك المرأة أخبرته انها مؤتمة أى لها صبيان أيتام ، فقال هاتوا ماعندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصر تها صرة ثم قال لها اذهبى فأطعمى هذا عيالك * وفى رواية أيتامك وصارت تعجب بما رأت ، ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا ، قالت حبسنى أنى رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصى ، ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند أهلها ثم أقبلت فى ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وأسلموا ، وفى مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لوأذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ان فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها فى ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجىء الآخر بكف من تمر ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الاملئوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن

لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة . وفى رواية الا وقاه الله النار ، وتقدم نظير ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية ، أى ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وأسقاهم ، فقال له رسول الله ﷺ أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير و يوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر رضى الله عنهم ✲ وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم ، قال كنت فى غزوة تبوك على نحى السمن فنظرت الى النحى وقد قلّ ما فيه وهيأت للنبى ﷺ طعاما ووضعت النحى فى الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحى فقمت فأخذت رأسه بيدى ، فقال رسول الله ﷺ وقد رأى لو تركته لسال الوادى سمنا ✲ وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه ، قال كنت مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فقال ليلة لبلال هل من عشاء ، فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جر بنا فقال أنظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده ﷺ سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده الشريفة على التمرات ، وقال كلوا بسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس ، وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها فى يدى الأخرى وصاحباى يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هى ، فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل شبعا ، فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع ﷺ يده الشريفة عليهن ، ثم قال كلوا بسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أستحيى من ربى لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ✲ وأتاه ﷺ وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث ابن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء تأنيث أجرب يمد ويقصر قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة وأهل ميناء ، وأهدى يحنة لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية ، أى بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم ✲ وكتب له ﷺ ولاهل أيلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر ✲ وكتب ﷺ لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى ﷺ لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين ✲ وصالح ﷺ أهل ميناء على ربع ثمارهم ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رأيت ونحن بتبوك شعلة من نار فى ناحية العسكر أى ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطى رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده ﷺ أنه كان موجودا قبل البعثة ، فقد ذكر العسكرى رحمه الله فى الأوائل ان أول من أوقده خزيمة الأبرش ، أى وقد تقدم وهو قبل

البعثة بدهر ، وورد فى حديث أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبدالله ذا البجادين قال وقد ألفت فى المسئلة تأليفا سميته « مسامرة السموع فى ضوء الشموع » قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فاتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبدالله ذو البجادين المزنى قد مات واذاهم قدحفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه وهو يقول أدليا الى أخاكما فأدلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم قدأمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة ، أى والبجاد بوحدة ككتاب الكساء المخطط الغليظ لانه لم يكن لعبدالله المذكور الابجاد واحدفشقه نصفين فاتزر بواحد وارتدى بالآخر وقدم المدينة وأسلم وقرأقرآنا كثيرا وكان اسمه عبدالعزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه وقال يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فقال صلى الله عليه وسلم ائتنى بلحاء شجرة أى بقشرها فأتاه بذلك فربطه صلى الله عليه وسلم على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يارسول الله ليس هذا ماأردت قال انك اذا أخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد فأخذته الحمى بعد الاقامة بتبوك أياما ومات بها ، أى وهذا هو المشهور وروى عن الادرع الاسلمى وكان فى حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة أحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل هذا عبدالله ذو البجادين توفى بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله ورسوله ، قال ابن الاثير وهذا حديث غريب لايعرف الامن هذا الوجه وتقدم * وعن الحافظ السيوطى رحمه الله لما ذكر أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقددل ذلك على اباحة استعماله أى الشمع ولايعد استعماله اسرافا مع قيام غيره من الادهان مقامه وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ، وفى سيرة الحافظ الدمياطى عشرين ليلة يصلى ركعتين ولم يجاوز تبوك ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن ذلك على تقدير صحته ؛ قال وقداستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزتها فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوأمرت بالسير لم أستشركم فيه فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقددنوناوقدأفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا . وهذا تصريح بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة ولاحصل فيها غنيمة وبه يرد ماذكره الزمخشرى فى فضائل العشرة أنه صلى الله عليه وسلم جلس فى المسجد يقسم غنائم تبوك فدفع لكل واحد سهما ودفع لعلى كرم الله وجهه سهمين . فقام زائدة بن الاكوع وقال يارسول الله أوحى نزل من السماء أم من نفسك فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله هل رأيتم فى ميمنتكم صاحب الفرس الأغر المحجل والعمامة الخضراء لها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربة فحمل بها على الميمنة فأزالها قالوا نعم قال هو جبريل عليه الصلاة والسلام وانه أمرنى أن أدفع سهمه الى ثم قال تدت حد سهم مسهم ؛ وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها : أما بعد فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عزوجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله أستغفر الله لى ولكم * وأهدى له صلى الله عليه وسلم بعض أهل الكتاب جبنة فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل

قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيئا فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل فصار يصب فى يده ماشاء الله أن يصب ثم نضحه ومسح بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء أن يدعو به فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا خلاف عين تبوك الذى تقدم له صلى الله عليه وسلم فيهما ما يشبه هذا وقوله لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ههنا ملىء جنانا الى آخره لان تلك العين كانت بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك ، قال واجتمع رأى من كان معه صلى الله عليه وسلم من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن ينكثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر صلى الله عليه وسلم حذيفه بن اليمان رضى الله تعالى عنهما أن يسوق من خلفه ، وفى الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار بن ياسر يسوقه أو أنا أسوقه وعمار يقوده أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين ، وفى روايه أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين ، فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة ؛ وعن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول لما سقط متاع النبى صلى الله عليه وسلم وأردت جمعه نورلى فى أصابعى الخمس فأضاءت حتى جمعت ما سقط حتى ما بقى من المتاع شئ وفى لفظ أن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عرفت راحلة فلان وراحلة فلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا ليسيروا معى فى العقبة فيزحمونى فيطرحونى منها ان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم واكتماهم فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله مامنعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا . فان أحببت بين بأسمائهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك

برءوسهم فقال صلى الله عليه وسلم انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم بقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ، ثم جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ماقالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية) وأنزل الله تعالى (وهموا بما لم ينالوا) ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم انتهى ، أى وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلكه وفى الامتاع أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صلى الى نخلة فجاء شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه ، وفى رواية وهو على حمار فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فصار مقعدا ، وكان يقال لحذيفة رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوحى اليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فأخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنختها ثم جلست عندها حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته بها فقال من هذا ؟ قلت حذيفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى مسر اليك سرا فلا تذكرنه انى نهيت أن أصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة رضى الله تعالى عنه فقاده الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه : وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافه ان بالمدينة لأقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، أى وقال البكرى أظن أن الراء سقطت من بين الهمزة والواو أى أروان منسوب الى البئر المشهورة ، وحين نزل صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسجد الضرار فأنزل الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) الآية أى لاضرار أهل قباء أى لبنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نصلى فى مربط حمار لالعمر الله أى لانه كان لامرأة كانت تربط فيه حمارها ولكننا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه و يصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخواننا وكان المسلمون فى تلك الناحية كلهم يصلى فى مسجد قباء جماعة فلما بنى هذا المسجد فصرف عن مسجد قباء جماعة وصلوا بذلك المسجد فكان به تفريق للمؤمنين فكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبى صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به : أى ويقال أن أبا عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الآمر لهم ببنائه فقال لهم ابنوا الى مسجدا واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة واهم لما فرغوا من بنائهم أرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم و يصلى فيه كما صلى فى مسجد قباء فهم أن يأتيهم فأنزل الله تعالى الآية . وفى رواية أتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يارسول الله قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل

من السفر وسألوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء فأمر جماعة منهم وحشى" قاتل حمزة الله تعالى عنهم وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فأحرقوه وأهدموه على أصحابه ففعل به ذلك قال وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهدم الى الأرض وأعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن أرقم رضى الله تعالى عنه يجعله بيتا فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها الدخان ولعل هذا أى جعله بيتا كان بعد أن أمر صلى الله عليه وسلم أن يتخذه محلا لالقاء الكناسة والجيفة، وفى الكشاف أن مجمع بن حارثة كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى خلافته أن يأذن لمجمع بن حارثة أن يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة أليس بامام مسجد الضرار ، فقال ياأمير المؤمنين لا تعجل على" فوالله لقد صليت بهم والله يعلم انى لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ماصليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرءون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بهم ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة أسكننيها ربى تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد ، ولما رأى ﷺ جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم مافى ذلك فى غزوة أحد ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنه ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة تلقاه النساء والصبيان يقلن

طلع البدر علينا ☆ من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ☆ ما دعا لله داع

قال البيهقى رحمه الله وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا أنه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ، ولما دنا ﷺ من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه انتهى أى وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم فى مضيق والناس يمرون فيه فنفخ فى الظهر . وقال اللهم احمل عليها فى سبيلك فانك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس فى البر والبحر فزال مابها من الاعياء ومادخلنا الا وهى تنازعنا أزمتها وجاء أن حية عارضهم فى الطريق عظيمة الخلقة فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها . ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى" يستمعون القرآن أى بنخلة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وتقدم الكلام عليه فرأى عليه من الحق حين ألم" رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده أن يسلم عليه وهاهو يقرؤكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه أيضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا من الاوس ، فأما المنافقون فجعلوا يحلفون و يعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله و ستغفر لهم وأما الثلاثة فعن كعب بن مالك الخزرجى رضى الله تعالى عنه أنه قال لما قدمنه

صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم المغضب وقال لى تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك فصدقته وقلت والله ما كان لى من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، وفى رواية قلت يارسول الله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذره ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخط على فيه ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك ، وقال الرجلان الآخران وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب ، فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ماقال لكعب ، ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فأجتنبهم الناس فاما الرجلان فكثا فى بيوتهما يبكيان ، واما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين و يطوف بالاسواق فلا يكلمه أحد منهم ، قال ولما طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه والله مارد على السلام فقلت ياأبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال و بينما أنا أمشى بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلنى على كعب بن مالك فطفق أى جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان أى وهو الحرث بن أبى شمر أوجبلة بن الأيهم وكان الكتاب ملفوفا فى قطعة من الحرير فاذا فيه أما بعد فانه بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فيممت أى قصدت به التنور فسجرته بها أى ألقيته فيها أى والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين قال حتى اذا مضت اربعون ليلة جاءنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله ﷺ يامرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبى أى وهما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله أن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ، فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لايقربك قالت والله انه مابه حركة الى شئ والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا . قال كعب فقال لى بعض أهلى قال فى النور الظاهر ان القائل له امرأة لان النساء لم يدخلن فى النهى لان فى الحديث ونهى المسلمين وهذا الخطاب لايدخل فيه النساء فدل على ان المراد الرجال : قالت لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية ان تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدرينى مايقول لى رسول الله ﷺ اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله ﷺ قد آذن أى أعلم بتوبة الله علينا فلما جاءنى الرجل الذى سمعت صوته يبشرنى أى وهو حمزة بن عمرو الاوسى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله

لاأملك غيرهما يومئذواستعرت ، أى من أبى قتادةرضى الله عنه ثوبين فلبسهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا أى جماعة جماعة يهنئونى بالتوبة يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذارسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام الى طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره ولاأنساها لطلحة أى لانه صلى الله عليه وسلم كان آخى بينهما حين قدم المدينة ، قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان صلى الله عليه وسلم اذاسر استنار وجهه كأنه قطعة قمر فلماجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال : أبشر بخير يوم يمرعليك منذولدتك أمك ، قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله ، فقلت يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهوخير لك ، أى وكان المبشر لهلال بن أمية أسعد بن أسد، وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة أو سلامة بن وقش ، أى وفى البخارى عن كعب رضى الله عنه فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة ، وكانت أم سلمة رضى الله عنها محسنة فى شأنى معينة فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا وأنزل الله تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) الى قوله (وكونوا مع الصادقين) وقال فى حق من اعتذر له صلى الله عليه وسلم (سيحلفون بالله لكم) الى قوله (فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) واستشكل نزول الوحى بالقرآن فى بيت أم سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم فى حق عائشة رضى الله عنها مانزل على الوحى فى فراش امرأة غيرها وأجاب بعضهم بانه يجوز أن يكون ماتقدم فى حق عائشة كان قبل هذه القصة أوان الذى خصت به عائشة رضى الله تعالى عنها نزول الوحى فى خصوص الفراش لافى البيت ، وعن ابن عباس رضى الله عنهمافى قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الآية قال كانوا عشرة أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فلما رجع ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد منهم أبو لبابة ، فلما مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هؤلاء ، قالوا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولاأعذرهم حتى يكون الله هو الذى يطلقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ، فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا فأنزل الله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الآية فعند ذلك أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاءوا بأموالهم وقالوا يارسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ماأمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) الى قوله (وآخرون مرجون لأمر الله امايعذبهم واما يتوب عليهم) وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسوارى ، وتقدم أن أبا لبابة رضى الله عنه ربط نفسه ببعض سوارى المسجد فى قصة بنى قريظة ، وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه ، وقد ذكره ابن اسحق فليتأمل ذلك ، ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك وجد عويمرا العجلانى رضى الله عنه امرأته حبلى ، أى وهى خولة بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم

أي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك بن سحماء ابن عمه وقال رجدته على بطنها وانى ماقربتها منذ أربعة أشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان ، فقال يارسول الله أقسم بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى ماقربتها منذ أربعة أشهر . ودعا صلى الله عليه وسلم بالمرأة التي هي خولة وقال لها اتق الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه يأتى وشريكا يطيل السهر ويتحدث حملته الغيرة على ان قال ماقال فدعا شريكا وقال له ماتقول فقال مثل قول المرأة فأنزل الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالصلاة جامعة فلما صلى العصر ، أي وقد نودى بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام وقال أشهد بالله أن خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله انى ماقربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين ، ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالقعود ، وقال لخولة قومى فقامت فقالت أشهد بالله ماأنا زانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله مارأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله انى لحبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه مارآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة ان غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما اى قال له لاسبيل لك عليها . وهو دليل لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه القائل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن ، وما جاء في بعض الروايات انه طلقها ثلاثا قبل أن يأمره صلى الله عليه وسلم . أي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على انه ظن أن التلاعن لايحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا ، ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لاسبيل لك عليها . أي لاملك لك عليها فلا يقع طلاقك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جاء الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التي تصدق عويمرا فكان الولد ينسب الى أمه ، وفي البخارى ان عويمرا أتى عاصم بن عدى وكان سيد بنى عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يصنع سل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره النبي ﷺ تلك المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتنى بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها . أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسئلة اى لايحتاج اليها أي التي لم تكن وقعت لاسيما ان كان فيها هتك ستر مسلم أو مسلمة . قال لعويمر رضى الله عنه لم يكن وقع له مثل ذلك حينئذ ثم اتفق له وقوع ذلك بعد . فقال عويمر والله لاأنتهى حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاءه عويمر وهو وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ان تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان . وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها أي وذلك بعد أن ذكر له عويمر قصته وفي رواية

قدقضى فيك وفى امرأتك فتلاعنا ، وفيه أن هلال بن أمية أحد المتخلفين عن تبوك قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء ، أى وكانت حاملا فقال النبي ﷺ البينة زاد فى رواية أوحد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا يتكلف يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول والاحد فى ظهرك . فقال هلال والذى بعثك بالحق انى لصادق فلينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام أى بعدأن قال ﷺ . اللهم افتح ، أى بين لنا الحكم فأنزل الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) فأرسل ﷺ الى المرأة فجاءت وتلاعنا وعند الخامسة تلكأت ونكصت حتى ظن أنها ترجع ، أى لانه ﷺ قال لها انها أى اللعنة موجبة أى للعذاب فى الآخرة ، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، ثم قالت والله لاأفضح قومى سائر الايام وقالتها أى الخامسة أى وقال ﷺ ان جاءت به كذا فهو لهلال وان جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الوصف الذى ذكر أنه يكون لشريك فقال ﷺ لولا ماسبق من كتاب الله تعالى لكان لى ولها شأن ، وجهور العلماء على أن سبب نزول آية اللعان قصة هلال بن أمية وأنه أول لعان وقع فى الاسلام وذهب جمع الى أن سبب نزولها قصة عويمر العجلانى لقوله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا ، وأجيب بأن معناه مانزل فى قصة هلال لان ذلك عام فى جميع الناس . قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا فلعلهما سألا فى وقتين متقاربين أى وقال ﷺ فى كل اللهم افتح فنزلت هذه الآية فيهما وسبق هلال باللعان فكان أول من لاعن وفى مسلم أن سعد بن عبادة قال يارسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله قال رسول الله ﷺ لاقال سعد بلى والذى أكرمك بالحق * وفى رواية كلا والذى بعثك بالحق ان كنت لأعاجله بالسيف . وفى لفظ لضربته بالسيف من غير صفح ، أى بل أضربه بحده فقال رسول الله ﷺ اسمعوا الى مايقول سيدكم وليس ذلك من سعد رضى الله تعالى عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو اخبار عن حاله ، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير منى فأخبر صلى الله عليه وسلم عن سعد بأنه غيور وأنه صلى الله عليه وسلم أغير منه وأن الله أغير منه صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم جاء فى الحديث لاأحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، ولا أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك ، عدالجنة ليكثر سؤال العباد اياها والثناء منهم عليه وفى تفسير الفخر الرازى رحمه الله لاشخص أغير من الله . و به استدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى وفى الحلية لابى نعيم رحمه الله عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ياأبا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال كنت فاعلا به شرا ، ثم قال ﷺ ياعمر أرأيت لووجدت رجلا ، أى مع زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرأ ﷺ (والذين يرمون أزواجهم) الآية وفى الام لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه أن رجلا من أهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله فرفع الامر الى معاوية رضى الله تعالى عنه فاشكل على معاوية القضاء فيها فكتب معاوية الى أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أن يسأل عن ذ[illegible] على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاستخبر على أبا موسى عن القصة فأخبره أبوموسى أن [illegible] فقال على كرم الله وجهه أنا أبو الحسن ان لم يأت بأربعة شهداء

قتلناه فليتأمل ، وفى الخصائص الكبرى أن فى غزوة تبوك اجتمع ﷺ بالياس . فعن أنس رضى الله تعالى عنه سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد ﷺ المرحومة المغفور لها المستجاب لها ؛ فقال النبى ﷺ يا أنس أنظر ماهذا الصوت ، قال أنس رضى الله تعالى عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع ، فلما رآنى قال أنت خادم رسول الله ﷺ . قلت نعم ، قال ارجع اليه واقرأه السلام وقل له أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت الى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فجاء ﷺ يمشى وأنا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم النبى صلى الله عليه وسلم وتأخرت أنا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شئ شبه السفرة ودعانى فأكلت معهما قليلا فاذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس ، فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر الى بياض ثوبه فيها ، قال الحافظ ابن كثير هذا حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه ، وأطال فى بيان ذلك والعجب من الحاكم كيف يستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على الحاكم ، وفى النور لم يجئ فى حديث صحيح اجتماعه ﷺ بالياس وفى الجامع الصغير الياس أخو الخضر وفى تفسير البغوى أربعة من الانبياء أحياء الى يوم البعث اثنان فى الارض وهما الخضر والياس ، أى والياس فى البر والخضر فى البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذى القرنين يحرسانه . وأكلهما الكرفس والكمأة ، واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وعن ابن اسحق الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل ، أى وقد يقال لاينافى ذلك ماتقدم أنهما أخوان لجواز أن يكونا أخوين لام ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه لنفس أن الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله ﷺ فى يوم من الايام ولو كان حيا فى زمان رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله اجتماعه به ﷺ ، وفى الخصائص الكبرى عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال خرجت ليلة مع النبى ﷺ أحمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم أعنى على ماينجينى مما خوفتنى منه ، فقال رسول الله ﷺ يا أنس ضع الطهور وأت هذا فقل له ادع لرسول الله ﷺ أن يعينه الله على مابعثه به وادع لأمته أن يأخذوا ماأتاهم به من الحق فأتيته فقلت له ، فقال مرحبا برسول الله ﷺ أنا كنت أحق أن آتيه اقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام وقل له أخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام ، فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلنى من هذه الامة المرحومة المتاب عليها . قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه الصلاة والسلام نبينا ﷺ ولم يلقه ، قال السيوطى فى اللآلىء . قلت قد أخرج هذا الحديث الطبرانى فى الاوسط . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الاصابة قد جاء من وجهين ؛ وفى الخصائص الصغرى ومن خصائصه ﷺ أنه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء عليهم الصلاة والسلام الا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم بالباطن ، وقد نص العلماء على ان غالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الامور وحقائقها . ومن ثم أنكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر ﷺ فى قتله الغلام بقوله لقد جئت شيئا نكرا ، قال له الخضر عليه

الصلاة والسلام ومافعلته عن أمرى ، ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام انى على علم من عند الله لا ينبغى لك أن تعلمه ، أى تعمل به لانك لست مأمورا بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغى لى ان أعلمه ، أى لا ينبغى لى أن أعمل به لانى لست مأمورا بالعمل به ، وفى تفسير أبى حيان والجمهور على ان الخضر نبى وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت اليه ، أى ليعمل بها وعلم موسى عليه الصلاة والسلام الحكم بالظاهر ، أى دون الحكم بالباطن ونبينا ﷺ حكم بالظاهر فى أغلب أحواله وحكم بالباطن ، أى فى بعضها بدليل قتله ﷺ للسارق وللمصلى لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما مايوجب القتل . وقد ذكر بعض السلف رحمه الله ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين يموتون فجأة هو الذى يقتلهم فان صح ذلك فهو فى هذه الامة بطريق النيابة عن النبى ﷺ فانه عليه الصلاة والسلام صار من أتباعه ﷺ كما أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من اتباعه ، وفيه أن عيسى عليه الصلاة والسلام اجتمع به ﷺ اجتماعا متعارفا ببيت المقدس فهو صحابى ، وجاء فى حديث مطعون فيه ، أى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام يجتمعان فى كل عام ، أى فى الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قالها حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات عوفى من السرق والحرق والعرق ، من السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب ، وعن على كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب الاسباط والله أعلم

باب سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه

لا يخفى ان ما كان فيه رسول الله ﷺ يقال له غزوة وماخلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فأكثر فان كان واحدا قيل له بعث وربما سموا بعض السرايا غزوة كما فى مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة وكما فى سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطى فى الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو فى الاصل كثير وربما سموا الاثنين فأكثر بعثا ، ومنه قول الاصل كالبخارى بعث الرجيع وظاهر كلامهم أنه لا فرق فى ذلك بين أن يكون ارسال ذلك لقتال أو لغير قتال كتجسس الاخبار أو لتعليمهم الشرائع كما فى بئر معونة والرجيع ، أو للتجارة كما فى سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقيه بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتى ؛ والسرية فى الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ، ثم تعود اليه خرجت ليلا ونهارا وقيل السرية هى التى تخرج ليلا . والسارية هى التى تخرج نهارا وهى من مائة الى خمسمائة وقيل الى أربعمائة ، أى وفى القاموس السرية من خمسة أنفس الى ثلثمائة أو أربعمائة ، وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلثمائة أو الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون ، فان زاد على ذلك الى أربعة آلاف قيل له جيش أى وقيل الجيش من ألف الى أربعة آلاف ، فان زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أى الى اثنى عشر ألف ، والبعث فى الاصل طائفة تخرج من السرية ، ثم تعود اليها وهو من عشرة الى أربعين يقال له حفيرة

ومن أربعين الى ثلثمائة يقال له معنقب ومازاد على ذلك يسمى جمرة ، قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ خير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وماهزم قوم بلغوا اثنى عشر ألفا من قلة اذا صدقوا وصبروا أي فلا يرد انهزام القدر المذكور يوم حنين ، قال في الاصل وكانت سراياه ﷺ التي بعث بها سبعا وأربعين سرية وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، قال الشمس الشامي والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين اهـ أي وكان ﷺ اذا أمر أميرا على سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله و بمن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، والوليد الصبي ، أي مالم يقاتل كالنساء والا قاتلوا * وفي رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة وهذا عند العمد فلا ينافي أنه يجوز الاغارة على المشركين ليلا وان لزم على ذلك قتل الصبيان والنساء والشيوخ * فقد روى الشيخان سئل ﷺ عن المشركين يبيتون ، أي يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم ، وكان ﷺ يقول من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ولا سمع ولا طاعة في معصية الله ، وكان ﷺ يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ، ومن جملة وصيته ﷺ لمن يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم أدعهم الى الاسلام فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، ومن جملة قوله ﷺ للسرايا بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ، ولما بعث ﷺ معاذ بن جبل وأباموسى رضي الله تعالى عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا و بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا

سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه

بعث رسول الله ﷺ عمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه ﷺ لم يبعث من الانصار الا بعد أن غزا بهم بدرا : أي وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة وعقد له ﷺ لواء أبيض ، وهو أول لواء عقد في الاسلام حمله أبو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ، ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضي الله تعالى عنه ليعترض عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة ، وفيها أبو جهل لعنه الله في ثلثمائة رجل وقيل في مائة وثلاثين فسار رضي الله تعالى عنه الى أن وصل سيف البحر ، أي بكسر السين المهملة واسكان المثناة تحت . بمعنى ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين وأطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال ، ولما عاد حمزة رضي الله تعالى عنه الى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر ، أي بأن مجديا حجز بينهم وأنهم رأوا منه نصفة قال ﷺ في مجدي انه ميمون النقيبة : أي مبارك النفس مبارك الامر وقال سعيد أو رشيد الامر أي أموره ناجحة ولم يقع له اسلام أي رفي الامتاع وقدم رهط مجدي على النبي ﷺ فكساهم

سرية عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه

بعث رسول الله ﷺ على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحرث رضى الله تعالى عنه فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين منهم سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة رضى الله تعالى عنه ليعترض عيرا لقريش وكان رئيسهم أباسفيان وقيل عكرمة بن أبى جهل . وقيل مكرز بن حفص فى مائتى رجل فوافوا العير ببطن رابغ أى ويقال له ودان فلم يكن بينهم الا المناوشة برمى السهام ، أى فلم يسلوا السيف ولم يصطفوا للقتال ، وكان أول من رمى من المسلمين سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه فكان سهمه أول سهم رمى به فى الاسلام ، أى كما ان سيف الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه أول سيف سل فى الاسلام ، فى كلام ابن الجوزى أول من سل سيفا فى سبيل الله الزبير بن العوام ، وقد ذكر ان سعدا رضى الله تعالى عنه تقدم أصحابه ونثر كنانته ، وكان فيها عشرون سهما مامنها سهم الا ويجرح انسانا أودابة ، أى لو رمى به لصدق رميه وشدة ساعده رضى الله تعالى عنه ، ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو ، أى الذى يقال له ابن الأسود وعيينة بن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين فعلم أن سرية عبيدة بن الحرث رضى الله تعالى عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه وقيل بل هى قبلها . وكلام الأصل يشعر به ويؤيده قول ابن اسحق كانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام . قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة رضى الله تعالى عنهما كانا معا . أى فى يوم واحد فى محل واحد ، أى وشيعهما رسول الله ﷺ جميعا كما فى ذخائر العقبى فاشتبه الأمر ، فمن قائل يقول ان راية حمزة رضى الله تعالى عنه أول راية عقدت فى الاسلام وان بعثه أول البعوث ومن قائل يقول ان راية عبيدة رضى الله تعالى عنه أول راية عقدت فى الاسلام وان بعثه أول البعوث . لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم ، وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم ، وبما ذكر ان بعثهما معا الى آخره يرد ما أجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بأنه يحتمل أنه ﷺ عقد رايتهما معا وتأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية أشهر لأمر اقتضى ذلك هذا كلامه ، الا أن يقال يجوز أن يكون المراد بعثهما معا أمرهما بالخروج وأن المراد بتشييعهما جميعا . أن كلا منهما وقع له التشييع منه ﷺ وذلك لا يقتضى أن يكون ذلك فى وقت واحد تأمل ، وفى هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة انهما مترادفان ، وتقدم انه لم يحدث له اسم الراية الا فى خيبر ، أى وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا الالوية ، وما هنا يرده ، وفى كلام بعضهم كانت رايته ﷺ سوداء ولواؤه أبيض كما فى حديث ابن عباس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما زاد أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله

سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه

الى الخرار بفتح الخاء المعجمة وراءين مهملتين . وفى النور بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء الأولى

بعث رسول الله ﷺ على رأس تسعة أشهر من الهجرة سعد بن أبى وقاص فى عشرين من المهاجرين ، أى وقيل ثمانية وعقدله لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو قال والخرار واد يتوصل منه الى الجحفة ، وقدعهد ﷺ اليه أن لايجاوزه ليعترض عيرا لقريش تمر بهم فخرجوا يمشون على أقدامهم يكمنون النهار و يسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور فى صبح خمس فوجدوا العير قدمرت بالأمس فانصرفوا راجعين الى المدينة اه ، وقدذكرابن عبدالبر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الأولى ، وفى السيرة الشامية الباب السادس فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه الى الخرار وساق ما تقدم ، وقال بعده الباب السابع فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه . روى الامام أحمد عنه . قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جهينة ، فقالوا له انك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فأسلموا و بعثنا ﷺ ولا نكون مائة ، وكان ذلك فى رجب أى من السنة الثانية ، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نغير على حى من كنانة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فنعونا ، وقالوا لم تقاتلون فى الشهر الحرام ، فقال بعضنا لبعض ماترون ، فقال بعضنا نأتى رسول الله ﷺ فنخبره ، وقال بعض آخر لانقيم ههنا ، وقلت أنا فى أناس معى بل نأتى عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير وانطلق بعض أصحابنا الى رسول الله ﷺ فاخبروه الخبر ، فقام رسول الله ﷺ غضبان محمرا وجهه ، فقال جئتم متفرقين ، وانما أهلك من قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبدالله ابن جحش أميرا فامره علينا لنذهب الى جهة نخلة بين مكة والطائف

سرية عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه

الى بطن نخلة ، قال لما صلى رسول الله ﷺ العشاء الأخيرة ، قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته ، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاة الصبح وجده واقفا عند بابه فدعا رسول الله ﷺ أبى بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ثم دعا عبدالله بن جحش رضى الله تعالى عنه فدفع اليه الكتاب . وقال له قداستعملتك على هؤلاء النفر اه ، أى وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فلما ذهب لينطلق بكى صبيابة الى النبى ﷺ فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ، أى فهو أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين ثم بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولاينافى ذلك قول بعضهم أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أوأن هذا أمير جميع المؤمنين وذاك أمير من معه من المؤمنين خاصة ، فقد جاء أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يكتب ولامن خليفة أبى بكر فاتفق أن عمر رضى الله تعالى عنه أرسل الى عامل العراق أن يبعث اليه برجلين جلدين يسألهما عن أهل العراق فبعث اليه بعبد بن ربيعة وعدى بن حاتم الطائى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه ، فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال مابدالك فى هذا الاسم فأخبره الخبر وقال أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فأول من سماه بذلك عبد بن ربيعة وعدى

ابن حاتم وقيل أول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين فقد كتب رضى الله تعالى عنه بذلك الى نيل مصر فان عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور العجم دخل اليه أهل مصر وقالوا له أيها الامير اذا كان أحد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل ؛ أى ليجرى ، فقال لهم عمرو رضى الله تعالى عنه ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فاقاموا مدة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالجلاء منها فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه كتابا وكتب بطاقة فى داخل الكتاب ، وقال فى الكتاب قد بعثت اليك بطاقة فى داخل الكتاب فالقها فى نيل مصر ، فلما قدم الكتاب أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله هو الذى يجريك فاسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم وكان أولئك النفر ثمانية أى وقيل اثنى عشر من المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن أبى وقاص وعيينة بن غزوان وكانا يعتقبان بعيرا ومنهم وافد بن عبد الله ومنهم عكاشة بن محصن وأمر ﷺ عبد الله أن لا ينظر فى ذلك الكتاب حتى يسير يومين ؛ أى قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه أى على السير معه . أى وقد عقد له ﷺ راية . قال ابن الجوزى أول راية عقدت فى الاسلام راية عبد الله بن جحش . أى بناء على ان الراية غير اللواء ، وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بان اسم الراية انما وجد فى خيبر . قال ابن الجوزى رحمه الله وهو أول أمير أمر فى الاسلام . وفيه انه مخالف لما سبق الا أن يريد أول من تسمى أمير المؤمنين فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فأت حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكره أحدا من أصحابك على السير معك . أى ولفظ الكتاب سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لأمرى حتى تأتى بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم فلما قرأ الكتاب على أصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى ، أى وجعل البخارى دفعه ﷺ الكتاب لعبد الله ليقرأه ويعمل بما فيه دليلا على صحة الرواية بالمناولة وهى أن الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن له أن يحدث عنه بما فيه . وممن قال بصحة [illegible] سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه . روى اسماعيل بن صالح عنه انه أخرج لهم كتبا مشدودة وقال لهم هذه كتبى صححتها ورويتها فارووها عنى ؛ فقال له اسمعيل بن صالح نقول حدثنا مالك فقال نعم . وفى لفظ ان عبد الله رضى الله عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة ، أى بعد ان استرجع ثم قال لأصحابه وقال لهم من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضوا [illegible] يتخلف منهم أحد حتى اذا كانوا ببحران بفتح الموحدة [illegible] أضل سعد بن أبى وقاص وعيينة بن غزوان بعيرهما فتخلفا فى طلبه ومضى [illegible] عبد الله [illegible] حتى نزل نخلة فمرت عير لقريش . أى تحمل زبيبا [illegible] فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة

واخوه

وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله وأصحابه وتخوفوا منهم فأشرف عليهم عكاشة ابن محصن وكان قد حلق رأسه أي وتراءى لهم ليظنوا انهم عمارا فيطمئنوا ، أي وذلك بارشاد عبد الله ابن جحش رضي الله عنه فانه قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فلما رأوا رأسه محلوقا قالوا عمار . أي هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم ، وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب ، أي وقيل أول يوم منه ، ويدل للاول ما جاء ان عبد الله تشاور مع أصحابه فيهم ، فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم في هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم في هذا اليوم تقتلوهم في الشهر الحرام ، أي وكان ذلك قبل ان يحل القتال في الشهر الحرام فان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان معمولا به من عهد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لاهل مكة فان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة ان يجعل الله أفئدة من الناس تهوى اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب ، أما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين لمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع ، وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الآخر للاياب لان العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوما . ذكره السهيلي ، ولم يزل تحريم القتال في تلك الاشهر الحرم الى صدر الاسلام ، وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو ان لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم وان لا يحج مشرك واباحة القتال في الاشهر الحرم ، أي مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها خلافا لما نقل عن عطاء من ان حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ . ويدل للثاني ما في الكشاف وكان ذلك اليوم أول يوم من رجب وهم يظنون انه من جمادى الآخرة فتردد القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا أنفسهم عليهم ثم أجمع رأيهم على قتل من لم يقدروا على أسره ، أي وأخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان والحكم فهما أول أسير أسره المسلمون وأفلت بفتح الهمزة باقي القوم . أي وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب ، أي بناء على ما تقدم . واستاق عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم العير حتى قدموا على رسول الله ﷺ وهو أول غنيمة غنمها المسلمون . فقال لهم رسول الله ﷺ ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وأبى أن يستلم العير والأسيرين ، فسقط بالبناء للمجهول في أيديهم . أي ندموا وعنفهم إخوانهم من المسلمين . وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ، أي وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم يا معشر الصبأة قد استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وزادوا في التشنيع والتعيير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ فيقولون لقتيل عمرو الحضرمي والقاتل واقد . فيه عمرو بفتح العين المهملة وسكون الميم الحرب أي حضرت الحرب ووقدت الحرب فكان ذلك الفأل عليهم لا لهم وصعب ذلك على عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) أي عظيم وزر (وصد عن سبيل الله) أي منع الناس عن دين الله (وكفر به والمسجد الحرام) أي ومنع الناس عن مكة

واخراج أهله منه وهم النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين منه من أكبر عند الله أعظم وزرا والفتنة الشرك أى الذى أنتم عليه أوجعلكم من أسلم على الكفر بالتعذيب له أكبر من القتل لكم فيه أى صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وأنتم أهلها وفتنة من أسلم بحيث يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر أكبر من قتل من قتلتم منهم ، ففرج عن عبد الله وأصحابه رضى الله عنهم أى وهذا كما ترى يدل على انهم قتلوا مع علمهم بأن ذلك اليوم من رجب ويضعف ماتقدم عن الكشاف الموافق لما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب محمد كانوا يظنون ان ذلك اليوم آخر جمادى ، وكان أول رجب ولم يشعروا أى لان جمادى يجوز ان يكون ناقصا ، وفيه انه لو كان الامر كذلك لاعتذر عبد الله وأصحابه رضى الله تعالى عنهم بذلك ، وجاء ان المسلمين اختلفوا فى ذلك اليوم فمن قائل منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندرى أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا ، وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشتملتم عليه ويذكر أنه ﷺ عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته ويضعفه ماتقدم فى غزوة بدر من أن أخاه طلب ثأره ، وكان ذلك سببا لاثارة الحرب وان عتبة بن ربيعة أراد أن يتحمل ديته ويتحمل جميع ما أخذ من العير وان تكف قريش عن القتال وحينئذ تسلم رسول الله ﷺ العير والاسيرين ، وطمع عبد الله وأصحابه فى حصول الاجر وسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) أى فقد أثبت لهم الجهاد فى سبيل الله ثم ان رسول الله ﷺ قسم ذلك العير وخمسه ، أى جعل خمسه لله وأربعة أخماسه للجيش ، وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع غنائم بدر ؛ وقيل ان عبد الله هو الذى خمسها . أى فانه رضى الله عنه ، قال لاصحابه ان لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فأخرج خمس ذلك لرسول الله ﷺ ، أى عزله له وقسم سائرها بين أصحابه رضى الله عنهم وحينئذ يكون ماتقدم من قوله وأبى أن يتسلم العير ، الظاهر فى أن العير لم تقسم ، المراد خمس تلك العير وهو أول غنيمة خمست فى الاسلام ؛ أى قبل فرضه ثم فرض على ماصنع عبد الله رضى الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وعبد الله بن جحش أوّل من سنّ الخمس من الغنيمة للنبى ﷺ من قبل أن يفرض الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس (واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه) الآية ، وانما كان قبل ذلك المرباع هذا كلامه ، والمرباع ربع الغنيمة وتقدم ان الفىء والغنيمة يطلق أحدهما على الآخر ، وفى كلام فقهائنا ان الغنيمة كانت فى صدر الاسلام له ﷺ خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميس وبعثت قريش الى رسول الله ﷺ فى فداء عثمان والحكم ، فقال رسول الله ﷺ لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعيينة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما ، فان قتلتموهما نقتل صاحبيكم فان سعدا وعيينة رضى الله عنهما لم يحضروا الوقعة بسبب لتماسهما بعيرهما ، وقد مكثا فى طلبه أياما ثم قدما فأفدى رسول الله ﷺ الأسيرين أى كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا . أى وعن المقداد أنا أسرته فأراد أميرنا يعنى عبد الله بن جحش ان يقتل الحكم . فقلت دعه فقدم به على رسول الله ﷺ وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا * بعث . وفى الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطى

سرية عمير بن عدى

الخطمى الضرير الى عصماء ، أى بالمد بنت مروان اليهودية وكانت متزوجة فى بنى خطمة وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصارى أسلم بعد ذلك رضى الله عنه ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير ابن عدى الخطمى ، وهو أول من أسلم من بنى خطمة الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تسب الاسلام وتؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فى شعر لها ، وتحرض عليه فجاءها عمير فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبى ترضعه فجسها بيده ونحى الصبى عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان ، فقال نعم فهل على فى ذلك من شىء ؟ فقال لا ينتطح فيها عنزان أى الامر فى قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التى لم تسمع الا من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد جمع غالبها فى النور فى هذا المحل ، قال وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا بالبصير لان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال انظروا الى هذا الاعمى الذى يسرى فى طاعة الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكن البصير * وفى رواية أنه ﷺ لما قال ألا رجل يكفينا هذه يعنى عصماء بنت مروان ، فقال عمير بن عدى أناها فأتاها وكانت تمارة أى تبيع التمر ، فقال لها أعندك أجود من هذا التمر لتمر بين يديها قالت نعم فدخلت الى البيت وانكبت لتأخذ شيئا من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم يشعر بأحد فضرب رأسها حتى قتلها ، فليتأمل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف ﷺ من صلاته نظر اليه ، فقال له أقتلت ابنة مروان . قال نعم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أحببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير ، فلما رجع عمير الى منزل بنى خطمة وجد بنيها فى جماعة يدفنونها ، فقالوا يا عمير أنت قتلتها ؛ قال نعم (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) والذى نفسى بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام فى بنى خطمة وكان يخفى اسلامه من أسلم منهم ، لكن جاء فى رواية انها كانت تلقى خرق الحيض فى مسجد بنى خطمة فليتأمل * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما أهدر دم عصماء نذر عمير ان رد الله رسوله ﷺ من بدر الى المدينة سالما ليقتلنها ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة عدا عليها عمير رضى الله تعالى عنه فقتلها . وفى كلام السهيلى رحمه الله ان الذى قتل عصماء بعلها ، وقد يقال لا مخالفة لان عميرا رضى الله عنه جاز أن يكون كان بعلا لها قبل مرثد ابن زيد ، وذكر فى الاستيعاب فى ترجمة عمير رضى الله عنه انه قتل أخته لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمها * أقول الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عدى الا ان يقال انها أخته لامه ويبعده ما تقدم من انه كان زوجها والله أعلم * بعث وفى الاصل تبعا شيخه الحافظ الدمياطى

سرية سالم بن عمير الى أبى عفك

أى والعفك بفتح العين المهملة وبالفاء وبالكاف أى الحق أى أبى الحق اليهودى . قال صلى الله عليه وسلم يوما من لى بهذا الخبيث يعنى أبا عفك . أى من ينتدب الى قتله وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة

وعشرين سنة ؛ وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعيبه فى شعره ، فقال سالم بن عمير رضي الله عنه : أى وهو أحد البكائين ؛ وقد شهد بدرا على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فطلب له غرة أى غفلة ، فلما كانت ليلة صائفة أى شديدة الحر نام أبو عفك بفناء بيته ، أى خارجه فعلم بذلك سالم رضي الله عنه فأقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف فى الفراش وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب ، فقام الى أبى عفك ناس من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحق قدم هذا البعث على بعث عمير

سرية عبد الله بن مسلمة رضى الله عنه

الى كعب بن الاشرف الاوسى ؛ أى فان اباه أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف منهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطى أحبار اليهود و يصلهم ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أحبار يهود من بنى قينقاع و بنى قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا هو الذى كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيئا ، فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير فرجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثيرة فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا اليه وقالوا له انا أعجلناك فيما أخبرناك به ، ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيئا من ماله ؛ وهذا نزل فيه قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما) استودعه شخص دينارا فجحده كذا فى تكملة الجلال السيوطى ، وفى الكشاف وفروعه انها نزلت فى فنحاص ابن عازوراء ، وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة ؛ ولما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنهما مبشرين لأهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش صار كعب يكذب فى ذلك ويقول هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها ، أى كما تقدم . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين و يمدح عدوهم و يحرضهم عليه و ينشد الاشعار و يبكى من قتل ببدر من أشراف قريش فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى ابن الاشرف بما شئت ، ثم رجع الى المدينة أى بعد ان لم يجد من يأوى رحله بمكة . أى لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة وأكرمته زوجة عبد المطلب وهى عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته فه... بالعهما هجاء حسان ألقت رحله ، وقالت مالنا ولهذا اليهودى ، وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضى الله عنه... وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله ، أى ويقال انه خرج ... من ... اليهود الى مكة يحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبى سفيان ... انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا ... والذين آمنوا به فعلوا فأنزل الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) أى وحالفهم عند أستار الكعبة على قتال

المسلمين

المسلمين فخرج من مكة للمدينة ، فلما وصل الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين أى يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن ، أى وقيل ان كعب بن الاشراف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود ان يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به ، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستره بجناحه حتى خرج ، فلما فقدوه تفرقوا ولامانع من تعدد الاسباب ، فقال رسول الله ﷺ من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف ، وفى لفظ من لنا بابن الاشرف ، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، أى وفى رواية انه يؤذى الله ورسوله ، وفى أخرى فانه قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا ، أى فان أبا سفيان قال لكعب فانك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم ، فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث ، فقال كعب لعنه الله أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه ، فقال ﷺ محمد بن مسلمة الاوسى أنا لك به يارسول الله هو خالى لان محمد بن مسلمة ابن أخته أنا أقتله وأجمع ، أى عزم على ذلك هو وأربعة أى من الاوس عباد بن بشر وأبو نائلة وكان رضى الله عنه أخا لكعب بن الاشرف من الرضاعة والحرث بن عيسى والحرث بن أوس ومكث محمد بن مسلمة رضى الله بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لايأكل ولايشرب الا ماتقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر ، ثم قال يارسول الله لابد لنا أن نقول أى نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب أن يقول لابد لنا أن نتقول أى نخترع ما نحتال به عليه ، فقال قولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فأباح ﷺ لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم ، وقيل انه ﷺ أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن ، فتقدمهم الى كعب أبو نائلة رضى الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا اشعرا ثم قال ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ان أذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة نقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس ، أى وسألنا الصدقة ونحن لانجد ما نأكل وسائر ماعندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه . فقال كعب لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ماتقول ، أى ثم قال له كعب اصدقنى ما الذى تريدون فى أمره قال خذلانه والتنحى عنه قال شر تبين بان لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل . فقال أبو نائلة ، وقيل محمد بن مسلمة كما فى رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان كلا منهما قاله انى أريد أن تبيعنى وأصحابى طعاما وترهننا وتوثق لك فقال أترهنونى أبناءكم * وفى رواية نساءكم قال أردت أن تفضحنا رهنتك من الحلقة أى السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة مافيه وفاء . وقد أردت ان آتيك بصحابى أراد بذلك لترضى منه . أى لئلا ينكر كعب السلاح اذا جاء به هو وأصحابه . فقال ان فى الحلقة لوفاء . أى وفى البخارى ، قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد فى رواية ولا نأمنك عليهن . وأى امرأة تمتنع منك لجمالك فانك تعجب النساء قال فارهنونى أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم . فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة أى السلاح فرجع أبو نائلة رضى الله عنه الى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم ان يأخذوا السلاح . ثم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده

متوجهين الى كعب نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته أى وأمر عليهم محمد بن مسلمة ، وكانت تلك الليلة مقمرة فأقبلوا رضى الله عنهم حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضى الله عنه ، وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها أى طرفها . وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لاينزلون فى مثل هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما لا يوقظنى فقالت والله انى لأعرف فى صوته الشر ، أى وفى البخارى فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فانى أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، وفى مسلم كأنه صوت دم أى صوت طالب دم قال انما هو ابن أختى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لأجاب كذا فى البخارى ، وفى مسلم انما هو محمد ورضيعه ، قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه أبو نائلة ، فقد ذكر أهل العلم ان أبا نائلة رضى الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أى وهو ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ، ثم تماشوا ثم ان أبا نائلة رضى الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده : وقال مارأيت طيبا أعطر من هذا الطيب . أى فقال وكيف وعندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب ، وفى لفظ وأجمل بدل أكمل وهى أشبه فقال له ياأبا سعيد ادن منى رأسك أشمه وأمسح به عينى ووجهى ثم مشوا ساعة ثم عاد أبو نائلة لوضع يده على رأسه واستمسك به وقال اضربوا عدوّ الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئا أى وقع بعضها على بعض ولصق عدوّ الله بابى نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا وعليه نار ، قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه فوضعت سيفى فى ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع ، أى ولما صاح اللعين صاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين نخرجت اليهود فأخذوا على غير طريق الصحابة ففاتوهم . قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه وأصيب الحرث بن أوس من بعض أسيافنا فى رجله ورأسه ، ونزف به الدم فتخلف عنا ، أى وناداهم اقرءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام فعطفوا عليه واحتملوه ، وفى رواية تخلف عن أصحابه فافتقدوه ورجعوا اليه فاحتملوه قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا وأخبرناه ، بقتل عدوّنا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه ، قال وفى رواية انهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشتدّون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تلك الليلة . فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبّر وعرف انهم قد قتلوا عدوّ الله ، وخرج الى باب المسجد فجاءوا فوجدوا رسول الله ﷺ واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله ﷺ أفلحت الوجوه ، قالوا أفلح وجهك يارسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله ، أى وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فأتوا النبى ﷺ فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه وأذيته المسلمين فازدادوا خوفا

سرية عبد الله بن عتيك رضى الله عنه

لقتل أبى رافع سلام بالتخفيف ابن أبى الحقيق على وزن نصير بالتصغير و بالحاء المهملة الخزرجى أى وفى البخارى ان رافع عبد الله بن أبى الحقيق و يقال له ، سلام بن أبى الحقيق كان بخيبر وكان تاجر

أهل الحجاز لما قتلت الأوس أى عبد الله بن مسلمة وأبو نائلة ، ومن تقدم معهما كعب بن الأشرف
تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الأشرف فى العداوة لرسول الله ﷺ من الخزرج فذكروا
أبا رافع سلام بن أبى الحقيق ، أى لأنه كان يؤذى رسول الله ﷺ ، أى وعن عروة أنه كان ممن
أعان غطفان وغيرهم من مشركى العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى
حزب الاحزاب يوم الخندق لان الأوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب الى الله والى رسوله صلى
الله عليه وسلم لاتفعل الأوس شيئا من ذلك الافعلت الخزرج نظيره و بالعكس ويقولون والله لايذهبون
بهذا فتيلا علينا فى الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس
وأبو قتادة واستأذنوا رسول الله ﷺ فى ذلك أى فى ان يتكلموا بما يتوصلون به اليه من
الحيلة فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وأمرهم أن لايقتلوا وليدا ولا امرأة فخرجوا حتى
أتوا خيبرا فتسوروا دار أبى رافع ليلا فلم يدعوا بيتا فى الدار الا أغلقوه على أهله وكان أبو رافع فى
علية لها درجة أى سلم من الخشب من محل يصعد عليه الى تلك العلية فطلعوا فى تلك الدرجة
حتى قاموا على باب تلك العلية فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا ناس من العرب
نلتمس الميرة ، وفى لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح
وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلوا عليه أغلقوا
عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على فراشه مادلهم عليه فى الظلمة الا بياضه كأنه قبطية بيضاء
فابتدروه بأسيافهم ووضع عبد الله بن أنيس رضى الله عنه سيفه فى بطنه وتحامل عليه حتى أنفذه
وهو يقول قطنى قطنى أى يكفينى وعند ذلك صاحت المرأة قال بعضهم ولما صاحت المرأة جعل
الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده قال . وفى رواية
ان المرأة لما رأت السلاح أرادت ان تصيح فأشار اليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه بأسيافنا
وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثئا
شديدا أى جرحت جرحا شديدا . وفى لفظ قد انكسرت ساقه وفى آخر فانخلعت رجله فعصبها بعمامته
والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه
وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا وأما قول ابن اسحق رحمه الله
فوثئت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم . وفى السيرة الهشامية فوثئت يده وقيل رجله وقد يقال
لامانع من حصولهما : قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه . أى وذلك المحل من أفنيتهم التى
يلتقون فيها كناستهم . وفى لفظ أنهم كمنوا فى نهر من عيونهم حتى سكن الطلب وقد يقال لامخالفة
لانهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يطلبونهم : أى وفى لفظ فخرج الحرث فى ثلاثة آلاف فى آثارهم
يطلبونهم بالنيران حتى اذا أيسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال بعضنا
لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات فقال رجل منهم أنا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل فى الناس
قال فوجدت امرأته تنظر فى وجهه وفى يدها المصباح ورجال يهود حوله وهى تحدثهم وتقول أما
والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى ، أى وعلى الرواية الآتية أنه أكذبها ثم أقبلت
تنظر فى وجهه ثم قالت فاضت واله يهود ، أى خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسى
منها ثم جئت وأخبرت أصحابى واحتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله ﷺ . وفى

رواية ان ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب . وقال لااخرج الليلة حتى أعلم انى قتلته أولا فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال انعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلق يحجل الى أصحابه وقال قد قتل الله أبا رافع فأسرعوا وليتأمل هذا مع ماقبله ، وقوله أنعى هو بفتح العين ، وقيل والصواب انعوا والنعى خبر الموت والاسم الناعى . ويقال له الناعية ، وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وصار يذكر أوصافه ومآثره ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولامنافاة بين كونه انطلق يحجل الى أصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز أن يكون عند وقوعه وحصول ماتقدم له لم يحس بالألم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل ، ومن ثم جاء فى بعض الروايات فقمت أمشي مابى قلبة ، أى علة مهلكة . فلما وصل الى أصحابه وعاد عليه المشي أحس بالألم فحمله أصحابه وهذا السياق يدل على أن الذى قتله عبدالله بن عتيك وحده وهو مافى البخارى ، وفى رواية أن الذى كسرت رجله أبوقتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا نسى أبوقتادة قوسه فرجع اليها وأخذها فأصيبت رجله فشدها بعمامته ولحق بأصحابه ، وكانوا يتناوبون حمله حتى قدموا المدينة على النبي ﷺ فسحها فبرئت ، أى وقال لما رآنا أفلحت الوجوه : قلنا أفلح وجهك يارسول الله وأخبرناه بقتل عدوّالله ، واختلفنا عنده ﷺ فى قتله كل منا ادعاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر اليها . فقال لسيف عبدالله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام قال والثابت فى الصحيح كما علمت أن عبدالله بن عتيك هو الذى انفرد بقتله وأن عدوّالله كان بحصن بأرض الحجاز ولامنافاة لان خيبر من الحجاز ، أى من قراه وريفه . فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم . قال عبدالله لأصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته ، وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبدالله ناداه بذلك كما ينادى الشخص شخصا لايعرفه وهو يظن أنه من أهل الحصن ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت . فلما أغلق الباب علق المفاتيح قال ثم أخذتها وفتحت الباب ، وكان أبورافع يسمر عنده . فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته علىّ من داخله حتى انتهيت اليه : فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لاأدرى أين هو من البيت . قلت أبارافع ، قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت ، أى وعند ذلك قالت له امرأته ياأبارافع هذا صوت عبدالله بن عتيك . فقال ثكلتك أمك وأين عبدالله بن عتيك قال ابن عتيك . ثم عدت وقلت ماهذا الصوت ياأبارافع فقال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى بالسيف فعمدت اليه فضربته أخرى فلم تغن شيئا فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتى واذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم . ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلى فعصبتها بعمامتى فانطلقت الى أصحابى ، وقلت النجاة قد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي ﷺ فحدثته . فقال ابسط رجلك فمسحها فكأنى لم أشتكها قط وعادت كأحسن ما كانت انتهى ، أى وهذا مافى البخارى . وفيه فى رواية أخرى أن ابن عتيك قال لما وضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى أتيت السلم ، أى الذى صعدت فيه أريد أن أنزل فسقطت منه ، فخلعت رجلى فعصبتها فأتيت أصحابى أحجل . فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله

ﷺ فانى لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان فى وجه الصبح صعد الناعية ، فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشى مابى قلبة فأدركت أصحابى قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته ؛ وفى سيرة الحافظ الدمياطى أنهم مكثوا فى ذلك المحل الذى أستخفوا فيه يومين حتى سكن عنهم الطلب ويبتغى النظر الى وجه الجمع بين ماذكر

﴿ سرّية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى القردة ﴾

بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة وقيل بكسرها وسكون الراء ، وقدمه فى الاصل على الاوّل اسم ماء ، وسببها أن قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التى كانوا يسلكونها الى الشام من على بدر فسلكوا طريقا أخرى من جهة العراق . فخرج عيرلهم فيه أموال كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق ، وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر وفى ذلك العير من أشراف قريش أبوسفيان وصفوان بن أمية وعبدالله بن أبى ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى مائة راكب ، وهى أوّل سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا فصادف تلك العير على ذلك الماء فأصاب العير وأفلت القوم وأسروا دليلهم ، وقدم زيد رضى الله عنه بتلك العير على رسول الله ﷺ فخمسها فبلغ الخمس ماقيمته عشرون ألف درهم ؛ وأتى بذلك الأسير الى رسول الله ﷺ ، فقيل له ان تسلم نترك ؛ أى من القتل فأسلم فتركه رسول الله ﷺ وحسن إسلامه بعد ذلك

سرّية أبى سلمة عبدالله بن عبدالأسد

، وهو ابن عمته ﷺ برّة بنت عبدالمطلب وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن ، أى وهو جبل وقيل ماء من مياه بنى أسد * وسببها أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طليحة وسلمة ابنى خويلد قدصار فى قومهما ومن أطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى أخبره بذلك رجل من طيئ قدم المدينة لزيارة بنت أخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسلمة المذكور وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم ، وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل أرض بنى أسد فاغر عليهم قبل أن يتلاقى عليك جموعهم فاغذ السير . أى بفتح الهمزة والغين المشددة والذال المعجمتين أى أسرع ونكب ، أى بفتح الكاف المخففة عدل عن سيف الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليستبق الاخبار فانتهى الى ماء من مياههم فأغار على سرح لهم وأسروا ثلاثة من الرعاء وأفلت سائرهم ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان أغارتا فى صوب النعم والشاء والرجال فأصابوا إبلا وشاء ولم يلقوا أحدا ، فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة * قال وقيل انه أخرج صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا ، أى لأنه صلى الله عليه وسلم كان يباح له أخذ الصفى . وهو مايختاره أو يختاره له أمير السرية قبل القسمة من الفىء أو الغنيمة من جارية أو غيرها كما تقدم وأخرج الخمس ثم قسم ما بقى بين أصحابه فأصاب كل انسان سبعة أبعرة ؛ أى وظاهر هذا كان يعدّ بالفرس قسم عليه صلى الله عليه وسلم فى بعض بروفه وأ لم

ثم ارتد وادّعى النبوة . وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ، ثم أسلم بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وحسن إسلامه وحج في زمن عمر رضي الله عنه ، ولم يعرف لأخيه سلمة إسلام بعث عبدالله بن أنيس الى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها ، وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن سفيان المذكور قد جمع الجموع لحرب رسول الله ﷺ فبعث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه ليقتله فقال صفه لي يارسول الله فقال اذا رأيته هبته وفرقت ، أي خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبدالله يارسول الله مافرقت من شئ قط فقال رسول الله ﷺ بلى انك تجد له قشعريرة اذا رأيته فقال عبدالله فاستأذنت رسول الله ﷺ أن أقول ، أي ما أتوصل به اليه من الحيلة فأذن لي أي قال لي قل مابدا لك أي وقال انتسب الى خزاعة قال عبدالله بن أنيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشي أي متوكئا على عصا يهد الارض ووراءه الاحابيش أي أخلاط الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله ﷺ لاني هبته وكنت لاأهاب الرجال فقلت صدق الله ورسوله ، أي وكان وقت العصر فخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة يشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي فلما انتهيت اليه . قال لي من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد جئت لأكون معك قال أجل اني لأجمع له فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثي ، أي وكان فيما حدثته به أن قلت له عجبت لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم فقال لي انه لم يلق أحدا يشبهني ولايحسن قتاله ، فلما انتهى الى خبائه وتفرق عنه صحابه قال لي ياأخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا في الجبل وضربت العنكبوت أي نسجت علىّ وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد فلما رآني قال قد أفلح الوجه . قلت أفلح وجهك يارسول الله فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري فدفع لي عصا وقال تخصر بهذه في الجنة أي توكأ عليها فان المتخصرين في الجنة قليل فكانت تلك العصا عنده ، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله ان يدخلوها في كفنه ويجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا ، أي وفي القاموس ذو المخصرة أي ككنسة بكسر الميم عبدالله بن أنيس ، وهذه القصة وقصة كعب بن الأشرف ترد على الزهري قوله لم يحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الى المدينة قط ، وحمل الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه رأس فكره ذلك ، وأول من حملت اليه الرءوس عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، وفيه انه لما قتل الحسين وجماعة من أهل بيته بعث ابن زياد قبحه الله برءوسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضي الله عنهما لم يبايع بالخلافة الا بعد موت يزيد ومضى مدة خلافة ابنه معاوية رضي الله عنه الذي خلع نفسه وهي أربعون يوما ولعل ارسال رأس الحسين ومن معه كان قبل رأس عبدالله بن أبي الحق . فلاينافي قول ابن الجوزي أول رأس حمل في الاسلام أي من المسلمين رأس عبدالله بن أبي الحق وذلك انه لدغ فمات فخشيت الرسل ان تتهم فقطعوا رأسه فحملوه ثم رأيت ابن الجوزي قال قال ابن حبيب نصب معاوية رضي الله عنه رأس عمرو بن أبي الحق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين رضي الله عنه وقول الزهري لم يحمل لايخالف مافي النور تقدم في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله ﷺ لان تلك الرءوس لم تحمل الى رسول الله ﷺ بالمدينة على أن فيه أنه لم يحمل اليه ذلك اليوم الا رأس أبي جهل على ما تقدم

سرية الرجيع

وفى الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ، وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسسون أخبار قريش ليأتوه بها وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله تعالى عنه ، ويقال له ابن أبى الاقلح القاء ، وقيل أمر عليهم مرثد الغنوى رضى الله عنه حليف عمه ﷺ حمزة رضى الله عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء وبالمثلثة .والغنوى بغين معجمة أى وكان مرثد هذا يحمل الاسرى ليلا من مكة حتى يأتى بهم المدينة فوعد رجلا من الاسرى بمكة أن يحمله ، قال فجئت به حتى انتهيت به الى حائط من حيطان مكة فى ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلى فى جانب الحائط فلما انتهت الىّ عرفتنى قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا وأهلا هلم تبت عندنا الليلة فقلت ياعناق ان الله حرم الزنا فدلت علىّ فخرج فى أثرى ثمانية رجال فتواريت فى كهف الخندمة فجاءوا حتى وقفوا على رأسى فاعماهم الله عنى فلما رجعوا رجعت لصاحبى فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى محل ففككت عنه قيده ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته ﷺ ان أنكح عناق فامسك عنى حتى نزلت الآية (الزانى لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك وحرّم ذلك على المؤمنين) فدعانى ﷺ فتلاها علىّ ، ثم قال لى لاتتزوجها ، وفى قطعة التفسير للجلال المحلى ان الآية نزلت فى بغايا المشركين لماهمّ فقراء المهاجرين ان يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم ، فقيل التحريم خاص بهم ، وقيل عام ونسخ بقوله (وأنكحوا الأيامى منكم) الآية وفيه أن عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاوثان وان لم تكن بغيا ، ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدى وخبيب تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع ، وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تأنيث مقلوب من الدثنة . والندث استرخاء اللحم خرجوا رضى الله عنهم أى يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل لقيهم سفيان بن خالد الهذلى الذى قتله عبد الله بن أنيس وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقومه وهم بنو لحيان فانهم ذكروا لهم فنفروا اليهم فيما يقرب من مائة رام أى ولايخالف مافى الصحيح قريبا من مائة رجل ، فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا نوى تمر أكلوه فى منزل نزلوه ، أى فان منهم امرأة كانت ترعى غنما فرأت النوى ، فقالت هذا تمر يثرب ، فصاحت فى قومها أتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم فى المحل المذكور فلما أحسوا بهم لجؤا الى موضع من جبل هناك أى صعدوا اليه فأحاطوا بهم ، وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد أن لانقتل منكم أحدا ، فقال عاصم رضى الله تعالى عنه أما أنا فلا أنزل على ذمة ، أى أمان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما . أى وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد أبياتا منها

الموت حق والحياة باطل * وكل ماقضى الاله نازل * بالمرء والمرء اليه آيل

ولازال يرميهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسرت رمحه ثم سل سيفه ؛ وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضى الله تعالى عنهم ، فلما أمسكوهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله . وقال هذا أول الغدر أى ترك الوفاء بالعهد والله لاأصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فعالجوه فأبى ان

يصحبهم أى فقتلوه كما فى الصحيح ، وقيل صحبهم الى أن كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد ، أى ودخلوا بهما مكة فى شهر القعدة فباعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، أى وقيل بيع كل بخمسين من الابل أى وقيل بيع خبيب بأمة سوداء فابتاع بنو الحرث بن عامر خبيبا ، قيل لانه قتل الحرث يوم بدر كما فى البخارى ، وتعقب بأن المعروف عندهم أن قاتل الحرث يوم بدر انما هو خبيب بن اساف الخزرجى ، أى وقيل القائل له على كرم الله وجهه وخبيب بن عدى هذا أوسى لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازى ، أى وقيل فى هذا تضعيف الحديث الصحيح . ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر أنه لزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدى الحرث بن عامر ما كان لاعتناء آل الحرث بشرائه وقتله به معنى ، الا أن يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيدا صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ليقتله بأبيه فحبسوهما الى ان تنقضى الاشهر الحرم واستعار خبيب رضى الله تعالى عنه وهو محبوس موسى من بنت الحرث . وفى الصحيح من بعض بنات الحرث ليستحد بها أى يحلق بها عانته فدرج لها ابن صغير وهى غافلة عنه حتى أتى الى خبيب رضى الله تعالى عنه فأجلسه خبيب رضى الله تعالى عنه على فخذه والموسى بيده فلما رأت ابنها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضى الله تعالى عنه ، فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله تعالى ، وذلك بكسر الكاف لانه خطاب للمؤنث . وروى أنه رضى الله تعالى عنه أخذ بيد الغلام ، وقال هل أمكن الله منكم ، فقالت المرأة ما كان هذا ظنى بك فرمى لها بالموسى ، وقال انما كنت مازحا ما كنت لأغدر ، وفى السيرة الشامية ان تلك المرأة قالت قال لى تعنى خبيبا رضى الله تعالى عنه حين حضره القتل ابعثى الى بحديدة أتطهر بها للقتل أى وقد كان رضى الله تعالى عنه قال لها اذا أرادوا قتلى فآذنينى ، فلما أرادوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة ، قالت فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت فوالله لما دخل عليه الغلام * قلت والله أصاب الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال لعمرك ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة الى ، ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها أى ويرشد اليه قول خبيب رضى الله تعالى عنه ماخافت أمك وكانت بنت الحرث تقول والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب ، قالت والله لقد وجدته يوما أى وقد اطلعت عليه من شق الباب يأكل قطفا من عنب فى يده أى مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة * وفى رواية ولا أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل ، أى واستدل أئمتنا بقصة خبيب هذه على انه يستحب لمن أشرف على الموت ان يتعهد نفسه بتقليم أظفاره وأخذ شعر شاربه وابطه وعانته ولعل ذلك كان بلغ النبى صلى الله عليه وسلم وأقره ، فلما انقضت الاشهر الحرم بانقضاء المحرم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه فى الحل فلما قدم للقتل ، قال لهم دعونى أصلى ركعتين فتركوه فركع ركعتين ، وقال لهم والله لولا أن تحسبوا أن مابى من جزع لزدت ، ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا أى متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم أحدا . أى الكفار وقد قتلوا فى الخندق متفرقين ، قال ذكر أنهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد فلما انتهوا به الى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفروا لها فلما انتهوا بخبيب اليها وبعد صلاته الركعتين صلبوه على تلك الخشبة ، أى ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره الى الاطراف . ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلك قال ان قتلى فى سبيل الله

لقليل اللهم انه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه أنت عنى السلام و بلغه ما يصنع بنا وعن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى فسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة الله و بركاته فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئنى من خبيب السلام خبيب قتلته قريش وقد جاء أن المشركين دعوا أربعين ولدا ممن قتل آباؤهم يوم بدر فاعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذى قتل آباءكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه ووكلوا بتلك الخشبة أربعين رجلا ، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنهما فى انزال خبيب عن خشبته ، وفى لفظ قال صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة ؛ فقال له الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود فجا آ فوجدا عندها أربعين رجلا كلهم سكارى نيام فانزلاه وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته ، وحمله الزبير رضى الله تعالى عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شئ فشعر بهما المشركون أى وكانوا سبعين رجلا فتبعوهما ، فلما لحقوا بهما قذفه الزبير رضى الله تعالى عنه فابتلعته الارض اه ومن ثم قيل له بليع الارض أى وكشف الزبير رضى الله تعالى عنه العمامة عن رأسه وقال لهم أنا الزبير بن العوام وصاحبى المقداد بن الاسود أسدان رابضان يذبان عن شبلهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما ؛ وقدما على رسول صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده ﷺ جبريل عليه السلام فقال له جبريل يا محمد ان الملائكة تباهى بهذين الرجلين من أصحابك فنزل فيهما (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) الآية ، وتقدم انه قيل انها نزلت فى على كرم الله وجهه لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار ؛ وقيل انها نزلت فى حق صهيب لما أراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله أو كله كما تقدم ورأيت بعضهم هنا قال انها نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنه لما أخذه المشركون ليعذبوه ؛ فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أومن غيركم فهل لكم ان تأخذوا مالى وتدعونى ودينى ففعلوا * وفى كلام ابن الجوزى رحمه الله ان عمرو بن أمية هو الذى انزل خبيبا فعنه رضى الله تعالى عنه قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها فحللته فوقع الى الارض ؛ ثم التفت فلم أر خبيبا ابتلعته الارض وهذا هو الموافق لما فى السيرة الهشامية وأن ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والانصار لقتل أبى سفيان بن حرب كما سيأتى ان شاء الله تعالى أى كان خبيب رضى الله تعالى عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة أى الكعبة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها ، فقال الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته التى رضى لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم خبيب رضى الله تعالى عنه ، فقال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فالقى أبو سفيان بنفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضى الله تعالى عنه لانهم كانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فضطجع لجنبه زال عنه أى لم تصبه تلك الدعوة وقد ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سعد بن عامر رضى الله تعالى عنه على بعض أجناد الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشى فاستدعاه ؛ فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا . فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ليس معك الا ما أرى فقال له وما أكثر من هذا يا أمير المؤمنين مزودى أضع فيه زادى وعكازى أحمل به ذلك وقدحى آكل فيه ؛ فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أبك لمم فقال لا فقال فما غشية

بلغني انها تصيبك ، فقال والله يا أمير المؤمنين مابي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ماخطرت على قلبي وأنا في مجلس قط الاغشي علي فزاده ذلك عند عمر رضي الله تعالى عنهما خيرا ووعظ عمر فقال له من يقدر على ذلك ، فقال أنت يا أمير المؤمنين انما هو أن يقال فتطاع . فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ارجع الى عملك فأبى وناشده الاعفاء فأعفاه ، وكان خبيب رضي الله تعالى عنه هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة أي لانه ﷺ بلغه ذلك عنه فاستحسنه فكان سنة وهذا يدل على أن واقعة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما متأخرة عن قصة خبيب رضي الله تعالى عنه لكن في النور والمعروف أن زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن طويل وفي الينبوع ان قصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما كانت قبل الهجرة أي وكان ابن سيرين رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل القتل قال صلاهما خبيب رضي الله تعالى عنه وحجر وهما فاضلان ويعني بحجر حجر بن عدي رضي الله تعالى عنه فان زيادا والى العراق من قبل معاوية رضي الله تعالى عنه وشى به الى معاوية فأمر معاوية باحضاره فلما قدم على معاوية قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية رضي الله تعالى عنه أو أمير المؤمنين أنا اضربوا عنقه فلما قدم للقتل قال دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين ، ثم قال رضي الله تعالى عنه لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما ، ثم قتل هو وخمسة من أصحابه ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه وجاء المدينة زائرا استأذن على عائشة رضي الله تعالى عنها فأذنت له فلما قعد قالت له أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال انما قتلهم من شهد عليهم ، وقصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما رواها الليث بن سعد قال بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فمال به ذلك الرجل الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضي الله تعالى عنه فاذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين أي لانه رأى ان الصلاة خير ما ختم به عمل العبد قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا ، وهذا يدل على ان القتلى كلهم كانوا مسلمين قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين ، قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيئا فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا . ثم قال لي لما دعوت الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك * أقول وقد وقع مثل ذلك لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى أبا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له ضع مامعك فاني قاتلك . فقال ما تريد من دمي فشأنك والمال ، فقال أما المال فلي ولست أريد الادمك فقال ذرني أصلي أربع ركعات فقال صل ماشئت فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة ، فقال ياودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة وضعها من أذني فرسه ، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله ثم أقبل الى أبي معلق فقال قم فقال من أنت بابي أنت وأمي فلقد أغاثني الله بك اليوم قال أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السماء قعقعة ، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء صيحة . ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني

قتله ، قال أنس رضي الله تعالى عنه من فعل ذلك استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب أي وقد وقع نظير هذه المسئلة أي من حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو انهم كانوا يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما وحده ، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله تعالى عنه ، فقال لا أجده ﷺ على حال أبدا الا كنت عليها ، ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام فقضى ما عليه فقال رسول الله ﷺ انه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أي وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وأخرج صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه زيدا رضي الله تعالى عنه الى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فلما قدم للقتل قال له أبو سفيان رضي الله تعالى عنه أنشدك بالله يا زيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ، فقال والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني لجالس في أهلي ، فقال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ، ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله تعالى عنه أي فانهم لما وضعوا السلاح في خبيب رضي الله تعالى عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يؤذى بشوكة في قدمه ثم قتله ذلك المولى أي طعنه برمح في صدره حتى أنفذه من ظهره وقيل رمى بالنبل وأرادوا فتنته عن دينه فلم يزدد الا ايمانا . ولما قتل عاصم رضي الله تعالى عنه الذي هو أمير هذه السرية على ما تقدم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار وكلام بعضهم يقتضي انها أسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم أحد ولديها كلاهما أشعره سهما وكل يأتي اليها بعد اصابته بالسهم و يضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر وجعلت لمن يجيء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهي الزنابير بينهم و بين عاصم رضي الله تعالى عنه كلما قدموا على قحفه طارت في وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي أي سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث أراد الله فسمي حمي الدبر و بعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم في طلب جسده أوشيء منه يعرفونه أي ليمثلوا به لانه قتل عظيما من عظمائهم ؛ قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن أبي معيط فان عاصما قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انصرفوا من بدر أي كما تقدم قال وكأن قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم أو شعروا بذلك ورجوا ان الزنابير تركته أي ولم يشعروا بان السيل أخذه اهـ أي وقد كان عاصما رضي الله تعالى عنه دعا الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك في حياته وتقدم هنا انه دعا الله أن يحمي لحمه فاستجاب الله له فلم يحصل له ذلك لا في حياته ولا بعد موته ، أي وفي كلام بعضهم لما نذر عاصم أن لا يمس مشركا ووفى بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين اياه فصار عاصم معصوما هذا . وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش وانما خرجوا مع رهط من عضل والقارة وهما بطنان من بني الهون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين و يقرئونا القرآن و يعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى

الله عليه وسلم معهم أولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا الا والرجال بايديهم السيوف فدعوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأبوا الحديث والحافظ الدمياطى رحمه الله اقتصر على هذا الثانى وان أميرهم كان مرثدا الغنوى رضى الله تعالى عنه فقال سرية مرثد الغنوى الى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما الحديث لكنه فى سياق القصة قال وأمّر عليهم عاصما ، وقيل مرثدا رضى الله تعالى عنهما وأخر هذه السرية عن السرية بعدها التى هى سرية القراء الى بئر معونة

(سرية القراء رضى الله تعالى عنهم الى بئر معونة)

لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة أى ويقال له ملاعب الرماح وهو رأس بنى عامر أى ويقال له أيضا أبو براء بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله أى وأهدى اليه صلى الله عليه وسلم ترسين وراحلتين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية من مشرك * وفى رواية نهيت عن عطايا المشركين * أقول وفى كلام السهيلى انه أهدى اليه فرسا وأرسل اليه انى قد أصابنى وجع فابعث الى بشئ أتداوى به فارسل اليه صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وأمره أن يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين قال السهيلى والزبد مشتق من الزبد لانه نهى عن مداهنتهم واللين لهم كما أن المداهنة مشتقة من الدهن فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل أن يكون قبله وهو الاقرب والله أعلم ، فلما قدم عليه أبو عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام أى وقال انى أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا أى ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عده فى الصحابة ، ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد أى وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى أهل نجد عليهم ، قال أبو براء أنا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك وخرج أبو براء الى ناحية نجد واخبرهم انه قد أجار أصحاب محمد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضى الله تعالى عنه فى أربعين . وقيل فى سبعين وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى أى لانه الذى فى صحيح البخارى ؛ وقيل فى ثلاثين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين أى وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القيل وهم وانه يمكن الجمع بين كونهم سبعين وكونهم أربعين بان الاربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا أتباعا ويقال لهؤلاء القراء أى لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا فى ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن اهلوهم انهم فى المسجد ويظن أهل المسجد انهم فى أهاليهم حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاءوا بذلك الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعضهم انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لاصحاب الصفة وقد يقال لا منافاة لجواز انهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا أخرى أو بعضهم يفعل أحد الامرين وبعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه * وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم والحرة أرض فيها حجارة سود فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء

المهملة والراء ابن ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر ابن الطفيل لعنه الله أى وهو رأس بنى سليم ، وفى لفظ سيد بن عامر وابن أخى أبى براء عامر بن مالك كما تقدم فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا عليه فقتله أى بعد أن قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله ﷺ اليكم فآمنوا بالله ورسوله فجاء اليه رجل من خلفه فطعنه بالرمح فى جنبه حتى نفذ من جنبه الآخر ، فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ، وقال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم استصرخ عليهم أى استغاث بنى عامر فأبوا أن يجيبوه الى مادعاهم اليه ، وقالوا انا لن نخفر بأبى براء أى لانزيل خفارته وننقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم ، قال الحافظ الدمياطى عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم و بنى لحيان ، قال بعضهم وليس فى محله * أقول كان قائله سرى اليه ذلك من كونه ﷺ جمع بنى لحيان فى الدعاء عليهم مع من ذكر قبله وسيأتى انه انما جمعهم معهم لان خبر أصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة جاءه ﷺ فى يوم واحد و بنو لحيان أصحاب الرجيع فدعا عليهم دعاء واحد والله أعلم فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التى هى عصية ورعل وذكوان أجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى أحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب ابن زيد رضى الله تعالى عنه فانه بقى به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك حتى قتل يوم الخندق شهيدا والا عمرو بن أمية الضمرى رضى الله تعالى عنه ورجلا آخر كانا فى سرح القوم ، ولما أحاطوا بهم قالوا اللهم انا لانجد من يبلغ رسولك عنا السلام غيرك فاقرأه منا السلام فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك ، فقال وعليهم السلام ، أى وفى لفظ انهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا ﷺ انا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السماء قام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا ورضينا عنه ورضى عنا ربنا . وفى لفظ فرضى عنا وأرضانا فأنا رسولهم اليكم انهم قد رضوا عنه ورضى عنهم وذكر أنس رضى الله عنه ان ذلك ، أى قولهم المذكور كان قرآنا يتلى ، ثم نسخت تلاوته . أى فصار ليس له حكم القرآن من التعبد بتلاوته وانه لايمسه الا الطاهر ولا يتلى فى صلاة الى غير ذلك من أحكام القرآن * ولما رأى عمرو بن أمية والرجل الذى معه الطير تحوم على محل أصحابهما ، أى وكانا فى رعاية إبل القوم كما تقدم ، قالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا ينظران فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال الرجل الذى مع عمرو ماذا ترى ، فقال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال له لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو فأقبلا فلقيا القوم فقتل ذلك الرجل وأسر عمرو ، فأخبرهم انه من مضر فأخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه فأقبل رجلان حتى نزلا به معه فسألهما فأخبراه انهما من بنى عامر ، وفى لفظ من بنى سليم وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو يرى أى يظن انه قد أصاب بهما ثأرا من بنى عامر فقدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر وأخبره بقتل الرجلين . فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أى لأدفعن ديتهما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا ولما بلغ أبا براء ان عامر بن الطفيل ولد أخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة بن أبى براء على عامر بن الطفيل . أى الذى

هوابن عمه فطعنه بالرمح فوقع فى فخذه ووقع عن فرسه ، وقال ان أنامت فدمى لعمى يعنى أبابراء وان أعش فسأرى رأيى ، أى وفى لفظ نظرت فى أمرى ، وفى الاصابة ان ربيعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيغسل عن أبى هذه العذرة أن أضرب عامر بن الطفيل ضربة أوطعنة ، قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة أشواه منهافوثب عليه قومه ، فقالوا لعامر بن الطفيل اقتص ، فقال قد عفوت أى وعقب ذلك مات أبو براء أسفا على ماصنع به ابن أخيه عامر بن الطفيل من ازالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمت من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فى الوفود فى وفد بنى عامر [] أى وقال بعضهم قد أخطأ المستغفرى فى عده صحابيا ولما قتل عامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه رفع الى السماء فلمارأى قاتله ذلك أسلم أى وهوجبار بن سلمى أى لا عامر ابن الطفيل كما وقع فى بعض الروايات كما علمت ، وقال صلى الله عليه وسلم أى لما بلغه قتلى عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة أى فى الارض أى بناء على انه لما رفع الى السماء وضع كما فى البخارى فقد جاء ان عامر بن الطفيل : قال لعمرو بن أمية رضى الله تعالى عنه وأشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر بن فهيرة ، فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لأنظر الى السماء و بين الارض ثم وضع ، وفى بعض الروايات ان عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ أى فلم يوجد فيرون ان الملائكة رفعته وظاهرها ان الملائكة لم تضعه فى الارض بل رفعته أى و يؤيده ان عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو بن أمية رضى الله تعالى عنه فى القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا ما اسم هذا ، ثم قال له هل من أصحابك من ليس فيهم ، قال نعم مارأيت فيهم عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما ، قال له عامر أى رجل هو فيكم ، قال من أفضلنا وأولى أى ومن أولى المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عامر لما قتل رأيته رفع الى السماء ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، انه قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ماوجد على أصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا * أقول ، وفى رواية الشيخين قنت شهرا أى متتابعا يدعو على قاتلى أصحاب بئر معونة أى بعد الاعتدال فى الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة وحينئذ يكون المراد بالصباح اليوم وليلته ، وذكر بعض أصحابنا انه صلى الله عليه وسلم ، كان يرفع يديه فى الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما فى قنوت الصبح ، وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه فى قنوت الصبح * واستدل أصحابنا على استحباب القنوت للنازلة فى سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلى أصحاب بئر معونة ، وفى بعض السير فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم فى صلاة الغداة ، وفى لفظ يدعو فى الصبح وذلك بدء القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان ، وقد سئل الجلال السيوطى هل دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من قتل أصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور أوكان الدعاء هو قنوته * فأجاب رحمه الله بأنه لم يقف على شىء من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء ، قال بل ظاهر الاحاديث انه اقتصر على الدعاء أى فيكون قنوته هو الدعاء وهو الموافق لقول أصحابنا ، و يستحب القنوت فى اعتدال آخرة صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات أى باقيها للنازلة وهو اللهم اهدنا الخ فى أن أى فى القنوت [illegible] . والله أعلم * وفى رواية انه يدعو على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين . أى بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما فى وقت واحد كما تقدم وأدمج

البخاري رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما فى الزمن أى ففيه مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان أى وهو يقتضى انهما شئ واحد وليس كذلك : وقد علمت أن بنى لحيان قتلوا أصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا أصحاب بئر معونة والله سبحانه وتعالى أعلم

سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء

بالقاف مفتوحة و بالطاء المهملة وهم بنو بكر بن كلاب ، بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الى القرطاء فى ثلاثين راكبا أى وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار قال وصادف فى طريقه ركبانا نازلين فارسل اليهم رجلا من أصحابه يسأل من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا منهم ثم أمهلهم حتى عطنوا أى بركوا الابل حول الماء أغار عليهم فقتل نفرا منهم أى عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن أى النساء انتهى ثم انطلق حتى اذا كان بموضع يطلعه على بنى بكر بعث عابد بن بشير اليهم وخرج محمد ابن مسلمة رضى الله تعالى عنه فى أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء ثم انحدر رضى الله تعالى عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء به وعدل الجزور بعشرة من الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاه وأخذت تلك السرية ثمامة بن أثال الحنفى من بنى حنيفة أى سيد أهل اليمامة وهم لايعرفونه وجىء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى فأحسنوا اساره أى قيده [] فربط بسارية من سوارى المسجد قال وقيل ان هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير فى المدينة وقد كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة وأراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه أن يمكنه منه فأخذ وجىء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سوارى المسجد فدخل صلى الله عليه وسلم على أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر له صلى الله عليه وسلم بناقة يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لايقع عند ثمامة موقعا من كفايته أى وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ثمام هل أمكن الله منك ؟ فقال قد كان ذلك يا محمد وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فيقول ماعندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندى خير ان تقتل تقتل ذا كرم . وفى لفظ ذادم وان تعف تعف عن شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت ففعل ذلك معه ثلاثة أيام قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فجعلنا أيها المساكين أى أصحاب الصفة نقول نبينا صلى الله عليه وسلم مايصنع بدم ثمامة والله لأكلة جزور سمينة من فدائه أحب الينا من دم ثمامة . وفى الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم أكلة لحم من جزور أحب الى من دم ثمامة ثم أمر به فأطلق ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث قال أطلقوا ثمامة فقد عفوت عنك يا ثمامة فأطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر ثيابه ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أى وهذا يخالف ماذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على أنه يستحب لمن أسلم أن يغتسل لاسلامه ثم رأيت بعض متأخرى أصحابنا أجاب بأنه أسلم أولا ثم لما اغتسل أظهر اسلامه

وفى الاستيعاب فأسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتسل كما فى رواية أخرى أنه قال يا محمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله ما كان على الأرض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الى ثم شهد شهادة الحق فلما أمسى جيء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب اللقحة الا يسيرا فعجب المسلمون قال وقال يارسول الله انى خرجت معتمرا وفى لفظ فى الصحيح فان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فأمره أن يعتمر فلما قدم بطن مكة لبى فكان أول من دخل مكة ملبيا فأخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا أنت صبوت يا ثمامة قال أسلمت وتبعت خير دين محمد والله لا يصل اليكم حبة من حنطة أى من اليمامة من أرض اليمن وكانت ريفا لاهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا حتى أضر بهم الجوع وأكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الابل فيشوى على النار كما تقدم فكتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع انك تأمر بصلة الرحم وانك قدقطعت أرحامنا ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة رضى الله تعالى عنه أن يخلى بينهم وبين الحمل . وفى لفظ خل بين قومى وبين ميرتهم ففعل فأنزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) الآية هذا والذى فى الاستيعاب أن ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركون خبره فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك قال لاأدرى ماتقولون الا أنى أقسمت برب هذه البنية يعنى الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من آخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج رضى الله تعالى عنه فمنع عنهم ما كان يأتى منها فلما أضر بهم ذلك كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا فان رأيت أن تكتب اليه أن يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل : فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل بين قومى و بين ميرتهم * ولما تعجب المسلمون من أكله بعد اسلامه رضى الله تعالى عنه لكونه دون أكله قبل اسلامه قال لهم رسول الله ﷺ مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر ليأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد انتهى . أى وقد وقع له ﷺ ذلك مع جهجاه الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه أكل مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو كافر فأكثر ، ثم أكل معه وقد أسلم فأقل فقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ولعل المراد بالاكل مايشمل الشرب ثم رأيت فى الجامع الصغير ان الكافر ليشرب فى سبعة أمعاء والمسلم يشرب فى معى واحد والمراد أنه يأكل و يشرب مثل الذى يأكل و يشرب فى سبعة أمعاء ، وكان رضى الله تعالى عنه مقيما باليمامة ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة فى قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله و يقول لهم اياكم وأمرا مظلما لانور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

سرية عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه الى الغمر

بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبنى أسد أى جمع من بنى أسد ، وجه رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدى رضى الله تعالى عنه فى أربعين رجلا منهم ثابت بن أرقم رضى الله تعالى عنه وقيل ان ثابتا رضى الله تعالى عنه هو الذى كان الامير على هذه السرية فخرج يسرع فى السير الى أن وصل الى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا فى دارهم أحدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا و يرى أثرا فأخبر أنه رأى أثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس فقال وأين الناس لقد لحقوا بعليات بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه أحدهم بسوط فى يده فقال تؤمنونى على دمى وأطلعكم على نعم لبنى عم له لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم فأمنوه فانطلقوا معه فأمعن أى بالغ فى الطلب حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا والله لتصدقنا أو لنضرب عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا المحل فلما طلعوا منه وجدوا نعما روائع فأغاروا عليها فاستاقوها فاذا هى مائة بعير وشردت الاعراب فى كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل وأطلقوا الرجل الذى أمنوه والله أعلم

سرية محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه لذى القصة

بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر لبنى ثعلبة و بنى عوال من ثعلبة بذى القصة فورد عليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة وأصحابه وأمهلوهم حتى ناموا وأحدقوا بهم أى فما شعروا الا وقد خالطهم القوم فوثب محمد بن مسلمة فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا وتراموا ساعة ، ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوه من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد وأصحابه رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضى الله تعالى عنه يسترجع تحرك له فأخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدروا بها الى المدينة

سرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه الى ذى القصة أيضا

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه فى أربعين رجلا الى من بذى القصة فانه بلغه ﷺ أنهم يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه و بين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأسروا رجلا واحدا وأخذوا نعما من نعمهم ورثة أى ثياب خلقة من متاعهم وقدموا بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله ﷺ وأسلم الرجل فتركه ﷺ

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه الى بنى سليم بالجموح

بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل . بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الى بنى سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فأصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فأصابوا فى تلك المحلة

ابلا وشاء وأسروا منها جاعة من جلتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما الى العيص

وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال، بلغ رسول الله ﷺ أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة فى سبعين ومائة راكب ليعترضها أى وكان فيها أبو العاص بن الربيع وقدم به وبتلك العير المدينة فاستجار أبو العاص بزوجته زينب رضى الله تعالى عنها فأجارته ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر أى دخل فى الصلاة هو وأصحابه فقالت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما سلم وأقبل على الناس وقال هل سمعتم ماسمعت قالوا نعم قال أما والذى نفسى بيده ماعلمت بشئ من هذا، أى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد أجرنا من أجرت دل وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم أى وفى الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما أى أزال خفارته أى نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله تعالى عنها فسألته أن يرد على أبى العاص ماأخذ منه فأجابها الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلص اليك فانك لاتحلين له أى لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين أى كما تقدم فى الحديبية. وبعث صلى الله عليه وسلم للسرية فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرد عليه فردوا عليه ماأخذ منه، وهذا السياق يدل على أن ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع الهدنة لان بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لايخلص اليك لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان فى الحديبية وقد ذكر بعضهم أن ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهرى وتبعه ابن عقبة رحمهما الله تعالى ان الذين أخذوا هذا العير وأسروا من فيها أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما رضى الله تعالى عنهم لانهم كانوا فى مدة صلح الحديبية من شأنهم ان كل عير مرت بهم لقريش أخذوها بغير معرفة رسول الله ﷺ كما تقدم فلما أخذوا هذه العير خلوا سبيل أبى العاص لكونه صهر رسول الله ﷺ وقيل أعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضى الله تعالى عنها فاستجار بها فأجارته، ثم كلمها فى أصحابه الذين أسروا فكلمت رسول الله ﷺ فى ذلك فخطب الناس وقال انا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد أقبل من الشام فى أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأسروهم وأخذوا ماكان معهم وأن زينب بنت رسول الله ﷺ سألتنى أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير وأصحابهما قول رسول الله ﷺ ردوا الاسرى وردوا عليهم كل شئ حتى العقال وصوب فى الهدى هذا الذى ذكره الزهرى أى لما علمت أن مما يؤيد ذلك قوله ﷺ لبنته زينب ولا يخلص اليك فانك لاتحلين له لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر أن المسلمين قالوا لابى العاص ياأبا العاص انك فى شرف من قريش

وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لانه يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة ، فقال بئسما أمرتمونى أفتتح دينى بغدرة أى بالغدر وعدم الوفاء ، ثم ذهب أبو العاص الى أهل مكة فادى كل ذى حق حقه ، ثم قام فقال يا أهل مكة هل بقى لاحد منكم مال لم يأخذه هل وفيت ذمتى فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما فقال انى أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى عن الاسلام عنده الا خشية ان تظنوا أنى انما اردت ان آكل أموالكم ، ثم خرج حتى قدم المدينة على النبى ﷺ فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى * أقول وفى رواية بعد سنتين والمتبادر أن الستة أو السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من انه لابد أن يجتمع الزوجان فى الاسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذى هذا حديث ليس باسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه وفى كلام بعض الحفاظ يمكن أن يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ بنته زينب على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا فى اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف ، وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاوّل ، وقال ابن عبد البر حديث أنه صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول أريد به على الصداق الاول وهو حل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث انه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخارى وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطنى والبيهقى وغيرهم هذا كلامه وفى كون زينب رضى الله تعالى عنها كانت مشركة وأسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم يقل من اسلامها نظر لانها اتبعت ما بعث به أبوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها . لا يقال حيث كانت مسلمة فكيف زوجها من أبى العاص وهو كافر . لانا نقول على فرض انه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ـ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ـ لان تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على ان ابن سعد ذكر انه صلى الله عليه وسلم زوجها له فى الجاهلية أى قبل البعثة والله أعلم

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما الى بنى ثعلبة

أى بالطرف ككتف اسم ماء . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا أى بالطرف فأصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطى على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لانهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضى الله تعالى عنه بالنعم والشاء المدينة ، أى وقد خرجوا فى طلبه فأعجزهم [] وكان شعارهم الذى يتعارفون به فى ظلمة الليل « أمت أمت »

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما الى جذام

[illegible] وهو موضع وراء وادى القرى

يقال ان الطوفان أقام بذلك المحل بعد نضوبه أى ذهابه ثمانين سنة وسببها ان دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أى وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه [] كذا قيل، ولعله من تصرف بعض الرواة أوانه ارسله اليه بغير كتاب والافارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ، ولما وصل رضي الله تعالى عنه اليه أجازه بمال وكساه فأقبل بذلك الى أن وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوا عليه الاثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بنى الضبيب أى ممن أسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضي الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد ابن حارثة فى خمسمائة رجل وردمعه دحية وكان زيد رضي الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فأقبل حتى هجم على القوم أى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبي مائة من النساء والصبيان قال : ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضي الله تعالى عنه ركبوا وجاءوا الى زيد وقال له رجل منهم اناقوم مسلمون فقال له زيد اقرأ أم الكتاب فقرأها ، ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يارسول الله لاتحرم علينا حلالا ولاتحل لنا حراما ، فقال كيف أصنع بالقتلى ؛ فقال أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق. فقالوا ابعث معنا رجلا لزيد رضي الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يأمر زيدا ان يخلى بينهم و بين حرمهم وأموالهم ، أى فقال على يارسول الله ان زيدا لا يطيعنى ، فقال خذ سيفى هذا فأخذه وتوجه فلقى على كرم الله وجهه رجلا أرسله زيد رضي الله تعالى عنه مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها على كرم الله وجهه على القوم وأردفه خلفه ولقى زيدا فأبلغه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه ﷺ فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا ، فقال من كان معه شئ فليرده فهذا سيف رسول الله ﷺ فرد الناس كافة كل ما أخذوه انتهى .أقول وهذا السياق يدل على ان جميع ما أخذه من النعم والشاء والسبي كان لمن أسلم من جذام من بنى الضبيب وان بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفى ذلك من البعد مالايخفى والله أعلم

سرية أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه لبني فزارة

كما فى صحيح مسلم بوادى القرى عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أى جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذرارى فخشيت ان يسبقونى الى الجبل فادركتهم ورميت بسهم بينهم و بين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أى وهى أم قرفة عليها قشع من أدم أى فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر فنفلنى أبو بكر رضي الله عنه ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ياسلمة هب لى المرأة لله أبوك أى أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك يقال ذلك فى مقام المدح والتعجب . اى قد كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هى لك يارسول الله

فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين . وفى لفظ فدى بها أسيرا كان فى قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل أن أمير هذه السرية أى التى أصابت أم قرفة أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأنه الذى فى مسلم ، وذكر فى الاصل قبل ذلك عن ابن اسحق وابن سعد أن أمير هذه السرية ، أى التى أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضى الله عنهما وأنه لقى بنى فزارة وأصيب بها ناس من أصحابه وانفلت زيد من بين القتلى . أى احتمل جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضى الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما عوفى أرسله ﷺ اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة فى شرف من قومها ، وكان يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم ، وكان لها اثنا عشر ولدا . ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل فى العزة فتقول لو كنت أعز من أم قرفة فأمر زيد بن حارثة أن تقتل أم قرفة . أى لانها كانت تسب النبى ﷺ ، وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم اغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم انه خبر منكر [] فربط برجليها حبلين ثم ربطا الى بعيرين وزجرهما أى وقيل الى فرسين فركضا فشقاها نصفين ، وقرفة ولدها هذا الذى تكنى به قتله النبى صلى الله عليه وسلم وبقية أولادها قتلوا مع أهل الردة فى خلافة الصديق فلا خير فيها ولا فى بنيها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة . وذكر له صلى الله عليه وسلم جمالها . فقال صلى الله عليه وسلم لابن الأكوع يا سلمة ما جارية أصبتها قال يارسول الله جارية رجوت أن أفدى بها امرأة منا فى بنى فزارة فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا فعرف سلمة أنه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبى ﷺ لخاله حزن ابن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بمكة . كان أحد الاشراف فولدت له عبد الرحمن بن حزن وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة أم أبى النبى صلى الله عليه وسلم هى بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لأبيه . وفى لفظ بنت عمرو بن عائذ وفى كلام السهيلى أن رواية الفداء لمن كان أسيرا بمكة أصح من رواية أنه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن . وجمع الشمس الشامى بين الروايتين حيث دل يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الأكوع فيهما ذلك ، أى احداهما لأبى بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك أن فى سرية أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببنت أم قرفة الى مكة ففدى بها أسرى كانوا فى أيدى المشركين . أى وفى سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة . قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى * أقول فى هذا الجمع نظر لانه يقتضى أن أم قرفة تعددت وأن كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الأكوع أسرهما وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه . وفى ذلك بعد . الا أن يقال لا تعدد لام قرفة وتسمية المرأة فى سرية أبى بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة . ويدل عليه أن بعضهم أوردها ولم يسم المرأة أم قرفة بل قال فيهم امرأة من بنى فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلنى أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق مرتين فى يومين فقال يا سلمة هب لى المرأة . فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا أسرى بمكة . ثم لا يخفى أن ماذكره الاصل عن ابن اسحق وابن سعد من أنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة الى وادى القرى . أى غازيا لبنى فزارة وأنه لقيهم وأصيب بها ناس من أصحابه وأفلت زيد من بين القتلى جريحا لا يخفى ما ذكره عن ابن سعد مما يقتضى أن زيد بن حارثة فى هذه

يكن غازيا بل كان تاجرا وانه لم يرسل لبنى فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه. والمذكور عن ابن سعد مانصه قالوا خرج زيد بن حارثة فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه ، أى فظنوا أنهم قد قتلوا وأخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد أن لايمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما تخلص من جراحته بعثه رسول الله ﷺ فى سرية لهم ، وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج بهم دليل من بنى فزارة وقد نذر بهم القوم فكانوا يجعلون له ناظورا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف على وجه الطريق الذى يرون أن المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم فى هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة أخطأ بهم الدليل الفزارى طريقهم فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضر من بنى فزارة فحمدوا خطأهم فكمن لهم فى الليل حتى أصبحوا فأحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر أصحابه الى آخر ما تقدم ، ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء اليه ﷺ وقرع عليه الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله وسأله فاخبره بما ظفره الله تعالى به ، وحينئذ يشكل قوله فى الاصل ثبت عن ابن سعد أن لزيد بن حارثة سريتين بوادى القرى . إحداهما فى رجب والأخرى فى رمضان فانه بظاهره يقتضى أنه أرسل غازيا فى المرتين لبنى فزارة بوادى القرى . وقد علمت أن كلام ابن سعد يدل على أن زيد بن حارثة فى السرية الاولى انما كان تاجرا اجتاز ببنى فزارة بوادى القرى فقاتلوه هو وأصحابه وأخذوا مامعهم . ثم رأيت الاصل تبع فى ذلك شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال سرية زيد بن حارثة الى وادى القرى فى رجب : قالوا بعث رسول الله ﷺ زيدا رضى الله تعالى عنه أميرا . ثم قال سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة بناحية وادى القرى فى رمضان. وفيه ماعلمت : ثم لايخفى أن فى هذا اطلاق السرية على الطائفة التى خرجت للتجارة ولا يختص ذلك بمن خرج لقتال أو لتجسس الاخبار وقد تقدم

سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل

بضم الدال المهملة وبفتحها . وأنكره ابن دريد لنى كلب ، بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فأقعده بين يديه وعممه بيده قال أى بعد أن قال له تجهز فانى باعثك فى سرية من يومك هذا أو من الغد ان شاء الله تعالى . ثم أمره أن يسرى من الليل الى دومة الجندل فى سبعمائة وعسكروا خارج المدينة . فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله ﷺ ، وقال أحببت يارسول الله أن يكون آخر عهدى بك ، وكان عليه عمامة من كرابيس : أى غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله ﷺ بيده ثم عممه بعمامة سوداء ورخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوا من ذلك . ثم قال هكذا ياابن عوف فأعتم فانه أحسن وأعرف . ثم أمر ﷺ بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه . وقام ﷺ فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذه ياابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أى لاتخن فى مغنم ولا تغدر أى لاتترك الوفاء ولا تقتل وليدا . وفى رواية لاتغلوا ولا تغدروا

ولاتنكثوا ولا تملوا ولاتقتلوا وليدا أى صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم ﷺ فيكم ، ثم قال ﷺ له اذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وهم يأبون ويقولون لانعطى الا السيف وفى اليوم الثالث أسلم رأسهم وملكهم الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا ، قال فى النور لم أجد احدا ترجمه والظاهر انه ماوفد على النبى ﷺ فهو تابعى وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقر من أقام على كفره باعطاء الجزية أى وأرسل رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ يعلمه بذلك وأنه يريد أن يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله ﷺ أن تزوج ببنت الاصبغ أى فتزوجها رضى الله تعالى عنه و بنى بها عندهم وقدم بها المدينة وهى أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهى أول كلبية نكحها قرشى ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن فى مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهى فى العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضى الله تعالى عنه * قال وعن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أنه قال سرت لأسمع وصية رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فاذا فتى من الأنصار أقبل يسلم على رسول الله ﷺ ثم جلس ، فقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل ، قال أحسنهم خلقا ثم قال وأى المؤمنين أكيس ، قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك الأكياس . ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله ﷺ ، فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن ، انه لن تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى اسلافهم الذين مضوا ، وما نقص المكيال والميزان فى قوم الا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون ومامنع قوم الزكاة الا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا ، وما نقض قوم عهد الله ورسوله الاسلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ ما كان فى أيديهم ، وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم ، وفى رواية الا ألبسهم الله شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض ، وفى الاصل ذكر ابن اسحق أن النبى ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه لدومة الجندل فى سرية زاد فى السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتى

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما الى مدين

قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه وهى تجاه تبوك فصاب سبيا وفرقوا فى بيعهم بين الأمهات والأولاد فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون ، فقال مالهم ، فقيل يارسول الله فرق بينهم أى بين الأمهات والأولاد ، فقال رسول الله ﷺ لاتبيعوهم الا جميعا . قال فى الاصل وكان مع زيد رضى الله تعالى عنه فى هذه السرية ضميرة مولى على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وكذا أخوه رضى الله تعالى عنه وأخ له وهو تابع فى ذلك لابن هشام ، ورد بأن مولى على هذا الذى هو ضميرة لم يذكر فى كتب الصحابة وكذا أخوه

سرية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى بنى سعد بن بكر بفدك

وهى قرية بينها وبين المدينة ست ليال ، وفى لفظ ثلاث مراحل وهى خراب الآن وفى الصحاح فدك

قرية بخيبر * وسببها أنه ﷺ بلغه أن لبني سعد جعاير يدون أن يمدوا يهود خيبر وأن يجعلوا لهم تمر خيبر أي ما يوجـد من غلتها فبعث اليهم عليا كرّم الله وجهه في مائة رجل فسار الليل وكمن النهار الى ان نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجـدوا به رجلا فسألوه عن القوم أي فقال لا علم لي فشدوا عليـه فأقر أنه عين أي جاسوس لهم ، وقال أخـبركم على أن تؤمنوني فأمّنوه فدلهم فاغاروا عليهم وأخـذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنوسـعد بالظعن فعزل على كرّم الله وجهه صفيّ رسول الله ﷺ لقوحا أي حلوبا [] قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنـه في الدعاء اليك نسعى ونحفد ، ثم عزل الخمس وقسم الباقي على أصحابه * أقول قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضي بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر أو عند ارادة ذلك وفيـه ما لا يخفى لما تقدم والله أعلم

سرية عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الى أسير

بضم الهمزة وفتح السين ويقال أسير بن رزام اليهودي بخيبر لما قتل الله أبا رافع بن سـلام بن أبي الحقيق عظيم يهود خيبر كما تقدم أمّروا عليهم أسير بن رزام ، قال ولما أمروه عليهم ، قال لهم اني صانع بمحمد ما لم يصنعه أصحابي ، فقالوا له وماعسيت أن تصنع . قال أسير في غطفان فاجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت وكان ذلك قبـل فتح خيبر انتهى فسار في غطفان وغـيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فوجه اليـه عبدالله بن رواحـة في ثلاثة نفر سرا يسأل عن خبر أسير وغرته فاخـبر بذلك فقدم على رسول الله ﷺ فاخـبره فندب رسول الله ﷺ الناس لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمّر عليهم عبـدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنـه وقيل عبدالله بن عتيك فقدموا على أسـير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له . قال نعم ولي منكم مثـل ذلك ، فقالوا نعم ، فقلنا ان رسول الله ﷺ بعثنا اليـك لتخرج اليـه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك أي واستشار يهود في ذلك فاشاروا عليـه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمـد ليستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مل ّالحرب .قال في النور هذا الـكلام لا يناسب أن يقال قبـل فتح خيبر والذي يظهر انها بعـد فتح خيبر وأقول يجوز أن يكون المراد باسـتعماله على خيبر المصالحة وترك القتال ومن ثم أجاب بقوله انه ﷺ قد ملّ الحرب والله أعلم . فخرج ، وخرج معـه ثلاثون رجـلا من يهود مع كل رجـل منهم رديف من المسلمين ؛ قال عبدالله بن أنيس كنت رديفا لأسير فـكأن أسيرا ندم على خروجه معنا فاهوى بيـده الى سيفي ففطنت بفتح الطاء له وقلت اغدر عدوّ الله اغدر عـدوّ الله اغدر عـدوّ الله ثلاثا فضربته بالسيف فاطحت عامة فخـذه فسقط وكان بيده مخـرش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدا أعجزنا جريا . ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فحدثناه الحـديث ، فقال ﷺ قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق في شجتي فلم تقح عليّ ولم تؤذني ، دل وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعـة من عصاه ، فقال أمسك هـذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبـدالله بن أنيس جعلت معـه على جلده دون ثيابه انتهى * أقول تقدم نظير ذلك لعبـدالله بن أنيس هـذا لما أرسـله ﷺ لقتل سـفيان بن خالد الهذلي وجاء برأسـه الى رسول الله ﷺ فيحتمل أن

هـذا وهـم من بعض الرواة ، ويحتمل تعـدد الواقعـة أى أعطاه ﷺ عصاه أولا فى تلك وأعطاه أخرى ثانيا فى هـذه وجعل العصايين بين جلده وكفنه ولامانع منـه لكن ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تـكرير ذلك لعبـدالله بن أنيس وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله أعلم

سرية عمرو بن أمية الضمرى وسلمة بن أسلم بن حريس رضى الله عنهما

بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل مافى الانصار حريس بالسين المهملة الاالخريش فانه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر الى أبى سفيان بن حرب بمكة ليغتالاه * وسببها ان أباسفيان رضى الله عنه قال لنفر من قريش ألا أحـد يغتال لنا محمدا فانه يمشى فى الأسواق وحده فاتاه رجل من الاعراب ، وقال يغنى نفسه قدوجـدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عـدوا فاذا أنت فديتنى خرجت اليه حتى أغتاله فان معى خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر وانى عارف بالطريق ، فقال له أنت صاحبنا فاعطاه بعـيرا ونفقة ، وقال له اطوأمرك وخرج ليلا الى أن قدم المدينـة ثم أقبـل يسأل عن رسول الله ﷺ فدل عليـه ، وكان ﷺ فى مسـجد بنى عبـد الاشهل فعـقل راحلتـه وأقبـل على رسول الله ﷺ فلما رآه ﷺ ، قال ان هـذا يريد غـدرا والله حائل بينـه و بين مايريد فجاء ليجنى على رسول الله ﷺ فجذبه أسـيد بن حضير رضى الله تعالى عنـه بداخـلة ازاره أى بحاشيته من داخـل فاذابالخنجر فاخـذ أسـيد يخنقه خنقا شـديدا فقال له رسـول الله ﷺ أصـدقنى قال وأنا آمن قال نعم فاخـبره بامره فخلى عنـه رسول الله ﷺ فاسلم أى وقال يارسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتـك ذهب عقلى وضعفت نفسى ثم اطلعت على ماهممت به فعلمت انك على الحق فجعل رسول الله ﷺ يتبسم ، فعندذلك بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميـة الضمرى ومن تقـدم معـه الى أبى سفيان بمكة . أى وذلك بعـد قتـل خبيب بن عـدى رضى الله تعـالى عنـه وصلبه على الخشبة . ومضى عمرو بن أميـة رضى الله تعالى عنـه يطوف بالبيت ليـلا فرآه معاوية بن أبى سـفيان رضى الله تعالى عنهما فعرفه فاخـبر قريشا بمكانه فخافوه لانه كان فاتـكا فى الجاهليـة وقالوا لم يأت عمرو بخـير واشتدوا فى طلبـه ، قال وفى رواية لما قدما مـكة حبسا جليهما ببعض الشعاب ثم دخـلا ليلا ، فقال له صاحبـه ياعمرو لوطفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أباسـفيان ، فقال له عمرو انى أعرف بمكة من الفرس الابلق أى وان القوم اذا تعشوا جلسوا على أفنيتهم ، فقال كلا ان شاء الله . قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا اطلب أبى سفيان فلقينى رجل من قريش فعرفنى ، وقال عمرو بن أمية فأخـبر قريشا بى فهربت أنا وصاحبى انتهى . أى وصعدنا الجبل وخرجوا فى طلبنا فدخلنا كهفا فى الجبـل ولقى عمرو رجـلا من قريش فقتله أى قتـل ذلك الرجـل عمرو فلما أصبحنا غـدا رجـل من قريش يقود فرسا ونحن فى الغار ، فقلت لصاحبى ان رآنا صاح بنا فخرجت اليـه ومعى خنجر أعـددته لأبى سفيان فضربته على يده فصاح صيحة أسـمع أهـل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه آخر رمق ، فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه . فقلت لصاحبى لنا أمسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدى

رضى الله تعالى عنه فقال أحدهم لولا ان عمرو بن أمية بالمدينة لقلت انه هذا الماشى ، فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتديت أنا وصاحبى فخرجوا وراءنا فالقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا فى السيرة الهشامية ، وتقدم انه صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير والمقداد لانزاله وان الزبير أنزله فابتلعته الارض ، وتقدم عن ابن الجوزى مثل ماهنا من ان الذى أنزله عمرو بن أمية رضى الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة الروايتين . ويقال ان عمرا قتل رجلا آخر سمعه يقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقى رجلين بعثهما قريش الى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ، ثم قدم رضى الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله ﷺ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

سرية سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه

وقيل كرز بن جابر رضى الله تعالى عنه وعليه الاكثرون . ومن ثم اقتصر عليه الحافظ الدمياطى أى وقيل جرير بن عبد الله البجلى ورد بأن اسلام جرير بن عبد الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين [] الى العرنيين . وسببها انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر أى ثمانية من عرينة ، وقيل أربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون : أى لشدة هزالهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم ، وقالوا يارسول الله آونا وأطعمنا فانزلهم صلى الله عليه وسلم عنده أى بالصفة ثم قال لهم أى بعد أن ذكروا له صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبئة وخمة وانهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم الى ذودنا أى لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من ألبانها وأبوالها أى لان فى لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان الاستسقاء وعظم البطن انما ينشأ عن السدد وآفة فى الكبد ومن أعظم منافع الكبد لبن اللقاح لاسيما ان استعمل بحرارته التى يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التى يخرج بها ففعلوا ثم لما صحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبى ﷺ ومثلوا به أى قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح ، وفى لفظ أنهم ركبوا بعضها واستاقوها فأدركهم يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله ، الحديث ، و بلغه ﷺ الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم فى آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وأرسل معهم من يقص آثارهم فأدركوهم فاحاطوا بهم فاسروهم ودخلوا بهم المدينة فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم أى غورت بمسامير محماة بالنار وألقوا بالحرة أى وهى أرض ذات حجارة سود كانها أحرقت بالنار يستسقون فلا يسقون قال أنس رضى الله تعالى عنه . ولقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش ليجد بردها لما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم [] وأنزل الله فيهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية ولم يقع بعد ذلك انه صلى الله عليه وسلم سمل عينا . وفى لفظ انهم لما أسروا ربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة : وكان رسول الله ﷺ بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بمجمع السيول فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هنالك وأنه ﷺ فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفياء فسأل عنها فقيل نحروها كذا فى سيرة الحافظ الدمياطى ، وقدم فيها هذه السرية

على سرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله تعالى عنه

سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى طائفة من هوازن

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة و بضم الجيم و بالزاى ، محل بينه و بين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء تأنيث ، وأرسل صلى الله عليه وسلم دليلا من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة ، فلما كان بمحل بينه و بين المدينة ستة أميال قال له الدليل هل لك فى جمع آخر من خثعم فقال له عمر رضى الله تعالى عنه لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى بقتال هوازن

سرية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى بنى كلاب

عن سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره علينا فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدى سبعة أهل أبيات من المشركين ومازاده الاصل على هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فزارة الخ نسب فيه للوهم ، لان ذلك كان فى سريته لبنى فزارة بوادى القرى وقد تقدمت فهما قضيتان مختلفتان جمع بينهما أى وهذا الذى فى الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطى وفيه ما علمت

سرية بشير بن سعد الانصارى رضى الله تعالى عنه الى بنى مرة بفدك

بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد فى ثلاثين رجلا الى بنى مرة بفدك ، وتقدم انها قرية بينها و بين المدينة ستة أميال فخرج فلقى رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل فى بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ اليهم فادركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى فنى نبل أصحاب بشير . أى فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث أى جرح وصار مابه رمق وضربت كعبه اختبار الحياته فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياههم ، وجاء اليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضى الله تعالى عنه الى المدينة بعد ذلك أى فانه استمر بين القتلى الى الليل ، فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فاقام بفدك عند يهودى أياما حتى قوى على المشى . وجاء الى المدينة * أقول وهذا يدل على ان بنى مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب منها فيكون قوله ولا بنى مرة بفدك فيه تسمح وان بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين فليتأمل

سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه الى بنى عوال و بنى عبد بن ثعلبة بالميفعة ، اسم محل وراء بطن نخل

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه فى مائة وثلاثين رجلا لبنى عوال و بنى عبد بن ثعلبة بالميفعة . ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهجموا عليهم

جميعا ووقعوا فى وسط محالهم فقتلوا جمعا من أشرافهم واستاقوا نعما وشاء ، ولم يأسروا أحدا وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما الرجل الذى قال لا اله الا الله وهو مرداس بن نهيك وفى سيرة الحافظ الدمياطى نهيك بن مرداس والاول هو الذى فى الكشاف ، وقال له النبى ﷺ هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ، فعن أسامة رضى الله تعالى عنه بعثنا رسول الله ﷺ فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم ، فلما أعييناه قال لا اله الا الله فكف الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قال يا أسامة أقتلته بعد ماقال لا اله الا الله ، قلت انما قالها متعوذا فمازال يكررها حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ، أى تمنيت ان أكون أسلمت اليوم فيكفر عنى ماصنعت قال كذا وقع فى الاصل ان قتل أسامة للرجل الذى قال لا اله الا الله كان فى هذه السرية . وقد تبع فى ذلك ابن سعد وانما كان ذلك فى سرية أسامة بن زيد للحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء و بالقاف ثم تاء تأنيث بطن من جهينة ، وسيأتى عن أسامة بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الانصار فرفعت عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد فى رواية محمد رسول الله فكف الانصارى فطعنته برمحى حتى قتلته ، ثم وجدت فى نفسى من ذلك موجدة شديدة حتى ماأقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلنى واعتنقنى قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث أسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويحب ان يثنى عليه خيرا ، فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يارسول الله لو رأيت مافعل أسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله فشد عليه أسامة فقتله وهو ﷺ يعرض عنهم فلما أكثروا عليه ﷺ رفع رأسه الشريف لاسامة فقال يا أسامة أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إله إلا الله اذا جاءت يوم القيامة ؟ فقال أسامة رضى الله تعالى عنه انما قالها خوفا من السلاح . وفى رواية انما كان متعوذا من القتل قال أسامة رضى الله تعالى عنه ولا زال رسول الله ﷺ يكرر على حتى تمنيت انى لم أسلم الا يومئذ انتهى ، والذى فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) أصله ان مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ وكان عليها غالب بن فضالة الليثى رضى الله تعالى عنه فهربوا و بقى مرداس لثقته باسلامه . فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه . ثم قرأ الآية على أسامة فقال يارسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله ؟ فمازال يكررها حتى وددت انى لم أكن أسلمت الا يومئذ ، ثم استغفر لى وقال أعتق رقبة ، وسيأتى نحو ذلك فى سرية غالب بن عبد الله الليثى لى مصاب بشير بن سعد ، و يبعد تعدد هذه الواقعة سيما فى مواطن ثلاثة أو أربعة وكون يسار مولى رسول الله ﷺ كان دليلا فى هذه السرية يقتضى انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه ثم رأيته فى النور قال ولعل هذا غير ذاك لكن لم أر له ذكرا فى الموالى الا ان يكون أحد موالى أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد اسامة

رضى الله تعالى عنه مع على كرم الله وجهه قتالا وقال له لو أدخلت يدك فى فم تنين لأدخلت يدى معها ولكنك قد سمعت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذى شهد أن لا اله إلا الله وقلت له أعطى الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله والله أعلم

سرية بشير بن سعد الانصارى رضى الله تعالى عنه الى يمن

بفتح الياء آخر الحروف وقيل بضمها ، أو يقال أمن بالهمزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خيبر ، لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن أى قبل أن يسلم رضى الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد فعقد له لواء و بعث معه ثلثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فأصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد وذهبوا الى القوم وأخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم، وعليا بضم العين وسكون اللام مقصورا نقيض السفلى فلم يظفر بأحد منهم الا برجلين أسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فأسلم الرجلان فأرسلهما صلى الله عليه وسلم قال والرجلان من جمع عيينة فان المسلمين لما لقوا جمع عيينة انهزموا أمامهم وتبعوهم أخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى ، أى وعيينة بن حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة ، وقيل له عيينة ، قال فى الاصل لان عينه جحظت أى عظمت وكبرت فلقب بذلك رضى الله تعالى عنه

سرية ابن أبى العوجاء السلمى رضى الله تعالى عنه الى بنى سليم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى العوجاء رضى الله تعالى عنه السلمى فى خمسين رجلا الى بنى سليم فكان لهم جاسوس مع القوم فخرج اليهم وسبق القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاؤا والهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا أى حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تأتيهم وأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبى العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه الى بنى الملوح

بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثى فى بضعة عشر رجلا قل وما نقل عن الواقدى انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك فى سرية غالب غير هذه انتهى * أقول وهى المتقدمة التى توجهت لبنى عوال و بنى عبد بن ثعلبة بالميفعة والله أعلم ، وأمره صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله وأصحابه أن يشنوا الغارة على القوم فخرجوا حتى اذا كانوا بقديد لحقوا الحرث الليثى فأسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فقالوا له ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر أى وفى لفظ خلفوا عليه رجلا أسود منهم ، وقالوا له ان نازعك فحز رأسه ، وساروا حتى أتوا محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا فى ناحية الوادى قال جندب الجهنى وأرسلنى القوم جاسوسا لهم فخرجت

حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر أى القوم المقيمين بمحلهم فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لأنظر اذ خرج رجل منهم فقال لامرأته انى لأنظر على هذا الجبل سوادا ما رأيته قبل ، انظرى الى أوعيتك لاتكون الكلاب جرت منها شيئا فنظرت فقالت والله مافقدت من أوعيتى شيئا فقال ناولينى قوسى ونبلى فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهما فوالله ماأخطأ بين عينى فانتزعته وثبت مكانى فأرسل آخر فوضعه فى منكبى فانتزعته وثبت مكانى فقال لامرأته والله لو كان جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لاأبالك أى بكسر الكاف أى لا كافل لك غير نفسك، وهو بهذا المعنى يذكر فى معرض المدح وربما يذكر فى معرض الذم وفى معرض التعجب لابهذا المعنى، فاذا أصبحت فانظر يهما لاتمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمأنوا وناموا شنينا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد أن قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، أى ومروا على الحرث الليثى فاحتملوه واحتملوا صاحبهم الذى تركوه عنده فخرج صريخ القوم فى قومهم فجاء مالاقبل لنا به فصار بيننا و بينهم الوادى فأرسل الله سحابا فأمطر الوادى مارأينا مثله فسال الوادى بحيث لايستطيع أحد أن يجوز به فصاروا وقوفا ينظرون الينا ونحن متوجهون الى ان قدمنا المدينة ، أى وفى لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون الينا اذ جاء الله بالوادى من حيث شاء يملأ جنبيه ماء والله مارأينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء بمالايستطيع أحد أن يجوزه فوقفوا ينظرون الينا ، وقد وقع نظير ذلك أى سيل الوادى لقطبة بن عامر حين توجه الى بنى خثعم بناحية تبال كما سيأتى

سريه غالب بن عبد الله الليثي رضى الله تعالى عنه الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه

أى فى بنى مرة بفدك ، لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم فى مائتى رجل الى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد وذلك فى بنى مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيأ صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضى الله تعالى عنه قال ﷺ للزبير اجلس فسار غالب رضى الله تعالى عنه الى أن أصبح القوم فأغاروا عليهم، وكان غالب رضى الله تعالى عنه قد أوصاهم بعدم مخالفتهم له وآخى بين القوم فساقوا نعما وقتلوا منهم قال لما دنا غالب منهم ليلا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لاشريك له وأن تطيعونى ولاتخالفوا لى أمرا فانه لارأى لمن لا يطاع وفى رواية لاتعصونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقدعصانى وانكم متى ماتعصونى فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ألف رضى الله تعالى عنه بين القوم فقال يافلان أنت وفلان و يافلان أنت وفلان لايفارق رجل منكم زميله ، فإيا كم أن يرجع الرجل منكم فاقول له أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب رضى الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان فى القوم أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما وتفقده غالب رضى الله عنه فلم يره و بعدساعة أى من الليل أقبل فلامه غالب وقال ألم تر الى ماعهدت اليك فقال خرجت فى أثر رجل منهم جعل يتهكم بى حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لااله إلا الله فقال له الأمير بئسما فعلت وماجئت به تقتل امرأ يقول لااله الا

الله فقدم اسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة أبعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم انتهى ، وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم مافيها ، وقوله هنا حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف . قال لااله الاالله يقتضى انه انما قال لااله الاالله بعد ضربه بالسيف الاان يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتأمل

سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله تعالى عنه الى بنى عامر

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله تعالى عنه فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن ، أى يقال لهم بنو عامر وأمره ﷺ أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون ، أى وقد نهى أصحابه أن يمعنوا فى الطلب فأصابوا نعما وشاء ، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم

سرية كعب بن عمير الغفارى رضي الله تعالى عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفارى الى ذات أطلاح من أرض الشام وراء وادى القرى فى خمسة عشرة رجلا فوجدوا جمعا كثيرا ، أى لانه لما دنا كعب بن عمير رضى الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فأخبروهم بقلة المسلمين [] فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن عمير فانه ظن قتله ، فلما أمسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى محل آخر فتركهم * أقول لم أقف على السبب الذى اقتضى البعث الى ذلك المحل والله أعلم

سرية عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه الى ذات السلاسل

أرض بها ماء يقال له السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية ، أى وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى ، قيل سمى المكان بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة . يقال ماء سلسل وسلسال اذا كان سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه . وتلك الارض وراء وادى القرى وقيل لأن المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا * أقول والخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى زمن الصديق غزاة مع أهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لان السلاسل منعتهم من الهزيمة ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاسل الى الصديق رضى الله تعالى عنه والله أعلم * بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ، أى وذلك بعد اسلامه بسنة وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا ، وأمره صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليهم فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من القوم فبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهنى رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وعقد له لواء وأمره أن يلحق

بعمرو وان تكونا جميعا ولا تختلفا فلحق بعمرو أبو عبيدة وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو انما قدمت على مددا وأنا الامير ، قال وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدة لعمرو وأنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه ، فقال عمرو أنتم مددلنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف ، قال لتعلم ياعمرو أن آخر شيء عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتنى لأطيعنك ، قال فانى الامير عليك ، قال فدونك اه [] أى لان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة فكان عمرو يصلى بالناس ، أى وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ، قال بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى ، فقال ياعمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله و يسلمك ? فقلت انى لم أسلم رغبة فى المال ، قال نعم المال الصالح للرجل الصالح ورأوا جمعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فتفرقوا ، قال وأراد المسلمون أن يتبعوهم فنعهم عمرو رضى الله تعالى عنه وأرادوا أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد فنعهم عمرو ، أى وقال كل من أوقد نارا لأقذفنه فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة المهاجرين فى ذلك فغالظه عمرو فى القول ، وقال له قد أمرت أن تسمع لى وتطيع ، قال نعم ، قال فافعل ، ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غضب وهم أن يأتيه فنعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لعلمه بالحرب فسكت ، واحتلم عمرو رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا ، فقال لاصحابه ماترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس اه ثم بعث عمرو عوف ابن مالك مبشرا للنبى صلى الله عليه وسلم بقدومهم وسلامتهم . قال قال عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى بيته فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله و بركاته فقال عوف بن مالك ، فقلت نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله ، فل أخبرنى ، أخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبى عبيدة بن الجراح و بين عمرو ومطاوعة أبى عبيدة لعمرو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أباعبيدة بن الجراح ، وأخبرته بمنع عمرو رضى الله تعالى عنه للمسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته بأصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم فى ذلك . قال كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره . قال عمرو وسألنى عن صلاتى . فقال ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؛ فقلت و لذى بعثك بالحق انى لو اغتسلت لمت لم أجد بردا قط مثله . وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فضحك صلى الله عليه وسلم اه أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فانى لم أقف على انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء

سرية الخبط

وهو ورق السمر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعبيدة بن الجراح فى ثلثمائة رجل من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى حى من جهينة فى ساحل البحر ، وقيل ليرصدوا عيرا لقريش . أى وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة لواقعة فى الحديبية . لما تقدم انه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عيرا لقريش الى الفتح وتعدد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون

سرية الخبط مرتين . مرة قبل الهدنة ومرة بعدها . ومن ثم حكم على هذا القول بانه وهم . فأقاموا بالساحل نصف شهر فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط ؛ أى كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم فان أباعبيدة رضى الله تعالى عنه كان يعطى الواحد منهم فى اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها فى ثوبه . أى وعن الزبير رضى الله تعالى عنه انه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمرة . قال نمصها كما يمص الصبى ثدى أمه ، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل لانه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه يقوتهم إياه حتى صار يعده لهم عدا حتى كان يعطى الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط ، ولما رأى قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع ، أى مشقته أى وقال قاتلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة اليه لما بالناس من الجهد قال من يشترى منى تمرا أوفيه له فى المدينة بجزر يوفيها الى ههنا : فقال له رجل من أهل الساحل أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت ؟ قال أنا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما أعرفنى بسعد ان بينى و بين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرها ستون صاعا ، وجمع الأول أوسق والثانى أوساق . فقال له الرجل اشهد لى فقال أشهد من تحب فأشهد نفرا من المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ان عمر رضى الله تعالى عنه امتنع من أن يشهد ، وقال هذا يدان ولا مال له انما المال لأبيه . فقال الرجل والله ما كان سعد ليخنى بابنه ، أى لا يوفى عن ابنه ما التزمه ، فكان بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس الكلام وأخذ قيس رضى الله تعالى عنه الجزر فنحر لهم منها ثلاثة فى ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم فى اليوم الرابع فنهاه أبوعبيدة وقال له عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك : أى لا يوفى لك بما التزمت ولا مال لك . فقال له قيس رضى الله تعالى عنه أترى أبا ثابت يعنى والده سعدا يقضى ديون الناس و يطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ، وفى البخارى أن قيسا رضى الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبوعبيدة أى ومما يؤيد ما ذكر من ان الجزر كانت خمسة وانه نحر لهم ثلاثة أيام كل يوم جزورا ماجاء فى بعض الروايات انه بقى معه جزوران قدم بهما المدينة يتعاقبون عليهما فلينظر الجمع ، ثم ان البحر ألقى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث ان أباعبيدة رضى الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من أضلاعها . وفى لفظ من أضلاعه ومر تحته أطول رجل فى القوم أى وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على أطول بعير لم يطأطئ رأسه وعن جابر رضى الله تعالى عنه : انه قال دخلت أنا وفلان وفلان وعد خمسة نفر عينها ما رآنا أحد أى وفى لفظ ولقد أخذ منا أبوعبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها فأكلوا منها أياما أى نحو شهر وكانوا ثلثمائة فعن بعضهم لما تقرحت أشداقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هى دابة تدعى العنبر . فقال أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه الدهن بالقلال * وفى رواية : فأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك وحملوا من لحمها الى المدينة . أى وقيل لها العنبر لانها تبتلع العنبر فعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه . قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا فى البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفى البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها . وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة فى البحر هائلة الخلقة طولا وعرضا وقد أخبرنى بعض السفار أن علامات على

شاطئ البحر فألقى فى البحر فابتلعته سمكة فوقفت أخفاف يديه فى حلقها فجاءت سمكة فابتلعت تلك السمكة ، وفى زمن الحاكم بأمر الله وجدت سمكة بدمياط طولها مائتا ذراع وعرضها مائة وستون ذراعا وكان يقف فى حلقها خمس رجال بالمجاريف يجرفون الشحم ، وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة أشهر * ولما بلغ سعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم . قال ان يكن قيس يعنى ولده كما أعهد فلينحر للقوم . فلما قدم قيس قال له سعد ما صنعت فى مجاعة القوم ؟ قال نحرت . قال أصبت : قال ثم ماذا قال نحرت . قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت : قال أصبت ثم قال ماذا . قال ثم نهيت . قال ومن نهاك . قال أميرى أبو عبيدة : قال ولم : قال زعم انه لا مال لى انما المال لأبيك : فقلت له أبى يقضى عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يصنع هذا لى فلان لموافقتى فأبى عليه عمر ابن الخطاب الا التصميم على المنع : فقال سعد لولده قيس ذاك أربع حوائط ، أى بساتين أدناها ما يتحصل منه خمسون وسقا ، ثم ان قيسا رضى الله تعالى عنه وفى الرجل صاحب الجزر وحمله أى أعطاه ما يركبه وكساه فبلغ النبى ﷺ ما فعل قيس فقال انه فى بيت جود ، ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت : أى ومن ثم قال بعضهم لم يكن فى الاوس والخزرج مطعمون يتوالدون فى بيت واحد الا قيس وأبوه سعد وأبوه عبادة وأبوه دليم ، كان فى كل يوم يقف شخص على أطم ينادى من يريد الشحم واللحم فعليه بدار أبى دليم : أى وكان أصحاب الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة ، وأما سعد فيطلق بالثمانين . وعن سعد بن عبادة زارنا النبى ﷺ فى منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله . ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة . قال ويذكر ان سعدا جاء الى النبى ﷺ . فقال من عذيرى من ابن الخطاب يبحل على ابنى اه . ويذكر عن سعد بن عبادة انه كان شديد الغيرة لم يتزوج الا بكرا ، وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها . وعن جابر رضى الله تعالى عنه ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله ﷺ أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شىء فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه فأكله أى ولم يكن أروح بدليل انه ﷺ قال لو نعلم انا ندركه لم يروح لاحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك ازديادا منه

سرية أبى قتادة رضى الله تعالى عنه الى غطفان

أرض محارب ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة فى خمسة عشر رجلا الى غطفان وأمره ان يشن الغارة عليهم فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم عليهم وأحاط بهم وقتلوا من أشرافهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل مائتى بعير والغنم ألفى شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد اخراج الخمس اثنى عشر بعيرا وعدل البعير بعشرين من الغنم ، ووقع فى سهم أبى قتادة رضى الله تعالى عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه ﷺ فوهبها له ثم وهبها ﷺ لشخص ، أى كان وعده بجارية من أول فىء يفىء الله به ، فجاء ذلك الشخص الى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية من أول فىء يفىء الله به عليك فأرسل رسول الله ﷺ الى أبى قتادة ، قال هب لى الجارية فوهبها له الحديث

سرية عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله تعالى عنه الى الغابة

وهى الشجر الملتف ، قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومى فجئت رسول الله ﷺ أستعينه

على ذلك ، فقال كم أصدقت ، قلت مائتى درهم . فقال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واديكم هذا . وفى لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان مازدتم والله ماعندى ما أعينك فلبثت أياما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له رفاعة بن قيس أوقيس بن رفاعة فى جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين : فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتونى منه بخبر ودفع لنا شارفا عجفاء أى ناقة مسنة : وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا فوالله ماقامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت فى ناحية وصاحبى فى ناحية أخرى ، فقلت لهما اذا سمعتمانى قد كبرت فكبرا فوالله انا كذلك ننتظر غرة القوم الاورفاعة بن قيس أوقيس بن رفاعة المجمع للقوم خرج فى طلب راع لهم أبطأ عليهم وتخوفوا عليه . فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولاتذهب أنت : فقال والله لايذهب الا أنا : فقالوا فنحن معك . فقال والله لايتبعنى أحد منكم وخرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته أى رميته بسهم فوضعته فى فؤاده فوالله ماتكلم ووثبت عليه فاحتززت رأسه وشددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا فهرب القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا فى صداق ، قال وبعضهم جعل هذه السرية وسرية أبى قتادة الى غطفان بأرض محارب التى قبل هذه واحدة ، أى ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ماصنع فى الاصل ، قال ويدل لكونهما واحدة مانقل عن عبدالله بن أبى حدرد . قال لما طلبت منه صلى الله عليه وسلم الاعانة فى مهر زوجتى ، قال لى ماوافقت عندنا شيئا أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أباقتادة فى أربعة عشر رجلا فى سرية فهل لك ان تخرج فيها فانى أرجو ان يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا الحاضر ، أى وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه ، أى كما تقدم فلما ذهبت فحمة العشاء أى اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى وألف بين كل رجلين ، وقال لايفارق كل رجل زميله حتى يقتل أى يرجع ولايجىء الى الرجل فاسأله عن صاحبه فيقول لاعلم لى به ، واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولاتمعنوا فى الطلب فأحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقتل رجال من القوم واذا فيهم رجل طويل فأقبل على وقال يامسلم هلم الى الجنة يتهكم بى فملت اليه فذهب أمامى أى وصار يقبل على بوجهه مرة ويدبر عنى بوجهه مرة أخرى فتبعته . فقال لى صاحبى لاتتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن فى الطلب ولازال كذلك . وقال ان صاحبكم لذو مكيدة وان أمره هو الأمر فأدركته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبى فأخبرنى انهم جمعوا الغنائم وان أباقتادة تغيظ على وعليك فجئت أباقتادة فلامنى فأخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ، ثم لما أصبحنا رأيت فى السبى امرأة كأنها ظبى تكثر الالتفات خلفها وتبكى ، فقلت لها أى شىء تنظرين ، قالت والله أنظر الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع فى نفسى انه الذى قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب ، فقالت فأرنى غمده ، فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت ولبدت انتهى ، ولايخفى ان السياق فى كل يبعد كونهما واحدة

سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه الى بطن أضم

اسم موضع أوجبل ، لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أباقتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفرمن جلتهم محكم بن جثامة الليثي الى بطن أضم ليظن ظان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية وتنشر بذلك الاخبار ، فمرّ عليهم عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله ، أي لشئ كان بينه و بينه وسلبه متاعه و بعيره وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول ﷺ قدتوجه الى مكة فمالوا اليه حتى لقوه قال وقال رسول الله ﷺ لمحكم أقتلته بعدما قال آمنت بالله * وفي رواية بعدما قال انى مسلم أى أتى بما لم يأت به الاموءمن آمن بالله وكان مسلما ، قال يارسول الله انما قالها أي تحية الاسلام متعوذا قال أفلاشققت عن قلبه ، قال لم يارسول الله ؟ قال لتعلم أصادق هو أم كاذب ، أي وفي رواية فقال يارسول الله لوشققت عن قلبه أكنت أعلم مافي قلبه فقال له فلا أنت قبلت ماتكلم به ولا أنت تعلم مافي قلبه ، فقال استغفرلي يارسول الله فقال لاغفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده اه وانزل الله تعالى فيه (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) الى آخر الآية ، وذكر ابن اسحق في خبر محكم أن النبي ﷺ صلى بحنين ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان في عامر بن الاضبط ، عيينة بن حصن يطالب دمه ، أي و يقول والله يارسول الله انى لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ماأذاق نسائي ، والاقرع يدافع عن محكم وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية ثم قالوا ان محكما يستغفرله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل آدم طويل أي عليه حلة قدكان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان ، فقال له ما اسمك ؟ قال أنا محكم قدفعلت الذي بلغك واني أتوب الى الله تعالى واستغفرلي يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لاتغفر لمحكم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الاسبعا حتى مات فلفظته الارض مرات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه . أي ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم ، أي وفي رواية ان الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله الا الله أي حرمة من يأتي بها ، ولفظ الارض له يرد ماقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفرله بعد دعائه عليه الا أن يكون المراد استغفرله بعد موته ، و يوافقه مافي بعض الروايات أراد الله أن يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد أن لا إله الا الله أو يقول اني مسلم اذهبوا به الى شعب بني فلان فادفنوه فان الارض ستقبله فدفنوه في ذلك الشعب فيجوز أن يكون استغفرله حينئذ ، وقيل ان الذي لفظته الارض غير محكم لان محكما مات بحمص أيام ابن الزبير رضي الله تعالى عنه . والذي لفظته الارض اسمه فليت

سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى العزى

أرسل رسول صلى الله عليه وسلم أي حين فتح مكة خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من أصحابه الى

العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا ، وفى لفظ العزى نخلات أى سمرات مجتمعة لانه كان يهدى اليها كما يهدى الى الكعبة لان عمرو بن لحى أخبرهم ان الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى ، فلما وصل الى محلها أى وكان بناء على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء ، ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ، فقال له هل رأيت شيئا قال لا قال فارجع اليها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أى أى شعر رأسها منتشر تحثو التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أى يقول ياعزى عوريه ياعزى خبليه فضربها خالد فقطعها نصفين أى وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك ＊ انى رأيت الله قد أهانك

ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى

سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى سواع

بالعين المهملة ، أى سمى باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة وكان لقوم نوح ، ثم صار لهذيل كانوا يحجون اليه ، أى قبل فتح مكة و بعد ذلك أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى جماعة من أصحابه الى سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو رضى الله عنه فانتهيت الى ذلك الصنم وعنده سادنه أى خادمه ، فقال لى ما تريد ؟ فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر . قلت لم ؟ قال تمنع . قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيئا ، ثم قلت للسادن كيف رأيت ، قال أسلمت لله

سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة

صنم كان للأوس والخزرج أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الاشهلى فى عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله ، فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصياتك فضربها سعد رضى الله عنه فقتلها وهدم محلها

سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى بنى جذيمة

بناحية يلملم يدعوهم الى الاسلام ، أى ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يأمره بقتالهم أى اذا لم يسلموا ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بنى سليم ، أى وهو عليه الصلاة والسلام مقيم بمكة الى بنى جذيمة وكانوا فى الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا أخا الفاكه أيضا فى الجاهلية وكانوا من أشر حى فى الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علموا به وعلموا ان معه بنى سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه فى موطن واحد خافوه فلبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضى الله عنه اليهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فألقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم الا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت بقية القوم . وفى رواية لما

انتهى خالد الى القوم فتلقوه ، فقال لهم ماأنتم أى أمسلمون أم كفار قالوا مسلمون قدصليناوصدقنا بمحمد ﷺ و بنينا المساجد فى ساحتناوأذنا فيها ، وفى لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فقالواصبأنا صبأنا قال فمابال السلاح عليكم قالوا ان بيننا و بين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم فى أصحابه ، فلما كان فى السحر نادى منادى خالد رضى الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنوسليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار رضى الله تعالى عنهم وأرسلوا أسراهم ، فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم مافعل خالد ، أى فان رجلا من القوم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد . فقال له النبى ﷺ هل أنكر عليه أحد ماصنع قال نعم رجل أصفر ربعة ورجل طويل أحمر فقال ، عمر رضى الله تعالى عنه والله يارسول الله أعرفهما اما الاول فهو ابنى فهذه صفته وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حذيفة ، فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد ، أى قال ذلك مرتين وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه فودى لهم قتلاهم قال له ﷺ ياعلى اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ودفع اليه ﷺ مالا أى ابلا وورقا يدى به قتلاهم و يعطيهم منه بدل ماتلف عليهم من أموالهم فودى قتلاهم وأعطاهم عوض ماتلف عليهم حتى ميغلة الكلب ، أى الاناء التى يشرب فيها حتى اذا لم يبق لهم دم ولامال قال هل بقى لكم دم أومال قالوا لا قال أعطيكم مابقى معى من المال احتياطا بدل مالا تعلمون ؛ أى مما تلف من أموالكم ثم رجع الى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ أصبت وأحسنت أى وزاد * وفى رواية والذى أنا عبده لهى أحب الى من حمر النعم ؛ ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى ، ووقع بين خالد بن الوليد و بين عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك : فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ، فقال له انما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت أناقتلت قاتل أبى * أى وفى رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل فى الجاهلية ؛ فقال خالد ومن أخبركم انهم أسلموا ، فقال أهل السرية كلهم اخبروا بأنك قدوجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالاسلام ؛ فقال جاءنى أمر رسول الله ﷺ انى أغير ، فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله ﷺ . وانما أخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياخالد دع عنك أصحابى فوالله لوكان لك أحد ذهبا فأنفقته فى سبيل الله ماأدركت غدوة رجل منهم ولاروحته . أى والغدوة السير فى أول النهار الى الزوال ، والروحة السير من الزوال الى آخر النهار والمراد بأصحابه هنا السابقون الى الاسلام . ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية . فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذين يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لايليق بهم منزلة غير الصحابة ؛ قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور أعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم أعرض عن خالد وقال ياخالد ذرأ صحابى * وفى رواية لاتسب أصحابى لوكان لك أحد ذهبا فانفقته قيراطا قيراطا فى سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى ، أى ولايخفى أنه يبعد أن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه انما قتلهم لقولهم صبأنا ولم يقولوا أسلمنا الا أن يقال يجوز أن يكون خالد فهم انهم قالوا ذلك على سبيل الانفة وعدم الانقياد الى الاسلام وانه

صلى الله عليه وسلم انما أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ، ثم لايخفى انه جاء لاتسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ماأدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه ، ونقل الامام السبكى عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فانه كان يحضر مجلس وعظه ان قوله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا أصحابى كان خطابا لمن يأتى بعده من أمته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات ، فرأى فى بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال خطابا لهم لاتسبوا أصحابى وارتضى منه هذا التأويل اه فالنهى والخطاب بلاتسبوا أصحابى لغير الصحابة تنزيلا للغائب الذى لم يوجد منزلة الموجود الحاضر . وفيه ان هذا لايساعد عليه المقام ، وفى الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم مايقطع الاطماع عن مداناتهم فان كون ثواب انفاق مثل جبل أحد ذهبا فى وجه الخير لايبلغ ثواب التصدق بنصف المدّ الذى اذا طحن وعجن لايبلغ الرغيف المعتاد أمر عظيم * أقول ووقع لخالد رضى الله تعالى عنه نظير ذلك فى زمن خلافة الصديق فان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالدا لقتال أهل الردة وكان من جلتهم مالك بن نويرة فأسره خالد هو وأصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادى خالد أن ادفئوا أسراكم فظن القوم انه أراد ادفنوا أسراكم أى اقتلوهم فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا أراد الله أمرا أمضاه وتزوج خالد رضى الله عنه زوجة مالك بن نويرة وكانت من أجل النساء ويقال ان خالدا استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة ألم تعلم أن الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له أهو صاحبنا وليس هو بصاحبك ياضرار اضرب عنقه ، وأمر برأسه فجعل ثالث حجرين جعل عليها قدر يطبخ فيه لحم ، فعل ذلك ارجافا لاهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق رضى الله تعالى عنهما اعزله فان فى سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضى الله تعالى عنه لاأغمد سيفا سله الله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين ، وقال الصديق رضى الله تعالى عنه فى حق خالد عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد ، وفى كلام السهيلى أنه روى عن عمر بن الخطاب أنه قال لابى بكر الصديق ان فى سيف خالد رهقا فاقتله ، وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لأبى بكر اقتله فقال لاأفعل لانه متأول فقال اعزله فقال لاأغمد سيفا سله الله تعالى على المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل وأصل العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضى الله عنهما على ماحكاه الشعبى انهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ، ولما ولى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه الخلافة أوّل شئ بدأ به عزل خالد تقدم وقال لايلى لى عملا أبدا وقيل لكلام بلغه عنه ومن ثم أرسل الى أبى عبيدة ان أكذب خالد نفسه فهو أمير على ماكان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول فانتزع عمامته وقسمه ماله نصفين فلم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتى احدى نعليه وترك له الاخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لامير المؤمنين وبلغه أن خالدا أعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء احسانه فأرسل لأبى عبيدة أن يصعد المنبر ويوقف خالدا بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته

لان العشرة آلاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهى خيانة ، فلما قدم خالد رضى الله تعالى عنه على عمر رضى الله تعالى عنه قال له من أين هذا اليسار الذى تجيز منه بعشرة آلاف فقال من الأنفال والسهمان قال مازاد على التسعين ألفا فهو لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفا ثم قال له والله انك على لكريم وانك لحبيب ولم تعمل لى بعد اليوم على شئ وكتب رضى الله عنه الى الامصار انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع أى وان نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا بشجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزل خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتأويل له فى ذلك كما انه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى السماء وقال اللهم انى أبرأ اليك مما فعل خالد لكونه كان شديدا على الكفار لرجحان المصلحة على المفسدة ، وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به فعزله وولى اباعبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق رضى الله تعالى عنه لينا وخالد بن الوليد شديدا وعمر رضى الله عنه كان شديدا وأبو عبيدة لينا فكان الاصلح لكل منهما أن يولى من ولاه ليحصل التعادل والله أعلم . وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه كان فى القوم رجل قال لهم انا لست من هؤلاء ولكنى عشقت امرأة فلحقتها فدعونى انظر اليها ثم افعلوا بى ما بدا لكم ثم أشار الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت والله ليسير ما طلب فأخذته حتى أوقفته عليهن فانشد أبياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت حتى وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت ؛ أى وفى رواية فأكبت عليه تقبله حتى ماتت انتهى ، أى وفى رواية فانحدرت اليه من هودجها فحنت عليه حتى ماتت ، فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم القلب

سرية أبى عامر الاشعرى رضى الله عنه الى أوطاس

لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طائفة بأوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعامر الأشعرى عم أبى موسى الاشعرى فى جماعة فيهم أبو موسى الاشعرى ووقع فى الاصل ان أباعامر ابن عم أبى موسى الاشعرى قال فى النور وهو غلط وانما أبو موسى ابن أخى أبى عامر فلحقوا القوم وتناوشوا القتال أى تكافئوا فيه وبارز أبو عامر تسعة ويقال انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد أى وصار كل من برزله منهم يدعوه الى الاسلام فيأبى فيقول اللهم اشهد ويحمل عليه فيقتله ثم برزله أخوهم العاشر فقتل أباعامر أى فانه قال له أسلم فابى فقال اللهم اشهد فقال اللهم لاتشهد وفرش يديه فظن أبو عامر أنه أسلم فكف عنه فعاد الى أبى عامر فقتله ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وكان اذا رآه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد بى عامر ، قال وعن أبى موسى الاشعرى قال جئت لابى عامر وفيه رمق فقلت ياعم من رماك فقال ذاك واشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحى ألا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم قلت لأبى عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فقال يا ابن أخى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يستغفر لى وقال ادفع فرسى وسلاحى له انتهى فليتأمل الجمع بين هذا وما قبله وقبل أن يموت أبو عامر رضى الله عنه استخلف ابن عمه أباموسى ودفع الراية له وفى لفظ أن أباعامر رماه واحد فاصاب قلبه ورماه آخر فاصاب ركبته فقتلاه وولى الناس أباموسى فحمل عليهما فقتلهما أى وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المشركون بالغنائم والسبايا ولما رجع

أبو موسى رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت أبي عامر استغفر له رسول الله ﷺ وقال اللهم اجعله من أعلى أمتي في الجنة أي وفي رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس ودعا لابي موسى أي فقال اللهم اغفر له ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما .

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين

صنم عمرو بن حميمة الدوسي ليهدمه

لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل رضي الله تعالى عنه لهدم ذي الكفين وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشي النار في وجهه وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الازد من يحمل رايتكم فقال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الراوية قال أصبتم .

سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله تعالى عنه الى بني تميم

أي وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بني كعب لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فاخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطونهم اموالكم فاجتمعوا واشهروا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولابد في ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لاندع يخرج بعير واحد ، ولما رأى بشر رضي الله تعالى عنه ذلك قدم المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة ، وفي لفظ احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحرث فجاء في اثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورياح بكسر الراء والمثناة تحت ابن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاءوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم ، أي بعد أن دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطئوه فجاءوا من وراء الحجرات فنادوا أي بصوت جاف ، اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يامحمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضي الله تعالى عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم أي قالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك ، فقال لهم النبي ﷺ ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله ﷺ فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد : أي بعد أن قالوا له ما تقدم ومنه ان مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب ، فقال لهم رسول الله ﷺ كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين ، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له ائذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم ، وفي لفظ اني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب . وفي لفظ قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك

وفضل قومك فتكلم وخطب ، أى فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخر فليعدد مثل ماعددنا وانالو نشاء لا كثرنا وانما أقول قولى هذا لان يأتوا بمثل قولنا أو أمرا أفضل من أمرنا ، ثم جلس . أى وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها مانشاء فنحن خير أهل الارض وأكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا ، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه ، أى قال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ، ثم انه كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه قلبا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ، ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ، أى وفى رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاما فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، ثم قال الزبرقان لرجل منهم فقم يافلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حىّ يعادلنا ✻ نحن الرءوس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ✻ انا لذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله ﷺ علىّ بحسان بن ثابت فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ماقاله فأسمعه فقال حسان رضى الله تعالى عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة ✻ على من رغم عات بعيد وحاضر

وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا ✻ وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله ﷺ افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يارسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ماشأنك قال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت النبى ﷺ فرجع الرجل الى رسول الله ﷺ فأعلمه فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة . وقال ﷺ نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسه فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال له انى أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى

ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعنى أبابكر رضى الله تعالى عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ماوصف، وحدث أبا بكر رضى الله تعالى عنه برؤياه فأجاز وصيته قال بعضهم ولا يعلم أحد حدثت وصيته بعد موته سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر و بين حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه كل منهما يذكر قصيدة يذكر فيها فخرا فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها

نحن الكرام فلاحى يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضى الله تعالى عنه وهو مطلعها

اما أبينا ولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه أن هذا البيت من قول بعض بنى تميم، وقد أسمعه لحسان كما تقدم فليتأمل، ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس و بين حسان رضى الله تعالى عنه فقال الاقرع بن حابس انى والله يامحمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال له ﷺ هات فانشد

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رءوس الناس من كل معشر * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ قم ياحسان فأجبه، فقال

بنى دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله ﷺ للاقرع لقد كنت غنيا ياأخا بنى دارم أن تذكر ماكنت ترى أن الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول حسان رضى الله تعالى عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا : أى ثم دنا من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لااله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله ﷺ لايضرك ما كان قبل هذا، ورأى النبى ﷺ يقبل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله لى من الولد عشرة ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لايرحم لايرحم قال ابن دريد رحمه الله اسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان فى رأسه، والقرع انحصاص الشعر وكان رضى الله تعالى عنه شريفا فى الجاهلية والاسلام ونزل فيهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) ووقع أن عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان عند النبى ﷺ أنه مطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يارسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال . وفى لفظ أن الزبرقان قال يارسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى أدانيه ، انه لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يارسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال أحمق والد مبغض فى العشيرة فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله ﷺ فقال يارسول الله والله لقد صدقت

فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ماعلمت وسخطت فقلت أقبح ماعلمت وفى رواية والله يارسول الله لقد صدقت فيهما ارضانى فقلت أحسن ماعلمت وأسخطنى فقلت أسوأ ماعلمت فعند ذلك قال النبى ﷺ «ان من البيان لسحرا» وجاء أن من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا ، قال بعضهم أما قوله ﷺ أن من البيان سحرا فان الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ، وأما قوله ان من العلم جهلا فان العالم يكلف مالا يعلم فيجهله ذلك ، وأما قوله ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والامثال . وأما قوله وان من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه هذا كلامه ، وفيه ان هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا وانما هو من السحر الحلال ، ومن ثم أقر ﷺ عمرو بن الاهتم عليه ولم يسخطه منه فالسحر المذموم أن يصور الباطل فى صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لان البيان بعبارة مقبولة عذبة لا استكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ماموّه به ثم أنه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم قال أى بعد أن أسلموا وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية قيل الا عمرو بن الاهتم فان القوم خلفوه فى ظهورهم لانه كان أصغرهم سنا فأعطاه خمس أواق ، وقد اختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا . وقيل كانوا ثمانين . وقيل كانوا تسعين انتهى أى والذى فى الاستيعاب ثم أسلم القوم و بقوا فى المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أسراهم ونساءهم وقال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم فى ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم و بلغ عمرا ما قال قيس فى حقه فأنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان رضى الله تعالى عنه جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وأنزل الله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قيل معناه لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا اجابته بالاعذار التى يؤخر بها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه ﷺ بسرعة الاجابة

سرية قطبة بن عامر رضى الله تعالى عنه الى حى من خثعم

بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر فى عشرين رجلا الى حى من خثعم وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم أى سكت ولم يعلمهم بالامر فجعل يصيح بالحاضر أى وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل فحال بينهم و بين القوم فلم يجد القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

سرية الضحاك الكلابي رضي الله تعالى عنه

فى جمع الى بنى كلاب فلقوهم ودعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقى أباه فى جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع فامسك أباه الى أن أتى بعض المسلمين فقتله ، أى وفى رواية أنه ﷺ بعث لبنى كلاب وكتب اليهم فى رق فلم ينقادوا للاسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم ، فلما بلغ النبى ﷺ ذلك قال مالهم أذهب الله عقولهم فصار لا يوجد أحد منهم الا مختل العقل مختلط الكلام بحيث لا يفهم كلامه

سرية علقمة بن مجزز رضى الله تعالى عنهما

بضم الميم وفتح الجيم وزايين الأولى مكسورة مشددة المدلجى أى وهو ولد القائف الذى قاف فى حق زيد بن حارثة وأسامة رضى الله تعالى عنهما وقال ان بعض هذه الاقدام من بعض فهو صحابى ابن صحابى الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة أى فى مراكب ، وجدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر لان الجدة شاطئ البحر فبعث اليهم علقمة بن مجزز رضى الله تعالى عنهما فى ثلثمائة فخاض بهم البحر حتى أتوا الى جزيرة فى البحر فهربوا ، أى ورجعوا ولم يلق كيدا ثم لما كانوا فى أثناء الطريق أذن علقمة رضى الله تعالى عنه لجماعة أن يتعجلوا وأمّر عليهم أحدهم فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم أميرهم عزمت عليكم الا تواثبتم أى وقعتم فى هذه النار فقام بعض القوم فحجزوا حتى ظن انهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه * قال وعن على كرّم الله وجهه . قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فاغضبوه فى شئ ، فقال اجمعوا لى حطبا فجمعوا له ، ثم قال أوقدوا نارا فاوقدوها ، ثم قال ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ، قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انا فررنا الى رسول الله ﷺ من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا الى رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك ، فقال لو دخلوها ماخرجوا منها أبدا . وقال ﷺ « لا طاعة فى معصية الله وانما الطاعة فى المعروف » انتهى أى والضمير فى دخلوها للنار التى أوقدت والضمير فى منها لنار الآخرة لان الدخول فيها معصية والعاصى يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر . وفى رواية من أمركم منهم أى من الامراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفى لفظ لا طاعة فى معصية الله ، ولا مانع من تكرر هذه الواقعة

سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه

الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طيئ والغارة عليهم بعث رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب فى خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء

أبيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغار عليهم مع الفجر فهدموا الفلس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان فى السبي أخت عدى بن حاتم الطائى أى واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء و بعد الالف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث ، والسفانة فى الاصل هى الدرة وهذه أسلمت رضى الله تعالى عنها . قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت الا هذه ووجدوا فى خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى رسوب والمخذم واليمانى وثلاثة أدراع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذى هو اليمانى . قال ومر النبى صلى الله عليه وسلم بأخت عدى فقامت اليه ، وكانت امرأة جزلة أى ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم أن يمن عليها فمن عليها فأسلمت رضى الله تعالى عنها وخرجت الى أخيها عدى فأشارت اليه بالقدوم على رسول الله ﷺ فقدم عليه كما سيأتى فى الوفود ، ويذكر أنها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت أن تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء من العرب فانى ابنة سيد قومى ، وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضعيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق . أى وفى لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت أن تمن على ولا تفضحنى فى قومى فانى بنت سيدهم ان أبى كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائى . فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الأخلاق حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق . وفى رواية أنها قالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك . قال ومن وفدك قالت عدى بن حاتم ، قال الفار من الله ورسوله أى لانه هرب لما رأى الجيش كما سيأتى فى الوفود . قالت ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى حتى اذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لى مثل ذلك ، فى اليوم الثالث أشار الى رجل خلفه بأن كلميه فكلمته . فقال رسول الله ﷺ قد فعلت فلا تعجلى حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك فآذنينى ، أى أعلمينى وسألت عن الرجل الذى أشار على بكلامه : فقيل لى انه على ابن أبى طالب كرم الله وجهه . قالت فصبرت حتى قدم على من أثق به جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة . قالت فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى انتهى

﴿ سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى بلاد مذحج ﴾

بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد أبو قبيلة من اليمن * بعث رسول الله ﷺ عليا كرم الله وجهه الى بلاد مذحج من أرض اليمن فى ثلثمائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت أول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق أصحابه رضى الله تعالى عنهم فأتوا بنهب بفتح النون وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فأسرع الى

إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى وجمع علي كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقي على أصحابه ثم رجع علي كرم الله وجهه فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج، أي حجة الوداع. وذكر بعضهم أنه ﷺ بعث عليا كرم الله وجهه في سرية الى اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن الى الاسلام قال في الاصل ان هذه السرية هي الاولى وماقبلها السرية الثانية

(سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وكان نصرانيا)

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسا في رجب سنة تسع الى أكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد أكيدرا من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، وكان على أكيدر قباء من ديباج مخوصة. أي فيها خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد اياها وأرسلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها. فقال صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا، أي وقد تقدم وصالح على أهل دومة الجندل بألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح. ثم خرج خالد بأكيدر وأخيه مصاد قافلا الى المدينة فقدم بالاكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له كتابا فيه أمانهم وختمه يومئذ بظفره: أي ومن جملة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها الى آخره» وهذا كما لا يخفى يدل على أن أكيدر أسلم، أي وهو الموافق لقول أبي نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة وأهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب. وذكر ابن الأثير: أي في أسد الغابة أن القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير. أي وحينئذ يكون قوله في الكتاب حين أجاب الى الاسلام أي انقاد اليه ويبعده قوله وخلع الانداد والاصنام ويتأمل وأنه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الى حصنه وبقي فيه على نصرانيته. ثم ان خالدا رضي الله تعالى عنه حصره في زمن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقتله لنقضه العهد. قال ابن الأثير وذكر البلاذري أن أكيدرا لما قدم على النبي ﷺ أسلم. ثم بعد موته ﷺ ارتد ثم قتله خالد في بعثه ابن عمد من العراق الى الشام. قال وعلى هذا القول لا ينبغي أن يذكر في الصحابة والا كان كل من أسلم في حياته ﷺ ثم ارتد أي ومات مرتدا يذكر في الصحابة. أي ولا قائل بذلك. ثم رأيت الذهبي قال في عمارة بن قيس

بن الحرث الشيباني أنه ارتد وقتل مرتدا في خلافة أبي بكر ، وبهذا خرج عن أن يكون صحابيا بكل حال

سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه

الى أبنى بضم الهمزة ثم موحدة ، ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة . وفي كلام السهيلي رحمه الله وهي قرية عند مؤتة التي قتل عندها زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما * لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك * فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ، ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله فخرج رضي الله تعالى عنه بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا اشتد لذلك منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار أي لان سن أسامة رضي الله تعالى عنه كان ثمان عشرة وقيل تسع عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة . فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ، ثم التفت اليه المهدي وقال كم سنك يا فتى فقال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما . فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة ، ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق فقيل له ما عيبك يا أبا واثلة قال كثرة الكلام . وقيل كان عمر أسامة رضي الله تعالى عنه عشرين سنة . ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنه غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله . وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن أحب الناس الي وانهما مظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم وتقدم أنه رضي الله تعالى عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح خشمه وهو صغير بثوبه ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول أرسلوا بعث أسامة أي واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس أي فلا منافاة بين القول بأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان من جملة الجيش وبين القول بأنه تخلف عنه لانه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لما أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله

تعالى عنه أنه تخلف عن جيش أسامة رضي الله تعالى عنه لما علمت أن تخلفه عنه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وقول هذا الرافضى مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة مردود لانه لم يرد اللعن فى حديث أصلا فلما كان يوم الاحد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من عسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور فطأطأ رأسه فقبله وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ، ثم يضعهما على أسامة رضي الله تعالى عنه قال أسامة فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لي ورجع أسامة رضي الله تعالى عنه الى عسكره ، ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له صلى الله عليه وسلم اغد على بركة الله تعالى فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن رضي الله تعالى عنها قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وفى لفظ فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالى عنهم فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس . أى وفى لفظ أنه رضي الله تعالى عنه لما نزل بذى خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبى بكر رضي الله تعالى عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر به فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب أى فانه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وعند ذلك كلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه فى منع أسامة من السفر أى قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى . أى وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لأن تخطفنى الطير أحب الى من أن أبدأ بشئ قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول ذكر بعضهم أن أسامة رضي الله تعالى عنه وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا عمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه أن يأذن لى أن أرجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله واثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت له الانصار رضي الله تعالى عنهم فان أبى أبو بكر الا أن يمضى أى الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر على أبى بكر رضي الله تعالى عنهم وأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر والله لو تخطفنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ . قال عمر رضي الله تعالى عنه فان الانصار أمرونى أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولى أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه فخرج عمر الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه . وفيه أن هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وانكاره على من طعن فى ولاية أسامة الا أن يدعى عدم بلوغ ذلك للانصار رضي الله

تعالى عنهم الا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الانصار لم يكونوا سمعوا ذلك ولا بلغهم أوجوزوا أن الصديق رضى الله تعالى عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه جوز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من طعن فى ولاية اسامة رضى الله تعالى عنه فليتأمل والله أعلم * وكلم أبو بكر رضى الله تعالى عنه اسامة فى عمر رضى الله تعالى عنه أن يأذن له فى التخلف ففعل ولعل ذلك كان تطييبا لخاطر اسامة ، ومن ثم كان عمر رضى الله تعالى عنه لا يلقى اسامة الا قال السلام عليك أيها الامير كما يأتى ، فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضى الله تعالى عنه أى فى ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعد أن سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق فقال أسامة ياخليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضى الله تعالى عنه أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، وقد وقع نظير ذلك لرسول الله ﷺ لما بعث معاذا رضى الله تعالى عنه الى اليمن شيعه ﷺ وهو يمشى تحت راحلة معاذ وهو يوصيه ، ثم ان أسامة رضى الله تعالى عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يامنصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضى الله تعالى عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه رضى الله تعالى عنهما وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير و بعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم ، وخرج أبو بكر فى المهاجرين والانصار ممن لم يكن فى تلك السرية يتلقون اسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل اسامة رضى تعالى الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ،ثم انصرف الى بيته ، أى وكان فى خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ماخرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام أى وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حتى بعد أن ولى الخلافة اذا رأى اسامة رضى الله تعالى عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول اسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول لا أزال ادعوك ماعشت الأمير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير * وفى السيرة الشامية سرايا أخر تركنا ذكرها تبعا للاصل ، وفى السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله تعالى عنه أن يحج بالناس وهو بمكة . وقد كان ﷺ استعمله عليها لما أراد الخروج الى حنين . وقيل لما رجع من حنين واستمر أميرا على مكة حتى توفى رسول الله ﷺ فأقره الصديق رضى الله تعالى عنه الى أن توفى وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضى الله تعالى عنهما أى لانه أطعم سم سنة فى اليوم الذى أطعم فيه الصديق ذلك وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب فى الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم فى الموقف ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه على الحج فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة و بعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم وأشعرها بيده الشريفة ، وساق أبو بكر رضى الله تعالى عنه خمس بدنات ثم تبعه على كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء أى بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر ونسب للخطا ، فقال له أبا بكر رضى الله تعالى عنه استعملك رسول الله ﷺ على الحج قال لا ولكن بعثنى أقرأ براءة على

الناس

الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين عاما وخاصا ، فالعام ان لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم كما تقدم ، والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قبائل العرب الى آجال مسماة ، وفى كلام السهيلى رحمه الله تعالى لما اردف أبو بكر بعلىّ رضى الله تعالى عنهما رجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله هل أنزل فىّ قرآن ، قال لا ولكن أردت ان يبلغ عنى من هو من أهل بيتى ، فمضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس أى فى ذى الحجة لا فى ذى القعدة كما قيل من أجل النسىء الذى كان فى الجاهلية يؤخرون له الاشهر الحرم أى فان براءة نزلت أى صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك فى غزوة تبوك (انفروا خفافا وثقالا) الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبى بكر رضى الله عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى . ثم دعا صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه . فقال اخرج بصدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر أى الذى هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة الاولى وقال : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أمرنى على كرم الله وجهه ان أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى ، فقيل له بماذا كنت تنادى ، فقال بأربع ان لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله عهد أربعة أشهر ثم لا عهد له وأول تلك الاربعة يوم النحر من ذلك العام ومن لا عهد له فعهده الى انقضاء المحرم . وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلىّ كرم الله وجهه سترون بعد الأربعة أشهر فانه لا عهد بيننا و بين ابن عمك الا الطعن والضرب ، وانما أمر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لانهم كانوا يحجون مع المسلمين و يرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . أى وتقدم سبب الاتيان بذلك ، و يطوف رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل فيقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس علىّ شىء من الدنيا خالطه الظلم : أى وفى لفظ التى قارفنا فيها الذنوب . وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه هو ولا أحد غيره أبدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى . وفى الكشاف كان أحدهم يطوف عريانا و يدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها . وقيل تفاؤلا بان يعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب : وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت امرأة عريانة و يدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ✲ فما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ✲ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) فأبطلت ذلك سورة براءة فى تلك السنة . أى وقيل لزينة اللباس ، وقيل للطيب وكان بنو عامر فى أيام الحج لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجتهم . فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل ذلك . فقيل لهم (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ويحكى ان بعض الاطباء الحذاق من النصارى ، قال لبعض الحكماء ليس فى كتابكم من علم الطب شىء . والعلم علمان : علم الابدان وعلم الاديان . فقال له قد جمع الله الطب كله فى بعض آية من كتابنا : قال وما هى قال قوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) . فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم ﷺ شىء من الطب : فقال قد

جع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة . قال وماهى . قال قوله « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماعودته » . فقال ذلك الطبيب ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئا و بينت براءة ان من كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله الى أربعة أشهر وفى لفظ لما الحق على كرم الله وجهه أبا بكر رضى الله عنه ، قال له أبو بكر أمير أومأمور ، قال بل مأمور وزعمت الرافضة انه صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن امارة الحج بعلى" ،وعبارة بعض الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام بوحى من الله وكيف يرضى العاقل امامة من لا يرتضيه النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله لأداء عشر آيات من براءة ، هذا كلامه ، قال الامام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر ان أبا بكر رضى الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان على" كرم الله وجهه من جملة رعيته فى تلك السفرة يصلى خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى قضى الحج فى ذلك العام ، وانما أردف صلى الله عليه وسلم الله أبا بكر رضى الله عنه بعلى كرم الله وجهه لنبذ العهود وكان من عادة العرب لا ينبذ العهد الا المطاع او رجل من أهل بيته أى فلو تلا أبو بكر رضى الله عنه ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما تعللوا . وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فأزاح الله عللهم بكون ذلك على يد رجل من بنى أبى رسول الله ﷺ الأدنى اليه ممن له ذرية وهو عبد المطلب ، قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة و بهتانهم أى وعلى عادة العرب بما ذكر جاء قوله ﷺ لا يبلغ عنى الا رجل من أهل بيتى كما تقدم ، وفى لفظ الا رجل منى أى لا يبلغ عنى عقد العقود ولا حلها الا رجل منى ، أى من بنى أبى الأدنى ولأب له ذرية أدنى اليه ﷺ من عبد المطلب ، ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الاحكام والقرآن اذ كل أحد من المسلمين مأذون له فى تبليغ ذلك عنه ﷺ وفى هذه السنة التى هى سنة تسع تتابعت الوفود على على رسول الله ﷺ حتى قيل لها سنة الوفود

﴿ باب يذكر فيه مايتعلق بالوفود التى وفدت عليه ﷺ ﴾

أى غير من تقدم : فقد تقدم أنه قدم عليه ﷺ وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك ابن عوف النصرى وذلك فى آخر سنة ثمان ، أى ووفد نصارى نجران ، أى قبل الهجرة ، ووفد بنى تميم فى سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد أن ذلك كان فى المحرم سنة تسع ، ووفد عليه وفد نصارى نجران أيضا بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوى ، أى وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب أى ومعهم هدية وهى بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل ، فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لى فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها ، فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوقت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار) الآيات وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد أن حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فأراد الناس منعهم . فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا ، وقالوا قد كنا مسلمين قبلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم ان لله ولدا

أى لان أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه الصلاة والسلام ابن الله لانه لا أب له ، وقال له آخر المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا ، وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله (وكلمته ألقاها الى مريم) فغضبوا ، وقالوا انما يرضينا أن تقول انه إله . وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فأرنا عبدا لله يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيها فتطير ، فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) وقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام ان أباهلكم أى ندعو ونجتهد فى الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض ، فقال بعضهم والله علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أى أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم ، وفى لفظ انهم ذهبوا الى بنى قريظة أى من بقى منهم وبنى النضير وبنى قينقاع واستشاروهم فأشاروا عليهم ان يصالحوه ولا يلاعنوه ، وفى لفظ انهم وادعوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلى ، أى وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى ، فقالوا لا نباهلك ، وعن عمر رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يارسول الله بيد من كنت تأخذ ، قال صلى الله عليه وسلم آخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة ، وهذا أى زيادة عائشة وحفصة فى هذه الرواية دل عليه قوله تعالى (ونساءنا ونساءكم) وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة ، وكتب لهم كتابا وقالوا له أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه ، وقال لهم هذا أمين هذه الامة . أى وفى رواية هذا هو القوى الأمين وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك * ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنونى لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم الوادى عليهم نارا ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ، ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبو هند الدارى وتميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسألوا رسول الله ﷺ أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم ، قال أبو هند فنهضنا من عنده نتشاور فى أى أرض نأخذ ، فقال تميم الدارى رضى الله عنه نسأله بيت المقدس وكورتها . فقال أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف ان لا يتم لنا ، قال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله ﷺ فذكرنا له فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا نسخته . بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين اذا أعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى أبد الابد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا . وقال انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت . قال أبو هند فانصرفنا . فلما هاجر ﷺ الى المدينة

قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وأصحابه انى أعطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم و بيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع مافيهم نطية بيت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم آذاه الله شهد بذلك أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وكتب نقل ذلك فى المواهب وأقره ، وخطب ﷺ خطبة ، قال فيها حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة أى لان تميما رضى الله عنه أخبره ﷺ انه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقى انسانا يجر شعره ، فقال له من أنت ؟ قال أنا الجساسة ، قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد ، فقال من أنتم ؟ قلنا ناس من العرب ، قال مافعل هذا النبى الذى خرج فيكم ، قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه ، قال ان ذلك خير لهم ، قال أفلا تخبرونى عن عين ذعر مافعلت ؟ فأخبرناه عنها فوثب وثبة ، ثم قال مافعل نخل بيسان العرب هل أطعم تمر فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها ، فقال أما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله ﷺ فحدث الناس ، فقال هذه طيبة وذاك الدجال ، قال ابن عبد البر ، وهذا أولى مايخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار أى كما تقدم ووفد عليه ﷺ وهو بخيبر الاشعريون صحبة أبى موسى الاشعرى وصحبوا جعفر بن أبى طالب من الحبشة ، وقال ﷺ فيهم كما تقدم أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية ، وقال فى حق أهل اليمن يريد أقوام ان يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم والأشعرى نسبة الى أشعر واسمه نبت بن أدد بن يشجب وانما قيل له أشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه ، قال ولما فتحت مكة ودانت له ﷺ قريش عرفت العرب انه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوته لأن قريشا كانت قادة العرب ودخلوا فى دين الله أفواجا ، قال فى النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد اهـ والوفد رسول القوم يقدمهم وقد يراد به ماهو أعم من ذلك فيشمل من قدم غير رسول وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه فانه قدم على رسول الله ﷺ ، وسبب ذلك ان أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب فى غنم لهما ، فقال لأخيه كعب اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى ﷺ فاسمع كلامه واعرف ماعنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله ﷺ وسمع كلامه وآمن به ، وذلك ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب و يسمع منهم انه قد آن مبعثه ﷺ ورأى زهير والدهما رضى الله تعالى عنهما انه قد مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبى صلى الله عليه وسلم الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لايدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلموا ، ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضى الله تعالى عنه الى أخيه كعب بن زهير وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وانه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش وهرب بعضهم فى كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب وانه صلى الله عليه وسلم ، قال من لقى منكم كعب بن زهيرة فليقتله فان كان لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لايقتل أحدا جاء تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام وان أنت لم تفعل فانج الى

بجانك ، وفى تصحيح الانساب لابن أبى الفوارس ان زهير بن أبى سلمى قال لأولاده انى رأيت فى المنام سببا ألقى الى من السماء فمددت يدى لاتناوله ففاتنى فأولته انه النبى الذى يبعث فى هذا الزمان وانا لا أدركه فمن ادركه منكم فليصدقه وليتبعه ليهتدى به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بام هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال لئن وقع كعب فى يدى لأقطعن لسانه الحديث ، أى ولامانع أن يكون ضم الى هذا هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأرجف به أعداؤه وصاروا يقولون هو مقتول لامحالة فلم يجد بدا من مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها ارجاف أعدائه به رضى الله تعالى عنه التى مطلعها * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * ثم خرج رضى الله تعالى عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه و بينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فاشار له ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه ، فقام الى أن جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ومن حضره لايعرفه ، فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . فقال يارسول الله أنا كعب بن زهير فوثب رجل من الانصار ، فقال يارسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا ، فلما أنشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للانصار قيل حمله على ذلك ماسمعه من ذلك الانصارى مما غاظه ولم يسمع من المهاجرين شيئا يغيظه وفيه ان هذا واضح اذا كان انشد ذلك فى ذلك الوقت وأما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ما تقدم انه عمل تلك القصيدة التى من جملتها ماذكر فلا ، فعند ذلك غضب الأنصار فمدحهم بالقصيدة التى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار

أى ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذى حضه على مدحهم وقال له لما أنشد بانت سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الأنصار لولا أى هلا ذكرت الانصار بخير فان الانصار أهل لذلك؟ أى ولما أنشده صلى الله عليه وسلم بانت سعاد وقال

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ألقى صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما من آل كعب بمال كثير أى بعد أن دفع لكعب فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا [illegible] كعب رضى الله تعالى عنه أخذها من ورثته بعشرين ألفا وتوارثها خلفاء بنى أمية ، ثم أخذها [illegible] اشتراها السفاح أول خلفاء بنى العباس بثلاثمائة دينار أى بعد انقراض دولة بنى أمية ، [illegible] على أكتافهم جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بدمه ويقال انها التى كانت عند بنى العباس بردته صلى الله عليه وسلم التى أعطاها لأهل أيلة مع كتابه [illegible] وذلك فى غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضى الله تعالى عنه [illegible] ببردة فعل [illegible] كان فى فتنة التتار ثم رأيت ابن كثير [illegible] رضى الله تعالى عنه شيئا [illegible] البردة التى

كانت عند الخلفاء من أهل كعب بار بعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التترمنهم سنة أخذ بغداد ، وقال هذا من الامور المشهورة جدا ولكني لم أر ذلك في شئ من الكتب باسناد ارتضيه وصار كعب رضي الله تعالى عنه من شعرائه ﷺ الذين يذبون عن الاسلام كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت الانصاريين رضي الله تعالى عنهما ، ولما قدم ﷺ المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف ، وكان من خبرهم انه لما انصرف رسول الله ﷺ عن محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه حتى أدركه ﷺ قبل أن يصل الى المدينة فاسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك ، فقال له عروة يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم أي أول أولادهن ☆ وفي رواية من أبصارهم فخرج رضي الله تعالى عنه يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم أي لانه رضي الله تعالى عنه كان فيهم محببا مطاعا فلما أشرف لهم على علية ودعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فاصابه سهم فقتله ، وفي لفظ انه رضي الله تعالى عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله ، فقيل له قبل أن يموت ماترى في دمك ، فقال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس في الا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم ، وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه (اتبعوا المرسلين) الآيات فقتله قومه ، أي المذكورة في سورة يس وهو حبيب بن برى ، وقال السهيلي يحتمل ان المراد به صاحب الياس فان الياس يقال في اسمه يس أيضا وقد صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحرث بعثه النبي ﷺ الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال ﷺ مثله مثل صاحب يس ، ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة شهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انهم لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا فاجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله ﷺ رجلا فكلموا عبدياليل ابن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه في ذلك فأبى أن يفعل لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبدياليل ونسب قائله الى الغلط ، فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف أسلم غيلان بالغين المعجمة على عشر نسوة وممن أسلم على عشر نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبدالله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف ، ويقال وفد عليه ﷺ تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبدياليل وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم ، فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأخبره ، فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه أقسمت عليك لاتسبقني الى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة أي وعلمهم رضي الله تعالى عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدم بهم على رسول ﷺ فضرب لهم قبة في ناحية المسجد أي ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول

ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند أسبابهم فكان عثمان اذا رجعوا ذهب الى النبي ﷺ يسأله عن الدين و يستقرئه القرآن واذا وجد النبي ﷺ نائما ذهب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان يكتم ذلك عن أصحابه فاعجب ذلك رسول الله ﷺ فاحبه وكان فيهم رجل مجذوم فارسل ﷺ يقول له انا بايعناك فارجع ، وفي المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم و بينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة و بما جاء في أحاديث أخر أنه ﷺ أكل مع المجذوم طعاما وأخذ يده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه * وأجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادي ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة على من قوي ايمانه وعدم جوازها على من ضعف ايمانه ومن ثم باشر ﷺ الصورتين ليقتدي به فيأخذ القوي الايمان بطريق التوكل والضعيف الايمان بطريق الحفظ والاحتياط ، وعند انصرافهم قالوا يارسول الله أمّر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ولقول الصديق رضي الله تعالى عنه له ﷺ يارسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن * وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص قال قلت يارسول الله اجعلني امام قومي قال أنت امامهم ، وقال لي اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا فكان خالد بن سعد بن العاص هو الذي يمشي بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالدا المذكور ومن جملته : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، ووج واد بالطائف ؛ وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه * وروى أبو داود والترمذي الا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الصلاة ، فقال لا خير في دين لا صلاة فيه ، وفي لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات ؛ أي وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا زالوا يسألونه سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فابى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند خروجهم قال لهم سيدهم كبيرهم أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم سألنا امورا عظيمة أبيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر ، فجاءتهم ثقيف وسألوهم فقالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم ، فقالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدا ، فقالوا لهم اصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به طاقة فارجعوا اليه فأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا ، فقالوا لهم كتمتمونا وأردتم ان تنزع ما في قلوبنا من نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما ، فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة رضي الله تعالى عنهما لهدم الطاغية وفي رواية فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم

راجعين بعث صلى الله عليه وسلم معهم أباسفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة رضي الله تعالى عنه أن يقدم أباسفيان فأبى ذلك أبوسفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك ، فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أى الفأس العظيمة التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمى كما رمى عروة ، وخرج نساء ثقيف حسرا أى مكشوفات الرءوس حتى العواتق من الحجال يبكين على الطاغية * قال وفى رواية يظنون انه لايمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وأراد المغيرة رضى الله تعالى عنه أن يسخر بثقيف ، فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فألقى نفسه لما علا على الطاغية ليهدمها ، وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة ، فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لايستطيع هدمها * وفى رواية ، لما أخذ المعول وضرب به اللات ضربة صاح وخر لوجهه فارتج الطائف بالصياح سرورا وان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيت يامغيرة ؟ دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها ؟ فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم ياحشاء والله ماقصدت الا الهزؤ بكم * وفى رواية فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم أخذ فى هدمها اه فهدمها بعد ان بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم وأخذ مالها وحليها ، فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان أن يقضى دين عروة والأسود أخوه من مال الطاغية فقضاه فان أبامليح بن عروة بن مسعود وقارب ابن عمه بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل ان تسلم ثقيف كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم قد أجاب أباملیح ، فقال له نعم ، فقال له ابن عمه قارب بن الأسود وعن الاسود يارسول الله فان عروة والاسود أخوان لأب وأم فقال صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا ، فقال قارب يارسول الله انما الدين على وأنا الذى أطلب به * ومن الوفود وفد بنى تميم وقد تقدم ذكره أى فى الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وفى ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ، وذكر فى الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فأسلم وذلك فى سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للاحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ماحل حبوته ولا قطع كلامه ، فلما أتمه التفت الى ابن أخيه ، فقال ياابن أخى بئس مافعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ، ثم قال لابن له آخر قم يابنى فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وكان قيس بن عاصم رضى الله تعالى عنه ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فتكلم بكلام وأعطى الخمار مالا كثيرا ، فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال فى ذمها أبياتا كثيرة ، ولما حضرته الوفاة دعا بنيه ، فقال لهم يابنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى اذا مت فسودوا كباركم ولاتسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل فاذا مت فلاتنوحوا على فان رسو

الله صلى الله عليه وسلم لم ينجح عليه ، وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وتقدم أنهم نادوه ﷺ من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا ثلاث مرات فخرج اليهم الى آخر ما تقدم * ومنها وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أي هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم كان مناديه ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه ، وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله ﷺ فقال لأربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على هذا الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، وقد قال قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت أي حلفت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي ﷺ وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء * وفي رواية لما أتاه ﷺ عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ، ثم قال له ﷺ أسلم يا عامر فقال له عامر ان لي اليك حاجة قال أقرب مني فقرب منه حتى حنا على رسول الله ﷺ وهذا يدل على ان قوله خالني أي اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لأربد اني أشاغل عنك وجهه قال وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ وقد قال له أسلم يا عامر فقال أتجعل لي الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك لك ولا لقومك أي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء أي وقال له يا محمد أسلم على أن لي الوبر ولك المدر ، فقال لا ، فقال مالي ان أسلمت ؟ فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا * وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله ﷺ يمنعك الله عز وجل ، قال السهيلي وجعل أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه يضرب في رؤوسهما ويقول اخرجا أيها الهجرسان أي القردان فقال له عامر ومن أنت ؟ فقال أسيد ابن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى أنا خير منك ومن أبي لان أبي كان مشركا وأنت مشرك ، ومكث ﷺ أياما يدعو الله عليهم ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله أي ثم قال ﷺ والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا رسول الله ﷺ وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل [illegible] بما شئت وأنى شئت ، وفي البخاري انه قال للنبي ﷺ أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل [illegible] ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك [illegible] بألف أشقر وألف شقراء [illegible] فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد [illegible] كنت أخوف عندي [illegible] على وجه الارض من رجل أخافه على نفسي منك [illegible] لا أخافك لا تعجل علي والله ماهممت بالذي أمرتني [illegible] دخلت بيني وبين الرجل [illegible] فأضربه بالسيف أي وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد * وفي رواية [illegible] وضعت يدي على قائم السيف يبست فلم أستطع أن أحركها ، وفي رواية [illegible] من الابل [illegible] بين يدي يهوي [illegible] وسلته [illegible] ان [illegible] رحمه [illegible] وفي رواية [illegible] وخرجوا

راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه . أى وفى لفظ حلقه أى وأوى لبيت امرأة سلولية من بنى سلول وكانوا موصوفين باللؤم ، وفى كلام السهيلى انما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لأنها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بنى عامر بن صعصعة أى فهى تأسف عليه وصار يأسف الذى كان موته بيتها وصار يمس الطاعون ويقول يابنى عامر غدة أى أغدّ غدة كغدة البعير وموتا فى بيت امرأة من بنى سلول ائتونى بفرسى ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا . أى ويذكر انه صار يقول ابرز ياملك الموت ، وفى لفظ ياموت ابرز لى أى لاقاتلك وهذا يدل على ان موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء فى رواية فخرج حتى اذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام فى بيتها فأخذته غدة فى حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت فى بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا ويحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعى قال يحيى فمكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحباه على قومهما فقالوا لأربد ماوراءك ياأربد فقال لاشئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ لوددت انى عنده الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة احرقتهما . أى وذلك فى يوم صحو قائظ وانزل الله تعالى قوله (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) واما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد اسلم مع من اسلم من بنى عامر * ومنها وفود ضمام بن ثعلبة . أى وقيل وفد فى سنة خمس بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية قال فيه طلحة بن عبيدالله جاءنا اعرابى من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه مايقول الحديث أى جاء على جمل وأناخه فى المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبدالمطلب . أى وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا الامغر المرتفق أى الابيض المشرب بحمرة المتكئ على مرفقه فدنا منه صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة قال سل عما بدالك . أى وفى رواية لمغلظ عليك فى المسئلة فلا تجد علىّ فى نفسك مالأجد فى نفسى فقال سل مابدالك فقال يامحمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك بفتح الهمزة برب من قبلك ورب من بعدك . وفى رواية بالذى خلق السموات والأرض ونصب هذه الجبال قال اللهم نعم قال وفى رواية انه قال له فبذلك آلله أمرك ان تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئا وأن نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فأنا قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة * أقول وهذا السياق يدل على ان وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ماسبق أنه كان فى سنة خمس ومن ثم استبعده ابن القيم قال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة وفيه ان الذى جزم به ابن اسحق وأبو عبيدة انه وفد فى سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر رحمه الله [illegible] ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسلم ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة [illegible] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا الحديث لان ابن عباس رضى [illegible] تعالى [illegible] المدينة بعد الفتح وفيه ان ولى ضمام رضى الله تعالى عنه قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل أي بضم القاف صار فقيها وبكسرها فهم . وفي لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما رأيت احدا احسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة أي وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام . ولما رجع ضمام رضي الله تعالى عنه الى قومه قال لهم ان الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، قال وفي رواية ان أول شئ تكلم به ان سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم والله انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا الى آخر ما تقدم واني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم * ومنها وفد عبد القيس وفيهم الجارود وكان نصرانيا أي قد قرأ الكتب فقال ابياتا مخاطبا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، منها

يا نبي الهدى أتاك رجالا * قطعت فدفدا وآلا فآلا

تتقي وقع شر يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

الفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب . قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال يا محمد اني كنت على دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الى ما هو خير لك منه فأسلم واسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه فقال يا رسول الله يحال بيننا و بين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين أي من الابل والقرم يحمي نفسه أفنتبلغ عليها أي نركبها الى بلادنا قال لا إياك وإياها فانما تلك حرق النار أي لهبها كذا في الاصل . وفي السيرة الهشامية أن الجارود انما وفد مع حلف له قال له سلمة بن عياض الازدي وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم انه نبي فهل لك أن تخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وانا نرجوا أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل و [illegible] ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري انه ان أخبرنا بها انه نبي يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد ؟ قال بشهادة أن لا إله الا الله وأني عبد الله ورسوله و البراءة من كل ند أو دين يعبد من دون الله و ادام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بغير إلحاد (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) [illegible] الجارود يا محمد ان كنت نبيا فاخبرنا عما اضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف و [illegible] عرق بتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت [illegible] عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة [illegible] مرسوع [illegible] مردود ولا [illegible] في الاسلام ألاو ان أفضل الصدقة أن تمنح [illegible] ربن [illegible] وتريح بشاته . وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت [illegible] عن عبادة [illegible] عن عقل الهجين فاما عبادة الاوثان فان الله تعالى قال [illegible] مردون) وأما [illegible]

[illegible]

[illegible]

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله انتهى ، وذكر فى السيرة الهشامية فى وفد عبد القيس
انه كان قبل فتح مكة وذكر ماحاصله انه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم سيطلع
عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفى رواية ليستقبلن ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام
قد أنصوا أى أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضى الله تعالى عنه فتوجه
نحو مقدمهم فلقى ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا ، فقال من
القوم قالوا من بنى عبد القيس فقال أما ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى
معهم حتى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذى تريدون فرمى القوم
بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله
وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها
وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشى
حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقى أى يشرب فى مسوك أى جلود الرجال وانما يحتاج
الرجل من أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله
ورسوله الحلم والأناة فقال يارسول الله أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما قال لا بل الله تعالى جبلك
عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والاناة على وزن قناة
التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزاء من النبوة . وفى رواية
انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم ؟ قالوا من ربيعة أى وهو المراد بما
فى بعض الروايات ربيعة فانه من التعبير عن بعض بالكل وفى البخارى فى الصلاة ان هذا الحى من
ربيعة أى ان هذا الحى حى من ربيعة وهو فى الاصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لان بعضهم
يحيا ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم أى صادفتم رحبا بضم الراء أى سعة ، وأول من
قال مرحبا سيف بن ذى يزن وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم قالها لابنة عمه أم هانئ
رضى الله تعالى عنها وقال لعكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه مرحبا بالراكب المهاجر وقال لابنته
فاطمة رضى الله تعالى عنها مرحبا بابنتى وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ، ثم قال لهم صلى
الله عليه وسلم غير خزايا ولا ندامى أى حالة كونكم سالمين من الخزى ومن الندم وفى لفظ مرحبا بالوفد
الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى انا حى من ربيعة عبد القيس فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة
بعيدة أى من سفر بعيد لان مساكنهم بالبحرين وماوالاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا
وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا فى شهر حرام أى وفى لفظ الا فى هذا الشهر
الحرام وهو كمسجد الجامع. نساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به فى بعض الروايات وقال
بعضهم وفى هذا دليل على أن الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها يقع برحمة الله لان مضر
كانت تبالغ فى تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الاشهر الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل
أى فاصل بين الحق والباطل فقال آمركم بأربع أى بخصال أربع أو بجمل أربع وفى بعض الروايات قالوا
حدثنا بجمل من الامر ، وأنهاكم عن أربع آمركم بالايمان بالله تدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله أى وفيه أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة ووقع فى البخارى فى

الزكاة زيادة واو وقيل شهادة وهي زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس أي لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الأربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله بأربع أي آمركم بأربع و بأن تعطوا ومن ثم غاير في الأسلوب وفي مسلم آمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وأعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض على الصحيح كما قال الحافظ الدمياطي رحمه الله وهو بناء على الأصح انه فرض سنة ست . وقول الواقدي ان قدوم وفد عبد القيس كان في سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر بعضهم أن لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة بعده . ومن ثم جاء ذكر الحج في مسند الامام أحمد وهو وان تحجوا البيت وأنه لم يتعرض في هذه الرواية لعدد أي لقوله أربع ، ثم قال ﷺ لهم ونهاكم عن أربع عن الدباء أي القرع أي عما ينبذ فيها والحنتم وهو جرار مدهونة بدهان أخضر أي عما ينبذ فيها أي وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم ، والنقير أصل النخلة ينقر و ينبذ فيه التمر ، أي ماينبذ في ذلك والمزفت ماطلي بالزفت أي عما ينبذ فيه . وفي رواية زيادة على ذلك والقير ماطلي بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت ، زاد في رواية وأخبروا بهن من وراءكم أي من جئتم من عندهم ومن يحدث من الأولاد فالوا فيم نشرب يارسول الله ؟ قال في أسقية الادم أي الجلود التي يلاث أي يربط على أفواهها قالوا يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لاتبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا ، فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه . فاومأ ﷺ بكفيه وقال له ياأشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه و بسطها يعني أعظم منها حتى اذا ثمل [illegible] سكر أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل وقع له ذلك [illegible] وهو جهم بن قثم ، قال لما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ جعلت أسدل ثوبي لاغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه ﷺ . أي وفي كلام السهيلي فعجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واشارته الى ذلك الرجل هذا كلامه أي وفي رواية انهم سألوه عن النبيذ . فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحها الا النبيذ قال فلا تشربوا في النقير فكأني بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لايزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا ، فقال ﷺ مايضحككم ؟ قالوا والله شربنا في النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربه بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم ﷺ نوع تمر بلدهم . فقال [illegible] تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا . فقال له رجل من القوم [illegible] يارسول الله [illegible] جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة [illegible] رسول الله [illegible] ﷺ ان أرضكم رفعت الي منذ قعدتم أي فنظرت من أدناها الى أقصاها [illegible] بالداء ولاداء معه ، أي و[illegible] اقتصر ﷺ في النهي على شرب [illegible] مع ان في المناهي ماهو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها [illegible] النهي عن الانتباذ [illegible] بخصوصها انه [illegible] بذلك . وكان [illegible] ﷺ

انه ابن أختهم قال « ابن أخت القوم منهم » وكان فيهم ابن أخي الوازع وكان شيخا كبيرا مجنونا جاء به الوازع معه ليدعو له ﷺ فمسح ظهره ودعا له فبرأ لحينه وكسى شبابا وجمالا حتى كأن وجهه وجه العذراء . وجاء أنه ﷺ زودهم الاراك يستا كون به وذكر انه كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره ، وقال انما كان خطيئة داود عليه الصلاة والسلام النظر * ومنها وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ، قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه رضي الله تعالى عنهم معه عسيب من عسب النخل في رأسه خوصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله أن يشركه معه في النبوة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه ، وقيل ان بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فامر له ﷺ بمثل ما أمر به لواحد من القوم وهو خمس أواق من فضة وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه أخبروه بما قال عنه ، فقال انما قال ذلك لانه عرف أن لي الامر من بعده فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب وادعى أنه أشرك معه ﷺ في النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما أنه ليس بشركم مكانا ماذاك الا لما كان يعلم اني أشركت معه في الامر . أي وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه هذا وفي الصحيحين أنه ﷺ أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله تعالى عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه ، فقال ان سألتني عن هذه القطعة ما أعطيتكها . أي فانه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه أنه قال ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته واني لاراك الذي منه رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف . والذي رآه منه صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام ان في يده سوارين من ذهب قال فاهمني شأنهما فاوحى الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما طليحة العبسي صاحب صنعاء ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة في حياته صلى الله عليه وسلم . وكان طليحة العبسي يقول ان ملكا كان يقال له ذوالنون يأتيني كما يأتي جبريل محمدا فلما بلغه ﷺ ذلك ، قال لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذوالنون وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما هنا بانه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى كان تابعا ومن ثم كان في حفظ الرحال والثانية كان متبوعا ولم يحضرا نفة منه واستكبارا ، وعامله ﷺ معاملة الاكرام على عادته صلى الله عليه وسلم في الاستئلاف وفي الى قومه وهو فيهم كذا قيل ولايخفى أن قوله ولم يحضر يقتضي انه لم يجئ الى النبي ﷺ في المرتين وتقدم انه جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أي ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ، ثم صار مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهذيان يضاهي به القرآن . فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وقيل انه لعنه الله طلب منه ان يتفل في بئر تبركا [illegible] ملح ماؤها ومسح رأس صبي فصار أقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل في ابنين له

بالبركة فيهما فرجع الرجل الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى بئر والآخر أكله الذئب ومسح على عينى رجل للاستشفاء بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا السياق يرشد الى أنه كان برأس ذلك الصبى قرع يسير فمسح عليه للاستشفاء ثم أظهر معجزة بزعمه وهو أنه أدخل بيضة فى قارورة وافتضح بأن البيضة بنت يومها اذا ألقيت فى الخل والنوشادر يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة و يصب عليها ماء فتجمد وبهذا يرد على من رثاه من بنى حنيفة بقوله

لهفى عليك أبا ثمامه * كم آية لك فيهمو * كالشمس تطلع من غمامه

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة . قال وكتب مسيلمة قبحه الله الى النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فقال : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الأمر وليس قريش قوما يعدلون وبعث رجلين ، فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ثم قال للرجلين وأنتما تقولان مثل ما يقول قالا نعم قال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى * ومنها وفد طيء وفيهم زيد الخيل رضى الله تعالى عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أى ولو كان وجه التسمية يلزم اطراده لقيل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل فقد قيل انه وفد على عبد الملك بن مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من تلك الافراس الى آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التى حلف بها على غيرها ، فقال عبد الملك عجبى من اختلاف أيمانه أشد من عجبى من معرفته بانساب الخيل ، وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا بليغ جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم ، وقال صلى الله عليه وسلم فى حق زيد الخيل ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل [illegible] أى ما قيل فيه كل ما فيه ، وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير : أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه : الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ، ثم قبض ﷺ على يده ، فقال من أنت ؟ قال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله إلا الله وأنك عبده ورسوله . فقال له ﷺ بل أنت زيد الخير ، ثم قال يا زيد ما أخبرت عن رجل قط شيئا الا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك أى وأجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنتى عشرة أوقية ونشا أى وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا ، ولما خرج من عند رسول الله ﷺ متوجها الى قومه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من الحمى أى [illegible] فى [illegible] الطريق أصابته الحمى ، أى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم [illegible] عن الحمى [illegible] وفى رواية ان زيد الخيل لما [illegible] من عنده صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ان لم تدركه أم كلبة يعنى الحمى وانشكاة ارعده [illegible] وفى رواية [illegible] رأيته دون ما يقال فيه [illegible] قبيصة بن الاسود [illegible] الذى أقطعه فيه محلين [illegible] وفى كلام [illegible]

خلافة عمر رضي الله عنهما * ومنها وفود عدي بن حاتم الطائي حدث عدي رضي الله عنه قال كنت امرأ شريفا في قومي آخذ المرباع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية ، أي وهو ربع الغنيمة كما تقدم . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا أبالك اعزل من ابلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ففعل ثم انه أتاني ذات يوم . فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد . فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب ، أي سبيت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا ، فقلت : ابنة حاتم فاذا هي هي . فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت : أي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرتي ، ثم نزلت وأقامت عندي . فقلت لها ، وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل . قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فأنت أنت . فقلت والله ان هذا للرأي ، أي ولعلها لم تظهر له إسلامها لئلا يعترض عليه من قولها له ان يكن نبيا ، أي على العرض والتنزل تحريضا له على اللحوق به ﷺ ، فخرجت حتى جئته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت عليه . فقال من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ﷺ فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها . فقلت ما هو بملك ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها الي وقال اجلس على هذه . فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض . فقلت والله ما هذا أمر ملك ، ثم قال لي ما معناه يا عدي بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا . فقلت اني على دين قال أنا أعلم بدينك منك . فقلت أنت أعلم بديني قال نعم ألست من الركوسية ألست من القوم الذين لهم دين ؟ لانه تقدم أنه كان نصرانيا . فقلت بلى ، فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع ، أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أحدهم في الجاهلية ربع الغنيمة . قلت بلى . قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك . فقلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل . ثم قال ﷺ لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما تقول انما تبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة . قلت لم أرها وقد سمعت بها . قال فوالله ، وفي لفظ فوالذي نفسي بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف البيت من غير جوار أحد * وفي رواية يوشك أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية ، أي وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت . أي الكعبة لا تخاف . ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن

الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم . قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه * ومنها وفود فروة بن مسيك المرادى وفد على رسول الله ﷺ فروة مفارقا لملوك كندة ، وكان بين قومه مراد و بين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال الردم ، وقال له رسول الله ﷺ هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم . فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه . فقال له رسول الله ﷺ أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا ، واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد و بعث معه خالد بن سعيد بن العاصى على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فروة عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها

فركبت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فواضلها وحسن ثوابها

ومنها وفد بنى زبيد بضم الزاى وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم عمرو بن معديكرب الزبيدى ، وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادى انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك . واذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو رضى الله عنه حتى قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم . فلما بلغ ذلك قيسا قال خالفنى وترك أمرى وراثى وتوعد عمرا . فقال عمرو فى قيس أبياتا منها

من ذا عاذرى من ذى سفاه * يريد بنفسه شد المزاد

أريد حياته و يريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

أى وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو هذا مع الأسود العنسى . ثم أسلم وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة فى أيام الصديق وأيام عمر رضى الله عنهما * وعن ابن اسحق قيل ان عمرو بن معديكرب لم يأت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسلم قيس بعد ذلك فيل له صحبة وقيل لا * ومنها وفد كندة ، [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وهى أم [illegible] . [illegible] عليه صلى [illegible] عليه وسلم ثمانون . أى وقيل ستون من كندة فيهم الأشعث بن قيس . وكان وجيها مطاعا فى قومه . وفى الامتاع وهو أصغرهم . [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ، أى [illegible] جممهم . أى شعور رؤوسهم . [illegible] جبب الحبرة أى نوع [illegible] برود اليمن المخططة [illegible] . [illegible] على رسول الله ﷺ ، [illegible] . [illegible] رسول [illegible] ﷺ [illegible] أنا محمد بن عبد الله . [illegible] لا نسميك باسمك [illegible] هو . وكانوا [illegible] رسول [illegible] ﷺ [illegible] . [illegible] رسول [illegible] ﷺ سبحان الله [illegible]

أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده ، فقالو نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله ﷺ (والصافات صفا) حتى بلغ (رب المشارق والمغارب) ، ثم سكت رسول الله ﷺ وسكن بحيث لا يتحرك منه شئ ودموعه تجرى على لحيته ، فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي فقال ﷺ ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ﷺ (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) الآية ، ثم قال لهم ﷺ ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هـذا الحرير في أعناقكم فعنـد ذلك شقوه منها وألقوه وفيه أن هذا يخالف ماقاله فقهاؤنا معاشر الشافعيـة من جواز التسجيف بالحرير الا أن يقال الجواز مخصوص بأن لا يجاوز الحـد اللائق بالشخص ولعل سجفهم جاوزت الحـد اللائق بهم وقد قال الاشعث له ﷺ نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار يعني جدته أم كلاب فقـد تقدم أنها من كندة وقيـل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبـد المطلب كان اذا دخل حيا من أحياء العرب لانه كما تقدم كان تاجرا فاذا سـئل من أين قال أنا ابن آكل المرار ليعظم يعني انتسب الى كندة لان كندة كانوا ملوكا فاعتقـدت كندة أن قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له ﷺ لا نحن بنو النضر ابن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من آبائنا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء ، والأشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ ، ثم دعا الى الاسلام في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنـه أي فانه حوصر ، ثم جيء به أسيرا ، فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحروبك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الاعرقبه فصاح الناس كفر الاشعث . فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعني أبا بكر رضى الله تعالى عنـه زوجني أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها ، قال وقال ﷺ للاشعث هـل لك من ولد فقال لي غـلام ولدلي عند مخرجي اليك لوددت أن لي به لسبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد انتهى * ومنها وفد أزدشنوءة ، وفد الى رسول الله ﷺ جمع من الازد وفيهم صرد بن عبـد الله الازدي أي وكان أفضلهم فأمره ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء و بالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل من قبائل اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ، ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف ، فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش ان المسلمين رضى الله تعالى عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شـديدا . وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عنـد رسول الله ﷺ اذ قال رسول الله ﷺ بأي بلاد الله شكر فقام اليه رجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكسر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر فخرجا من عنـد رسول الله ﷺ راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة

التى قال فيها رسول الله ﷺ ماقال وعند اخبارهما لقومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله ﷺ فأسلموا فقال رسول الله ﷺ مرحبا بكم أحسن الناس وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم منى وأنا منكم وجعل لهم حمى حول بلدهم * ومنها وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه ﷺ وفد على رسول الله ﷺ رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه ﷺ باسلام الحرث بن عبد كلال بضم الكاف ، وقد اختلف فى كون الحرث له وفادة فهو صحابى أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان ، أى باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهى قبيلة وأما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب اليهم رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أى رجوعنا من غزوة تبوك فلقيناه بالمدينة فبلغ ماأرسلتم به وخبر ماقبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبى ﷺ وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبى أرسل الى زرعة ذى يزن وفى الاستيعاب زرعة بن سيف ذى يزن وفى كلام الذهبى زرعة بن سيف ذى يزن أن اذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة ابن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وأن أجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلى وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثنى أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء المثناه الفوقية وكسر الذال ويجوز أن يكون بفتح المثناة وفتح الدال محذوف احدى التاءين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته انما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » * ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامى وفد رسول فروة الى رسول الله ﷺ يخبره باسلامه وأهدى له ﷺ بغلة بيضاء ، أى يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب ، وكان فروة رضى الله تعالى عنه عاملا للروم على ما يليهم من العرب ، فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه ، أى بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد ﷺ فانك تعلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك * ومنها وفد بنى الحرث بن كعب بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى بنى الحرث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد رضى الله تعالى عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلموا فقام فيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم يعلمهم الاسلام ، أى شرائعه وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله ﷺ أن يقبل و يقبل معه وفدهم ، فأقبل رضى الله تعالى عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصة

بالعين المعجمة ، أى لانه كان فى حلقه غصة لا يكاد يبين الكلام منها وهى صفة لأبيه الحصين وربما وصف بها قيس ، قال فى النور ويحتمل أن يقال له ذو الغصة وابن ذى الغصة لانه وأباه كانت بهما الغصة وفيه بعد ، وحين اجتمعوا به ﷺ قال لهم بما كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمّر عليهم صلى الله عليه وسلم زيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الخزاعى ، وفد رفاعة بن زيد الخزاعى بالخاء المعجمة والزاى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله ﷺ غلاما فأسلم وحسن اسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا الى قومه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ لرفاعة ابن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين » فلما قدم رفاعه رضى الله تعالى عنه على قومه أجابوا وأسلموا . ومنها * وفد همدان وفد على رسول الله ﷺ جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لأن تبعا كان يحبس فيها ارباب الجرائم وفدوا اليه ﷺ على الرواحل المهرية والارحبية ، والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن ، والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أى يقول الرجز بين يدى رسول الله ﷺ فيقول

اليك جاوزنا سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

(ومن شعره)

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على اعدائه من محمد

وقد أمّره ﷺ على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه كذا فى الاصل . وفى الهدى روى البيهقى باسناد صحيح أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه ثم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع اليه وان من كان مع خالد ان شاء بقى مع على وان شاء رجع مع خالد ، فلما دنا من القوم خرجوا اليه فصف على كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ، ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلموا جميعا وكتب بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ، ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لان همدان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان باليمن وثقيفا بالطائف ، أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد . وفيهم ابدال وفيهم أوتاد * ومنها وفد تجيب أى بضم المثناة فوق وتحية ويجوز فتحها وهى قبيلة من كندة وفد على رسول الله ﷺ وفد تجيب . وقد كانوا ثلاثة عشر رجلا . وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله ﷺ بهم وأكرم

مثواهم

مثواهم . وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله ﷺ ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يارسول الله ماقدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا ، أى وفضل بفتح الضاد وكسرها قال أبو بكر يارسول الله ماقدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد ، فقال رسول الله ﷺ ان الهدى بيد الله عزوجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبة وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل له مايعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وتلاقينا اياه وماورد علينا ، ثم جاءوا الى رسول الله ﷺ فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ . وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين آتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال تسأل الله عزوجل أن يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى فقال رسول الله ﷺ اللهم اغفرله وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ماأمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله ﷺ بمنى فى الموسم الاذلك الغلام فقال لهم رسول الله ﷺ مافعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يارسول الله مارأينا مثله قط ولاحدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لولا أن الناس اقتسموا الدنيا مانظر نحوها ولاالتفت اليها فقال رسول الله ﷺ الحمد لله انى لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الاجل يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك ولما توفى رسول الله ﷺ ورجع من رجع من اهل اليمن عن الاسلام قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه ولما بلغه ماقام به كتب الى زياد ابن الوليد أى وكان واليا على حضرموت يوصيه به خيرا .

* ومنها وفد بنى ثعلبة وفد على رسول الله ﷺ مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بنى ثعلبة أى مقرين بالاسلام فاذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه و بلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام . وقد قيل لنا ان رسول الله ﷺ يقول لااسلام لمن لاهجرة له فقال رسول الله ﷺ حيثما كنتم واتقيتم الله فلايضركم أى ثم صلى رسول الله ﷺ بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث أن خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا اياما وضيافته ﷺ تجرى علينا ثم لما جاءوا يودعونه ﷺ قال لبلال أجزهم فأعطى كل واحد منهم خمس أواق فضة أى والاوقية أربعون درهما .

* ومنها وفد بنى سعد هذيم من قضاعة عن النعمان رضى الله تعالى عنه قال قدمت على رسول الله ﷺ وافدا فى نفر من قومى وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد ، أى جعلها موطأة قهرا وغلبة وأزاح العرب أى استولى عليها والناس صنفان اما داخل فى الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله ﷺ يصلى على جنازة فى المسجد . أى وهو سهيل بن بيضاء لانه صلى الله عليه وسلم لم يصل فى مسجده على جنازة لاعليه

رضى الله تعالى عنه ، وماوقع له فى مسلم أنه ﷺ صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه مع أن فقهاءنا ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم . وقلنا حتى يصلى رسول الله ﷺ ونبايعه * ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بنى سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لايجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله ﷺ أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا و بايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا على الاسلام ، ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله ﷺ فى طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه ﷺ على الاسلام . فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال ﷺ سيد القوم خادمهم بارك الله عليه . قال النعمان رضى الله تعالى عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له ، ثم أمره رسول الله ﷺ علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر ﷺ بلالا فاجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا .

* ومنها وفد بنى فزارة وفد عليه ﷺ بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الجد بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أى توالى عليهم الجدب على ركائب عجاف أى هزال فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم فقال رجل منهم ، أى وهو خارجة أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أى ماحولنا وغرثت [] أى جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله ﷺ سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربى عز وجل فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لااله الاهو العلى العظيم وسع كرسيه أى علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه السموات والارض ، أى أحاط بالسموات والارض وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فهى تئط أى تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أى من ثقل الحمل * وقال رسول الله ﷺ ان الله ليضحك من شعفكم وأزلكم أى شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غيائكم فقال الاعرابى لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله ﷺ من قوله وصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لايرفع يديه أى الرفع البالغ فى شئ من الدعاء الا فى الاستسقاء فرفع ﷺ يديه حتى رؤى بياض ابطيه ، أى وفى النور وقد جوزت وجها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه فى الاستسقاء يعنى ظهور كفيه الى السماء كما فى مسلم أى فيكون التقدير لايرفع ظهور كفيه الى السماء الا فى الاستسقاء * وأقول فيه أن هذا يقتضى أنه يفعل ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شئ كما فى دعائه ﷺ فى هذا الاستسقاء فانه متضمن للحصول * وقد ذكر فى النور أن ما كان الدعاء فيه لطلب شئ كان ببطون الكفين الى السماء والظاهر أن مستند ذلك استقراء حاله ﷺ فى الدعاء فى الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم * ومما حفظ من دعائه ﷺ اللهم أسق بقطع الهمرة ووصلها بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحى بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أى مطرا مغيثا مربعا بضم الميم واسكان الراء وبالموحدة مكسورة و بالعين المهملة مسرعا لاخراج الربيع مرتعا بالتاء المثناة فوق من رتعت الدابة اذا اكلت ماشاءت طبقا أى مستوعبا للارض مطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار

اللهم

اللهم أسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم أسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله التمر فى المرابد أى وتكرر ذلك منه ﷺ ومن أبى لبابة ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أسقنا الغيث حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده أى المحل الذى يخرج منه ماء المطر بازاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت فوالله مارأينا الشمس سبتا أى من السبت الى السبت الآخر ، وقام أبو لبابة رضى الله تعالى عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه * وفى بعض الروايات فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله ﷺ ، ثم طاف الانصار بأبى لبابة رضى الله تعالى عنهم يقولون له ياأبالبابة ان السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله ﷺ ، فقام أبو لبابة رضى الله تعالى عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره فأقلعت السماء ، وحينئذ يكون قول الراوى لئلا يخرج منه التمر بحسب مافهم ويكون قول الصحابة فوالله مارأينا الشمس سبتا كان فى قصة غيرها نخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل أو غيره والذى فى الصحيح أنه الرجل الاول وذكر بعض الحفاظ أنه خارجة بن حصن فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه وهو أى بياض الابط معدود من خصائصه ﷺ ، ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام بكسر الهمزة جمع أكمة وهى التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابى الصغار و بطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة أى أقلعت عن المدينة انجياب الثوب * أقول لعل هذا المطر كان عاما للمدينة وماحولها حتى وصل الى محل هؤلاء الوفد والافهم انما طلبوا حصول المطر لمحلهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحلهم الا اذا كان قريبا بالمدينة بحيث اذا وجد المطر بها يوجد بمحلهم غالبا ، وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى هذه القصة بقوله

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء

فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء

تتحرى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء

وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذى الانام غلاء

فدعا فانجلى الغمام فقل فى * وصف غيث اقلاعه استسقاء

ثم أثرى الثرى وقرت عيون * بقراها وأحييت احياء

فترى الارض عنده كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء

يخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

ثم رأيت فى الحدائق لابن الجوزى رحمه الله عن انس رضى الله تعالى عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام اعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله ﷺ يديه ومافى السماء قزعة سحاب فدار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل ﷺ عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومنا ذلك . ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه

الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أوغيره فقال يارسول الله تهدّم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجونة حتى سال الوادى شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود * ثم رأيت بعضهم قال احاديث الاستسقاء ثابتة فى الصحيحين وظاهرها أنه تعدد ففى بعضها انه وقع وهو فى خطبة الجمعة ، وفى بعضها أنه صعد المنبر حين شكى اليه فخطب ودعا وفى بعضها أنه خرج الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرج فيه ونصب له منبرا واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه ﷺ أعرابى . وقال له يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد شعرا يقول فيه

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقى ثم قال ﷺ لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله ؟ فقام على كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل ، الابيات

فقال صلى الله عليه وسلم أجل . وفى رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون . وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ فى العيدين والاستسقاء فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى . وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكى ينقلب القحط الى الخصب ، ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ، ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا رحبا واسعا وجدا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا سائلا مسبلا مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل فى أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت انعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه الى بعض . ثم أمطرت سبعة أيام لاتقلع عن المدينة فأتاه صلى الله عليه وسلم المسلمون فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا فضحك رسول الله ﷺ وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رءوس الظراب ومنبت الشجر و بطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال صلى الله عليه وسلم لله در أبى طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذى ينشدنا قوله ؟ فقام على كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله فقال الابيات * ومنها وفد بنى أسد وفد على رسول الله ﷺ رهط من بنى أسد منهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبد الله الذى ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه ومنهم معاذة بن عبد الله بن حنف . وقد استهدى رسول الله ﷺ منه ناقة يكون حيدة تركب ويحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء [illegible] قال اللهم بارك فيها وفيمن منحها

فقال يارسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمي بن عامر ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا ، أي وفي لفظ ان حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا ، وفي رواية يارسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوه صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والتخرص على الغيب والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب الحصباء فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت فقال وماهي قالوا الخط ، أي خط الرمل ومعرفة مايدل عليه ، قال صلى الله عليه وسلم علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم ، أي وفي رواية لمسلم فمن وافق خطه ، أي علم موافق خطه فذاك أي يباح له والا فلا يباح له الا بتيقن الموافقة ، أي وفي شرح مسلم ان محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه ، اى لانه لاطريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لوعلمتم موافقته لكن لاعلم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاءوا رسول الله ﷺ فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن وفد على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا من بني عذره ، أي وسلموا بسلام الجاهلية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم ؟ فقال قائلهم من بني عذرة أي أخو قصي لأمه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة وخزاعة وبني بكر فلنا قرابات وارحام فقال رسول الله ﷺ مرحبا بكم وأهلا أي لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ماأعرفني بكم ، قال ثم قال ﷺ لهم فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يامحمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا وقالوا الام تدعو فقال رسول الله ﷺ أدعو الى عبادة الله وحده لاشريك له وان تشهدوا انى رسول الله الى الناس كافة ، فقال متكلمهم فما وراء ذلك ، فقال رسول الله ﷺ الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ، ثم ذكرلهم صلى الله عليه وسلم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى ، فاسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ، ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكاهنة ، أي فقد قالوا يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال صلى الله عليه وسلم لاتسألوها عن شئ ، ونهاهم ﷺ عن الذبائح التي كانوا يذبحونها الى أصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا ، أي وكسا رسول الله ﷺ أحدهم بردا * ومنها وفد بني بلى على وزن على مكبرا وهو حي من قضاعة ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من بلى ، منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوى ، وقدم بهم على رسول الله ﷺ فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله ﷺ مرحبا بك وبقومك فاسلموا ، وقال لهم رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى هداكم للاسلام فمن مات منكم على غير الاسلام فهو في النار ، قال وفي رواية عن رويفع رضي الله عنه قال

قدم وفد قومى فأنزلتهم على ثم خرجت بهم حتى اتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه فسلمنا عليه فقال ﷺ رويفع ؟ فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم . قلت قومى يارسول الله قال مرحبا بك و بقومك . قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيرا يهديه للاسلام» فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انا وفدنا اليك لنصدقك ونشهد أنك نبى حق ونخلع ما كنا نعبد ، وكان يعبد آباؤنا فقال ﷺ : الحمد لله الذى هدا كم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو فى النار انتهى . وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لى رغبة فى الضيافة فهل لى فى ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة فقال يارسول الله ماوقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقة ولا يحل للضيف ان يقيم عندك فيحوجك أى يضيق عليك ، أى وفى لفظ فيؤثمك أى يعرضك للاثم أى تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الارض قال هى لك أو لاخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله ، دعه حتى يجده صاحبه ، قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلى فاذا رسول الله ﷺ يأتى منزلى يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله ﷺ وأجازهم ورجعوا الى بلادهم * ومنها وفد بنى مرة وفد عليه ﷺ ثلاثة عشر رجلا من بنى مرة رأسهم الحرث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بنى لؤى بن غالب فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحرث أين تركت أهلك فقال بسلاح وماوالاها فقال كيف البلاد فقال والله انا لمسنتون ومافى المال مخ أى صوت يردده فادع الله لنا فقال رسول الله ﷺ اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ، ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاءوا رسول الله ﷺ مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشرة أواق من فضة وفضل الحرث بن عوف فأعطاه اثنى عشر أوقية ، أى وهذا يفيد أن كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة ، فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ وأخصبت لهم بعد ذلك بلادهم * ومنها وفد خولان وهى قبيلة من اليمن ، وفد على رسول الله ﷺ عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عزوجل مصدقون برسوله ، وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها ، وحزون كفلوس وهو ماغلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا ، وقدمنا زائرين لك . فقال رسول الله ﷺ أما ماذكرتم من مسيركم الى فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة ، وأما قولكم زائرين لك فانه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة . فقالوا يارسول الله هذا السفر الذى لاتوى عليه أى ولدى بفتح المثناة فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ، ثم قال رسول الله ﷺ مافعل عم أنس وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا بشر بدلنا الله تعالى ماجئت به وقد بقيت منا بعد بقايا سيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، لو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه فى غرور وفتنة [illegible] لهم رسول الله ﷺ وما أعظم مارأيتم من فتنة . قالوا لقد رأيتنا بضم [illegible] حتى [illegible] لرمة فجمعنا ماقدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا فى

غداة واحدة وتركناها يردها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا الغيث يوارى الرحال و يقول قائلنا ، أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من انعامهم وحرثهم ، فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرة أى ناحية لله فاذا مالت الريح بالذى سميناه له أى لله جعلناه لعم أنس واذا مالت الريح بالذى سميناه لعم أنس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل على فى ذلك (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فيتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم ، وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم أى أعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقيه ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس * ومنها وفد بنى محارب وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بنى محارب وفيهم خزيمة بن سواد ، وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر الى رجل منهم ، وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل ، أى والله لقد رأيتنى وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ثم قال يارسول الله ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جاء بى حتى صدقت بك ، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عزوجل . فقال يارسول الله استغفر لى من مراجعتى اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان هذا الاسلام يجب ما قبله يعنى الكفر أى ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود ، ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد صداء حى من عرب اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء ، وسبب ذلك انه ﷺ هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهم ودفع له لواء أبيض ودفع اليه راية سوداء وأمره ان يطأ ناحية من اليمن كان ، فيها صداء ، فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم ، وعلم بالجيش فأتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله جئتك وافدا على من ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد رضى الله تعالى عنهما وخرج الصدائى الى قومه ، فقدم على رسول الله ﷺ بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون على فنزلوا عليه فحباهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبى ﷺ فبايعوه على الاسلام ، وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل فى حجة الوداع وسمى ذلك الرجل الذى كان سببا فى رد الجيش ومجىء الوفد زياد بن الحرث الصدائى ، أى وذكر زياد انه صلى الله عليه وسلم قال له ياأخا صداء انك لمطاع فى قومك قال فقلت بلى من من الله عزوجل ومن رسوله . قال وفى رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم

فقلت بلى يارسول الله فكتب لى كتابا بذلك فقلت يارسول الله مرلى بشئ من صدقاتهم قال نعم فكتب لى كتابا آخر انتهى * قال زياد رضى الله تعالى عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أى ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن ياأخا صداء فأذنت على راحلتى ثم سرنا حتى نزلنا فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال ياأخاصداء هل معك ماء قلت معى شئ فى إداوتى ، أى وهى اناء من جلد صغير * وفى رواية لا الا شئ قليل لايكفيك قال هاته فجئت به قال صب فصببت مافى الاداوة فى القعب ، أى وهو القدح الكبير وجعل أصحابه ﷺ يتلاحقون ثم وضع ﷺ كفه فى الاناء فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ، ثم قال ياأخاصداء لولا انى استحى من ربى عز وجل لسقينا وأسقينا أى من غير أصل ثم توضأ وقال أذن فى أصحابى من كانت له حاجة فى الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله ﷺ ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم فاقمت ثم تقدم رسول الله ﷺ فصلى بنا فلما سلم يعنى من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يارسول الله انه آخذنا بذحول كانت بيننا و بين قومه فى الجاهلية أى وفى رواية آخذنا بكل شئ كان بيننا و بين قومه فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ لاخير فى الامارة لرجل مسلم ، ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله أعطنى من الصدقة فقال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل لم يكل قسمتها الى ملك مقرب ولا نبى مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزءا منها اعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هى صداع فى الرأس وداء فى البطن فقلت يارسول الله هذان كتاباك فقال رسول الله ﷺ ولم قلت انى سمعتك تقول لاخير فى الامارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غنى فانما هى صداع فى الرأس وداء فى البطن وأنا غنى فقال رسول الله ﷺ أما ان الذى قلت كما قلت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على رجل من قومك استعمله فدللته ﷺ على رجل منهم فاستعمله . قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا فى بئرنا فقال رسول الله ﷺ ناولنى سبع حصيات فناولته ففركهن فى يده الشريفة ثم دفعهن الى وقال اذا انتهيت اليها فألق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت ، فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة * ومنها وفد غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لاندرى هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فاجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم * ومنها وفد سلامان بفتح السين وتخفيف اللام وفى العرب بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الازد ، وبطن من طيء ، و بطن من قضاعة وهم هؤلاء ، وفد على رسول الله ﷺ سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمرو السلامانى فاسلموا * قال وعن خبيب رضى الله تعالى عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألنا عن أشياء انتهى * قال خبيب رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله

ماأفضل الاعمال ، قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه ﷺ يومئذ الظهر والعصرثم شكوا اليه ﷺ جدب بلادهم فقال رسول الله ﷺ اللهم اسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام ، وضيافته صلى الله عليه وسلم تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر الينا بلال رضى الله تعالى عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * منها وفد بنى عبس ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لاهجرة له ولنا أموال ومواش هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لاهجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله ﷺ اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه انه لاعقب له كانت له ابنة فانقرضت ، وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه وجاء ليس بينى و بين عيسى عليه الصلاة والسلام نبى ، أى واذا صح شئ من الاحاديث التى ذكر فيها خالد بن سنان أو غيره يكون معناه لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم و بين عيسى عليه السلام نبى مرسل ، أى وتقدم ما فى ذلك * ومنها وفد النخع أى بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم ، وفد على رسول الله صلى الله عليه مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا أى وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال ومارأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى ، أى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى الذى ليس شديدا السواد ومن ثم فسر بالاخضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت أمة لك مصرة لك على حمل قال نعم قال فانها تلد غلاما وهو ابنك قال يارسول الله فماله أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه قال فو الذى بعثك بالحق ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط مايكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بضم الميم وسكون المهملة قال ذاك ملك العرب رجع الى أحسن زيه و بهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا وقال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى و بين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم و يشتجرون اشتجار اطباق الرأس و يشتجرون بالشين المعجمة و بالجيم أى يشتبكون فى الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله ﷺ بين أصبعيه يحسب المسئ فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أى وفى لفظ أحلى من شرب الماء البارد ، وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك فقال يارسول الله ادع الله أنى لا أدركها فقال له رسول الله ﷺ اللهم لايدركها فمات و بقى ابنه عمرو ولم يجتمع به ﷺ فهو تابعى وكان

ممن خلع عثمان رضى الله تعالى عنه * قال وفى رواية أن النخع بعث رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم ارطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما ، وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قال لا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر و ينفذ الاشياء مايشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير ، وقال اللهم بارك فى النخع وعقد صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضى الله تعالى عنه اه وقوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ماتقدم ان وفد النخع كان قدومه فى سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود ذلك الجمع ، وقد ترك الاصل التعرض لجملة من الوفود وذكرت فى السيرة العراقية والسيرة الهشامية تركناها تبعا للاصل ، منها ان عمرو بن مالك وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فقالوا حتى نصيب من بنى عقيل مثل ماأصابوا منا فكان بينهم و بين بنى عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بنى عقيل قال عمرو فشددت يدى فى غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغه ماصنعت فقال صلى الله عليه وسلم ان أتانى لأضرب مافوق الغل من يده فلما جئت سلمت فلم يرد على السلام وأعرض عنى فأتيته عن يمينه فأعرض عنى فأتيته عن يساره فاعرض عنى فاتيته من قبل وجهه فقلت يارسول الله ان الرب عز وجل ليترضى فيرضى فارض عنى رضى الله تعالى عنك قال رضيت ، وتقدم أنه قد جاء فى الصحيح لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، والله أعلم

باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التى أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام

أى فى الغالب والا فمنها ماليس كذلك ، وهذه غير كتبه صلى الله عليه وسلم التى كتبها بالامان التى تقدم ذكرها ، أى ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرءون كتابا الا اذا كان مختوما أى ليكون فى ذلك اشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغى أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه ان هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها و يجعل عليها نحو شمع و يختم فوق ذلك . والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة ، أى بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به صلى الله عليه وسلم ذو و اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ، ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه رضى الله تعالى عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم ، وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر * وفى حديث موضوع كان نقش خاتمه صدق الله وفى رواية شاذة اسم الله محمد رسول الله والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل يعنى فرقى محمد آخر الاسطر ورسول فى الوسط والله فوق كذا قال بعض أئمتنا قال فى النور والذى

يظهر لي ان هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى اذا ختم بها يختم على الاستواء كما في خواتم الكبراء اليوم وختم صلى الله عليه وسلم بذلك الخاتم الكتب ، وكان في يده الشريفة ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله تعالى عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه ، وذكر أن هذا الخاتم الذي كان في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم كان الخاتم الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة وانه الذي كان في يد خالد بن سعيد فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد رسول الله قال اطرحه الي" فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان في يده ثم في يد أبي بكر الحديث * وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فصه حبشي أي من جذع لانه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل صنف من الزبرجد وانه الذي نقش فيه محمد رسول الله وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عقيق ، أي ولا ينافي ذلك وصفه بأنه حبشي لان العقيق يؤتى به من بلاد الحبشة ولم يرد انه صلى الله عليه وسلم لبس خاتما كله عقيق * وفي الحديث تختموا بالعقيق فانه مبارك تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر * قيل وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم في خنصر يده اليسرى وهو المروى عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وقيل كان في خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وطائفة ومنهم عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه * قال بعضهم وهذا رواه عبيدة بن القاسم وهو كذاب أي وهو يخالف ما جمع به البغوي بأنه تختم أولا في يمينه ثم تختم به في يساره . وكان ذلك آخر الامرين ، وروى أشعب الطامع عن عبد الله ابن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمنى * قال الامام النووي رحمه الله التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أي ولان ابن أبي حاتم نقل عن أبي زرعة انه كان في يمينه صلى الله عليه عليه وسلم أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وتقدم ان الخاتم الذي لبسه صلى الله عليه وسلم يوما وألقاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد * وقد قال صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الحديد مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه ولعله لكون سلاسل أهل النار وأغلالهم وقيودهم من حديد أي ثم جاء وعليه خاتم من صفر أي نحاس فقال مالي أجد فيك ريح الاصنام ولعل الاصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالي أرى عليك حلية أهل الجنة أي المختص أباحتها بأهل الجنة في الجنة قال يا رسول الله من أي شئ أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أي وزن مثقال لكن في رواية أبي داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهي تفيد أن الخاتم اذا كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه * وفي الحديث ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد * وفي كلام الشمس العلقمي ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث الشيخين « التمس ولو خاتما من حديد » فليتأمل وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلم مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا علي" كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم

عليه السلام فقال أصحابه رضى الله تعالى عنهم وكيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام يارسول الله قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فأمامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأمامن بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكا ذلك عيسى عليه السلام الى ربه عز وجل فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر

المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي رضى الله تعالى عنه والدحية بلسان اليمن الرئيس وقيصر معناه فى اللغة البقير لانه شق عنه لان أم قيصر ماتت فى المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك و يقول لم أخرج من فرج ، أى لان كل من ملك الروم يقال له قيصر ، كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعوه الى الاسلام و بعث به دحية الكلبي رضى الله تعالى عنه ، وأمره أن يدفعه الى قيصر ففعل كذلك ، أى بعد أن قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابى هذا فيسير الى هرقل وله الجنة * وقيل أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ، ولما انتهى دحية رضى الله تعالى عنه الى الحرث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية رضى الله تعالى عنه اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك * قال دحية رضى الله تعالى عنه لاأفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا نسجد له ، فقال دحية رضى الله تعالى عنه وما هو؟ فقال ان له على كل عتبه منبرا يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا لايحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل ، فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه ، وكان أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بالشام أى بغزة مع رجال من قريش فى تجارة زمن هدنة الحديبية أى وكان أولها فى ذى القعدة سنة ست ، وقيل كتب اليه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك فى السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر مرتين والاول ماهو فى الصحيحين والثانى قاله السهيلى ، واستدل له بخبر فى مسند الامام أحمد أى وأغرب من قال ان الكتابة له كانت سنة خمس * قال أبو سفيان فاتانا رسول قيصر أى وهو والى شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أى فى بيت المقدس فاذا هو جالس ، وعليه التاج وعظماء الروم حوله ، فقال لترجمانه أى وهو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربى سلهم أيهم أقرب نسبا لهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى أى وفى لفظ لهذا الرجل الذى خرج بأرض العرب يزعم أنه نبى ، فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا اليه لانه لم يكن فى الركب يومئذ من بنى عبد مناف غيرى أى لان عبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لأبى سفيان ، أى وزاد فى لفظ ماقرابتك منه ؟ قلت هو ابن عمى فقال له ادن منى ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى وانما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبا إن قاله ، أى حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب ، قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يردوا على كذبا لكذبت ولكنى استحييت فصدقت وأنا كاره أى وفى رواية

لولامخافة أن يؤثر عنى الكذب لكذبت أى لولاخفت أن ينقل عنى الكذب الى قومى و يتحدثوا به فى بلادى لكذبت عليه لبغضى اياه ومحبتى نقصه ، وبه يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ، ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قلت هو منا ذونسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله . قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ماقال ؟ قلت لا أى وفى هل كان حلافا كذابا مخادعا فى أمره لعله يطلب ملكا وشرفا كان لاحد من أهل بيته قبله قال هل كان من آبائه ملك ؟ قلت لا ، أى وزاد فى رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ، قلت بل ضعفاؤهم أى والمراد بأشراف الناس أهل النخوة وأهل التكبر فلا يرد مثل أبى بكر وعمر وحمزة رضى الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال ، وعند ابن اسحق رحمه الله تعالى تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأما ذووالاحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب ، أى الاكثر والاغلب ان أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون ؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ، أى كراهة له وعدم رضا به بعد أن يدخل فيه ، قلت لا ولا يقال هذا منقوض بعبد الله بن جحش حيث ارتد ببلاد الحبشة لانه يرتد كراهية للاسلام بل لغرض نفسانى كما تقدم قال فهل يغدر اذا عاهد ؟ قلت لا ونحن الآن منه فى ذمة لاندرى ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه ؟ قلت دول وسجال ندال عليه مرة أى كما فى أحد ويدال علينا أخرى أى كما فى بدر ، وقد تقدم فى أحد ان أباسفيان رضى الله عنه قال يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال ، أى نوب * وفى لفظ قال أبو سفيان انتصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم فى بيوتهم ببقر البطون وبجدع الآذان والانوف والفروج وأشار بذلك الى يوم أحد ، قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا أى والذى فى البخارى يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة وفى لفظ والزكاة ، وفى لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف أى ترك المحارم وخوارم المروءة ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال لترجمانه قل له انى سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذونسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فزعمت أن لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ، فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أى لان الغالب ان اتباع الرسل أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب اذا حصل به انشراح الصدور والفرح به لا يسخطه أحد ، وسألتك هل قاتلتموه . قلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون له العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة ، أى وفى البخارى وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر أى لانها لا تطلب حظ الدنيا الذى لا يناله طالبه الا بالغدر وعلمت أنه نبى وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وان كان ما قلت حقا فيوشك أى يقرب أن

عليك موضع قدمي هاتين أي وذكر بعضهم ان هذا يدل على ان هذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ، وفيه ان هذا الايأتي مع قوله ما تقدم انه هو يقضي ان ذلك علامة على رسالة كل رسول ، ثم قال قيصر ولو أعلم اني أخلص أي أصل اليه لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه ، أي وفي لفظ آخر ولا أستطيع أن أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم قال الامام النووي رحمه الله تعالى ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك فطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب اليه اسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ، ثم قال ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا ، قال أبو سفيان ، ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى » أي ومن لم يتبع الهدى فلا سلام عليه فليس في هذا بداءة الكافر بالسلام « أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام » أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي اليها فالباء موضع الى « اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم أو لايمان اتباعك بسبب ايمانك « فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين » أي فلاحين القرى أي ومن ثم جاء في رواية اثم الفلاحين ✲ وفي رواية اثم الاكارين والاكار الفلاح لان أهل السواد وما والاهم أهل فلاحة والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم اسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم اسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم والفاعل لمعصية المتسبب لارتكاب غيره لها عليه الاثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه (ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) والواو في قوله صلى الله عليه وسلم ويا أهل الكتاب عاطفة على مقدر معطوف على قوله ادعوك والتقدير ادعوك بدعاية الاسلام وأقول لك ولاتباعك يا أهل الكتاب . قيل وهذه الآية كتبها صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لانها انما نزلت في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست ، وقيل بعد نزولها لان نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال فليتأمل ، قال أبو سفيان رضي الله عنه فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم ، أي أصواتهم التي لا نفهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفع الاصوات والصخب اختلاط الاصوات عند المخاصمة زاد البخاري فلا ادري ماقالوا وامر بنا فأخرجنا ، فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا ، قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم امره هذا ملك بني الاصفر يخافه فما زلت موقنا ان سيظهر حتى ادخل الله علي الاسلام أي فأظهرت ذلك اليقين لانه ارتفع وفي لفظ فما زلت مرعوبا من محمد حتى اسلمت وقد تقدم الكلام على كبشة وهو ان جدوهب لامه أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة ، قال في شرح مسلم وهو الذي كان يعبد الشعرى وأبو سلمة أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة وزوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى ابا كبشة وتقدم الكلام أيضا على بني الاصفر . ويروى ان أبا سفيان رضي

الله تعالى عنه قال لقيصر لما سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا لكن أخبرك عنه ايها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو ؟ قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا ارض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى تلك الليلة قبل الصباح ، فقال بطريق أى قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك فنظر اليه قيصر ، فقال ما علمك بهذا ؟ قال انى كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نستطع ان نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذى فى زاوية المسجد مثقوب ، قال فى النور الذى يظهر لى انه الصخرة أى المراد بالصخرة فى بعض الروايات كما قدمناه واذا فيه أثر مربط الدابة فقلت لاصحابى ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الأمر ، فقال قيصر لقومه ، ياقوم ألستم تعلمون ان بين يدى الساعة نبيا بشركم به عيسى ابن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم ؟ قالوا بلى قال فان الله قد جعله فى غيركم وهى رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ، أى وأمر بازال دحية وا كرامه ، وذكر أن ابن أخى قيصر اظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعنى الكتاب ، فقال له والله انك لضعيف الرأى أترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكى ومالكه ، أى وفى لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب فى صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان يقطعه فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر فى كتاب رجل قد بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكرلك ملكا ، فقال له قيصر انك أحق صغير أو مجنون كبير أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه ولعمرى ان كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق ان يبدأ بها منى ولئن سمانى صاحب الروم لقد صدق ما أنا الا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لى ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه ، وفى لفظ سيكون لهم بقية ولقد صدق الله ورسوله ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أمرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبله وا كرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية فأخرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة ، وفى لفظ قصبة من الذهب فعن السهيلى رحمه الله تعالى قال بلغنى ان هرقل وضع الكتاب فى قصبة من ذهب تعظيما له فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه ، وقد ألصق عليه خرقة حرير ، فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا ، أى ولا ينافيه ما جاء اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لأن المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق الا ببلاد الروم أى ويروى ان قيصر لما رجع من بيت المقدس الى محل دار ملكه وهى حمص أى فانه لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر أن يأتى بيت المقدس ماشيا شكرا لله ، فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسط له البسط وطرح له عليها الرياحين ولا زال يمشى على ذلك الى ان وصل الى بيت المقدس كما سيأتى ، فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم وأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادى ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الأجناد فى سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم انى أردت اختبار صلابتكم فى دينكم فقد

رصيت فرصوا عنه ، والذى فى البخارى ان قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم أطلع ، فقال يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت ، فلما رأى قيصر نفرتهم وأيس من الايمان منهم أى وقالوا له أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابى ، فقال ردوهم علىّ وقال انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه انى مسلم ولكننى مغلوب وأرسل بهدية فلما قرئ عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل ﷺ هديته وقسمها بين المسلمين ومصداق قوله ﷺ ان قيصر بعد هذه القصة بدون سنتين قاتل المسلمين بغزوة مؤتة وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب للاجابة ولم يجب ، وفى مسند الامام أحمد انه كتب من تبوك الى النبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم ، فقال النبي ﷺ كذب انه على نصرانيته ، وفى لفظ كذب عدو الله والله انه ليس بمسلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فعلى هذا اطلاق صاحب الاستيعاب انه آمن أى أظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعمل بمقتضاه بل شح بملكه وآثر العافية على العاقبة لعنة الله عليه أى لانه تحقق كفره أى وقد ذكر حامل كتابه اليه ﷺ قال جئت تبوك فاذا هو جالس بين ظهرانى أصحابه محتبيا ، فقلت أين صاحبكم . قيل هو هذا فاقبلت أمشى حتى جلست بين يديه فناولته كتابى فوضعه فى حجره ، ثم قال من أنت ؟ قلت أنا أحد تنوخ قال هل لك فى الاسلام دين الحنفية ملة ابراهيم قلت انى رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم فضحك ﷺ وقال (انك لا تهدى من أحببت ولكن يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) فلما فرغ من قراءة كتابى قال ان لك حقا وانك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا قوم سفر ، فقال رجل أنا أجوزه فأتى بحلة فوضعها فى حجرى فسألت عنه فقيل لى انه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس

على يد عبد الله بن حذافة أى لانه كان يتردد عليه كثيرا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمى . وقيل أخاه خنيسا ، وقيل أخاه خارجة ، وقيل شجاع بن وهب ، وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الى كسرى و بعث معه كتابا مختوما فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس» أى الذين هم اتباعك قال عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه ومزقه ، أى وفى رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه ، فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب ، فقال لا حتى أدفعه اليك كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناولته الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم فارس فاغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم مافيه وأمر باخراج حامل ذلك

الكتاب فاخرج ، فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار ، فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده ، فلما وصل اليه ﷺ وأخبره الخبر . قال ﷺ مزق كسرى ملكه وكتب كسرى الى بعض أمرائه باليمن يقال له باذان ، انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه يكتب الى هذا الكتاب . أي الذي بدأ فيه بنفسه وهو عبدي ، أي وفي رواية ان تكفيني رجلا خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه برجلين جلدين فيأتياني به . فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي ﷺ مع قهرمانه و بعث معه رجلا آخر من الفرس و بعث معهما الى رسول الله ﷺ يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف . فسألاه عنه : فقال هو بالمدينة . فلما قدما عليه ﷺ المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتي بك . وقد بعثنا اليك ، فان أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك ، وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره ﷺ النظر اليهما . ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا . قالا أمرنا ربنا، يعنيان كسرى : فقال رسول الله ﷺ ولكن أمرني ربي باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه يقتله في شهر كذا في ليلة كذا ، فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر ، وكتب رسول الله ﷺ الى باذان ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى الكتاب باذان توقف ، وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ على يد ولده شيرويه : قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات ، فيكون المراد باليوم في تلك الرواية مجرد الوقت . أي وفي رواية : قال ﷺ لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة : ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر ﷺ ، فلما جاءه ﷺ هلاك كسرى . قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب . وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أنه ﷺ قال ، لتفتحن عصابة من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه فيه ، أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله ﷺ هذا ، وفي رواية انه قيل له ﷺ ان كسرى قد استخلف ابنته . فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة

ذكر كتابه ﷺ للنجاشي ملك الحبشة

على يد عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي . و بعث معه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت ، أي أنت سالم لان السلم يأتي بمعنى السلامة : فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها

الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، أى العفيفة أى المنقطعة عن الرجال التى لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها ، ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبى ﷺ البتول فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى ، فانى رسول الله وانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى » فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ، ثم أسلم ودعا بحق من عاج ، أى وهو عظم الفيل وجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم ، أى وفى كلام بعضهم و بعث ﷺ عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فكان ، أول رسول وكتب اليه كتابين يدعوه فى أحدهما الى الاسلام وفى الآخر يأمره ان يزوجه ﷺ أم حبيبة فأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه . ونزل عن سريره تواضعا ؛ ثم أسلم وشهد شهادة الحق . وكتب اليه ﷺ النجاشى أى جواب الكتاب ، بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله ﷺ من النجاشى أصحمة ؛ السلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله و بركاته الذى لا إله إلا هو ، زاد فى لفظ الذى هدانى للاسلام ※ أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فورب السماء والأرض ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعث به الينا . وقد قرّبنا ابن عمك وأصحابه يعنى جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين رضى الله عنهم ، فأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقا مصدقا ؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، أى جعفر بن أبى طالب وأسلمت على يده لله رب العالمين . أى وعند ذلك . قال ﷺ اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وذكر ان عمرو بن أمية رضى الله عنه ، قال للنجاشى ، أى عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علىّ القول وعليك الاستماع انك كأنك فى الرقة علينا منا وكأنا فى الثقة بك منك ، لانا لم نظن بك خيرا قط الانلناه ولم نخفك على شر قط الا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم والانجيل بيننا و بينك شاهد لا يرد . وقاض لا يجور فى ذلك موقع الخير واصابة الفضل والا فأنت فى هذا النبى الامى ﷺ كاليهود فى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وقد فرق النبى ﷺ رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر ؛ فقال النجاشى أشهد بالله انه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وان العيان ليس بأشفى من الخبر ، زاد بعضهم ولكن أعوانى من الحبشة قليل فانظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب ※ أقول كذا فى الاصل وهو صريح فى ان هذا المكتوب اليه هو الذى هاجر اليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبى ﷺ يوم توفى وصلى عليه بالمدينة منصرفه ﷺ من تبوك وذلك فى السنة التاسعة والذى قاله غيره كابن حزم ان هذا النجاشى الذى كتب اليه ﷺ الكتاب و بعث به عمرو بن أمية الضمرى لم يسلم وانه غير النجاشى الذى صلى عليه النبى ﷺ الذى آمن به وأكرم أصحابه . وفى صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن أنس رضى الله تعالى عنه ان النجاشى الذى كتب اليه ليس بالنجاشى الذى صلى عليه ، ويرد بأنه يجوز ان يكون ﷺ كتب للنجاشى الذى صلى عليه وللنجاشى الذى تولى بعده على يد عمرو ابن أمية فلا مخالفة ※ ومن ثم قال فى النور والظاهر ان هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لأصحمة

الرجل الصالح الذى من به ﷺ وأكرم أصحابه هذا كلامه ✲ وفيه ان رد الجواب على النبى ﷺ بالكتاب المذكور ورده على عمرو بن أمية بقوله أشهد بالله أنه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب الى آخره انما يناسب الأول الذى هو الرجل الصالح ويكون جواب الثانى لم يعلم ، وقد تقدم عن ابن حزم أنه لم يسلم وقال بعضهم انه الظاهر وحينئذ يكون الراوى خلط فوهم أن المكتوب اليه ثانيا هو المكتوب اليه أولا كما أشار اليه فى الهدى والله أعلم

ذكر كتابه ﷺ للمقوقس ملك القبط

وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بنى اسرائيل على يد حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه الى المقوقس . أى فانه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية ، قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب رضى الله عنه ، وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب ، قال حاطب رضى الله عنه فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلى وشددت على راحلتى وودعت أهلى وسرت زاد السهيلى وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل مع حاطب جبيرا مولى أبى رهم الغفارى فان جبيرا هو الذى جاء بمارية من عند المقوقس ، واعترض بأن هذا لا يلزمه أن يكون صلى الله عليه وسلم أرسل جبيرا مع حاطب للمقوقس لجواز أن يكون المقوقس أرسل جبيرا مع حاطب ، والمقوقس لقب وهو لغة المطول للبناء واسمه جريج بن مينا و بعث معه ﷺ كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك و (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) » وختم الكتاب وجاء به حاطب رضى الله عنه حتى دخل على المقوقس بالاسكندرية . أى بعد أن ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فاخبر أنه فى مجلس مشرف على البحر فركب حاطب رضى الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه . فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جىء به نظر الى الكتاب وفضه وقرأه ، وقال لحاطب مامنعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه ، أى من قومه وأخرجوه من بلده الى غيرها أن يسلط عليهم فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت ، فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فارادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ، ثم قال له حاطب رضى الله عنه انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعنى فرعون (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ، ان هذا النبى ﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام الا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا إياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوما فهم أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكنا نأمرك به ، فقال انى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود

فيه ولاينهى عن مرغوب عنه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوّة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمز فى آخره ، أى الشئ الغائب المستور والاخبار بالنجوى ، أى يخبر بالمغيبات وسأنظر واخذ كتاب النبي ﷺ وجعله فى حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ✲ ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وماتدعو اليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك » أى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب « و بعثت لك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، أى وهما مارية وسيرين بالسين المهملة مكسورة « و بثياب » أى وهى عشرون ثو بامن قباطى مصر » قال بعضهم و بقيت تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم فى بعضها ، وفى كلام هذا البعض وأرسل له صلى الله عليه وسلم عمائم وقباطى وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير ، فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه . أى لانه سأل حاطبا رضى الله عنه . فقال أى طعام أحب الى صاحبكم قال الدباء يعنى القرع ، ثم قال له فى أى شئ يشرب قال فى قعب من خشب ، ثم قال «وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك» ولم يزد على ذلك ولم يسلم ، ولايخفى أنه سيأتى انه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم زيادة على الجاريتين جارية أخرى اسمها قيسر وهى أخت مارية ولعله انما اقتصر على ذكر الجاريتين دون هذه الثالثة مع أنها أخت مارية لانها دونهما فى الحسن وذكر بعضهم أن سيرين أيضا أخت مارية فالثلاثة أخوات ✲ وفى ينبوع الحياة لابن ظفر فاهدى اليه ﷺ المقوقس جوارى أربعا ، أى و يوافقه قول بعضهم وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة ، وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أهدى احدى الجاريتين لأبى جهم بن قيس العبدى فهى أم زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص ، على مصر وأخرى اهداها لحسان بن ثابت وهى أم عبد الرحمن بن حسان كما تقدم فى قصة الأفك ، واهدى اليه المقوقس زيادة على ذلك خصيا أى مجبو با ، أى غلام اسود يقال له مأبور باثبات الراء ، وقيل بحذفها وقيل هابو أى بالهاء بدل الميم واسقاط الراء ابن عم مارية ، وكونه كان مجبو با عند ارساله وكان المهدى له المقوقس هو المشهور ، وفى كلام بعضهم ان المهدى له جريج بن ميا القبطى الذى كان على مصر من قبل هرقل وأنه لم يكن حال الارسال مجبو با وأنه قدم مع مارية فأسلم وحسن اسلامه ، وكان يدخل عليها ، وأنه رضى من مكانه من دخوله على سرية النبى ﷺ أن يجب نفسه فقطع مابين رجليه حتى لم يبق منه شئ فليتأمل . وسيأتى ماوقع له وأهدى اليه المقوقس زيادة على البغلة وهى الدلدل . وكانت شهباء ، والدلدل فى اللغة اسم للقنفذ العظيم ، وكانت أنثى ولايستدل بلحوق التاء لها لانها للوحدة ، وفى كلام بعضهم أجمع أهل الحديث على أن بغلة النبى ﷺ كانت ذكرا لاأنثى وأول من استنتج البغال قارون . قالوا والبغل أشبه بأمه منه بأبيه . قيل ولم يكن يومئذ فى العرب بغلة غيرها . وقد قال له سيدنا على رضى الله عنه لوحملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله ﷺ انما يفعل ذلك الذين لايعلمون . قال ابن حبان أى الذين لايعلمون النهى عنه ، وفيه ان الله امتن بها كالخيل والحمير ولايقع الامتنان بالمكروه وحمارا أشهب يقال له يعفورا وعفير بالعين المهملة مضمومة ، وضبطه القاضى عياض بالمعجمة وغلط فى ذلك

مأخوذ

مأخوذ من العفرة وهي لون التراب وفرسا وهو اللزاز ، أى فان المقوقس سأل حاطبا رضى الله عنه مالذى يحب صاحبك من الخيل . فقال له حاطب الاشقر ، وقد يركب عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له ﷺ فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه صلى الله عليه وسلم الميمون ، وأهدى له صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنها بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر ، وأعجب به ﷺ ودعا فى عسل بنها بالبركة لانه حين أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى . ثم دعا فيه بالبركة * وأهدى اليه مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والمسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا ، أى فان المقوقس سأل حاطبا عن النبي ﷺ هل يكتحل ، فقال له نعم وينظر فى المرآة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا فى سفر كان أو فى حضر وهى المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والمسواك والمدرى شىء كالمسلة يفرق به بين شعر الرأس ويحك به لأن حكه بالاصبع يشوش الشعر ويلوى بها قرون شعر الرأس * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها سبع لم تفارق رسول الله ﷺ فى سفر ولا حضر القارورة التى يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة والمقراض ، أى المقص والمسواك والمرآة زاد بعضهم والابرة والخيط ولعل عدم ذكر ذلك فى الكتاب أنه لم يره شيئا ينبغى ذكره ، أى وقد قال بعضهم ان المقوقس أرسل مع الهدية طبيبا . فقال له النبي ﷺ ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ، واعترض كون الحمار الذى أرسله المقوقس يسمى يعفورا بأن الحمار الذى يسمى يعفورا أهداه له فروة بن عمرو الجذامى عامل قيصر ، وأهدى اليه أيضا بغلة شهباء يقال لها فضة وفرسا يقال له الظرب كما تقدم . ثم رأيت بعضهم سمى الحمار الذى أهداه عامل قيصر عفيرا أيضا ، وعليه فتسمية حمار المقوقس عفيرا أيضا كما فى الاصل ان الحمار الذى أهداه المقوقس يقال له يعفورا وعفير من خلط بعض الرواة فلا منافاة ، وفى هذا قبول هدية المشركين . وقد تقدم رده ﷺ لهداياهم وقال لا أقبل زبد المشركين . ومما يشكل عليه أيضا أنه ﷺ فى هدنة الحديبيه أهدى ﷺ لأبى سفيان عجوة واستهداه ادما فأهداه اليه أبو سفيان وهو على شركه ، وذكر أن المقوقس قال لحاطب قال رضى الله عنه القبط لا يطاوعونى فى اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتى اياك وأنا أضن ، أى أبخل بملكى أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده ، أى وكان كذلك فان المسلمين فتحوا مصر سنة ست عشرة ونزلها الصحابة فارجع الى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا . قال حاطب رضى الله عنه فرحلت من عنده ، أى وبعث معه جيشا الى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة . قال حاطب وذكرت قوله للنبي ﷺ فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ، ومن ثم ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس الى الاسلام عزله ، ويخالفه قول بعضهم وبعث أبو بكر رضى الله عنه حاطبا هذا الى المقوقس بمصر فصالح القبط الا أن يقال يجوز أن يكون المقوقس عاد لولايته بعد عزله * وذكر بعضهم أن بانى الاسكندرية لما أراد بناءها قال ابنى مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس فدامت ، وبنى أخوه مدينة قال عند ارادة بنائها ابنى مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله عليها الخراب فى أسرع وقت ، ولما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر وقف على بعض ما بقى من آثار تلك المدينة فسأل عن ذلك فأخبر بهذا الخبر

ذكر كتابه ﷺ للمنذر بن ساوى العبدى بالبحرين على يد العلاء ابن الحضرمي

بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى و بعث معه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلى و يتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وأن رسلى قد أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للسلمين ماأسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية » أى وهذا جواب كتاب أرسله المنذر جوابا لكتاب أرسله له ﷺ قبل ذلك يدعوه الى الاسلام فأسلم وحسن إسلامه ٭ أقول ولم أقف على ذلك الكتاب ولا على حامله ، والظاهر أنه العلاء المذكور : فقد ذكر السهيلى رحمه الله أن العلاء قدم على المنذر بن ساوى . فقال له يامنذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ينكح فيها مايستحيا من نكاحه و يأكلون مايتكره من أكله وتعبدون فى الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى . فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به فان كان هذا هكذا فهذا هو النبىّ الأمى الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ماأمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به . فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدىّ فوجدته للدنيا دون الآخرة ورأيت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده ٭ وأن من أعظام من جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر والله أعلم ٭ ومن جملة كتاب المنذر أى الذى هذا الكتاب جوابه « أما بعد يارسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فنهم من أحبّ الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه و بأرضى مجوس ويهود فاحدث لى فى ذلك أمرك » وذكر ابن قانع أن المنذر المذكور وفد على النبى ﷺ فهو من الصحابة قال أبو الربيع ولا يصح ذلك

(ذكر كتابه ﷺ الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان)

أى بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد اليمن على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ٭ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه الى جيفر وعبد ابنى الجلندى و بعث معه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى » أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحقّ القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرّا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل ، أى تنزل بساحتكما وتظهر نبوّتى على ملككما » وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ٭ قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت الى عمان وعمدت الى عبد ، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا ، فقلت انى رسول رسول

الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك . فقال أخي المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ، ثم قال ومالذي تدعو اليه . قلت أدعوك الى الله وحده وتخلع ماعبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله . قال ياعمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك ، يعني العاص بن وائل فان لنا فيه قدوة ؟ قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لوكان آمن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام ؛ فقال متى تبعته . قلت قريبا فسألني أين كان إسلامي . فقلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة ، أي رؤساء النصرانية والرهبان قلت نعم ؟ قال انظر ياعمرو ماتقول انه ليس من خصلة فى رجل أفضح له ، أي أكثر فضيحة من كذب . قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ، ثم قال ماأرى هرقل علم باسلام النجاشي . قلت له بلى ، قال بأي شيء علمت ذلك ياعمرو ، قلت كان النجاشي رضي الله عنه يخرج له خراجا . فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله ولو سألني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله . فقال له أخوه أتدع عبدك لايخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا . فقال هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ماأصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع ، قال انظر ماتقول ياعمرو . قلت والله صدقتك . قال عبد فأخبرني ماالذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب . فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه لوكان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا ، أي تابعا . قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم ، قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات فى الاموال ، أي ولما ذكرت المواشي قال ياعمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى فى الشجر وترد المياه ، فقلت نعم فقال والله ماأرى قومي فى بعد دراهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا

* قال عمر فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبري ، ثم انه دعاني فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي ، أي عضدي قال دعوه فأرسلت فذهبت لاجلس فابوا أن يدعوني أجلس . فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه ، ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت تبعوه اماراغب فى الدين واما راهب مقهور بالسيف . قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا فى ضلال مبين فما أعلم أحدا بقي غيرك فى هذه الحرجة وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك أي جماعتك فسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع اليّ غدا . فلما كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لي فرجعت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فأوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا مافي يدي وهو لاتبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى . قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فأرسل اليّ فأجاب الى الأسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة

بالذال المعجمة وقيل بالدال المهملة . قال فى النور ولا أظنه الاسق قلم صاحب اليمامة ، أى وزاد بعضهم والى ثمامة بن أثال الحنفيين ملكى اليمامة ، وفيه نظر لان ثمامة رضى الله تعالى عنه كان مسلما حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة بن عمرو العامرى ، أى لانه كان يختلف الى اليمامة و بعث معه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر ، أى حيث تقطع الابل والخيل فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك » فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فردّ ردادون ردّ فكتب الى النبى ﷺ ماأحسن ماتدعو اليه وأجمله وأما شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل الىّ بعض الامر أتبعك وأجار سليطا رضى الله تعالى عنه بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر ، فقدم بذلك كله على النبى ﷺ فأخبره وقرأ النبى ﷺ كتابه وقال لوسألنى سيابة ، أى بفتح السين المهملة وتخفيف المثناه من تحت وموحدة مفتوحة أى قطعة من الارض مافعلت باد و باد مافى يديه ، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بأن هوذة قدمات ، فقال ﷺ أما أن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى ، أى فقال قائل يارسول الله من يقتله فقال له رسول الله ﷺ أنت وأصحابك فكان كذلك ✲ أقول هذا يدل على أن القائل له ﷺ ذلك هو خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فان أبا بكر رضى الله تعالى عنه وجهه أميرا على الجيش الذى أرسله لمقاتله سليمة لعنه الله ، وتقدم الخلاف فى قاتله والمشهور أنه وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنهما وكان سن هوذة مائة وخمسين سنة ويذكر أن هوذة هذا كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبى ﷺ ماقال فقال له لم لاتجيبه قال أنا ملك قومى ولئن اتبعته لم أملك ، فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك فى اتباعه وأنه النبى العربى الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وأنه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله الحديث ، أى وذكر السهيلى رحمه الله تعالى أن سليطا قال له ياهوذة انه سودتك أعظم حائلة أى بالية وأرواح فى النار يعنى كسرى لانه الذى كان توجه وانما السيد من متع بالايمان ، ثم تزود بالتقوى وان قوما سعدوا برأيك فلاتشقين به وأنا آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار . فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان أبيت فبيننا و بينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك تشرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فاجعل لى فسحة ليرجع الىّ رأيى فأجيبك به ان شاء الله تعالى

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن أبى شمر الغسانى

أى وكان بدمشق أى بغوطتها أى وهو محلّ معروف كثير المياه والشجر بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الى الحرث بن أبى شمر الغسانى و بعث معه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق وانى أدعوك أن

تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك ، وختم الكتاب . قال شجاع رضي الله تعالى عنه فخرجت حتى انتهيت الى بابه فأقمت يومين أو ثلاثة . فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله ﷺ اليه . فقال لاتصل اليه حتى يخرج يوم كذا ، وجعل حاجبه يسألنى عن رسول الله ﷺ وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء و يقول انى قرأت فى الانجيل واجد صفة هذا النبيّ بعينه فكنت أراه ، أى أظنه يخرج بالشأم فأراه قدخرج بأرض القرظ ، أى وهو ورق أو ثمر السلم فأنا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحرث بن أبى شمر أن يقتلنى ، فكان هذا الحاجب يكرمنى و يحسن ضيافتى و يخبرنى عن الحرث باليأس منه . و يقول هو يخاف قيصر ، فخرج الحرث يوما وجلس وعلى رأسه التاج وأذن لى عليه ، فدفعت اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به ، ثم قال من ينزع منى ملكى أنا سائر اليه ولوكان باليمن جئته علىّ بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ، ثم قال لى اخبر صاحبك بما ترى ، وكتب الى قيصر يخبره الخبر ، وصادف أن كان عند قيصر دحية الكلبي رضى الله عنه بعثه اليه رسول الله ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه أن لاتسر اليه واله عنه ، أى لاتذكر واشتغل بايلياء أى بيت المقدس ، ومعنى ايلياء بالعبرانية بيت الله ، والمراد باشتغاله بذلك أن يهيّ لقيصر الانزال ببيت المقدس فانه نذر المشى من حمص ، وقيل من قسطنطونية الى بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس وأظهر الله تعالى الروم على فارس ففرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشى عليها حتى بلغ بيت المقدس فجاء اليه كتاب قيصر . أى الذى فيه أنه يلهو عنه ولايذكره وأنا مقيم فدعانى . وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك ؟ قلت غدا فأمر لى بمائة مثقال ذهبا ووصلنى حاجبه بنفقة وكسوة ، وقال لى ذلك الحاجب اقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام وأخبره أنى متبع دينه . قال شجاع فقدمت على النبى ﷺ فأخبرته بما كان من الحرث قال باد ، أى هلك ملكه وأقرأته السلام من الحاجب وأخبرته بما قال . فقال رسول الله ﷺ صدق

* وفى كلام بعضهم و بعض أهل السير على أن الحرث أسلم ، ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامى فيقتلنى قيصر

* وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ، و يقال ان شجاع بن وهب أرسل الى الحارث والى جبلة بن الايهم وان شجاعا قال له ياجبلة ان قومك نقلوا هذا النبى من داره الى دارهم ، يعنى الانصار فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة ، وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والأذان بالناقوس والجمع بالشعانين ، وكان ماعند الله خير وأبقى . قال جبلة انى والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبى اجتماعهم على من خلق السموات والارض ، وقد سرّنى اجتماع قومى له وقد دعانى قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكنى لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر * وفى كلام بعضهم أنه أسلم وردجواب كتاب رسول الله ﷺ وأعلمه باسلامه وأرسل الهدية ، وكان ثابتا على اسلامه لزمن عمر رضى الله عنه فانه حج فى خلافته . أى وفى كلام بعضهم لما أسلم جبلة بن الايهم فى أيام عمر رضى الله عنه وكتب اليه يخبره باسلامه و يستأذنه فى القدوم عليه فسرّ عمر بذلك وأذن له فخرج فى خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم

على الخيل وقلدها بقلائد الذهب والفضة والبسها الديباج وسرف الحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته ، فلما دخل على عمر رضي الله تعالى عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام بالمدينة مكرما فخرج عمر رضي الله تعالى عنه حاجا فخرج معه وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه ، أي ويقال فقأ عينه فشكا الفزارى ذلك الى عمر رضي الله تعالى عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت أنفه أو قال لم فقأت عينه فقال ياأمير المؤمنين تعمد حل ازارى ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر أما أنت فقد أقررت أما أن ترضيه والا أقدته منك ، وفي رواية وحكم اما بالعفو او بالقصاص فقال جبلة فتصنع بي ماذا قال مثل ماصنعت به ، وفي رواية أتقتص له منى سواء وأنا ملك وهذا سوقى فقال له عمر رضي الله تعالى عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى . فقال ان كنت أنا وهذا الرجل سواء في الدين فأما أتنصر فانى كنت أظن ياأمير المؤمنين أني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله تعالى عنه اذا أضرب عنقك فقال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمرى قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته ياأمير المؤمنين فأذن له عمر رضي الله تعالى عنه في الانصراف ، ثم ركب في بني عمه وهرب الى القسطنطونية أي فدخل على هرقل وتنصر هناك ومات على ذلك وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما * وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الأرض برجليه وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وبنى له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال أن فيها قبر ابراهيم بن أدهم . وقيل المحاكمة كانت عند أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه أي فقد ذكر بعضهم أن جبلة لم يزل مسلما حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فبينما هو في سوق دمشق اذ وطئ رجلا من مزينة فوثب المزنى فلطم خد جبلة فأرسله مع جماعة من قومه الى أبي عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة قال فليلطمه قالوا مايقتل قال لا يقتل قالوا اما تقطع يده قال لا انما امر الله بالقود فلما بلغ جبلة ذلك قال أترونى أني جاعل وجهي ندا لوجه بئس الدين هذا ، ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم على هرقل

حجة الوداع

ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولانه ذكر لهم مايحل ومايحرم . وقال لهم هل بلغت ولانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها قيل لاخراج الكفار الحج عن وقته لان أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان هذه الحجة كانت في السنة التي عاد فيها الحج الى وقته وكانت سنة عشر * قال الجمهور فرض الحج كان سنة ست من الهجرة أي وصححه الرافعي في باب السير وتبعه النووي . وقيل فرض سنة تسع . وقيل سنة عشر انتهى وبه قال أبو حنيفة ، ومن ثم قال أنه على الفور . وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الحج وأعلم الناس بذلك ولم يحج منذ هاجر الى المدينة غير هذه الحجة قال وأما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاث حجات . أي وقيل حجتين أي وهما اللتان بايع فيهما الانصار عند العقبة

. وفى كلام ابن الاثير كان صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبل أن يهاجر و فى كلام ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم قبل النبوة و بعدها حججا لا يعلم عددها أى وكان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة مخالفا لقريش توفيقا له من الله فانهم كانوا لايخرجون من الحرم فانهم قالوا نحن بنو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنوا مكة فليس لاحد من العرب منزلتنا فلا تعظموا شيئا من الحل أى كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ماعظموا من الحرم فليس لنا أن نخرج من الحرم نحن الحمس فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منه الى المزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب، قال بعض الصحابة لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى وانه واقف على بعيرله بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا له من الله عزوجل * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم للحج أصاب الناس بالمدينة جدرى بضم الجيم وفتح الدال و بفتحهما أوحصبة منعت كثيرا من الناس من الحج معه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى قيل كانوا أربعين ألفا . وقيل كانوا سبعين ألفا . وقيل كانوا تسعين ألفا . وقيل كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفا . وقيل وعشرين ألفا وقيل كانوا أكثر من ذلك . وقد قال ﷺ أى عند ذهابه عمرة فى رمضان تعدل حجة أوقال حجة معى أى قال ذلك تطييبا لخواطر من تخلف وصوب بعضهم أن هذا انما قاله ﷺ بعد رجوعه [] أى الى المدينة قاله لأم سنان الانصارية لما قال لها مامنعك أن تكونى حججت معنا . وقالت لنا ناضحان حج أبو فلان تعنى زوجها وولدها على أحدهما . وكان الآخر نسقى عليه أرضا لنا . وقال ذلك أيضا لغيرها من النسوة قاله لام سليم ولام طلق ولام الهيثم ولامانع أن يكون قال ذلك مرتين مرة عند ذهابه لما ذكر ومرة عند رجوعه لمن ذكر * وكان خروجه ﷺ يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة . أى وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة [] ورجحه بعضهم وأطال فى الاستدلال له وذلك سنة عشر نهارا بعد أن ترجل وادهن و بعد أن صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذى الحليفة ركعتين وطاف تلك الليلة على نسائه أى فانهن كن معه ﷺ فى الهوادج وكن تسعة ، ثم اغتسل ثم صلى الصبح أى والظهر ثم طيبته عائشة رضى الله تعالى عنها بذريرة هى نوع من الطيب مجموع من اخلاط الطيب و بطيب فيه مسك ؛ ثم أحرم ﷺ أى وذلك بعد أن اغتسل [] لاحرامه غير غسله الاول وتجرد فى ازاره وردائه ، أى فقد روى الشيخان أنه ﷺ أحرم فى رداء وازار ولم يغسل الطيب بل كان يرى وبيص المسك فى مفارقه ولحيته الشريفة أى فانه ﷺ لبد شعر رأسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يشعث وعن عائشة رضى الله تعالى عنها طيبته ﷺ لحرمه وحله وعنها رضى الله تعالى عنها قالت كنت اطيب رسول الله ﷺ لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت . رواه الشيخان وعنها قالت كنت أطيب رسول الله ﷺ ، ثم يطوف على نسائه ، ثم يصبح محرما ينضح طيبا ، و به رد على ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قوله لان أصبح مطليا بقطران أحب الى من أصبح محرما أنضح طيبا . ويؤيد ماقاله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ماتقدم فى الحديبية من أمره ﷺ من تطيب قبل احرامه بغسل الطيب وتقدم مافيه ، أى وصلى كما فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ركعتين أى قبل أن يحرم و به يرد قول ابن القيم رحمه الله تعالى لم ينقل عنه ﷺ أنه صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر

[] وأهل حيث انبعثت به راحلته أي وهي القصواء [] أي وهو يرد ماروى عن ابن سعد رحمه الله تعالى حج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة الى مكة قد ربطوا أوساطهم ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى انه حديث منكر ضعيف الاسناد وانما كان صلى الله عليه وسلم راكبا و بعض أصحابه مشاة * ولم يعتمر صلى الله عليه وسلم في عمره ماشيا وأحواله ﷺ أشهر من أن تخفى على الناس بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله ، وكان على راحلته ﷺ رحل رث يساوي أربعة دراهم ، وفي رواية حج ﷺ على رحل وقطيفة تساوي أولا تساوي أربعة دراهم ، وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة وذلك عند مسجد ذي الحليفة ، وأحرم بالحج والعمرة معا فكان قارنا * قال وقيل أحرم بالحج فقط فكان مفردا ، وقيل بالعمرة فقط أي ثم أحرم بالحج بعد فراغه من أعمال العمرة فكان متمتعا أخذا من قول بعض الصحابة انه ﷺ أحرم متمتعا ، وقيل أطلق احرامه ، وفي كلام السهيلي رحمه الله واختلفت الروايات في احرامه ﷺ هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الامن قال كان متمتعا وأراد انه أهل بعمرة * قال الامام النووي وطريق الجمع أي بين من يقول انه أحرم قارنا ومن يقول انه أحرم مفردا ومن يقول انه أحرم متمتعا أنه أحرم أولا مفردا أي بالحج ثم أدخل العمرة ، أي وذلك أي دخول الأضعف وهي العمرة على الأقوى الذي هو الحج من خصائصه ﷺ فصار قارنا * ويدل لذلك حديث البخاري انه ﷺ أهل بالحج ، فلما كان بالعقيق أتاه آت من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك ، وقل لبيك بحجة وعمرة معا فصار قارنا بعد أن كان مفردا * فمن روى القران اعتمد آخر الأمر ، أي ومنه قول سيدنا أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول لبيك عمرة وحجا * ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى أي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة على الحج لانه يكفي فيه الاقتصار على عمل واحد في النسكين ، أي فلا يأتي بطوافين ولا بسعيين ، أي وليس مراده التمتع الحقيقي بأن أحرم بعمرة فقط ، ثم بعد فراغه من أعمالها أحرم بالحج كما هو حقيقة التمتع ، ومن ثم قال بعضهم أكثر السلف يطلقون المتعة على القران * ومن روى الافراد اعتمد أول الأمر ، ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما ، وقد سئل عن ذلك لبى بالحج وحده أو أن ابن عمر سمعه يقول لبيك بحج ولم يسمع قوله وعمرة فلم يحك الا ماسمع ، وأنس رضي الله عنه سمع ذلك ، أي سمع الحج والعمرة أي فان ابن عمر رضي الله عنه قيل له عن أنس بن مالك انه سمع النبي ﷺ يلبي بالحج والعمرة ، فقال ابن عمر لبى بالحج وحده فقيل لانس عن ابن عمر ذلك ، فقال أنس رضي الله عنه مايعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله ﷺ يقول لبيك عمرة وحجا ، أي يصرح بهما جميعا وقال اني لرديف لابي طلحة وان ركبتي لتمس ركبة رسول الله ﷺ وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت لما قاله ابن عمر وزائد عليه فلس مناقصا له . أي ودليل من قال انه أحرم مطلقا مارواه إمامنا الشافعي رضي الله عنه أنه ﷺ خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم مهلين أي محرمين احراما مطلقا ينتظرون القضاء : أي نزول الوحي لتعيين مايصرفون احرامهم المطلق اليه أي بافراد أو تمتع أو قران أي فجاءه ﷺ الوحي ان يأمر من لاهدي معه ان يجعل احرامه عمرة فيكون متمتعا ومن معه هدي ان يجعله حجا فيكون مفردا لان من معه هدي أفضل ممن لاهدي معه والحج أفضل من العمرة * ويدل لكون الصحابة أطلقوا احرامهم مارواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها خرجنا نلبي لانذكر حجا ولا عمرة * لكن أجيب عن ذلك بانهم لا يذكرون ذلك مع

التلبية وان كانوا سموه حال الاحرام هدا * وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فقال من أراد منكم ان يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل فلينظر الجمع بين هذا وماقبله * وجاء انه ﷺ قال لهم من لم يكن معه هدى وأحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا أى فلا يجعلها عمرة بل يجعل احرامه حجا ولم يذكر القران * وجاء فى بعض الطرق انه أمر من كان معه هدى ان يحرم بالحج والعمرة معا * وفى بعض الروايات خرج ﷺ من المدينة لا يسمى حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهلّ بالحج ولم يكن معه هـدى ان يجعله عمرة * وفى الهدى الصواب أنه ﷺ أحرم بالحج والعمرة معا من حين أنشأ الاحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جيعا وطاف لهما طوافا واحـدا وسعيا واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التى تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث * وماورد أنه ﷺ طاف طوافين وسعى سعيين لم يصح * قال وغلط من قال لبى بالحج وحده ثم أدخل عليه العمرة أى الذى تقدم فى الجمع بين الروايات عن النووى رحمه الله تعالى * ومن قال لبى بالعمرة ثم أدخل عليها الحج أى وهذا لم يتقدم * ومن قال أحرم إحراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد إحرامه أى وهو ماتقدم عن امامنا الشافعى رضى الله عنه * ومن قال أفرد الحج أراد به أنه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا وهذا محمل مافى بعض الروايات وأفرد رسول الله ﷺ الحج ولم يعتمر ، على ان بعض الحفاظ قال انه حديث غريب جدا ، وفيه نكارة شديدة * ثم لبى ﷺ أى بعد أن استقبل القبلة [] فقال : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك * وروى انه زاد على ذلك لبيك إله الخلق لبيك * أى وروى انه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا على تلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون لم ينكر عليهم ، وبه استدل أئمتنا على عدم كراهة الزيادة على تلبيته المشهورة المتقدمة [] فكان ابن عمر رضى الله عنهما يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك لبيك والرغباء اليك والعمل * وأتاه ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام وأمره أن يأمر أصحابه ان يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج ، فعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام ، فقال مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فانها من شعائر الحج * واستعمل ﷺ على المدينة أبادجانة رضى الله عنه ، وقيل سباع بن عرفطة رضى الله عنه [] وولدت أسماء بنت عميس زوج أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ولدها محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم فى ذى الحليفة وأرسلت اليه ﷺ فأمرها أن تغتسل وتستثفر ، أى بخرقة عريضة بعد أن تحشو بنحو قطن وتربط طرفى تلك الخرقة فى شىء تشده فى وسطها لتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم * ثم حاضت سيدتنا عائشة رضى الله عنها فى أثناء الطريق بمحل يقال له سرف بكسر الراء ، وكانت قد أحرمت بعمرة ففى البخارى انها قالت وكنت فيمن أهلّ بعمرة فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتدخل الحج على العمرة * أقول : وقد جاء انها قالت دخل علىّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، فقال مايبكيك ياعائشـة ، وفى لفظ مايبكيك ياهنتاه لعلك نفست ، أى حضت : قلت نعم . والله لوددت انى لم أخرج معكم عامى هـذا فى هذا السفر ، قال لاتقولين ذلك فهذا شىء كتبه الله على بنات آدم * أى واستدل البخارى رحمه الله بهذا على أن الحيض كان فى جميع بنات آدم وأنكر به على من قال ان الحيض أول ماوقع فى بنى اسرائيل ، وفى لفظ قال ماشأنك ، قالت لا أصلى ، قال لا يضيرك انما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب

عليهن أهلي بالحج ، وفي رواية ارفضي عمرتك أي لاتشرعي في شيء من أعمالها وأحرمي بالحج فانك تقضين كل مايقضي الحاج : أي تفعلين كل مايفعل الحاج وأنت حائض الاانك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك أي أدخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف فوقفت بعرفة وهي حائض حتى اذا طهرت : أي وذلك يوم النحر ، وقيل عشية عرفة طافت بالبيت و بالصفا والمروة ، فقال رسول الله ﷺ قد حللت من حجك وعمرتك جميعا * وذكر بعضهم ان في هذه الحجة كان جمل عائشة رضي الله عنها سريع المشي مع خفة حمل عائشة وكان جمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار يتأخر الركب بسبب ذلك فأمر ﷺ ان يجعل حمل صفية على جمل عائشة وان يجعل حمل عائشة على جمل صفية فجاء ﷺ لعائشة رضي الله عنها يستعطف خاطرها ، فقال لها يا أم عبدالله حملك خفيف وجملك سريع المشي وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء فأبطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب ، فقالت له انك تزعم انك رسول الله ، فقال ﷺ أفي شك أني رسول الله أنت يا أم عبدالله ، قالت فمالك لا تعدل ، قال فكان أبو بكر رضي الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي فلامه رسول الله ﷺ ، فقال أما سمعت ما قالت ، فقال دعها فان المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله * قالوا ولما نزلوا بمحل يقال له العرج فقد البعير الذي عليه زاملته ﷺ وزاملة أبي بكر أي زادهما وكان ذلك البعير مع غلام لأبي بكر . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للغلام أين بعيرك قال ضللته البارحة . فقال أبو بكر وقد اعترته حدة بعير واحد تضله وأخذ يضربه بالسوط ورسول الله ﷺ يقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم لا يزيد على ذلك فما بلغ بعض الصحابة ان زاملة رسول الله ﷺ ضلت جاء بحيس ووضعه بين يديه ﷺ فقال ﷺ لابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو يغتاظ على الغلام هوّن عليك يا أبا بكر فان الامر ليس لك ولا الينا . وقد كان الغلام حريصا على ان لا يضل بعيره وهذا غداء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه فأكل ﷺ وأبو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعوا فأقبل صفوان ابن المعطل رضي الله تعالى عنه وكان على ساقة القوم أي لان هذا كان شأنه كما تقدم في قصة الافك والبعير معه وعليه الزاملة حتى أناخه على باب منزله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لابي بكر انظر هل تفقد شيئا من متاعك ، فقال ما فقدت شيئا الا قعبا كنا نشرب فيه ، فقال الغلام هذا القعب معي ولما بلغ سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله تعالى عنهما ان زاملته ﷺ قد ضلت جاآ بزاملة وقال أي كل واحد منهما يا رسول الله بلغنا ان زاملتك ضلت الغداة وهذه زاملة مكانها ، فقال رسول الله ﷺ قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما اهـ ثم نزل ﷺ بذي طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح : أي بعد أن اغتسل بها أي ثم سار ﷺ ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا أي وقت الضحى من الثنية العليا التي هي ثنية كداء بفتح الكاف والمد قال أبو عبيدة لا ينصرف وهي التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الآن الحجون التي دخل منها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة كما تقدم . ودخل المسجد الحرام ضحا من باب عبد مناف وهو باب بني شيبة المعروف الآن بباب السلام وكان صلى الله عليه وسلم اذا أبصر البيت : قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا . وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا . وفي مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه . أخبرنا سعيد بن سالم عن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى

البيت

البيت رفع يديه وقال اللهم زدهذا البيت الخ وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذادخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زدهذا البيت الخ وعند دخول صلى الله عليه وسلم المسجد طاف بالبيت أى سبعا ماشيا ، فعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال دخلنا مكة عندارتفاع الشمس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر الاسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا ، فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقى فى السنن الكبرى باسناد جيد ، وقيل طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجدعاء أى لانه ﷺ قدم مكة وهو يشتكى فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ قدم مكة وهو يشتكى فطاف على راحلته فلما أتى الركن استلمه بمحجن ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين رواه أبوداود ، ورد بأن هذا الحديث تفرد به يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف على ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يذكر ان ذلك كان فى حجة الوداع ولا فى الطواف الاول من طوافاتها الثلاثة التى هى طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع فينبغى أن يكون ذلك فى غير الطواف الاول بان يكون فى طواف الافاضة أو طواف الوداع فلا ينافى ما تقدم عن جابر ولا ما فى مسلم عنه انه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت ليراه الناس فيسألوه وقوله ورمل فى ثلاث منها أى يسرع المشى مع تقارب الخطا ومشى أى على هينته فى أربع يستلم الركن اليمانى والحجر الاسود فى كل طوفة وابتداء الرمل كان فى عمرة القضاء لما قال المشركون غدا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب دأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدهم ومن ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قدوهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا كما تقدم ، فلما كانت هذه الحجة فعلوا كذلك فصارت سنة قال وثبت انه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر الاسود وثبت انه استلمه بيده ، ثم قبلها وثبت انه استلمه بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ولا قبل يده حين استلمه اه وعند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه يستحب أن يقبل ما استلمه به روى امامنا الشافعى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان ﷺ اذا استلم الحجر قال بسم الله والله أكبر ، وقال بينهما أى بين الركن اليمانى والحجر ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولم يثبت عنه ﷺ شئ من الاذكار فى غير هذا المحل حول الكعبة ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر أى لانهما ليسا على قواعد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه انك رجل قوى لاتزاحم على الحجر أى الاسود تؤذى الضعيف ان وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله وهلل وكبر [ ] وأخذ من ذلك بعض فقهائنا ان من شق عليه استلام الحجر الاسود يسن له ان يهلل ويكبر ، ثم بعد الطواف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند مقام سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل المقام بينه وبين الكعبة أى استقبل جهة باب المحل الذى به المقام الآن وهو المراد بخلف المقام قرأ فيهما مع أم القرآن قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد ودخل ﷺ زمزم فنزع له دلو فشرب منه ، ثم مج فيه ثم افرغها فى زمزم ، ثم قال لولا ان الناس يتخذونه نسكا لنزعت أى وتقدم فى فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم قال لولا أن تغلب بنو عبدالمطلب لانتزعت منها دلوا وانتزع له العباس ، ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى الحجر الاسود

فاستلمه ، ثم خرج الى الصفا وقرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ابدءوا بما بدأ الله به فسعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على بعيره ، وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان سعيه الذى طاف لقدومه كان على قدميه لا على بعير ، اى فذكر البعير فى هذا السعى غلط من بعض الرواة ، ثم رأيت بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان ماشيا بين الصفا والمروة . ولعل بين الصفا والمروة مدرجة أو انه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة بعض المرات على قدميه ، فلما ازدحم الناس عليه ركب فى الباقى ، ويدل لذلك انه قيل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قومك يزعمون ان السعى بين الصفا والمروة راكبا سنة ، فقال صدقوا وكذبوا ، فقيل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا فى ان السعى سنة وكذبوا فى ان الركوب سنة فان السنة المشى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى فى السعى ، فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه ، فلما كثر عليه الناس ركب وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث الدالة على انه صلى الله عليه وسلم مشى بين الصفا والمروة والاحاديث الدالة على انه صلى الله عليه وسلم ركب فيه وصار ﷺ فى السعى يخب ثلاثا ويمشى أربعا ويرقى الصفا ويستقبل الكعبة ويوحد الله ويكبره ويقول لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، أى من غير قتال ، ثم يفعل على المروة مثل ذلك . واعترض بان كونه كان يخب ثلاثا ويمشى أربعا كان فى الطوف بالبيت لا فى السعى بين الصفا والمروة وهذا السياق يقتضى انه صلى الله عليه وسلم سعى بعد طواف القدوم ، وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم حج فأول شئ بدأ به حين قدم مكة انه توضأ ثلاثا ثم طاف بالبيت ولم يذكر السعى ، أى وفى مسلم فى سبب نزول قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ان المهاجرين فى الجاهلية كانوا يهلون بصنمين على شط البحر يقال لهما إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ، ثم يحلقون ، فلما جاءهم الاسلام كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة يرون ان ذلك من أمر الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقيل ان سبب نزولها ان الانصار كانوا فى الجاهلية يهلون لمناة وكان من احرم بمناة لا يطوف بين الصفا والمروة وانهم سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك حين اسلموا فأنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الآية ثم أمر ﷺ من لا هدى معه بالاحلال ، أى وان لم يكن أحرم بالعمرة بان لم يكن سمع أمره صلى الله عليه وسلم بان من لا هدى معه يحرم بالعمرة فأحرم بالحج قارنا أو مفردا . قال السهيلى رحمه الله ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه رضى الله تعالى عنهم الا طلحة بن عبد الله وكذا على كرم الله وجهه جاء من اليمن وقد ساق الهدى معه ويأتى ما فيه أى وأمره صلى الله عليه وسلم من ذكر بالاحلال كان بعد الحلق والتقصير لانه أتى بعمل العمرة فحل له كل ما حرم على المحرم من وطء النساء والطيب والمخيط وان يبقى كذلك الى يوم التروية الذى هو اليوم الثامن من ذى الحجة فيهل أى يحرم بالحج . وقيل له يوم التروية لانهم كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم فى ذهابهم من مكة الى عرفات لعدم وجدان الماء بها فى ذلك الزمن وأمر صلى الله عليه وسلم من معه الهدى ان يبقى على احرامه أى بالحج قارنا أو مفردا حتى قال بعضهم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى قال ويروى ان قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما انه ﷺ لما تم سعيه قال لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة ننطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر وفى لفظ وفرجه يقطر

منيا ، أى قد جامع النساء ، أى وفيه انهم لا ينطلقون الى منى الا بعد الاحرام بالحج لانهم يحرمون من مكة الا أن يقال مرادهم انا كيف نجامع النساء بعد ما حرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الاحرام بالحج كما سيأتى فى بعض الروايات ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يارسول الله أدخله الله النار ، فقال أوماشعرت انى أمرت الناس بامر فاذاهم يترددون وقوله صلى الله عليه وسلم لواستقبلت الخ تأسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع كذا قال الامام أحمد رضى الله تعالى عنه لانه يرى ان التمتع أفضل ورد بأنه لم يتاسف على التمتع لكونه أفضل وانما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه فى بقائه محرما على احرامه وأمره لهم بالاحلال وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لوتفتح عمل الشيطان محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف ، و يروى انه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى ، فقال اما بعد فتعلمون أيها الناس لأنا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت هديا ولاحللت * وفى رواية قالوا كيف نجعلها عمرة ، وقد سمينا الحج ، فقال صلى الله عليه وسلم افعلوا ماأمرتكم به واجعلوا اهلالكم بالحج عمرة فلولا انى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ففعلوا وأهلوا ففسخوا الحج الى العمرة ، وكان من جملة من ساق الهدى أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعلى رضى الله تعالى عنهم فان عليا كرم الله وجهه قدم الى مكة من اليمن ومعه هدى ، وعن جابر رضى الله تعالى عنه لم يكن أحد معه هدى غير النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة ، وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه انطلق وطف بالبيت وحل كما أحل أصحابك ، فقال يارسول الله أهللت كما أهللت ، فقال له ارجع فاحل كما أحل أصحابك قال يارسول الله انى قلت حين احرمت اللهم انى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ، فقال هل معك من هدى قال لا فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على احرامه وهذا صريح فى ان احرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج ، ويمكن الجمع بين رواية ان عليا قدم من اليمن ومعه هدى و بين رواية انه لم يكن معه هدى بان الهدى تأخر مجيئه بعده لانه تعجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه ، و يؤيد ذلك قول بعضهم كان الهدى الذى قدم به على كرم الله وجهه من اليمن والذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم مائة أى والا فالذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستون بدنة ، والذى قدم به من اليمن لعلى كان سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك اشراكه له فى الهدى لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لاحتمال تلف ذلك الهدى وعدم مجيئه ، والذى فى البخارى لما قدم على كرم الله وجهه من اليمن قال له النبى صلى الله عليه وسلم بم أهللت ؟ ياعلى قال بما أهل به النبى صلى الله عليه وسلم قال فأهدوا مكث حراما كما أنت أى فانه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان أرسل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى اليمن لهمدان يدعوهم الى الاسلام قال البراء رضى الله تعالى عنه فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه فأمره أن يقفل خالد ابن الوليد و يكون مكانه وقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت ممن أعقب مع على كرم الله وجهه فلما دنونا من القوم خرجوا الينا وصلى بنا على كرم الله وجهه

ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فأسلمت همدان جميعا فكتب رضي الله تعالى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان ، وكان من جملة من لم يسق الهدى أبو موسى الاشعرى رضي الله تعالى عنه ، فانه لما قدم من اليمن قال له بم أهللت قال اهللت كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال له هل معك من هدى . قال قلت لا فأمرني فطفت بالبيت والصفا والمروة ، ورواية الشيخين عن أبى موسى رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له بم أهللت ؟ فقلت لبيت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد أحسنت طف بالبيت و بالصفا والمروة وأحل ، أى بعد الحلق أو التقصير . وفيه انه صلى الله عليه وسلم كان مهلا بالحج فقط أو مع العمرة الا أن يقال جوز لأبى موسى الفسخ من الحج الى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين أحرموا بالحج ولا هدى معهم ، ومن جملة من لم يسق الهدى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فاحللن أى لأنهن أحرمن احراما مطلقا ثم صرفنه للعمرة ، أو أحرمن متمتعات أى بالعمرة الا عائشة رضي الله تعالى عنها فانها لم تحل أى لانها أدخلت الحج على العمرة كما تقدم ، وممن أحل سيدتنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، أى لانها لم يكن معها هدى ، وأسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما ، وشكا على كرم الله وجهه فاطمة رضي الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم اذ أحلت ، أى فانه وجدها لبست صبيغا واكتحلت فأنكر عليها فقالت رضي الله تعالى عنها أمرني أبي بذلك فذهب الى النبي ﷺ محرشاله عليها رضي الله تعالى عنها فصدقها عليه الصلاة والسلام في أنه أمرها بذلك ، أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له صدقت صدقت أنا أمرتها بذلك يا على وسأله سراقة بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال بل لأبد الأبد دخلت العمرة في الحج هكذا الى يوم القيامة أى وفي رواية فشبك بين أصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين بل لأبد الأبد بالاضافة أى الى آخر الدهر ، وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج يدل على أن مراد السائل بالتمتع القران لا حقيقته الذى هو الاحرام بالحج بعد الفراغ من عمل العمرة لكن قول بعضهم لما كان آخر سعيه صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة فقال يارسول الله ألعامنا هذا أم للابد الحديث يدل على أن مراده بالتمتع حقيقته لكن لا يحسن الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج الا أن يقال المراد حصلت العمرة مع الاحرام بالحج لقلب الاحرام بالحج الى العمرة لان هذا كله يدل على أنه أمر من أحرم بالحج ممن لا هدى معه أن يقلب احرامه عمرة ، وأجاب عنه أئمتنا بأن ذلك أى فسخ الحج الى العمرة كان من خصائص الصحابة في تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج ويقولون انه من أفجر الفجور ، وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وامامنا الشافعي وجماهير العلماء من السلف والخلف رضي الله عنهم ، وفي مسلم عن أبى ذر رضي الله تعالى عنه لم يكن فسخ الحج الى العمرة الا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وخالف الامام أحمد رضي الله عنه وطائفة من أهل الظاهر فقالوا بل هذا ليس خاصا بالصحابة في تلك السنة ، أى بل باق لكل أحد الى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدى أن يقلب احرامه عمرة و يتحلل بأعمالها و بعضهم قال ان قول سراقة رضي

الله تعالى عنه معناه ان جواز العمرة فى أشهر الحج خاصة بهذه السنة أوجائزة الى يوم القيامة ، وفيه أنه لايحسن الجواب عنه بما تقدم من قوله دخلت العمرة فى الحج ثم نهض صلى الله عليه وسلم ونهض معه الناس يوم التروية الذى هو اليوم الثامن الى منى وأحرم بالحج كل من كان أحل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بمنى والعصر والمغرب والعشاء و بات بها تلك الليلة أى وكانت ليلة الجمعة وصلى بها الصبح ، ثم نهض بعد طلوع الشمس الى عرفة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تضرب له قبة من شعر بنمرة فأتى عليه الصلاة والسلام عرفة ونزل فى تلك القبة حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء بفتح القاف والمد وقيل بضم القاف والقصر وهو خطأ كما تقدم ، وفى كلام الاصل ان القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة وفيه مالايخفى ، فرحلت ثم أتى بطن الوادى فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأوّل ربا وضعه ربا عمه العباس رضى الله تعالى عنه ووضع الدماء فى الجاهلية وأوّل دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قتلته هذيل فقال هو أوّل دم أبدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به فى الاسلام وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا وأباح ضربهنّ غير المبرح ، ان أتين بما لايحل وقضى لهنّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهنّ وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل ، أى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه لايضل من اعتصم به وأشهد الله عز وجل على الناس انه قد بلغهم مايلزمهم فاعترف الناس بذلك وأمر أن يبلغ ذلك الشاهد الغائب ، ومن ذلك قوله ﷺ ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع وربا الجاهلية موضوع وأوّل ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهنّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانكم لتسألون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأدّيت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم فاشهد ثلاث مرات ، وجاء انه ﷺ أمر مناديا صار ينادى بكل ماقاله من ذلك ، أى وهو ربيعة بن أمية بن خلف أخو صفوان بن أمية وكان صيتا وصار صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ يقول كذا كما تقدم فيصرخ به وهو واقف تحت صدر ناقته ﷺ ، وربيعة هذا ارتد فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه فانه شرب الخمر فهرب منه الى الشام ثم هرب الى قيصر فتنصر ومات عنده ، وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه طاف ليلة هو وعمر رضى الله تعالى عنهما للحرس بالمدينة فرأوا نورا فى بيت فانطلقوا يؤمونه فاذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الرحمن تدرى بيت من هذا قال لاقال هذا بيت ربيعة بن أمية وهم الآن شرب فما ترى قال أرى أنا قد أتينا مانهى الله عنه ولا تجسسوا فانصرف عمر ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه غرّب ربيعة الى خيبر فكان ماتقدم ، وقد رأى ربيعة قبل ذلك فى المنام كأنه فى أرض معشبة مخصبة وخرج منها الى أرض مجدبة كالحة ، ورأى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فى جامعة من حديد عند سرير الى الحشر فقص ذلك على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر وأما أنا فان ذلك دينى جمع لى فى أشد الناس الى يوم الحشر ، وبعثت اليه صلى الله عليه وسلم أم الفضل زوجة العباس أم عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم لبنا فى قدح شربه أمام

الناس فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائما ذلك اليوم الذى هو يوم التاسع ، أى لانهم تماروا عندها فى صيامه صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الذى هو يوم عرفة . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة ، أى وبهذا استدل أئمتنا انه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذى هو التاسع من ذى الحجة . فلما تم صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فاذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا فصلاهما مجموعتين فى وقت الظهر بأذان واحد واقامتين . اى لانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بمكة اقامة تقطع السفر لانه دخلها فى اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها احدى وعشرين صلاة من أول ظهر يوم الرابع الى عصر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر كما يقول امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه كالجمهور لا للنسك كما يقول غيرهم * أقول وفيه ان فقهاءنا ذكروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة فى حجة الوداع مع عزمه على الاقامة أياما أى تقطع السفر لعدم استيطانه ، ويرد بأنه من أين انه صلى الله عليه وسلم عزم على الاقامة بمكة المدة التى تقطع السفر ، هذه دعوى تحتاج الى دليل وأيضا عزمه على ذلك انما هو بعد عوده الى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمى ولا ينقطع سفره الا بوصوله الى مكة والاولى استدلال فقهائنا على وجوب الاستيطان فى اقامة الجمعة بعد أمره صلى الله عليه وسلم لاهل مكة باقامة الجمعة مع انهم غير مسافرين لعدم استيطانهم للمحل . فما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من ان الجمع للسفر لا للنسك فى محله ، وقد رأيت ان مالكا رضى الله تعالى عنه سأل أبا يوسف وقد كان حج مع هرون الرشيد وذلك بحضرة الرشيد فقال له ما تقول فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة أصلى جمعة أم صلى ظهرا مقصورة فقال أبو يوسف صلى جمعة لانه خطب لها قبل الصلاة فقال مالك اخطأت لانه لو وقف يوم السبت لخطب قبل الصلاة . فقال أبو يوسف ما الذى صلى فقال مالك صلى الظهر مقصورة لانه أسر بالقراءة فصوّبه هرون فى احتجاجه على أبى يوسف والله أعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته الى أن أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال الى الغروب . وفى الحديث أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى أى فى يوم عرفة كما فى بعض الروايات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وجاء ان من جملة دعائه فى ذلك اليوم اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الشيطان ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذى شر ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ياخير المسئولين وياخير المعطين واستمر كذلك صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة . أى وخطب صلى الله عليه وسلم على ناقته فى ذلك اليوم فعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة رضى الله تعالى عنهم قال بعثنى عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لعابها ليقع على رأسى فسمعته يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى

كل ذي حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن دعى الى غير أبيه أو مولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله له صرفا ولاعدلا ، وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من نجد فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع ، أى المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وجمع بفتح الجيم وسكون الميم أيام منى ثلاثة (فمن تعجل فى يومين فلااثم عليه ومن تأخر فلااثم عليه) ، أى وقال ﷺ وقفت ههنا وعرفة كلها موقف زاد مالك فى الموطأ وارفعوا عن بطن عرنة ، وفى كلام بعضهم نزلت (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) يوم الجمعة بعد العصر والنبى ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء فكاد عضد الناقة يندق من ثقل الوحى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اتفق فى ذلك اليوم أربعة أعياد عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لأهل الملل فى يوم قبله ولا بعده ولما نزلت بكى عمر رضى الله تعالى عنه ، فقال له النبى ﷺ مايبكيك ياعمر فقال رضى الله تعالى عنه أبكانى انا كنا فى زيادة أما اذا كمل فانه لايكمل شئ الا نقص فقال صدقت . فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يعش بعدها الاثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولم ينزل بعدها شئ من الاحكام ، ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه خلفه ودفع الى مزدلفة وقد ضم زمام راحلته القصواء التى خطب عليها فى نمرة حتى أن رأسها ليصيب طرف رجليه يصير العنق حتى اذا وجد فسحة سار النص وهو فوق العنق وهو يأمر الناس بالسكينة فى السير ، فلما كان فى الطريق عند الشعب الابتر نزل فيه فبال وتوضأ وضوأ خفيفا ، ثم ركب حتى أتى المزدلفة التى هى جمع أى وتقدم ان وقوفه ﷺ بعرفات وافاضته الى مزدلفة قبل ان يبعث كان مخالفا فى ذلك لقوله وصلى المغرب والعشاء مجموعتين فى وقت العشاء ، أى مقصورتين باذان واحد واقامتين ثم اضطجع واذن للنساء والضعفة أى الصبيان أن يرموا ليلا ، أى ان يذهبوا من مزدلفة الى منى بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمرة العقبة قبل الزحمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما فجعل رسول الله ﷺ يوصيهم أن لايرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فليتأمل ذلك فعن عائشة رضى الله عنها ان سودة رضى الله عنها أفاضت فى النصف الاخير من مزدلفة باذن النبى ﷺ ولم يأمرها بالدم ولا النفر الذين كانوا معها ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال انا ممن قدم النبى ﷺ فى ضعفة أهله ، وروى ذلك الشيخان ولم يأذن ﷺ للرجال فى ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم أى فالمراد بالضعفة الصبيان كما تقدم ، و بهذا استدل أئمتنا على انه يستحب تقدم النساء والضعفة بعد نصف الليلة الى منى أى وان يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغلسين . وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فلان أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب الى من مفروح به ، أى لارمى الجمرة قبل أن يأتى الناس وفى لفظ قبل حطمة الناس لان سودة رضى الله عنها كانت امرأة ضخمة ثقيلة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تفيض من مزدلفة مع النساء والضعفة ، وفى مسلم مضت أم حبيبة من جمع بليل أى فى نصف الليل ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أرسلنى صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة ، فلما كان وقت الفجر قام صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس ، أى بالمزدلفة الصبح مغلسا ثم أتى المشعر الحرام فوقف به أى وهو راكب ناقته واستقبل القبلة ودعا الله وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا وجاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة لأمته يوم عرفة ، فأجيب بأنه يغفر لها ما عدا المظالم ثم دعا بذلك أى بالمغفرة لأمته

بمزدلفة ، فأجيب الى ذلك أى الى غفران المظالم فجعل ابليس لعنه الله يحثو التراب على رأسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله وجاء ما يبين أن المراد بالامة من وقف بعرفة ثم انه صلى الله عليه وسلم دفع أى من المشعر الحرام قبل ان تطلع الشمس ، أى قال جابر رضى الله تعالى عنه وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وأردف خلفه الفضل بن العباس وجاءته امرأة تسأله فقالت له يارسول الله ان فريضة الله على عباده الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر وفى لفظ آخر فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ، وفى لفظ آخر انه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل ، فقال له أبوه العباس رضى الله عنهما يارسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان ، فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى محصر حرك ناقته قليلا وسلك الطريق التى تسلك على جمرة العقبة فرمى بها من أسفلها سبع حصيات التقطها له عبدالله بن عباس رضى الله عنهما من موقفه الذى رمى فيه مثل حصى الخذف بفتح الخاء المعجمة واسكان الذال المعجمة وهذا لا يخالف ما عليه أئمتنا من أن الاولى ان يلتقط حصى الرمى من مزدلفة ، ويكره أخذه من المرمى لجواز أن يكون التقط له ذلك من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فأمر ابن عباس بالتقاطه لكن الذى فى مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا أى الوادى المعروف وهو أول منى قال عليكم بحصى الخذف الذى ترمى به الجمرة وهو يدل على أن أخذ الحصى من ذلك أولى ، الا أن يقال يجوز أن يكون قال ذلك لجماعة تركوا أخذ ذلك من مزدلفة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بمثلها ونهى عن أكبر منها وقطع صلى الله عليه وسلم التلبية عند الرمى وصار يكبر عند رمى كل حصاة وهو راكب ناقته * وفى رواية على بغلة قال بعضهم وهو غريب جدا ، وبلال وأسامة احدهما آخذ بخطامها والآخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك * وفى رواية فرأيت بلالا رضى الله عنه يقود براحلته واسامة بن زيد رضى الله عنه رافعا عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة وخطب صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء وقيل على بعير بمنى خطبة قرر فيها تحريم الزنا والأموال والاعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال «ياأيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأى بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأى شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا أعادها مرارا ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وأمرهم ﷺ بأخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك ، وكان وقوفه ﷺ بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد وجاء انه ﷺ خطب فى اليوم الاول واليوم الثانى من أيام التشريق وهو أوسطها ، ويقال له يوم النفر الاول لجواز النفر فيه كما يقال لليوم الثالث فى أيام التشريق يوم النفر الآخر ، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة ، أى وهى التى قدم بها من المدينة وذلك بيده الشريفة لكل سنة بدنة ، قال بعضهم ، وفى ذلك اشارة الى منتهى عمره صلى الله عليه وسلم لأن عمره ﷺ كان فى ذلك اليوم ثلاثا وستين سنة فنحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لكل سنة بدنة وطبخ له اللحم من لحمها وأكل منه أى أخذ من كل بدنة بضعة فجعل ذلك فى قدر وطبخ فأكل من ذلك اللحم وشرب

من مرقته ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرّم الله وجهه فنحر ما بقى وهو تمام المائة ، أى ولعله الذى أتى به على كرّم الله وجهه من اليمن هـذا وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال أهدى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى حجـة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ، ثم أمر ﷺ عليا فنحر ما بقى منها وقال له اقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولاتعط جزارا منها شيئا وخذ لنا من كل بعير جذية من لحم واجعلها فى قدر واحدة حتى نأ كل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل ، وأخبر صلى الله عليه وسلم ان منى كلها منحر وان فجاج مكـة كلها منحر ثم حلق رسول الله ﷺ رأسـه الشريف أى حلقه معمر بن عبـد الله وقال له هنا وأشار بيـده الى الجانب الأيمن فبدأ بشقه الأيمن فحلقه ثم بشقه الأيسر وقسم شعره فأعطى نصفه لابى طلحة الانصارى . أى شعر نصف رأسه الأيسر بعد أن قال ههنا أبو طلحة وقيـل أعطاه لام سليم زوج أبى طلحة رضى الله عنهما وقيـل لابى كريب وأعطى من نصفه الثانى ، أى الذى هو الأيمن الشعرة والشعرتين للناس * وفى رواية ناول صلى الله عليـه وسلم الحلاق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أباطلحة الانصارى فأعطاه اياه ثم ناول الحـلاق الشق الأيسر فحلقه وأعطاه أبا طلحة ، وقال اقسمه بين الناس * قال فى النور والحاصـل ان الروايات اختلفت فى مسـلم ففى بعضها انه أعطاه الأيسر وفى بعضها أنه أعطاه الأيمن ورجح ابن القيم أن الذى اختص به أبو طلحة هو الشق الأيسر * أقول الذى فى مسلم قال للحلاق ها وأشار بيده الى جانبه الأيمن فقسم شعره بين من يليـه ، وفى رواية فوزعه الشعرة والشعرتين ثم أشار الى الحلاق والى جانبـه الأيسر فحلقه فأعطاه لأم سليم * وفى رواية قال ههنا أبو طلحة ، وفى لفظ أين أبا طلحة فدفعه الى أبى طلحة * وفى رواية ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أباطلحة فأعطاه اياه ثم ناوله الشق الأيسر فحلقه وأعطاه أبا طلحة ، فقال اقسم بين الناس والجمع ممكن بين هذه الروايات والله أعلم * وعن بعضهم قال شقت قلنسوة خالد بن الوليـد رضى الله عنـه يوم اليرموك وهو فى الحرب فسقطت فطلبها طلبا حثيثا فعوتب فى ذلك ، فقال ان فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليـه وسلم وانهاما كانت معى فى موقف الا نصرت بها * وعن أنس رضى الله عنه ، قال رأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم والحلاق يحلقه وقد طاف به أصحابه ما يريدون ان تقع شعرة الا فى يد رجـل ثم تطيب صـلى الله عليـه وسلم طيبته عائشة رضى الله عنها بطيب فيـه مسك قـبل أن يطوف طواف الافاضة ، ويقال له طواف الركن ويقال له طواف الصدر والاشهر ان طواف الصدر طواف الوداع ، وحلق بعض أصحابه وقصر بعض آخر وعند ذلك ، قال صلى الله عليـه وسلم اللهم اغفر للمحلقين ، وقالوا والمقصرين فأعاد صلى الله عليه وسلم وأعادوا ثلاثا ، وقال فى الرابعـة والمقصرين ، والصحيح المشهور انه قال ذلك فى هـذه الحجة التى هى حجة الوداع كما قال ذلك فى الحديبية كما تقدم ، وقيل لم يقله الا فى الحديبية وبه جزم امام الحرمين فى النهاية . وقال النووى ولا يبعد أن يكون وقع ذلك منـه ﷺ فى الموضـعين . قال فى فتح البارى بل هو المتعين لتضافر الروايات بذلك فى الموضعين ، أى فان فى مسلم فى حجة الوداع عن أبى هريرة رضى الله عنـه . قال قال رسول الله ﷺ اللهـم اغفر للمحلقين قالوا يارسـول الله وللمقصرين . قال اللهـم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين . قال اللهـم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين ، ثم نهض ﷺ راكبا الى مكة فطاف فى يومـه ذلك طواف الافاضـة قبـل الظهر وشرب من نبيـذ السقاية ، فعن ابن عباس رضى الله عنهـما مرّ النبى ﷺ عـلى راحلتـه

وخلفه أسامة رضي الله عنه فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ ، أي من سقاية العباس رضي الله عنه فانهم كانوا يضعون في السقاية التمر والزبيب كما تقدم فشرب ﷺ وسقى فضله لاسامة رضي الله تعالى عنه ، وقال أحسنتم وأجلتم كذا فاصنعوا ثم شرب ﷺ من ماء زمزم بالدلو ، قيل وهو قائم وقيل وهو على بعير والذي نزع له الدلو عمه العباس بن عبد المطلب ، أي وفعل ذلك عند فتح مكة أيضا كما تقدم . وقيل لما شرب ﷺ صب منه على رأسه الشريف * وعن ابن جريج أنه صلى الله عليه وسلم نزع الدلو لنفسه وقيل ان هذا يخالف ما تقدم من قوله لولا أن الناس يتخذونه نسكا لنزعت . ومن قوله يوم فتح مكة لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها ثم رجع ﷺ الى منى فصلى بها الظهر كما اتفق عليه الشيخان . وقيل صلاه بمكة وبه انفرد مسلم ورجح بأمور ؛ وجمع بينهما بانه يجوز أن يكون صلى الظهر بمكة أول الوقت ثم رجع الى منى فصلاها مرة أخرى باصحابه ، أي الذين تخلفوا عنه بمنى فانه ﷺ وجدهم ينتظرونه فهي له صلى الله عليه وسلم معادة ، قال بعضهم وهذا مشكل على من لم يجوز الاعادة . وعورض هذا بانه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين بدنة ونحر على كرم الله وجهه بقية المائة وأخذ من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس وتطيب وخطب ، فكيف يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت و يعود الى منى في وقت الظهر على أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع الى منى رواه أبو داود . وأجيب بان النهار كان طويلا فلا يضر صدور أفعاله صلى الله عليه وسلم كثيرة في صدر ذلك اليوم على أن ابن كثير رحمه الله ، قال لست أدري أن خطبته صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أكانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه الى منى ، وأما رواية عائشة رضي الله عنها المقتضية لكونه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب الى البيت ، فأجاب بعضهم عنها بانها ليست نصا في ذلك بل تحتمل فليتأمل * فان قيل روى البخاري وأهل السنن الأربعة أن النبي ﷺ أخر الزيارة الى الليل ، وفي لفظ زار ليلا * قلنا المراد بالزيارة زيارة مجيئه لا طواف الزيارة الذي هو طواف الافاضة ، فقد روى البيهقي أنه ﷺ كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى وهو قول عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر الى الليل ؛ فقد أخذه من قول عائشة المتقدم وقد علمت ما فيه . وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات وعليه الجمهور أنه ﷺ طاف يوم النحر بالنهار . والاشبه أنه كان قبل الزوال هذا كلامه ، وطافت أم سلمة رضي الله عنها في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس . قالت وطفت ورسول الله ﷺ يصلي الى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور . أي وعورض ذلك بأنه ﷺ أرسل أم سلمة رضي الله عنها ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافه قبل الظهر لانه ﷺ لم يكن ذلك الوقت بمكة ، ويجاب بأنه يجوز أن تكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وان كانت قدمت مكة قبل الفجر * وعورض بانه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال * ويجاب بان كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور شهادة نفي على من يثبت . وأم سلمة رضي الله عنها لم تدع أنها سمعت

قراءته صلى الله عليه وسلم ، ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر انه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ ، أى عندقدومه مكة ، لطواف الوداع عند الكعبة وأصحابه وقرأ فى صلاته : والطور بكمالها قال ، ويؤيد ذلك ماروى عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أشتكى قال طوفى من وراء الناس وأنت راكبة ، ومضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حينئذ الى جنب البيت وهو يقرأ (والطور وكتاب مسطور) أى وحينئذ يكون ماتقدم من قول الراوى وطافت أم سلمة فى ذلك اليوم الذى هو يوم النحر . وقوله فى الرواية الاخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل النحر ثم مضت فأفاضت ، أى طافت طواف الافاضة ، وماجاء عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافى معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة ، قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوى أومن الناسخ وإنما هو يوم النفر . ويقال بمثل ذلك فيما قبله فليتأمل ، فانه سيأتى فى بعض الروايات انه طاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح . الا أن يقال انه صلى الله عليه وسلم مكث بعد الطواف لصلاة الصبح حتى صلاها ، وفيه ان بعضهم ذكر انه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت ، أى طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم ، وطافت فى ذلك اليوم الذى هو يوم النحر عائشة رضى الله عنها بعد أن طهرت من حيضها وكانت حائضا يوم عرفة ، أى كما تقدم . وطافت أيضا صفية رضى الله عنها فى ذلك اليوم وسئل صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم عما تقدم بعضه على بعض من الرمى والحلق والنحر والطواف فقال لاحرج أى لا إثم . ففى مسلم عن عمرو بن العاصى رضى الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يارسول الله لم أشعر ان التحلل قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر فقال اذبح ولاحرج ، ثم جاءه رجل آخر فقال يارسول الله لم أشعر ان الرمى قبل النحر فنحرت قبل أن أرمى فقال ارم ولاحرج وجاءه آخر فقال انى أفضت الى البيت قبل أن أرمى فقال ارم ولاحرج ، قال فماسئل عن شئ قدم ولا أخر الاقال افعل ولاحرج . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ، أيضا فى تقديم السعى بين الصفا والمروة قبل الطواف بالبيت أى فمن شاء قدم السعى عقب طواف القدوم ومن شاء أخره عن طواف الافاضة وقد تقدم أنه ﷺ أتى بالسعى عقب طواف القدوم . وأقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة أيام يرمى الجمار ، أى ماشيا فى ذهابه وايابه وأمر صلى الله عليه وسلم شخصا أن ينادى فى الناس بمنى انها أيام أكل وشرب وباءة ورمى لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال ، أى قبل الصلاة للظهر سبع حصيات يبدأ بالتى تلى مسجد منى أى الخيف ويقف عندها للدعاء ثم التى تليها وهى الوسطى ثم يقف للدعاء ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء : أى وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يرمين بالليل وخطبهم أى الناس فى اليوم الاول من أيام منى كما تقدم ، ويقال لذلك اليوم يوم القر لانهم يقرون فيه فى منى وهو يوم الرءوس لا كلهم الرءوس فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى من أيام منى وهو يوم النفر الاول ، أى ويقال له يوم الاكارع أى لا كلهم الا كارع فى ذلك اليوم ، وأوصى بذى الارحام خيرا فقد خطب صلى الله عليه وسلم فى الحج خمس خطب الاولى يوم السابع من ذى الحجة بمكة ؛ والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة يوم القر بمنى والخامس يوم النفر الاول بمنى أيضا . ثم نهض صلى الله عليه وسلم من منى فى اليوم الثالث الذى هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون بعد الزوال أى وبعد الرمى واستأذنه عمه العباس رضى الله عنه فى عدم المبيت بمنى فى الليالى الثلاث من أجل السقاية

فرخص له فى ذلك وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو الابطح ، اى ضربها له أبو رافع رضى الله عنه . وكان على ثقله ولم يأمره ﷺ بذلك . فعن أبى رافع رضى الله عنه لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بالابطح ولكنى جئت فضربت قبته فجاء فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لاسامة رضى الله عنه غدا ننزل بالمحصب ان شاء الله وهو المحل الذى تحالف فيه قريش وكنانة على منابذة بنى هاشم و بنى المطلب حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أى وكان ذلك سببا لكتابة الصحيفة وفيه انه تقدم فى فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون عند شعب أبى طالب المكان الذى حصرت فيه بنو هاشم و بنو المطلب وانه خيف بنى كنانة الذى تقاسمت قريش فيه جلتهم ، وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر . ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ، ثم ان عائشة رضى الله عنها قالت له يارسول الله أارجع بحجة ليس معها عمرة فدعا عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقال اخرج باختك من الحرم ، ثم افرغا من طوافكما حتى تأتيانى ههنا بالمحصب : قالت فقضى الله العمرة . وفى لفظ فاعتمرنا من التنعيم مكان عمرتى التى فاتتنى وفرغنا من طوافها فى جوف الليل فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما من طوافكما قلنا نعم فأذن فى الناس بالرحيل ، وفى رواية فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا مهبطة اليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها . واعترض كيف يأتى قولها عمرتى التى فاتتنى مع قوله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجتك وعمرتك وكيف أقرها ﷺ على ذلك * وأجيب بانها لما رأت صواحبها آتين بعمرة ثم بحج وهى لم تأت الا بحج أحبت أن تأتى بعمرة أخرى زائدة على الحج وان كانت العمرة مندرجة فيه وأقرها صلى الله عليه وسلم تطييبا لخاطرها لانه صلى الله عليه وسلم كان معها اذا هويت الشئ الذى لا مخالفة فيه للشرع تابعها عليه ، وبهذا استدل أئمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع وأمر صلى الله عليه وسلم الناس ان لا ينصرفوا أى الى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت أى الذى هو طواف الوداع ورخص صلى الله عليه وسلم فى ترك المؤمنين ذلك للحائض التى قد طافت طواف الافاضة قبل حيضها كصفية أم المؤمنين رضى الله عنها فانها حاضت بعد طواف الافاضة ليلة النفر من منى . أى وقالت ماأرانى الا حابستكم لانتظار طهرى وطواف الوداع فقال لها صلى الله عليه وسلم أوما كنت طفت يوم النحر ، أو فى لفظ ما كنت طفت طواف الافاضة يوم النحر قالت بلى قال لا باس انفرى معنا * وفى رواية قال يكفيك ذلك . أى لانه هو طواف الركن الذى لا بد لكل أحد منه بخلاف طواف الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر لتطهر وتأتى به ولادم عليها فى تركه ، قال الامام النووى رحمه الله . وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكى ، عن بعض السلف وهو شاذ مردود . ثم انه ﷺ دخل مكة فى تلك الليلة . وطاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح ، ثم خرج من الثنية السفلى ثنية كدى بضم الكاف والقصر وهو عند باب شبيكة . متوجها الى المدينة : أى التى خرج منها . لما فتح مكة كما تقدم : وكان خروجه ﷺ من المسجد من باب الحزورة و يقال له باب الحناطين ، وجاء عن جابر رضى الله عنه ان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان عند غروب الشمس فلم يصل حتى أتى سرف . قال بعضهم لعل هذا كان فى غير حجة الوداع فانه صلى الله عليه وسلم

طاف

طاف بالبيت بعد صلاة الصبح فاذا أخره الى وقت الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه ، وماروى انه صلى الله عليه وسلم رجع بعد طواف الوداع الى المحصب غير محفوظ * أقول هذا جمع به الامام النووى رحمه الله بين الروايات المتقدمة عن عائشة حيث قال ووجه الجمع أنه صلى الله عليه وسلم بعث عائشة مع أخيها بعد نزوله المحصب وواعدها ان تلحقه بعد اعتمارها ، ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم بعد ذهابها فقصد البيت ليطوف طواف الوداع ، ثم رجع بعد فراغه من طواف الوداع فلقيها وهو صادر وهي داخلة لطواف عمرتها ، ثم لما فرغت لحقته وهو فى المحصب . قال واما قولها فأذن فى أصحابه فخرج ومر بالبيت وطاف فتأول بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا والا فطوافه صلى الله عليه وسلم كان بعد خروجها الى العمرة وقبل رجوعها وانه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه فليتأمل فكانت مدة دخوله صلى الله عليه وسلم الى مكة وخروجه منها عشرة أيام وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بعمرة بعد حجه وهو لايناسب القول بانه أحرم مفردا بالحج بل يدل للقول بأنه أحرم قارنا أونواهما بعد اطلاق الاحرام أوأدخل الحج على العمرة . وفى كلام بعضهم لم يعتمر صلى الله عليه وسلم تلك السنة عمرة مفردة لاقبل الحج ولابعده ولوجعل حجه منفردا لكان خلاف الافضل أى لانه لم يقل أحد ان الحج وحده من غير اعتمار فى سنته أفضل من القران . وفى كلام بعض آخر أجمعوا على انه لم يعتمر بعد الحج فتعين أن يكون متمتعا تمتع قران وقد يطلق الافراد على الاتيان بأعمال الحج فقط وان كان قد أحرم بهما معا كما ان القران قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين . فمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أفرد الحج أراد به انه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى هذه الحجة التى هى حجة الوداع ولما طاف صلى الله عليه وسلم سبعا وقف فى الملتزم بين ركن الحجر و بين باب الكعبة فدعا الله وألزق جسده أى صدره الشريف ووجهه بالملتزم أى ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل على كرم الله وجهه و براءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه اليهم من المعدلة التى ظنها بعضهم جورا و بخلا والصواب كان معه كرم الله وجهه فى ذلك فقال ﷺ أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فأجيب . أى وفى لفظ فى الطبرانى فقال يا أيها الناس انه قد نبأنى اللطيف الخبير انه لم يعمر نبى الا نصف عمر الذى يليه من قبله وانى لاظن أن يوشك ان أدعى . فأجيب وانى مسئول وانكم مسئولون فما أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال ﷺ أليس تشهدون ان لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وناره حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد الحديث ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته ، أى فقال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن تتفرقا حتى تردا على الحوض وقال فى حق على كرم الله وجهه لما كرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه ﷺ بالتصديق والاعتراف ورفع ﷺ يد على كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من ابغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار وهذا اقوى ما تمسكت به الشيعة والامامية والرافضة على أن عليا كرم الله وجهه أولى بالامامة من كل أحد وقالوا هذا نص صريح على خلافته سمعه

ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فلعلى عليهم من الولاء ما كان له ﷺ عليهن بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ألست أولى بكم وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح فى صحته كأبى داود وأبى حاتم الرازى وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الى آخره موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبى كثيرا منها وقد جاء ان عليا كرم الله وجهه قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أنشد الله من ينشد يوم غدير خم الاقام ولا يقوم رجل يقول أنبئت أو بلغنى الارجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا * وفى رواية ثلاثون صحابيا ، وفى المعجم الكبير ستة عشر * وفى رواية اثناعشر ، فقال هاتوا ماسمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه فعلىّ مولاه * وفى رواية فهذا مولاه . وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه وكنت ممن كتم فذهب الله بصرى وكان على كرم الله وجهه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلىّ مولاه فى سائر الامصار وطار فى جميع الاقطار بلغ الحرث بن النعمان الفهرى ، فقدم المدينة فاناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله اصحابه فجاء حتى جثا بين يديه ثم قال يامحمد انك أمرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلنا ذلك منك وانك أمرتنا ان نصلى فى اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكى أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك ففضلته ، وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شئ من الله أو منك فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله الذى لا اله الا هو انه من الله وليس منى قالها ثلاثا فقام الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك * وفى رواية اللهم ان كان مايقول محمد حقا فارسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله مابلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذى الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى حدود الاربعمائة فى دولة بنى بويه وماجاء من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال بعضهم قال الحافظ الذهبى هذا حديث منكر جدا أى بل كذب * فقد ثبت فى الصحيح مامعناه أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين سهرا هذا باطل هذا كلامه فليتأمل وقد رددت عليهم فى ذلك بما بسطته فى كتابى المسمى بالقول المطاع فى الرد على أهل الابتداع لخصت فيه الصواعق للعلامة ابن حجر الهيتمى وذكرت ان الرد عليهم فى ذلك من وجوه * أحدها ان هؤلاء الشيعة والرافضة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الامامة من الاحاديث وهذا الحديث مع كونه آحادا طعن فى صحته جماعة من أئمة الحديث كأبى داود وأبى حاتم الرازى كما تقدم فهذا منهم مناقضة * ومن ثم قال بعض أهل السنة ياسبحان الله من أمر الشيعة والرافضة اذا استدللنا عليهم بشئ من الاحاديث الصحيحة قالوا هذا خبر واحد لايغنى واذا أرادوا أن يستدلوا على مازعموا أتوا بأخبار باطلة كاذبة لاتصل الى درجة الاحاديث الضعيفة التى هى أدنى مراتب الآحاد التى منها أنه قال لعلى أخى ووصيى وخليفتى فى دينى بكسر الدال وخير أنت سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وخبر سلموا على علىّ بامرة الناس فانها أحاديث كاذبة موضوعة مفتراة عليه عليه أفضل الصلاة والسلام * ثانيها أن اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها أنه السيد الذى يمعى محبته ويجتنب بغضه ويؤيد ارادة ذلك ان سبب ايراد ذلك أن عليا كرم

الله وجهه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن من الصحابة وهو بريدة قدم هو واياه عليه ﷺ في تلك الحجة التي هي حجة الوداع وجعل يشكوه له صلى الله عليه وسلم لانه حصل له منه جفوة فجعل يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يابريدة لاتقع في علي فان علياً مني وأنا منه ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال نعم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه فقال ذلك لبريدة خاصة . ثم لما وصل صلى الله عليه وسلم الى غدير خم أحب أن يقول ذلك للصحابة عموما أي فكما عليهم ان يحبوني فكذلك ينبغي ان يحبوا علياً وعلى تسليم ان المراد انه أولى بالامامة فالمراد في المآل لا في الحال قطعا والا لكان هو الامام مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمآل لم يعين لوقت فمن أين أنه عقب وفاته ﷺ وجاز أن يكون بعد أن يعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك انه كرم الله وجهه لم يحتج بذلك الا بعد أن آلت اليه الخلافة رداً على من نازعه فيها كما تقدم . فسكوته كرم الله وجهه عن الاحتجاج بذلك الى أيام خلافته قاض على كل من له أدنى عقل فضلا عن فهم بأنه لا نص في ذلك على امامته عقب وفاته ﷺ * ثانيها أنه تواتر النقل عن علي كرم الله وجهه أنه ﷺ لم ينص عند موته على خلافة أحد لا هو ولا غيره ، فقد قيل له كرم الله وجهه كما يأتي حدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ماسمعت ، فقال لا والله لئن كنت أول من صدّق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ماتركت القتال على ذلك ولو لم أجد الابردتي هذه * وفي رواية ماتركت أخابني تيم وعدي يعني أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدي * رابعها أنه لو كان هذا الحديث نصا على امامته لم يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس رضي الله تعالى عنه لما قال له العباس اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمنا . وأيضا لو كان الحديث نصا لكان لما قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأن الائمة من قريش قالوا له قد ورد النص بخلافة علي كرم الله وجهه ولم يكن بين ذكر الحديث في غدير خم وبين ذلك الانحو شهرين فاحتمال النسيان على علي والعباس وعلى جميع الانصار رضي الله تعالى عنهم من بعد البعيد على انه ورد انه لما قيل لعلي ان الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير قال كرم الله وجهه هلا ذكرت الانصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم مع الوصاية بهم ، ودعوى الرافضة والشيعة ان الصحابة رضوان الله عليهم علموا هذا النص ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة اذ هي ظاهرة البطلان لان في ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم رضي الله تعالى عنهم معصومون عن أن يجتمعوا على ضلالة ، ومن العجب العجيب ان بعض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحابة بسبب ذلك وان عليا كرم الله وجهه كفر لانه أعان الكفار على كفرهم . وأما دعواهم ان عليا انما ترك النزاع في أمر الخلافة تقية وامتثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم ان لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفا فكذب وافتراء اذ كيف يجعله اماما على الامة ويمنعه أن يسل سيفا على من امتنع من قبول الحق ، وكيف منع سل السيف على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم مع قلة أتباعهم وكثرة أتباعه وسله على معاوية رضي الله تعالى عنه مع وجود من معه من الالوف ، ولما ساغ له أن يقول كما تقدم لو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ماتركت أخا بني تيم وعدي ينوبان على منبره ﷺ ، ولبين سبب تركه لمقاتلة أبي بكر وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية بأن أبا بكر اختاره ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا فبايعناه وولاها عمر فبايعناه وأعطيت ميثاقي لعثمان ، فلما مضوا بايعني

أهل الحرمين وأهل المصرين البصرة والكوفة ، فوثب فيها من ليس مثلي ولاقرابته كقرابتي ولاعلمه كعلمي ولاسابقته كسابقتي وكنت أحق بهامنه يعني معاوية رضي الله تعالى عنه كما سيأتي ، ومن ثم لما قيل للحسن المثنى بن الحسن السبط ان خبر من كنت مولاه فعلي مولاه نص في امامة علي كرم الله وجهه ، قال أما والله لو يعني النبي ﷺ بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم ولقال لهم يا أيها الناس هذا وال بعدى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا ووالله لو كان رسول الله ﷺ عهد اليه في ذلك ثم تركه كان أعظم خطيئة * وقد سئل الامام النووي رحمه الله هل يستفاد من قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه انه كرم الله وجهه أولى بالامامة من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فأجاب انه لايدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم أهل هذا الشأن وعليهم الاعتماد في تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه فعلي كذلك ، وقد قيل في سبب ذلك ان أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال لعلي كرم الله وجهه لست مولاي وانما مولاي رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ ذلك ولما وصل ﷺ الى ذي الحليفة بات بها ، أي لانه ﷺ كان كره ان يدخل المدينة ليلا * ولما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة

باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم

قد اعتمر صلى الله عليه وسلم ، أي بعد الهجرة أربع عمر ، فقد قال بعضهم لاخلاف ان عمره صلى الله عليه وسلم لم تزد على أربع أي كلهن في ذي القعدة مخالفا للمشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة في أشهر الحج ويقولون هي من أفجر الفجور ، أي كما تقدم : وأول تلك الاربعة عمرة الحديبية أي وكانت في ذي القعدة التي صده فيها المشركون عن البيت . وثانيها عمرته صلى الله عليه وسلم من العام المقبل أي وهي عمرة القضاء وكانت في ذي القعدة كما تقدم . وعن قتادة رضي الله تعالى عنه كان المشركون فجروا عليه صلى الله عليه وسلم حيث ردوه في الحديبية وكان في ذي القعدة فاقتص الله منهم وأدخله مكة في ذلك الشهر الذي هو ذو القعدة وأنزل الله (الشهر الحرام بالشهر الحرام) . وثالثها عمرته ﷺ حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت في ذي القعدة ودخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت بها . ومن ثم خفيت على الناس كما تقدم : ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع أي التي دخلت في الحج بناء على أنه أحرم قارنا أو التي أدخلها على الحج بناء على أنه أحرم بالحج خصوصية له أو عينهما بعد ان أحرم مطلقا على ما تقدم فانه أحرم لخمس بقين من ذي القعدة * وقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمر رسول الله ﷺ ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع * وأخرج البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي في حجته ، أي فانه لم يوقعها في ذي القعدة بل أوقعها في ذي الحجة تبعا للحج ، وأما احرامه بها فكان في ذي القعدة في خمس بقين منه كما تقدم * وأخرجا أيضا أن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ، قال كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن ، فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ، قال نعم ، فقلت

لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين مايقول أبوعبد الرحمن ، قالت ومايقول ؟ قلت يقول اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب ، فقالت يغفر الله لأبى عبدالرحمن مااعتمر عمرة الاوهو شاهدها ، وفى رواية الاوهو معه وما اعتمر فى رجب قط أى وانما اعتمر فى ذى القعدة * ولكن روى الدارقطنى رحمه الله عنها رضى الله تعالى عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة فى رمضان فافطر وصمت وقصر وأتممت * قال فى الهدى انه غلط عليها وهو الاظهر فانه ﷺ مااعتمر فى رمضان قط أقول وزاد بعضهم انه اعتمر أيضا عمرتين عمرة فى رجب وعمرة فى شوّال فيكون اعتمر ستة : الا أن يقال يجوز أن يكون مستند القائل بانه اعتمر فى رجب ، قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما المتقدم وقد تقدم رده وجاز أن يكون قوله اعتمر فى شوّال أى خرج للعمرة فى شوال وهى العمرة التى كانت فى ضمن حجة الوداع والله أعلم

باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم

التى يمكن التحدى بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن وتمنى اليهود الموت أولا وتلك المعجزة اصطلاحا هى الحاصلة له ﷺ بعد البعثة الى وفاته ، وأما الامور الحاصلة له بين يدى أيام مولده و بعثته ، وقبل ذلك من الامور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر التى يعجز عن بلوغها قوى البشر ولا يقدر عليها الا الخالق القوى والقدير لانها فى الاصطلاح يقال لها إرهاصات وتأسيسات للرسالة ولا تسمى فى الاصطلاح معجزات ، وهى اذا تليت على قلب المؤمن زادته إيمانا . واذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته إيقانا ، فان كل من أرسله الله عز وجل لم يخله من آية أيده بها مخالفة للعادات لكون مايدعيه من الرسالة مخالفا لها ، فيستدل بتلك الآية على صدقه فيما يدعيه لان اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها * وقد كانت للانبياء . أى الرسل معجزات مختلفة ، أى وهو ﷺ أكثر الرسل معجزة وأعظمهم آية وأظهرهم برهانا ، أى فقد جاء مامن الانبيا من نبى الا وقد أعطى من الآيات ما آمن عليه البشر : أى آمنوا بسبب اظهاره وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله عزوجل الىّ وهو القرآن لانه الذى تحداهم به فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة . أى فانه لما غلب السحر فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فى معجزاته فألقى العصا وفلق البحر ، ولما غلب الطب فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فأحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص . ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر فى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام جاءهم بالقرآن . وهذا السياق يدل على ان المعجزة خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام و يوافق ذلك قول صاحب المواقف وشرحه وهى أى المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله . لكنه قال فى شروط المعجزة الرابع أن يكون أى الامر الخارق للعادة ظاهرا على يد مدعى النبوّة ليعلم انه تصديق له انتهى . فيحتمل انه أراد بالنبوّة الرسالة و يحتمل أنه أراد بها مايعم الرسالة للشخص نفسه لان النبى غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوّة متضمنة لدعواه الرسالة لنفسه فهو رسول الى نفسه فتكون المعجزة عامة فى حق الرسول والنبى الذى ليس برسول . ومما يؤيد هذا الثانى قول النسفى رحمه الله فى عقائده وأيدهم : قال السعد رحمه الله أى الأنبياء بالمعجزات الناقضات للعادات * ثم قال وقد روى بيان عددهم فى بعض الاحاديث . قال السعد على ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام . فقال مائة ألف

وأربعة وعشرون ألفا . وفى رواية مائتاألف وأربعة وعشرون ألفا ، ويؤيده أيضا قول الامام السنوسى فى شرح عقيدته الكبرى ان معجزة النبى غير الرسول يجوز أن تتأخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا الى آخر ماذكر ، ومما يؤيد هذا الثانى أيضا مانقله فى الخصائص الصغرى عن بعضهم وأقره فرض الله على الانبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الاولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها انتهى ، فقد قابل بين المعجزة والكرامة وفيه تصريح بأنه يجب على النبى غير الرسل اظهار المعجزة * وعن القرافى المالكى رحمه الله أنه يجب على النبى أنه يخبر بنبوته ، وذكر فى الاصل أن الغرض ذكر نبذة من معجزاته صلى الله عليه وسلم والافمعجزاته صلى الله عليه وسلم كالبحر المتدافق بالامواج * وقد ذكر بعض العلماء أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنحصر ، وفى كلام بعض آخر أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ثلاثة آلاف معجزة ، أى غير القرآن فان فيه ستين وقيل سبعين ألف معجزة تقريبا * قال فى الخصائص قال الحليمى وليس فى شئ معجزات غيره ماينحو نحو اختراع الاجسام فان ذلك من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة هذا كلامه ، وفيه أن هذا معارض بقول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام (انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) الآية والغرض ذكر تلك النبذة مجموعة وان كان أكثرها قدسبق لكنه مفرق ، أى وأنبه على ماتقدم بقولى أى كما تقدم وأسكت عن ذلك فيما لم يتقدم * فمن معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو أعظمها القرآن أى لانه تعالى أتى به مشتملا على أخبار الامم السالفة وسير الانبياء الماضية التى عرفها أهل الكتاب وهو صلى الله عليه وسلم أمى لايقرأ ولا يكتب ولاعرف بمجالسة الكهان والاحبار لانه صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين أظهرهم فى بلد ليس بها عالم يعرف أخبار القرون الماضية والامم السالفة التى اشتمل عليها ، أى ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس الاحبار لم يدرك علم ماأخبر به القرآن خصوصا عن المغيبات المستقبلة الدالة على صدقه لوقوعها على ماأخبر به وقد أعجز الفصحاء البلغاء ، أى لحسن تأليفه والتئام كلماته بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته أحكمت آياته وفصلت كلماته فحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه أحلامهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر . وقد جاء على وصف مباين لاوصاف كلامهم النثر لان نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا الاشعار وأسجاع الكهان . وقد تحداهم ودعاهم الى معارضته والأتيان بأقصر سورة منه ، أى وهو دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل له ذلك الا وهو واثق مستيقن انهم لايستطيعون ذلك لكونه من عند الله اذ يستحيل أن يقول صلى الله عليه وسلم ذلك وهو يعلم أنه الذى تولى نظمه ولم ينزل عليه من عند الله اذلا يأمن أن يكون فى قومه من يعارضه وهم أهل فصاحة وشعر وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا فى البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير كذابا ولو كان فى استطاعة أحدمنهم ذلك لما عدلوا عن ذلك الى المحاربة التى فيها قتل صناديدهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم ، أى لان النفوس اذا قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع فى المعارضة فهو ممتنع فى نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال انما لم تقع المعارضة منهم لأن الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لانه وان كان صرفهم عنها فيه اعجاز لكن الاعجاز فى الاول أكمل وأتم وهو اللائق بعظيم فضل القرآن * ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة وكان المقدم فى قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش كما تقدم ، وقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ على فقرأ صلى الله عليه وسلم (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمنكر

والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وقال له أعده فاعاد ذلك قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وانه ليعلو ولا يعلى عليه . وفي رواية قرأ عليه (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب) الآيات ، فانطلق حتى أتى منزل أهله بني مخزوم فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن الى آخر ما تقدم ، ثم انصرف الى منزله فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد على هيئة الحزين قرب الوليد فقال له مالي أراك كئيبا قال وما يمنعني أن أحزن وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على أمرك وزعموا أنك انما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه فغضب الوليد وقال أوليس قد علمت قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام فانطلق مع أبي جهل حتى أتى مجلس بني مخزوم فقال هل تزعمون أن محمدا كذاب فهل رأيتموه كذب قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه خرف قط أي أتى بالخرافات من القول قالوا لا قال تزعمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما تخبر به الكهنة قالوا لا فعند ذلك قالت له قريش فما هو يا أبا المغيرة فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، وقد سمع أعرابي رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ، وسمع آخر رجلا يقرأ (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال أشهد أن مخلوقا لن يقدر على مثل هذا الكلام أي ولما سمع الاصمعي من جارية خماسية أو سداسية فصاحة فعجب منها فقالت له أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) الآية جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . ولما أراد بعضهم معارضة بعض سوره . وقد أوتي من الفصاحة والبلاغة الحظ الأوفى فسمع صبيا في المكتب يقرأ (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر) رجع عن المعارضة ومحاما كتبه . وقال والله ما هذا من كلام البشر * قال بعضهم ولم يتحد صلى الله عليه وسلم بشيء من معجزاته الا بالقرآن . قال بعضهم كل جملة من القرآن معجزة وحفظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل لا يزال مع تكريره وترديده غضا طريا تتزايد حلاوته وتتعاظم محبته ، وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية يمل مع الترداد ، ويعادى اذا أعيد يؤنس به في الخلوات ويستراح بتلاوته من شدائد الازمات واشتمل على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الالهية وزيادة * وقد قال بعض بطارقة الروم لما أسلم لعمر رضي الله تعالى عنه ان آية (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه) جمعت جميع ما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من أحوال الدنيا والآخرة * قال الحليمي في منهاجه ومن عظم قدر القرآن أن الله خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن هذا لنبي قط انما يكون لكل منهم دعوة ، ثم يكون له حجة غيرها وقد جمعهما الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن فهو دعوة وحجة دعوة بمعانيه حجة بألفاظه وكفى الدعوة شرفا أن تكون حجتها معها وكفى حجتها شرفا أن لا تنفصل دعوتها عنها ، وجمع كل شيء أي خصوصا الاخبار بالمغيبات وتوجد على طبق ما أخبر به والاخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين والامم الماضية كقصص الانبياء مع أممهم وتيسره للحفظ ولا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء * ومنها شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أي والتئامه من غير حصول أدنى ضرر ولا مشقة مع تكرر ذلك أربعا أو خمسا كما تقدم * ومنها

اخباره صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس أى لما أخبر قريشا بأنه أسرى به الى بيت المقدس كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بموت النجاشى يوم موته وصلاته عليه مع أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلى على علج نصرانى أى لم يره قط فأنزل الله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم) الآية * ومنها انشقاق القمر كما تقدم * ومنها أن الملأ من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وجاءوا الى منزله صلى الله عليه وسلم وقعدوا الى بابه لخرج عليهم وقد خفضوا أبصارهم وسقطت ذقونهم فى صدورهم وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى قام على رءوسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشئ المقبوض و بفتحها المرة الواحدة وقال شاهت الوجوه أى قبحت وألقاها على رءوسهم فكل من أصابه شئ من ذلك قتل يوم بدر كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم هزم القوم يوم حنين بقبضة من تراب رمى بها فى وجوههم كما تقدم له فى بدر مثل ذلك * ومنها نسج العنكبوت عليه صلى الله عليه وسلم فى الغار أى وعلى بعض أتباعه كما تقدم * ومنها ماوقع لسراقة رضى الله تعالى عنه من غوص قوائم فرسه فى الارض الجلد كما تقدم فى خبر الهجرة * ومنها در الشاة التى لم ينز الفحل عليها كما تقدم فى قصة شاة أم معبد وفى قصة أخرى عن أبى العالية قال بعث النبى ﷺ الى أبياته التسعة يطلب طعاما وعنده ناس من أصحابه فلم يجد فنظر الى عناق فى الدار ماتنجت قط فسح مكان ضرعها فدفقت بضرع مدلى بين رجليها فدعا بقعب لخلب فيه فبعث الى أبياته قعبا ، ثم قعبا ، ثم حلب فشرب وشربوا * ومنها دعوته ﷺ لعمر رضى الله تعالى عنه أن يعز الله به الاسلام فكان كذلك كما تقدم * ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعلى أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا منهما وكان كرم الله وجهه يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر كما تقدم * أى ومن ذلك ماحدث به بلال رضى الله تعالى عنه قال أذنت فى غداة باردة نخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير فى المسجد أحدا فقال أين الناس فقلت حبسهم البرد . فقال اللهم أذهب عنهم البرد قال فلقد رأيتهم يتروحون فى الصلاة * ومنها دعاؤه ﷺ لعلى كرم الله وجهه وقد أصابه مرض واشتد به وسمعه يقول : اللهم ان كان أجلى قد حضر فأرحنى وان كان متأخرا فاشفنى وان كان بلاء فصبرنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد ذلك عليه فسح صلى الله عليه وسلم بيده المباركة الشريفة ، ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض اليه * أى ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضى الله تعالى عنه فى الخندق ليلة انهزام الاحزاب بأن الله يذهب عنه البرد فكان كأنه يمشى فى حمام كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل فى عينى على كرم الله وجهه وهو أرمد فعوفى من ساعته كما تقدم فى خيبر * أى ومنها أنه ﷺ بصق فى نحر كلثوم بن الحصين وقد رمى فيه بسهم يوم أحد فبرأ كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على أثر سهم فى وجه أبى قتادة فى غزاة ذى قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة ابن الاكوع رضى الله تعالى عنه يوم خيبر فبرئت كما تقدم * أى ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على رجل ورأس زيد بن معاذ رضى الله تعالى عنه حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الاشرف فبرآ كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق على بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على يد معوذ بن عفراء وقد

قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتصقت كما تقدم * ومنها ان محمد بن حاطب يحدث عن أمه انها ولدته بأرض الحبشة وانها خرجت به قالت حتى اذا كنت من المدينة على ليلة أوليلتين طبخت لك طعاما ففنى الحطب فذهبت أطلب فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فقدمت المدينة فأتيت بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يارسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمى بك أى بعد الاسلام قالت فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فيك ومسح على ذراعك ودعا لك ثم تفل على يدك ، ثم قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لاشفاء الاشفاؤك شفاء لايغادر سقما قالت فما قمت من عنده صلى الله عليه وسلم حتى برئت يدك * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على عاتق خبيب وقد أصيبت يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه فالتصق كما تقدم * ومنها رد عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه كما تقدم * ومنها أن ضريرا شكا اليه صلى الله عليه وسلم ذهاب بصره وانه لاقائدله ، فقال له صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين ولقنه دعاء فدعابه فابصره لوقته * أى ومنها أن رجلا ابيضت عيناه فكان لايبصر بهما شيئا فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر * قال بعضهم رأيته وهو ابن ثمانين يدخل الخيط فى الابرة * ومنها أن عتبة بن فرقد السلمى كان يشم منه رائحة الطيب ولايمس طيبا لكونه ﷺ نفث فى يده الشريفة ومر بها ﷺ على جسده * قال بعض نساء عتبة كنا أربع نسوة مامنا امرأة الاوهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب من صاحبتها ومايمس عتبة الطيب واذا خرج الى الناس قالوا ماشممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلن له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولأنت أطيب ريحا منا فمم ذلك ؟ فقال أخذنى الشرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ذلك فأمرنى أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه ﷺ وألقيت ثوبى على فرجى فنفث ﷺ فى يده الشريفة ودلك بها الاخرى ثم مسح ظهرى و بطنى بيديه فعبق هذا الطيب من يديه يومئذ ، والى ذلك أشار صاحب الاصل بقوله رحمه الله ورحمنا به

وعتبة لما مسه راح عاطرا * يضوع الشذا منه بأعطر مايحوى

* ومنها دعوته ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما بان الله يعلمه التأويل والفقه فى الدين فعن ابن عباس رضى الله عنهما ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره ، وقال اللهم علمه الكتاب ، وفى لفظ الحكمة ، وعنه رضى الله عنه ، قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر ، فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ، قال اللهم بارك فيه وانشر منه فكان كما دعا * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجمل جابر رضى الله عنهما فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا كما تقدم * ومنها دعاؤه ﷺ لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا ، فقد ذكر انه عاش فوق المائة وأخبر عن نفسه انه أكثر الانصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده حين قدم الحجاج البصرة وولدله بعد ذلك * أى ومنها دعاؤه ﷺ لام أبى هريرة رضى الله عنهما بالاسلام فاسلمت ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت أدعو أمى للاسلام وهى مشركة فدعوتها يوما فاسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي . فقلت يارسول الله قد كنت أدعو أمي الى الاسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ماأكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة للاسلام فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم . فلما جئت قصدت الى الباب فاذا هو مجاف ، أي مردود فسمعت أمي حس قدمي . فقالت على رسلك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ، ثم قالت ياأبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح . فقلت يارسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا * ومنها دعاؤه ﷺ في تمر حائط جابر رضي الله عنه بالبركة فأوفى منه ماعليه وهو ثلاثون وسقا بسبب دين استدانه والده من يهودي وفضل بعد ذلك ثلاثة عشر وسقا * وفي رواية سبعة عشر وسقا ، أي مع قلة ما كان فيه من التمر حتى قال جابر رضي الله عنه كنت أود أن يؤدي الله دين والدي ولا أرجع الى اخوتي بتمرة واحدة فان النخل في ذلك العام لم يحمل الا القليل ، وصار رسول الله ﷺ يكلم اليهودي في أن يصبر الى عام قابل وهو يأبى ويقول ياأبا القاسم لاأنظره ، فقام رسول الله ﷺ فطاف في النخيل . ثم قال ياجابر جذ ، أي اقطع واقض فأخذت في الجذاذ ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجئته ﷺ فأخبرته فضحك . وقال أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذهبت فأخبرته فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها . وفي لفظ آخر عن جابر توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا النخل بماعليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك . فقال اذا جذذته ووضعته في المربد فاعلمني فجذذته ، فلما وضعته في المربد آذنت رسول الله ﷺ ، فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة ، أي وهذا محمل رواية ، ودعا ﷺ في تمر جابر بحذف حائط ، وقد يقال يجوز أن يكون ﷺ طاف في النخل أولا ودعا ، ثم لما قطع التمر ووضع في المربد جاء وجلس عليه ودعا فلا مخالفة ، ثم قال ﷺ ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحدا له دين الا قضيته وفضل مثله ، فجئت رسول الله ﷺ فبشرته ، فقال أشهد أني رسول الله * ومنها استسقاؤه صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعا ، ثم شكي له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم * ومنها أنه ﷺ دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبي لهب بأن يسلط عليه كلب فافترسه الأسد من بين القوم كما تقدم ، أي والأسد انما يسمى كلبا لانه يشبه الكلب في أنه اذا بال رفع رجله ، ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا ، وحكي أنه كان رجلا يسمى بالكلب لملازمته للحراسة ، ويرده ماجاء ليس في الجنة من الدواب الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح ، وتقدم ذلك مع زيادة ، واما عتبة مكبرا فقد أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه معتب هذا هو المشهور وبعضهم عكس ، فقال عتبة المكبر هو عقير الأسد وعتيبة المصغر هو الذي أسلم يوم الفتح * ومنها شهادة الشجرة له ﷺ بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه الى الاسلام ، فقال هل من شاهد على ماتقول ؟ قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت الى منبتها * ومنها أمره صلى الله عليه وسلم للشجرتين اللتين كانتا بشاطئ الوادي أن يجتمعا ليستتر بهما عند قضاء الحاجة فاجتمعتا ثم افترقتا

وذهبتا

وذهبتا الى محلهما كما تقدم فى غزاة خيبر * ومنها أمره ﷺ أنسا أن يتلطف الى نخلاته يقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن ليقضى حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود الى أماكنهن فعدن كما تقدم * ومنها مجىء الشجرة اليه ﷺ لتظله وتسلم عليه * فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم نام ، أى فى الشمس فجاءت شجرة تشق الارض حتى قامت عليه ، فلما استيقظ ذكر له ذلك . فقال هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلم على فأذن لها * ومنها حنين الجذع اليه ﷺ كما تقدم * ومنها تسبيح الحصا فى كفه ﷺ كما تقدم * أى ومنها تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم آمين آمين كما تقدم * ومنها تسبيح الطعام بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم * ومنها إعلام الشاة المسمومة له ﷺ بأنها مسمومة كما تقدم * ومنها شكوى البعير له ﷺ قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم * أى ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه * فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه ، فقال ﷺ أيكم فجع هذه . فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها ، فقال رده رده رحمة لها ، وفى لفظ من فجع هذه بفرخيها ؟ فقلنا نحن ، فقال ﷺ ردوهما الى موضعهما ، ولا مانع من وجود البيض مع الفراخ * ومنها سجود البعير له ﷺ الذى استصعب على أهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر أحد أن يقرب اليه كما تقدم * ومنها سجود الغنم له ﷺ فى بعض حوائط الانصار كما تقدم * ومنها تكليم الجمل له ﷺ كما تقدم * ومنها تكليم الحمار له صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وهو اليعفور كما تقدم * ومنها شهادة الجمل عنده ﷺ أنه لصاحبه الأعرابى دون من ادعاه . فنى المعجم الكبير للطبرانى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصرنا بأعرابى أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبى ﷺ ونحن حوله ، فقال السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبىّ ﷺ السلام ، وجاء رجل آخر كأنه حرسى ، فقال الحرسى يارسول الله هذا الاعرابى سرق سرب البعير فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله ﷺ ساعة فسمع رغاءه وحنينه ، فلما هدأ البعير أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال للرجل انصرف عنه فان البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبى ﷺ على الأعرابى ؟ فقال أى شىء . قلت حين جئت لى قال قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله اللهم صلّ على محمد حتى لاتبقى صلاة وبارك على محمد حتى لاتبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لايبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة ، فقال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل أبداها لى والبعير ينطق بعذرك وان الملائكة قد سدوا الأفق * أى ومنها سؤال الظبية له ﷺ أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلطفت بالشهادتين * فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مر رسول الله ﷺ على ظبية مربوطة الى خباء ، فقالت يا رسول الله خلصنى حتى أذهب فأرضع خشفى ثم ارجع فتر بطنى . فقال لها صيد قوم وربيطة قوم ، ثم استحلفها أن ترجع فحلف له فحلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله ﷺ ، ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها . وعن زيد بن أرقم نحو هذا وزاد فأنا والله رأيتها تسبح فى البرية وتقول لا إله الا الله محمد رسول الله . وذكر بعضهم أن حديث الغزالة موضوع ؛ أى

* ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم * ومنها شهادة الضب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم * ومنها اخباره ﷺ عن مصارع المشركين ببدر فلم يعد أحد منهم من مصرعه كما تقدم * ومنها اخباره ﷺ بأن طائفة من أمته يغزون البحر وأن أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم فكان كذلك كما تقدم * ومنها اخباره ﷺ لعثمان بن عفان رضى الله عنه بأنه تصيبه بلوى شديدة فأصابته وقتل فيها * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى ، والاثرة بضم الهمزة وسكون الثاء المثلثة ، أى يستأثر عليكم غيركم بأمور الدنيا فكان ما وقع فى زمن معاوية فى وقعة الجمل وصفين وفى زمن ولده يزيد فى وقعة الحرة كما تقدم * ومنها اخباره ﷺ بأنه لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة ، أى من الهجرة والذى ينبغى أن تكون المائة من حين وفاته ﷺ لأن أبا الطفيل رضى الله عنه آخر من مات من الصحابة فكان موته بعد المائة من الوفاة * وعن أبى الطفيل رضى الله عنه قال وضع رسول الله ﷺ يده على رأسى ، وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهو باب واسع جدا . فمن ذلك أنه جىء اليه ﷺ برجل سرق . فقال اقتلوه ، فقيل له انه سرق . فقال اقطعوه ، ثم أتى به بعد الى أبى بكر رضى الله عنه وقد سرق فقطع ثم ثالثة ورابعة الى أن قطعت قوائمه ، ثم جىء به الى أبى بكر وقد سرق . فقال له أبو بكر رضى الله عنه لا أجد لك شيئا الا ما قضى به فيك رسول الله ﷺ يوم أمر بقتلك فانه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله * ومنها قوله ﷺ لقيس بن خرشة العبسى رضى الله عنه . وقد قال له يارسول الله أبايعك على ماجاء من الله وعلى أن أقول الحق ياقيس عسى أن مر بك الدهر أن يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق ، فقال قيس لا والله لا أبايعك على شئ الا وفيت به . فقال له رسول الله ﷺ اذن لا يضرك شئ . وكان قيس رضى الله عنه يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد ومن بعده فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأرسل اليه ، فقال له أنت الذى تفترى على الله وعلى رسوله ؟ فقال لا والله ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفترى على الله ورسوله . قال ومن هو قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال ومن ذلك . قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت الذى تزعم أنك لا يضرك بشر قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب ائتونى بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وأيتكن صاحبة الجمل الأدبب بالدال المهملة والفك لغة فى الأدب بالادغام ، وهو كثير الشعر يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فكانت تلك عائشة رضى الله عنها فانه لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت عائشة بمكة لأنها خرجت الى مكة وهو محاصر . وكلمها مروان بن الحكم فى عدم الخروج ، وقال لها لا تخرجى ياأماه فجاء اليها طلحة والزبير رضى الله عنهما بعد أن بايعا عليا على كره ، واستأذنا عليا كرم الله وجهه فى العمرة فأذن لهما فقدما مكة وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكة قبل المبايعة لعلى فخرج مروان وغيره من أهل المدينة ، وجاء الى عائشة رضى الله عنها يعلى بن أمية رضى الله عنه وكان عاملا لعثمان باليمن . فلما بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من على بعيره فى أثناء الطريق فكسر فخذه و بلغه قتل عثمان فلا زالو بعائشة حتى وافقت على الخروج الى العراق فى طلب دم عثمان رضى الله عنه ودفع لها ذلك الجمل يعلى بن أمية اشتراه بمائتى دينار وأعان الزبير بأربعمائة ألف دينار ، وصار يقول من خرج فى طلب

دم عثمان فعلىّ جهازه فحمل سبعين رجلا من قريش وطلبت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان يكون معها . فقال معاذ الله ان أدخل في الفتنة ؛ ويقال ان طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهم الى الخروج معهم ، فقال لهم أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذه الاباطيل عنكم وكيف أضرب في وجه على بن أبي طالب كرم الله وجهه بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكما بايعتماه وسألتماه القيام بهذا الامر ثم نكثتما بعد ان جعل الله عليكما شهيدا ، وانه مابدل ولاغير والقاتل لعثمان رضي الله تعالى عنه أخو زعيمتكم ورئيستكم يعني عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فانه أخذ بلحيته فضربها حتى تقلقلت أضراسه وضربه بالمشقص ، فلما كانت عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق سمعت كلابا تنبح فسألت عن ذلك المحل ، فقيل لها هذا الحوأب فأرادت الرجوع لما تذكرت ماقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . أي فانها صرخت وأناخت بعيرها ، وقالت والله أنا صاحبة الحوأب ردوني ردوني ردوني فعند ذلك يقال ان طلحة والزبير أحضرا خمسين رجلا شهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب وأن المخبر لها كذاب . قال الشعبي وهي أول شهادة زوّرت في الاسلام ، وقال لها الزبير رضي الله عنه ولعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فلما بلغ عليا كرم الله وجهه توجه عائشة ومن ذكر معها الى العراق توجه الى العراق بعد أن كان أراد الذهاب الى الشام وقام في الناس ، وقال ألا ان طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤا على سخط امارتي واني خارج اليهم ثم جاءه الخبر ان ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه أصابع زوجة عثمان ، فقال أمني يطلبون دم عثمان . ولما أراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، فقال ياأمير المؤمنين لاتخرج منها أي المدينة فوالله لئن خرجت منها لايرجع اليها سلطان المسلمين فسبوه ، وقالوا له ياابن اليهودية مالك ولهذا الامر ، فقال لهم علي كرم الله وجهه دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ ثم ان طلحة والزبير وأم المؤمنين وصلوا الى البصرة ووقع بينهم وبين أهل البصرة مقتلة كبيرة بعد ان افترقوا فرقتين احداهما تقول صدقت وبرّت ، يعني عائشة وجاءت بالمعروف . وقالت الأخرى كذبت . ثم انحازت الأخرى الى عسكر أم المؤمنين وقهروا أهل البصرة ونادى منادي الزبير وطلحة الامن كان عنده أحد ممن غزا المدينة فليأت به فجيء بهم كما يجاء بالكلاب وكانوا استمائة فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير وكتب طلحة والزبير الى أهل الشام اماخرجنا لوضع الحرب واقامة كتاب الله فوافقنا خيار أهل البصرة وخالفنا شرارهم ولم يفلت من قتلة أمير المؤمنين عثمان من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير والله مقيده ان شاء الله وكتبوا لاهل الكوفة بمثله وكتبوا الى أهل اليمامة بمثل ذلك وكتبوا الى أهل المدينة بمثل ذلك ثم سار علي كرم الله وجهه الى البصرة ثم أرسل الى أهل الكوفة يستنفرهم اليه فنفروا اليه بعد أمور يطول ذكرها . وكانوا اسبعة آلاف والتقى الجيشان جيش علىّ كرم الله وجهه وجيش عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بعد ان كتب لطلحة والزبير ، أما بعد فقد علمتما أني لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن رضي ببيعتي وألزمني إياها فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما أنتما عليه فانك ياطلحة شيخ المتأخرين وأنت يازبير فارس قريش لودفعتما هذا الامر قبل أن تدخلا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه والسلام . وكتب لعائشة رضي الله عنها . أما بعد فانك قد خرجت من بيتك تزعمين أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين وطلبت بزعمك دم عثمان

وأنت بالامس تؤلبين عليه فتقولين فى ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا نعثلا فقد كفر قتله الله واليوم تطلبين بثأره فاتقى الله وارجعى الى بيتك وأسبلى عليك سترك قبل ان يفضحك الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فلما قرءوا الكتابين عرفوا أنه على الحق وعند ذلك خرج طلحة والزبير رضى الله عنهما على فرسين وخرج اليهما على كرم الله وجهه ودنا كل واحد من الآخر . فقال لهما على لعمرى لقد أعددتما خيلا ورجالا وسلاحا فاتقيا الله ولا تكونا (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) ألم تكونا أخوى فى الله تحرمان دمى وأحرم دمكما . فقال له طلحة رضى الله عنه ألبت الناس على عثمان . فقال له على كرم الله وجهه أنتما خذلتماه حتى قتل فسلط الله اليوم على أشرنا على عثمان مايكره ، ثم توافقوا على الصلح وقتل من كان له دخل فى قتل عثمان رضى الله عنه . وبات الفريقان على ذلك . وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وباتوا يتشاورون . ثم اتفقوا على إنشاب الحرب ، فلما كان وقت الغلس ثاروا ووضعوا السلاح فثار الناس فخرج طلحة والزبير فى وجوه الناس . وقالا ماهذا فالوا طرقنا جيش على فقالا علمنا ان عليا غير سفيه حتى يسفك الدماء و يستحل الحرمة فقام على كرم الله وجهه فى وجوه الناس . وقال ماهذا قالوا طرقنا جيش عائشة . فقال لقد علمت أن طلحة والزبير غير سفيهين حتى يستفكا الدماء و يستحلا الحرمة ونشبت الحرب فالبسوا هودج عائشة رضى الله عنها الدروع ووقفت على الجمل وصار كل من أخذ زمامه قتل وقتل طلحة رضى الله عنه جاءه سهم غرب يقال أرسله له مروان بن الحكم وهو كان فى جيش أم المؤمنين وفر الزبير رضى الله عنه لما قال له على كرم الله وجهه يازبير أتذكر لما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تقاتلنى وأنت ظالم لى . فقال والله لو ذكرت ذلك ماقاتلتك ولا سرت سيرى هذا . ولكن رجوعى عين العار فقال له على كرم الله وجهه ترجع بالعار ولا ترجع بالنار فترك وذهب . وصار الهودج مثل القنفذ من كثرة النشاب فعند ذلك عقروا الجمل ووقع الهودج على الارض وجعلت تقول عائشة رضى الله عنها يابنى اتبعنه اتبعنه وعند ذلك قال على كرم الله وجهه لمحمد بن أبى بكر رضى الله عنهما انظر أختك هل أصابها شىء فلما جاءها وادخل يده . قالت من أنت . قال ابن الخثعمية ، قالت محمد قال نعم . قالت بأبى أنت وأمى الحمد لله الذى عافاك وفى رواية ، قال لها أخوك محمد البار ، فقالت بل مذمم العاق فضرب عليها فسطاطا فلما كان من آخر الليل خرج بها وأدخلها البصرة وأنزلها فى دار صفية بنت الحرث أم طلحة الطلحات وبكت عائشة رضى الله عنها بكاء كثيرا . وقالت وددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، وقد قال على كرم الله وجهه مثل ذلك لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل ان القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا ، ثم ان عليا كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين . ثم دخل البصرة على بغلته متوجها لعائشة رضى الله عنها فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها ثم جهزها بكل شىء ينبغى لها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لاتعلمنها بانكن نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها ، وقال لأخيها محمد تجهز معها ، وفى رواية جهز معها أخاها عبد الرحمن فى جماعة من شيوخ الصحابة ، فلما كان يوم خروجها جاء اليها على كرم الله وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها وودعتهم ، وقالت يابنى والله ما كان بينى وبين على فى القدم الا ما يكون بين المرأة واحمائها وانه على معتبتى عليه عندى لمن الأخيار ، فقال على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بينى وبينها الا ذلك وانها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وذهب معها نحو سعة

أميال ، ثم ذهبت الى مكة حتى حجت ، ثم رجعت الى المدينة وعلمت عند وصولها الى مكة أن هؤلاء الرجال حولها نساء فانهن كشفن عن وجوههن وعرفنها الحال فشكرت وقالت والله لايزداد ابن أبى طالب الا كرما . وقيل ان كعب بن سعد أتى عائشة رضى الله تعالى عنها وقال لعل الله أن يصلح بك والاولى الصلح والسكون والنظر فى قتلة عثمان بعد ذلك فوافقت وركبت هودجها وقد ألبسوه الأدراع ثم بعثوا جلها وذهب الى على كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ، فقال له قد أحسنت وأشرف القوم على الصلح فخافت قتلة عثمان رضى الله عنه فاشار عليهم ابن السوداء الذى هو السبائى الذى هو أصل الفتنة أن يفترقوا فرقتين تكون كل فرقة فى عسكر من العسكرين فاذا جاء وقت السحر ضربت كل فرقة منهما الى العسكر الذى فيه الفرقة الاخرى فنادت كل فرقة فى العسكر الذى هى فيه غررنا ففعلوا ذلك فنشبت الحرب وحصل ما تقدم * ومن ذلك قوله ﷺ فى الحسن رضى الله عنه ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فصالح معاويه رضى الله عنهما وحقن دماء الفئتين من المسلمين ، أى فان الحسن رضى الله عنه لما بويع له بالخلافة يوم مات أبوه كان فى الخلافة سبعة أشهر . وقيل ستة أشهر . ولما سار الى قتال معاوية كان معه أكثر من أربعين ألفا ، فلما سار عدا عليه شخص وضربه بخنجر فى فخذه ليقتله ، فقال الحسن قتلتم أبى بالامس ووثبتم علىّ اليوم تريدون قتلى زهدا فى العادلين ورغبة فى القاسطين لتعلمن نبأه بعد حين . أى ويذكر أنه بينما هو يصلى اذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر وهو ساجد ، ثم خطب الناس ، فقال ياأهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم ونحن أهل البت الذين قال الله فيهم (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) فمازال يقولها حتى ما بقى أحد من أهل المسجد الا وهو يبكى ، ثم كتب الى معاية رضى الله عنهما بتسليم الامر ، أى بعد ان أرسل اليه معاوية رضى الله عنه رجلين يكلمانه فى الاصلاح فان عمرو بن العاصى لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية انى لارى هذه الكتائب لاتولى حتى تقتل أقرانها فخلع الحسن رضى الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية تورعا وزهدا وقطعا للشر واطفاء لثائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله ﷺ فى قوله المتقدم وغص منه شيعته حتى قال له بعضهم ياعار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين ، فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يامذل المؤمنين ، فقال له لاتقل ذلك كرهت أن أقتلكم فى طلب الملك . وعند ذلك أى لما ابرم الصلح طلب منه معاوية رضى الله عنهما أن يتكلم بجمع من الناس و يعلمهم أنه سلم الامر الى معاوية فاجابه الى ذلك وصعد المنبر وحمد الله الى أن قال فى خطبته أيها الناس ان الله هدا كم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا الا ان أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه اما أن يكون أحق به منى أو يكون حقى فان كان حقى فقد تركته لله ولصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم ثم التفت رضى الله عنه الى معاوية وقال (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) ، أى ثم انتقل من الكوفة الى المدينة وأقام بها وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضى الله عنه أن يكون الامر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد الى أحد من بعده عهدا . وقيل على أن يكون الامر للحسن بعده ، فلما سم الحسن اتهم بذلك زوجته بنت الاشعث ابن قيس وان ذلك بدسيسة من يزيد ولد معاوية ووعدها ان يتزوجها و بذل لها مائة ألف درهم حرصا على أن يكون الامر له فان معاوية عرض بذلك فى حياة الحسن ولم يكشفه الا بعد موته . ولما جاء الخبر لمعاوية بموته رضى الله عنه قال ياعجبا من الحسن بن على شرب شربة من عسل بماء رومة بعنى بئر

رومة فقضى نحبه وأتى ابن عباس رضى الله عنهما معاوية وهو لا يعلم الخبر ، فقال له معاوية هل عندك خبر المدينة قال لا فقال معاوية يا ابن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك فاظهر عدم التشوش وقال أما ما أبقاك الله لى يا أمير المؤمنين فلا يحزننى الله ولا يسوءنى فاعطاه على تلك الكلمة ألف ألف ، وذكر بعضهم قال كنا عند الحسن رضى الله عنه ومعنا الحسين رضى الله عنه ، فقال الحسن لقد سقيت السم مرارا وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدى ، فقال له الحسين أى أخى ومن سقاك قال وما تريد أتريد ان تقتله قال نعم قال ان كان الذى أظن فالله أشد نقمة ، ولئن كان غيره ما أحب أن يقتل بى بريئا * وكان الحسن رضى الله عنه رجلا حليما لم يسمع منه كلمة فحش وكان مروان وهو وال على المدينة يسبه ويسب عليا كرم الله وجهه كل جمعة على المنبر فقيل له فى ذلك * فقال لا أمحو عنه شيئا بأن أسبه ولكن موعدى وموعده الله فان كان صادقا جازاه الله بصدقه وان كان كاذبا فالله أشد نقمة ، وأغلظ عليه رضى الله تعالى عنه مروان يوما وهو ساكت ثم امتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن رضى الله تعالى عنه أف لك أما علمت أن اليمين للماشرف فخجل مروان و بكى مروان فى جنازته ، فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ، فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار الى الجبل ، ومن ثم لما وقع بين الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما بعض الشحناء فتهاجرا ، ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذى منعنى من ابتدائك بهذا انك أحق بالفضل منى وكرهت ان انازعك ما أنت أحق به منى وقد تقدم ذلك * ومن شعر الحسن رضى الله تعالى عنه

من ظن ان الناس يغنونه * فليس بالرحمن بالواثق

ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الاسود العنسى الكذاب أى الذى ادعى النبوة ليلة قتله بصنعاء وبمن قتله كما تقدم ، أى ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بأن رجلا من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن حارثة وتكلم غيره أيضا . فعن ابن المسيب أن رجلا من الانصار توفى ، فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجل . ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بأن أمته تتخذ الخصيان وأمرهم صلى الله عليه وسلم ان يستوصوا بهم خيرا ، فقال سيكون قوم ينالهم الخصاء فاستوصوا بهم خيرا وهو يقتضى ان الخصاء لم يكن فى غير هذه الامة ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الامانة والعلم والخشوع وعلم الفرائض ، أى قرب قيام الساعة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل رضى الله تعالى عنه يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب لعنه الله وإخباره ﷺ بالمغيبات باب واسع . منه الاخبار بالحوادث الكائنة بعده الى آخر الزمان والاخبار عن أحوال يوم القيامة من القضاء والحشر والحساب والاخبار عن الجنة والنار . فعن حذيفة رضى الله تعالى عنه لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله ﷺ الصبح يوما وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر فنزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فأخبر بما كان و بما هو كائن ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن فى جماعة من المهاجرين والانصار يا معاذ انك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى غدا وقبرى وكان كذلك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعاذ باليمن ولم يقدم الا فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام جده صلى الله عليه وسلم فانها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانها كانت قبطية كما علمت ، ومنها اجابة دعائه ﷺ غير ما تقدم . فمن ذلك دعاؤه ﷺ لثعلبة بن حاطب الانصارى أى غير البدرى لان ذاك قتل باحد وهذا تأخر الى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى خلافا لمن وهم فى ذلك لان من شهد بدرا لا يدخل النار ، وكثيرا ما يقع الاشتراك فى الاسم واسم الاب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة بن عبيد الله لئن مات محمد ﷺ لاتزوجن عائشة من بعده فانزل الله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) الآية ظن بعضهم أن المراد بطلحة هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك وهو أجل مقاما من أن يصدر منه مثل ذلك . ولما قال ثعلبة بن حاطب له يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ، ثم أتاه مرة أخرى ، فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له ﷺ ويحك ياثعلبة أما ترضى أن تكون مثل رسول الله ﷺ فوالذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ، فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأوتين كل ذى حق حقه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فصارت تنمى كما تنمى الدود وضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها فكان يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ، ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فانه كان يشهدها مع النبى ﷺ ثم ترك الجمعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فأخبروه بخبره فقال ﷺ ياويح ثعلبة قالها ثلاثا ، فلما نزل قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية بعث النبى صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة واسنانها وقال لهما مرا بثعلبة فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب النبى ﷺ فقال انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا ثم مرا عليه ، فقال ارياني كتابكما انظر فيه فنظر فيه ، فقال ما هذه الا أخية الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال قبل أن يكلماه ياويح ثعلبة ، فلما أخبراه بالذى صنع ثعلبة أنزل الله تعالى (ومنهم من عاهد الله) الآيات ، وكان عند النبى ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فارسل اليه بان الله قد أنزل فيك قرآنا وهو كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه الصدقة ، فقال ان الله منعنى أن أقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه ، فقال له النبى ﷺ هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعنى وأبى أن يقبل منه شيئا فأتى أبا بكر رضى الله تعالى عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته ، فقال له لم يقبلها رسول الله ﷺ فأنا لا أقبلها . ثم فعل كذلك مع عمر رضى الله تعالى عنه . ثم مع عثمان رضى الله تعالى عنه وكل يأبى أن يقبل صدقته . ومات فى خلافة عثمان ، ومن ذلك قوله ﷺ فى رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية . فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان منا رجل من بنى النجار حفظ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق باهل الكتاب وكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت له فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فاماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوه وألقوه

حفروا له وأعمقوا مااستطاعوا فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول حفروا وأعمقوا فلفظته الارض فى المرة الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لاأستطيع ، أى قال ذلك تكبرا وعنادا فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يطق أن يرفعها الى فيه بعد ، أى ومن ذلك المرأة التى خطبها صلى الله عليه وسلم فقال له أبوها ان بها برصا ولم يكن بها برص وانما قال ذلك امتناعا من خطبته صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ فلتكن كذلك فبرصت ، ومن ذلك أن فاطمة رضى الله تعالى عنها جاءت اليه صلى الله عليه وسلم فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها صلى الله عليه وسلم ادن منى يافاطمة فدنت منه فرفع يده فوضعها على صدرها وفرج بين أصابعه ، وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد فذهبت الصفرة عنها حالا ولم تشك بعد ذلك جوعا ، ومن ذلك ماحدث به واثلة بن الاسقع قال حضر رمضان ونحن فى أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلا من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة فلم يأتنا أحد فأصبحنا صياما ، ثم أتت علينا الليلة القابلة فلم يأتنا أحد فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه بالذى كان من أمرنا ، فارسل الى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شىء فما بقيت امرأة الا أرسلت تقسم ماأمسى فى بيتها مايأكل ذو كبد ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « اللهم انى أسألك من فضلك ورحمتك فانهما بيدك لايملكهما أحد غيرك » فلم يكن الامستأذن يستأذن فاذا بشاة مصلية ورطب ، فامر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا ، ومنها تساقط الاصنام التى حول الكعبة باشارته صلى الله عليه وسلم اليها أوطعنه فيها بقضيب كان فى يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل كما تقدم * ومنها تكثير الطعام وقد وقع له ذلك فى مواطن كثيرة . فمن ذلك اطعام ألف من صاع شعير فى حفر الخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان كما تقدم . ومن ذلك اطعام أهل الخندق من تمر يسير كما تقدم . ومن ذلك جمع مافضل من الازواد ودعاؤه صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وقسمتها فى العسكر فقامت بهم كما تقدم فى الحديبية وتبوك ومن ذلك دعاؤه ﷺ لابى هريرة فى تمرات قد صفهن فى يده . وقال ادع لى فيهن بالبركة أى فدعا له ﷺ بذلك . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فاخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا فى سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه . أى بانقطاع المرود الذى أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون به التمر . والمزود وعاء من جلد يوضع فيه الزاد وقال له اذا أردت شيئا فادخل يدك ولا تكفأ فيكفأ عليك ، قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وكان لايفارق حقوى فلما قتل عثمان انقطع حقوى فسقط . وفى رواية كان معلقا خلف رحلى فوقع فى زمن عثمان ، أى فى زمن محاصرته وقتله فذهب ، وفى رواية فلما قتل عثمان انتهب بتى وانتهب المزود أى بعد سقوطه من حقوه فلا يخالف ماسبق . وقد جاء فى بعض الروايات عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يارسول الله ادع لى فيهن بالبركة فصفهن ، ثم دعا فيهن بالبركة وقال خذهن واجعل فى مزودك ماأردت منهن ، أى اذا أردت أخذ شىء منهن ادخل يدك فيه نخذه ولاتنثره نثرا أى وفى لفظ غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الناس مجاعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة هل من شىء . قلت نعم شىء من تمر فى المرود فقال ائتنى به فأتيته به

فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ثم قال لى ادع لى عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم خذ ماجئت به أدخل يدك فاقبض ولا تكفأه ، قال فقبضت على أكثر ماجئت به ، ثم أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبى بكر وأطعمت . وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب منى ، ومن ذلك تكثير الطعام الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصابعه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصفة لقصعة ثريد فأكلوا حتى لم يبق الا اليسير فى نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال لابى هريرة رضى الله تعالى عنه أى لانه كان من أهل الصفة كل بسم الله قال أبو هريرة فوالذى نفسى بيده مازلت آكل منها حتى شبعت كما تقدم قيل وكان أصحاب الصفة حينئذ تسعين وقيل مائة ونيفا وقيل أربعمائة ، ومن ذلك تكثير الطعام الذى جاء به أنس رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم . فعنه رضى الله تعالى عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله فصنعت أمى أم سليم حيسا فجعلته فى تور فقالت يا أنس اذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرؤك السلام وتقول لك ان هذا لك منا قليل قال فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له ان أمى تقرئك السلام وتقول لك ان هذا منا لك قليل فقال ضعه ، ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت قيل لانس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التور ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ، ثم قال يا أنس ارفع فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت . ومن ذلك تكثير الطعام الذى صنعه أبو أيوب الانصارى فعنه رضى الله تعالى عنه قال صنعت لرسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله تعالى عنه طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله ﷺ اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الانصار قال فشق ذلك على ماعندى ما أزيده فقال اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الانصار قال أبو أيوب رضى الله تعالى عنه فدعوتهم فقال لهم رسول الله ﷺ اطعموا فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ، ثم قال اذهب فادع لى ستين من أشراف الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ، ثم قال اذهب فادع لى تسعين من الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ قبل أن يخرجوا فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الانصار . قال ومنها تكثير اللبن فى القدح . فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه اشتد به الجوع يوما فمر على أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقمت اليه وسألته عن آية من كتاب الله ليشبعنى فمر ولم يفعل ، ثم مر على عمر ففعلت معه وفعل معى كذلك ، ثم مر ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف مافى نفسى ، ثم قال يا أبا هريرة وفى لفظ يا أبا هر . قلت لبيك يارسول الله قال الحق فتبعته ﷺ الى أن دخل بيته وأذن لى فدخلت فوجد لبنا فى قدح فقال ﷺ أى لاهل بيته من أين هذا اللبن فقيل أهدى لك فقال يا أبا هريرة . قلت لبيك يارسول الله صلى الله عليك وسلم قال ادع لى أهل الصفة فسأنى ذلك فقلت ماهذا اللبن فى أهل الصفة وما أظن أن ينالنى من هذا اللبن شئ ، أى لانهم كانوا أربعمائة على ماتقدم فدعوتهم فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت فقال

ياأبا هريرة قلت لبيك يارسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى حتى لم يبق الا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اقعد فاشرب فشربت فقال لى اشرب فشربت فما زال يقول لى اشرب فأشرب حتى قلت لاوالذى بعثك بالحق ماأجد له مسلكا فأعطيته القدح فحمد الله عزوجل وسمى وشرب الفضلة اهـ ، أى وقد تقدم ذلك . وفى لفظ حتى اذا لم يبق الا أنا وهو فاخذ القدح على يده ونظر الى وتبسم فقال ياأباهريرة . قلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب الحديث . وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لأبى هريرة ياأباهر قال انما أنا أبوهريرة فقال صلى الله عليه وسلم الذكر خير من الانثى * ولما وقع القتال بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما كان أبوهريرة رضى الله تعالى عنه يصلى خلف على كرم الله وجهه ويحضر طعام معاوية وعند القتال يصعد على تل فقيل له فى ذلك فقال الصلاة خلف على أقوم وطعام معاوية ادسم والقعود على هذا التل أسلم . ومن ذلك ماحدثت به بنت خباب بن الارت رضى الله تعالى عنهما قالت خرج خباب فى سرية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملأ حلابها جفنة لنا فلما جاء خباب عاد حلابها لما كان عليه أولا . فقلت لأبى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلبها فتمتلىء جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها ، ومن ذلك ماحدث به بعض الصحابة أنه قال كنا زهاء أربعمائة رجل فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه صلى الله عليه وسلم فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روى وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال لى صلى الله عليه وسلم أملكها الليلة وماأراك تملكها فاخذتها فوتدت لها وتداثم ربطتها بحبل ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ذهب بها الذى جاء بها ، ومنها أن امرأة كانت أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فى عكة فقبله وترك فى العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة فكان يأتيها بنوها يسألونها الادم فتعمد الى تلك العكة فتجد فيها سمنا فما زالت تقيم بها ادم بيتها بقية حياته صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان حتى كان من أمر على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما ما كان ، وفى رواية انها عصرتها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها مازال دائما ويحتمل أن الواقعة تعددت ، وعن أم سليم أم أنس رضى الله تعالى عنهما قالت كان لى شاة فجمعت من سمنها ماملأت به عكة وأرسلت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما جئت رأيت العكة مملوءة سمنا قالت فقلت للتى أرسلتها معها كيف الخبر فأخبرتنى الخبر فما صدقتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له يارسول الله وجهت اليك عكة سمن قال قد وصلت . فقلت بالذى بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر قال أفتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه صلى الله عليه وسلم اذهبى فكلى واطعمى الحديث ، أى ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الاشجعى . فعنه رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء ضعيفة فكنت فى آخر الناس فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سريا صاحب الفرس . فقلت يارسول الله عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة كانت معه فضربها بها . وقال اللهم بارك له فيها فلقد رأيتنى ماأملك رأسها قدام القوم . ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا . ومنها أن جليبيبا على وزن قنيديل الانصارى

وكان

وكان قصيرادميما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه فقال يارسول الله اذا تجدني كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد ، فخطب له صلى الله عليه وسلم جارية من أولاد الانصار فكره أبو الجارية وأمها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قبلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) . وقالت رضيت وسلمت لما رضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال اللهم اصبب الخير عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا فكانت من أكثر الانصار نفقة ومالا مع كونها أيما فانه رضى الله تعالى عنه قتل عنها فى بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل سبعة من المشركين ووقف عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له ، وقال هذا منى وأنا منه . وحمله صلى الله عليه وسلم على ساعديه ماله سرير غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفروا له فوضعه فى قبره ولم يغسله ولم يصل عليه ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم ، حتى شرب القوم وتوضؤوا وهم ألف وأربعمائة ، قال وفى رواية ألف وخمسمائة . وفى رواية فشربوا وسقوا وملؤا قربهم وكان فى العسكر اثنا عشر ألف بعير والخيل اثنا عشرة ألف فرس ، أى وهذه فى غزوة تبوك وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن عظيمة تقدمت وتكررت الروايات بحسب تكرر الوقائع وهو أشرف المياه كما قاله السراج البلقينى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التى هى خروج الماء من بين الاصابع عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهى أبلغ من نبع الماء من الحجر الذى ضربه موسى عليه الصلاة والسلام لان خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم والعظم والعصب اه كما تقدم ، ومنها أن الماء فار بغرز سهم من كنانته صلى الله عليه وسلم فى محله . وقع له ذلك فى الحديبية ، وفى تبوك فقد جاء أنه ورد فى منصرفه من غزوة تبوك على ماء قليل لا يروى واحدا وسكوا اليه صلى الله عليه وسلم العطش فأخذ سهما من كنانته وأمر أن يغرز فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفا كما تقدم ، قال ومنها ما تقدم له صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب بذى المجاز من ضربه صلى الله عليه وسلم الارض أو صخرة برجله حين عطش فخرج الماء كما تقدم . ومنها ركوبه صلى الله عليه وسلم الفحل الذى قطع الطريق على من يمر لما سافر صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير ابن عبد المطلب الى اليمن كما تقدم . ومنها انقلاب الماء الملح عذبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم ملوحة فى ماء بئرهم فجاء صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه حتى وقف على ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين ، ومنها أنه كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم وجه اليه أيها الماء اسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت ، ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد جاء أن امرأة أتته بصبى لها أقرع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه ، ومنها احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم ، فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا للاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى بنتى فقال صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه قبرها فقال صلى الله عليه وسلم يافلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا ، ومنها ابراء الابرص فقد روى أن امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه بعصا فاذهبه

الله ومنها ابراء الرتة واللقوة والقرحة والسلعة والحرارة والدبيلة والاستسقاء فان ابن ملاعب الاسنة أصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى انه قدهزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية بقوله

ويكف من تربة الارض داوى * من تشكى من مؤلم استسقاء

ومنها ان أخت اسحق الغنوى هاجرت من مكة تريد المدينة هي وأخوها اسحق المذكور حتى اذا كانت فى بعض الطريق قال لها أخوها اجلسي حتى أرجع الى مكة فاخذ نفقة أنسيتها قالت له انى أخشى عليك الفاسق أن يقتلك تعنى زوجها فذهب أخوها الى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة فقال لها مايقعدك ههنا قالت انتظر أخى قال لا أخ لك قد قتله زوجك بعدما خرج من مكة قالت فقمت وأنا أسترجع وأبكى حتى دخلت المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فى بيت حفصة فاخبرته الخبر فأخذ ملء كفه ماء فضربنى به فمن يومئذ لم ينزل من عينى دمعة وكانت تصيبنى المصائب العظام غايتـه أن ينفر الدمع على مقلتى ولا يسيل على وجنتى . ومنها ابراء الجراحة كما . وتقدم منها ابراء الكسر فقد مسح صلى الله عليه وسلم على رجل ابن عتيك رضى الله تعالى عنه وقد انكسرت فكأنها لم تكسر قط كما تقدم ، ومنها ابراء الجنون ، أى ومنها أن امرأة جاءته صلى الله عليه وسلم بابن لها لايتكلم وقد بلغ أوان الكلام فأتى بماء فمضمض وغسل يديه ثم أعطاها صلى الله عليه وسلم اياه وأمرها أن تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس ومنها ان بعض الصحابة نبتت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فمازال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها أثر ، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى جذلا من الحطب فصار سيفا وقع ذلك لعكاشة بن محصن رضى الله تعالى عنه يوم بدر كما تقدم ووقع ذلك لعبد الرحمن بن جحش أيضا يوم أحد كما تقدم ، أى ومنها انقلاب الماء لبنا وزبدا . ومنها انه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر أحد على ازالة شئ منها فضربها فصارت كثيبا كما تقدم ، أى ومن اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ماروى عن النابغة الجعدى رضى الله تعالى عنه قال أنشدت رسول الله ﷺ أبياتا منها

فلا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجدت لا أفضض الله فاك من هذه اشارة الى أسنانه قال النابغة رضى الله تعالى عنه فلقد أتت على نيف ومائة سنة وماذهب لى سن . قيل عاش مائة واثنتى عشرة سنة وقيل مائة وثمانين سنة ، أى كما تقدم وفى لفظ كان من أحسن الناس ثغرا وكان اذا سقطت له سن نبتت له أخرى . أى وعلى هذا الأخير فالمراد لا أخلى الله فاك من الاسنان ، ومن ذلك ان امرأة جاءت بابن لها صغير فقالت يارسول ان ابنى هذا جنونا وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى ، ومنها ابراء وجع الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة شكا اليه صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فقال له صلى الله عليه وسلم أدن منى فوالذى بعثنى بالحق لادعون لك بدعوة لايدعو بها مؤمن مكروب الا كشف الله عنه كربه فوضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على الخد الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح ، هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي يمكن التحدي بها والحمد لله وحده

﴿ باب نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ﴾

أي ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم ، وما اختص به عن غير الانبياء وفيما اختصت به أمته صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم وفيما اشتركت فيه مع الانبياء دون أممهم ، لايخفى أن ذكر خصائصه ﷺ مندوب ، قال في الروضة ولا يبعد القول بوجوب ذلك ليعرف فلا يتأسى به جاهل في ذلك ، ثم لايخفى أن الذي من خصائصه ﷺ عن سائر الناس اما أن يكون اختص بوجوبه عليه لان الله علم أنه ﷺ أقوم به وأصبر عليه من غيره ولان ثواب الفرض أفضل من ثواب النفل غالبا (١) وقد جاء ما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه أو اختص بتحريمه عليه لان الله علم أنه صلى الله عليه وسلم اصبر على تركه ولمزيد فضل تركه أو اختص باباحته له تسهيلا عليه أو اختص باتصافه به لمزيد فضله وشرفه فمن القسم الاول صلاة الضحى أي ما هو أقلها وهو ركعتان وركعتا الفجر وصلاة الوتر . قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث علي فرائض ولكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى» أي وفي الامتاع ان هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه ومع ذلك ففي ثبوت خصوصية هذه الثلاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم نظر . فان الذي ينبغي ولا يعدل عنه الى غيره ان لاتثبت خصوصيته الا بدليل صحيح ، وفي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط واني لأسبحها وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، قال كان النبي ﷺ يصلي الضحى حتى تقول لايدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها ، وهذا يدل بظاهره ويقتضي عدم الوجوب اذ لو كانت واجبة في حقه ﷺ لكان مداومته عليها أشهر من ان تخفى هذا كلامه . وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الضحى يوم الفتح في بيت أم هانئ واظب عليها الى أن مات وأنه صلى الله عليه وسلم صلى ثمان ركعات ، وجاء في حديث مرسل كان ﷺ يصلي ركعتين وأربعا وستا وثمانيا وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو أدنى كماله ، والسواك قال في الامتاع وهل هو بالنسبة الى الصلاة المفروضة أو في كل الاحوال المؤكدة في حقنا أو فيما هو أعم من ذلك وغسل الجمعة والاضحية واستدل لوجوبهما بقوله تعالى (ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي) الى قوله (وبذلك أمرت) قال في الامتاع والامر على الوجوب هذا كلامه وفيه نظر لان أمر للوجوب والندب والذي للوجوب انما هو صيغة أفعل قال في الامتاع ان الآمدي وابن الحاجب رحمهما الله عدا ركعتي الفجر من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا سلف لهما في ذلك الاحديث ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . واعترض كون الوتر واجبا عليه ﷺ بانه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين صلاه على البعير اذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة . وأجاب النووي رحمه الله بأن جواز هذا الواجب على الراحلة من خصائصه

---

(١) وجد في نسخة بعد قوله غالبا ومن غير الغالب أبراء المعسر فانه سنة وانظاره واجب وثواب الابراء أفضل والتطهير قبل الوقت سنة وبعد الوقت واجب والاول أفضل وابتداء السلام سنة ورده واجب والاول أفضل اه

ﷺ وأجاب القرافى المالكى رحمه الله بأن الوتر لم يكن واجبا عليه ﷺ الا فى الحضر ووافقه على ذلك من أئمتنا الحليمى والعز ابن عبد السلام ، والعقيقة وأنه صلى الله عليه وسلم يجب عليه ان يؤدى فرض الصلاة كاملة لاخلل فيها وانه يجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى كل يوم وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان فى ليلة الاسراء كذا فى الخصائص الصغرى للسيوطى ، والمشاورة فى أمر الدين والدنيا لذوى الاحلام من الامور الاجتهادية . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزلت هذه الآية وشاورهم فى الامر ، قال النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة فى أمتى فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا» وقد قيل الاستشارة حصن من الندامة ومصابرة العدو وان كثر ، وفى الحاوى للماوردى أنه ﷺ كان اذا بارز رجلا لاينفك عنه قبل قتله هذا كلامه ، ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم بارز أحدا . وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين واداء الجنايات والكفارات عن من لزمته وهو معسر ، وتخيير نسائه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة أى بين زينة الدنيا ومفارقته و بين اختيار الآخرة والبقاء فى عصمته وان من اختارت الدنيا يفارقها ومن اختارت الآخرة يمسكها ولايفارقها أى لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) قيل اختلف سلف هذه الامة فى سبب نزول هذه الآية على تسعة أقوال فقد قيل ، نزلت لما طلبن منه ﷺ زيادة فى النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما ذكر كما تقدم عن جابر رضى الله تعالى عنه ، قال جاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه يستأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ليأذن لهم قال فأذن لابى بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجدا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه ، أى قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لايتكلم فقال عمر رضى الله تعالى عنه لاقولن شيئا أضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لو رأيت فلانة يعنى زوجته سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبى ﷺ وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى عائشة فوجأ عنقها ، وقام عمر رضى الله تعالى عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده ثم أقسم رسول الله ﷺ ان لايجتمع بهن شهرا ، فعن عمر رضى الله تعالى عنه انه ذكر ان بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا ودق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم . فقلت ماذا أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ودخلت على حفصة وهى تبكى ، فقلت أطلقكن رسول الله ﷺ قالت لاأدرى هو هذا معتزلا فى هذه المشربة ، أى لأن نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه فى طلب النفقة أقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن ، قال عمر رضى الله تعالى عنه لأقولن من الكلام شيئا أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له أسود ، فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج ، فقال قد ذكرتك له فصمت ، فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبنى ما أجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى ، فقال قد

ذكرتك

ذكرتك له فصمت فلما كان فى المرة الرابعة وقال لى مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال أدخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكىء على زمل حصير قد أثر فى جنبه . فقلت أطلقت يارسول الله نساءك ، قال فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعنى زوجته فراجعتنى فأنكرت عليها فقالت تنكر على ان أراجعك فوالله ان أزواج النبى ﷺ لتراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت . قدخاب من فعل ذلك وخسر أفتأمن احداهن ان يغضب الله عليها بغضب زوجها فتبسم رسول الله ﷺ فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله ﷺ فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل . فقلت قدخاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احدا كن أن يغضب الله عليها بغضب رسول الله ﷺ لاتراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسلينى مابدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعنى عائشة ، فتبسم أخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجست وقلت يارسول الله قد أثر فى جنبك زمل هذا الحصير وفارس والروم قدوسع عليهم وهم لا يعبدون فاستوى جالسا وقال أفى شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يارسول الله [ ] فلما مضى تسع وعشرن يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه فى قوله تعالى (ياأيها النبى قل لازواجك) الآية فنزل ودخل على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت له يارسول الله أقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون وفى رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير باصابع يديه وفى الثالثة حبس ابهامه ثم قال ياعائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك . فقالت وماهو يارسول الله فقرأ (ياأيها النبى قل لأزواجك) الآية . قلت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، وفى رواية أفيك يارسول الله أستشير أبوى بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم قلت له لاتخبر امرأة من نسائك بالذى قلت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما بشيرا . ثم فعل أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت عائشة رضى الله تعالى عنهن وقدذكر الاقوال التسعة فى الامتاع ، وذكر فيه ان التخيير كان بعد فتح مكة لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يقدم المدينة الا بعد الفتح مع أبيه العباس رضى الله تعالى عنهما ، وذكر أنه حضر الواقعة * ومن القسم الثانى تحريم أكل الصدقة واجبة أو مندوبة وكذا الكفارة والمنذورة والموقوف عليه الا على جهة عامة كالآبار الموقوفة على المسلمين و يشاركه فى الصدقة الواجبة آله دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة هى المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لاتنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس ، ولما سأله عمه العباس رضى الله تعالى عنه ان يستعمله على الصدقات قال صلى الله عليه وسلم ما كنت لاستعملك على غسلات ذنوب الناس ، ولما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبى ﷺ كخ كخ ارم بها أما علمت انا لا نأكل الصدقة ، وفى رواية ان آل محمد لا يأكلون الصدقة . واختلف علماء السلف هل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشارك النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فذهب الحسن رحمه الله تعالى الى أن الانبياء تشاركه فى ذلك . وذهب سفيان

ابن عيينة الى اختصاصه بذلك دونهم وأن يعطى شيئا لاجل أن يأخذ شيئا أ كثر منه وان يتعلم الكتابة أوالشعر وانشاءه وروايته لاالتمثل به وانه اذا لبس لامته للقتال لايدعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه وهذا الاخير مما شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام . وخائنة الاعين وهى الايماء الى مباح من قتل أوضرب على خلاف مايظهر كما تقدم ، وامساك من كرهته ونكاح الكتابية ، قيل والتسرى بها والراجح خلافه ونكاح الامة المسلمة لانه لايخشى العنت ، أى الزنا * ومن القسم الثالث القبلة فى الصوم مع وجود الشهوة . فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضى الله تعالى عنها وهو صائم و يمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبلع ريقه المختلط بريقها ، والخلوة بالاجنبية وانه صلى الله عليه وسلم اذا رغب فى امرأة خلية كان له أن يدخل بها من غير لفظ نكاح أوهبة ومن غير ولى ولاشهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم فى زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها كما تقدم ومن غير رضاها وانه اذا رغب فى امرأة متزوّجة يجب على زوجها أن يطلقها له صلى الله عليه وسلم وانه اذا رغب فى أمة وجب على سيدها أن يهبها له وله أن يزوّج المرأة لمن يشاء بغير رضاها وله أن يتزوّج فى حال احرامه ، ومن ذلك نكاح ميمونة على ماتقدم ، وان يصطفى من الغنيمة ماشاء قبل القسمة من جارية أوغيرها : ومن صفاياه صلى الله عليه وسلم صفية وذوالفقار كما تقدم وان يتزوّج من غير مهر كما وقع لصفية رضى الله تعالى عنها ، وقد قال المحققون معنى مافى البخارى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها انه صلى الله عليه وسلم أعتقها بلاعوض وتزوّجها بلامهر ، فقول أنس رضى الله تعالى عنه أمهرها نفسها معناه انه لما لم يصدقها شيئا كان العتق كأنه المهر وان لم يكن فى الحقيقة كذلك وان يدخل مكة بغير احرام اتفاقا وان يقضى بعلمه ولوفى حدود الله تعالى ، قال القرطبى فى تفسيره أجمع العلماء على انه ليس لاحد ان يقضى بعلمه الاالنبى صلى الله عليه وسلم . قال الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احداهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام ، وقوله انى على علم لاينبغى لك ان تعلمه وأنت على علم لاينبغى لى ان أعلمه هذا كلامه . وكتب عليه الشهاب القسطلانى رحمه الله هذه غفلة كبيرة وجراءة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، اذيلزم منه خلو بعض أهل العزم عليهم الصلاة والسلام من علم الحقيقة الذى لايجوز خلو بعض آحاد الاولياء عنه واخلاء الخضر بل بقية بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن علم الشريعة ، وأعجب من ذلك انه بين له وجه الخطا ، فأجاب بقوله مرادى الجمع بين الحكم والقضاء هذا كلامه * وأقول ذكر السيوطى فى كتابه الباهر فى حكم النبى بالباطن والظاهر هل يقول مسلم ان الذى خص به نبينا صلى الله عليه وسلم ، أى عن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يورث نقصا فى حق سائر الانبياء معاذ الله وكل مسلم يعتقد ان نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الانبياء على الاطلاق ، وذلك لايورث نقصا فى حق أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهذا الاعتراض كان لايحتاج الى جواب عنه لكن خشيت أن يسمعه جاهل فيؤديه ذلك الى انكار خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ، التى فضل بها على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام توهما منه ان ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله فى الكفر والزندقة هذا كلامه ، ومما حكم فيه بالظاهر والباطن معا ، قوله صلى الله عليه وسلم فى ولد وليدة زمعة والدسودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لما اختصم فيه سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وعبد بن زمعة فقال سعد يارسول الله

هذا

هذا ابن أخي عهد الى أنه ابنه انظر الى شبهه به وقال عبد بن زمعة هذا أخي ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه . فرأى شبها بينا بعتبة ثم قال هو لك ياعبد الولد للفراش واحتجبي منه ياسودة بنت زمعة * زاد فى رواية فليس بأخ لك . فقد جعله ﷺ اخا لسودة عملا بظاهر الشرع ونفى أخوته عنها بمقتضى الباطن . فقد حكم فى هذه القصة بالظاهر والباطن معا وأما حكمه ﷺ بالباطن . فقد جاء فى أمور متكاثرة من ذلك قتله الحرث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى وارث ولاقيام بينة ؟ ولاقبول الدية كما تقدم ، ومن ذلك انه ﷺ قال لرجل مات أخوه ان أخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يارسول الله قد أديت عنه الا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة قال أعطها فانها محقة ، ومن ذلك ان امرأة جاءت الى أخرى وقالت لها فلانة تستعيرك حليك وهى كاذبة فاعارتها اياه فبعد مدة جاءت المرأة تطلب حليها فقالت لم أطلب حليك فجاءت المرأة التى أخذته فانكرت أخذه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته القصة فدعاها فقالت والذى بعثك بالحق ما استعرت منها شيئا فقال ﷺ اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فأخذ وأمر بها فقطعت . وان يقضى لنفسه ولولده ، وان يشهد لنفسه ولولده ، وان يقبل الهدية ممن يريد الحكومة عنده وان يقضى فى حال غضبه وان يقطع الارض قبل أن يفتحها * ومما شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى هذا القسم انه صلى الله عليه وسلم ان يصلى بعد نومه غير متمكن ، أى فى النوم الذى تنام فيه عينه وقلبه بناء على انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان وحينئذ يكون قوله نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا المراد به غالبا اذ يبعد أن يكون بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لهم الا نوم واحد وله ﷺ نومان ، واباحة ترك اخراج زكاة المال لانه كبقية الانبياء لاملك لهم مع الله وما فى أيديهم من المال وديعة لله عندهم يبذلونه فى محله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكاة طهرة وهم مبرءون من الدنس كذا فى الخصائص الصغرى نقلا عن سيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله . وفيها بعد ذلك انه ﷺ اختص بان ماله باق بعد موته على ملكه ينفق منه على أهله فى أحد الوجهين وصححه امام الحرمين ، والذى صححه النووى الوجه الآخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة على المسلمين لايختص به الورثة وما قاله ابن عطاء الله بناء على مذهب امامه سيدنا مالك ، ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى خلافه ، ففى الخصائص الصغرى قبل هذا ، وذكر مالك رضى الله تعالى عنه . من خصائصه ﷺ أنه كان لايملك الاموال انما كان له التصرف وأخذ قدر كفايته وعند الشافعي رضى الله تعالى عنه وغيره انه يملك هذا كلام الخصائص * ومن القسم الرابع انه صلى الله عليه وسلم أول من أخذ عليه الميثاق يوم (ألست بربكم) وانه أول من قال بلى أى وانه خص بالبسملة وفيه ماتقدم ان ذلك على وجه وان الاصح خلافه لما فى القرآن فى سورة النمل وفى المرفوع أنزل على آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيرى (بسم الله الرحمن الرحيم) وجاء بسم الله فاتحة كل كتاب وفيه ان الانجيل من جملتها وهو كتاب عيسى ابن مريم وهو بعد سليمان عليهما السلام ، وقد قدمنا ذلك عند الكلام على أوائل البعث و بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة (آمن الرسول) الى ختامها وآية الكرسي أعطيها من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر ، وقد جاء أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شئ غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والكوثر وذكر الجلال السيوطي رحمه الله فى الخصائص الصغرى . ان مما خص به انه أعطى من كنز تحت

العرش ولم يعط منه أحد غيره والسبع الطوال والمفصل ، وان دار هجرته التى هى المدينة آخر الدنيا خرابا وأن جميع ما فى الكون خلق لاجله وانه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء ، وما فيها كما تقدم وعلى بعض الاحجار وورق الاشجار و بعض الحيوانات كما تقدم قال بعضهم بل وعلى سائر ما فى الملكوت . وذكر الملائكة له ﷺ فى كل ساعة وذكر اسمه ﷺ فى الأذان فى عهد آدم والملكوت الاعلى كما تقدم ، ومما اختص به ﷺ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه يحرم نكاح أزواجه ﷺ بعد موته حتى على الأنبياء بخلاف زوجات الأنبياء بعد موتهم لايحرم نكاحهن على المؤمنين . قال شيخنا الشمس الرملى والاقرب عدم حرمتهن على الأتقياء من أممهم . وفيه أنه اذا لم يحرمن على آحاد المؤمنين فعلى الأتقياء بطريق الأولى الا أن يقال الفرق ممكن يدل عليه قوله والاقرب والافهذا مما يتوقف فيه على النقل . وقيل ومن ذلك أنه يجب على أزواجه ﷺ من بعده الجلوس فى بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو لحج أو عمرة ، والراجح خلاف ذلك فقد حججن مع عمر رضى الله تعالى عنه وعنهن الاسودة وزينب خرجن فى الهوادج عليهن الطيالسة الخضر . وعثمان رضى الله تعالى عنه يسير امامهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن اليك اليك . وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه خلفهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن مثل ذلك ولا ترى هوادجهن الا مد البصر ، ولما ولى عثمان رضى الله تعالى عنه حج بهن أيضا الاسودة وزينب وانه يحرم أيضا رؤية أشخاص زوجاته ﷺ فى الازر وسؤالهن مشافهة أى من غير حجاب ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف ، وان الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به ﷺ وينصروه ان أدركوه وان يأخذوا العهد على أممهم بذلك كما تقدم ، وأنه ﷺ يحشر على البراق فقد جاء تبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدواب ويبعث صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة رضى الله تعالى عنهم على ناقته العضباء والقصوى ويبعث بلال رضى الله تعالى عنه على ناقة من نوق الجنة وان فى كل يوم ينزل على قبره الشريف ﷺ سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه الى أن يمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحون لايعودون الى أن تقوم الساعة ، وانه شق صدره الشريف ﷺ عند ابتداء الوحى وأنه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وأن خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره . وخاتم الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام كان فى يمينهم كما تقدم ، وتقدم ما فيه وأن له ﷺ ألف اسم ، ونقل عن تفسير الفخر الرازى أن له ﷺ أربعة آلاف اسم وأنه ﷺ تسمى من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسما وأنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام على الصورة التى خلق عليها مرتين كما تقدم وغيره لم يره كذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر والباطن كما تقدم وأنه ﷺ أحلت له مكة ساعة من نهار وانه حرم ما بين لابتى المدينة كما تقدم وانه لم ترعورته قط وان من رآها طمست عيناه كما تقدم وانه اذا مشى فى الشمس أو فى القمر لا يكون له ﷺ ظل لانه كان نورا وأنه اذا وقع شئ من شعره فى النار لايحترق وان وطأه أثر فى الصخر على ما تقدم وان الذباب لايقع على ثيابه فضلا عن جسده الشريف ولا يمتص نحو البعوض والقمل دمه كما تقدم ، وهذا لاينافى كون القمل يكون فى ثوبه ومن ثم جاء كان ﷺ يفلى ثوبه وان عرقه أطيب من ريح المسك كما تقدم ، وكان ﷺ اذا ركب دابة لاتبول ولا تروث وهو راكبها ولو بنى مسجده الى صنعاء اليمن كان مسجده أى فى المضاعفة خلافا للجمع منهم ابن حجر الهيتمى ، وقد قال الحافظ السيوطى نص العلماء على أن المسجدين أى المكى

والمدنى

والمدنى ولووسعالم تختلف أحكامهما الثابتة لهما ، وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال لومد مسجد رسول الله ﷺ الى ذى الحليفة لكان منه فهذا الاثر مصرح بأن أحكام مسجد رسول الله ﷺ ثابتة له فالتوسعة لاتمنع استمرار الحكم وتقدم مافى ذلك ، وانه يجب على أمته ﷺ أن تصلى وتسلم عليه فى التشهد الاخير وعند كل مايذكر عند بعضهم ، وان القمر شق له ﷺ كما تقدم وان الحجر والشجر سلما عليه ﷺ وشهادة الشجر له ﷺ بالنبوة واجابتها دعوته ، وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وان الجذع اليابس حن اليه ﷺ كما تقدم وأنه ﷺ أرسل للناس كافة الانس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك ، وقد يتوقف فى كفر العامى بجحد ارساله ﷺ للجن والى الملائكة على ماهو الراجح كما تقدم . قال بعضهم والقول بمقابله مبنى على تفضيل الملائكة على الانبياء وهو قول مرجوح ، ذهب اليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من أهل السنة الاشاعرة . واستدلوا بامور كلها مردودة ، وتقدم عن البارزى رحمه الله أنه ﷺ أرسل الى الحيوانات والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له بالرسالة ﷺ وقد يتوقف فى الاستدلال بذلك ، وتقدم عن الحافظ السيوطى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل لنفسه وتقدم الفرق بين عموم رسالته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم وأنه ﷺ بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسخ والغرق كسائر الامم المكذبة كما تقدم وان الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل خاطبه صلى الله عليه وسلم بيا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المدثر يا أيها المزمل وقال يا آدم يانوح ياابراهيم ياداود يازكريا يايحيى ياعيسى وان الله أقسم بحياته ﷺ قال تعالى (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) وروى ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ماحلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد ﷺ وأقسم الله على رسالته بقوله (يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) وان اسرافيل عليه السلام أهبط اليه ﷺ ولم يهبط الى نبى قبله كما تقدم ، وأنه ﷺ أكرم الخلق على الله وانه يحرم نكاح موطوآته ﷺ من الزوجات والسرارى الا من باعه أو وهبه من السرارى فى حياته ان فرض ذلك وذهب الماوردى الى تحريمها ، وفى كلام بعضهم وتحرم زوجاته ﷺ على غيره ولو قبل الدخول ولو مختارة للفراق خلافا لما فى الشرح الصغير للرافعى من حل المختارة للفراق وانه يحرم التزوج على بناته ﷺ ، وقيل على فاطمة خاصة رضى الله تعالى عنها . وأما التسرى عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزويج عليهن حاصل فى التسرى الا أن يفرق . وأوتى ﷺ قوة أربعين رجلا من أهل الجنة فى الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطى ﷺ قوة أربعة آلاف رجل ، وسليمان صلوات الله وسلامه عليه أعطى قوة مائة رجل وقيل ألف رجل أى من رجال الدنيا وان فضلاته ﷺ طاهرة كما تقدم وانه كان له ﷺ أن يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين لان النبى صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابى فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم وتباطأ الاعرابى والفرس معه فساومه فى الفرس رجال لايعرفون أن النبى ﷺ اشتراه بزيادة عما اشتراه به ﷺ . فقال الاعرابى للنبى ﷺ

ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته ، فقال النبي ﷺ وقد سمع نداء الاعرابي أوليس قدابتعته منك ، فقال الاعرابي لا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى قدابتعته منك ، فقال الاعرابي شاهدان يشهدان اني بعتك ، فلما سمع خزيمة رضي الله تعالى عنه ذلك ، قال أنا أشهد انك بعته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا ، فقال يارسول الله انا نصدقك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته رضي الله تعالى عنه في القضايا بشهادة رجلين ومنه أخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه وترخيصه صلى الله عليه وسلم لأم عطية رضي الله تعالى عنها ولخولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها في النياحة لجماعة مخصوصين ، وترخيصه صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها في عدم الاحداد . لما قتل زوجها سيدنا جعفر بن أبي طالب حيث قال لها تسلى ثلاثا ثم اصنعي ماشئت ، وتجويز التضحية بالعناق لابي بردة ولعقبة بن عامر رضي الله تعالى عنهما . وزاد بعضهم ثلاثة آخرين وتزويجه صلى الله عليه وسلم لشخص امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لاحد غيرك مهرا ولعل المراد سورة مجهولة فلا يخالف ذلك ماعندنا معشر الشافعية من جواز ذلك على معين من السور القرآنية وتزويجه صلى الله عليه وسلم أم سليم أبا طلحة رضي الله تعالى عنهما على اسلامه كما تقدم ، واعادة امرأة أبي ركانة اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل . وتخصيصه صلى الله عليه وسلم نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن دون بقية الورثة وقد ألغز في ذلك بعضهم بقوله

سل على مفتي الانام وقل له ✽ هذا سؤال في الفرائض مبهم
قوم اذا ماتوا تحوز ديارهم ✽ زوجاتهم فلغيرها لا تقسم
و بقية المال الذي قد خلفوا ✽ يجرى على أهل التوارث منهم

وأنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر ، فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم أهل البقيع فيخرجون معي ثم أنتظر أهل مكة » ، أي وفي رواية «وأنا أول من تنشق عنه الارض فأكون أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله »وفيه أن الاستثناء انما هو من نفخة الفزع التي هي النفخة الأولى التي يفزع بسببها أهل السموات والارض وتمر الجبال مر السحاب وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة في البحر تضربها الامواج المعنية بقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) والمعنية بقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الآية ، قال صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشئ من ذلك قلنا يارسول الله فمن استثنى الله في قوله الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه ، وفيه أن هذا يقتضي أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يفزعون لانهم أحياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع الشهداء والقياس قد يمنع لانه يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل ، وأنه أول من يكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة . وأنه صلى الله عليه وسلم يقوم في المقام المحمود على يمين العرش وأنه الذي يشفع في فصل القضاء بين أهل الموقف ، وأن له صلى الله عليه وسلم شفاعات في ذلك اليوم وهي احدى عشرة شفاعة ذكرها في مزيل الخفاء وأنه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد في ذلك اليوم

آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وأنه خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامامهم فى ذلك اليوم كما تقدم . وأول من يؤذن له فى السجود . وأول من ينظر الى الرب عز وجل وأنه يسجد أوّلا فيقول له الرب جل جلاله ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ، ثم ثانيا ، ثم ثالثا كذلك فيشفع . وأنه أول من يفيق من الصعقة ، وفيه أن نفخة الصعقة هى النفخة الثانية التى هى نفخة الموت لاهل السموات والارض ، الا أن يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة اثبتها ابن حزم فقد قال الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله وأغرب ابن حزم رحمه الله تعالى فادعى أن النفخ فى الصور يقع أربع مرات ، فعليه تكون هذه النفخة ليست هى المذكورة فى القرآن وأنها تكون فى الموقف بعد النفخة الثالثة التى هى نفخة البعث التى بسببها يكون القيام من القبور الى المحشر المعنية بقوله تعالى (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون) وهذه النفخة الرابعة تسمى نفخة الصعق أيضا لان بها يحصل لجيع أهل السموات والارض فى ذلك الوقت غشى وهو شبيه بالموت ويكون أول من يفيق من تلك الصعقة هو ﷺ وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذا بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله أنا أول من تنشق عنه الارض فاكون أنا أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة . وحينئذ لايحتاج الى الجواب بأنه ﷺ أخبر بقوله لاأدرى قبل أن أعلمه الله تعالى بأنه أول من تنشق عنه الارض على الاطلاق وان موسى عليه الصلاة والسلام سبقه الى العرش لانه ﷺ بعد خروجه من الارض ينتظر خروج أهل البقيع ومجىء أهل مكة فليتأمل ذلك ، وأول من يمر على الصراط وأوّل من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وأن له الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة . وقيل انه فى الجنة لايصل لاحد شئ الا بواسطته ﷺ وأنه لايقرأ فى الجنة الا كتابه ولا يتكلم فى الجنة الا بلسانه ، ومما شاركه فيه الانبياء فى هذا القسم أن من دعاه ﷺ فى الصلاة تجب عليه الاجابة قولا وفعلا ولو كثيرا ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا ﷺ بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانها تبطل ، ومنه أيضا العصمة من الذنب مطلقا كبيرا أو صغيرا عمدا أوسهوا وعدم التثاؤب والاحتلام لان كلا من الشيطان ، ولم ير أثر لقضاء حاجته ﷺ بل كانت الارض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة المسك قال وانه ﷺ كان ينظر بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء * واستشكل بما جاء أنه ﷺ لما ابتنى بأم سلمة رضى الله تعالى عنها دخل عليها فى الظلمة فوطئ ﷺ على ابنتها زينب فبكت فلما كانت الليلة القابلة دخل ﷺ فى ظلمة أيضا فقال أنظروا ربائبكم لاأطأ عليها وزينب هذه ولدتها من أبى سلمة بالحبشة ودخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل وهى اذ ذاك طفلة فنضح ﷺ وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى عجزت وقاربت المائة سنة ، وكان ﷺ ينظر من خلفه كما ينظر أمامه ، أى وعن يمينه وعن شماله فقد جاء انى لانظر الى ماوراء ظهرى كما أنظر الى أمامى فقيل كان له ﷺ بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لاتحجبهما الثياب ، وقيل كانت تنطبع صورة المحسوسات التى خلفه فى حائط قبلته كما تنطبع الصور فى المرآة . وهذا يدل على أن ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر أكثر الروايات أى وكانت تلك الصلاة الى حائط فليتأمل . وكان ﷺ يرى الثريا اثنا عشر نجما وغيره لايزيد على تسعة ولو أمعن النظر * واختصت هذه الامة المحمدية بأمور لم يشاركها فيه من قبلهم من الامم وهى أنها خير الامم وأكرم الخلق على الله قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وفى

الحديث ان الله اختار أمتى على سائر الامم وان الله ينظر اليها فى أول ليلة من رمضان وأعطيت الاجتهاد فى الاحكام وأظهر الله ذكرها فى الكتب القديمة كالتوراة والانجيل وأثنى عليها وأعطيت الصلوات الخمس ، أى جمعت لهم على ماتقدم وأعطيت صلاة العشاء فقد أخرج أبو داود والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه ﷺ قال انكم فضلتم بها أى بصلاة العشاء على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم وفيه ماتقدم . وأعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير . وأعطيت التأمين ، أى قول آمين عقب الدعاء فقد جاء أعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها هرون فان موسى كان يدعو ويؤمن هرون عليهما الصلاة والسلام ، وتقدم أن آمين عقب الفاتحة ليس من القرآن اتفاقا وأعطيت الاستنجاء بالحجر وأعطيت الاذان والاقامة والركوع فى الصلاة وأما قوله تعالى لمريم (واركعى مع الراكعين) فالمراد بالركوع الخضوع كما تقدم ويلزمه أنها أعطيت فى الرفع منه سمع الله لمن حمده . وفى الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد الى آخره وأعطيت تحريم الكلام فى الصلاة دون الصوم عكس من قبلهم وأعطيت الجماعة فى الصلاة وأعطيت الاصطفاف فيها كصفوف الملائكة وأعطيت صلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر وأعطيت قصر الصلاة فى السفر والجمع بين الصلاتين فيه على ماتقدم وفى المطر والمرض على قول اختاره جمع من العلماء ، ومنهم والدى رحمه الله وأعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته وأعطيت شهر رمضان على ماتقدم ، وأعطيت فيه أمورا منها تصفيد الشياطين وقد سئلت مافائدة تصفيد الشياطين فى رمضان مع وجود الفساد والشر وقتل الأنفس فيه ، وقد أجبت عنه بأربعة أجوبه . حاصلها أن فائدة ذلك قلة الشر لا نفيه بالكلية ، وقد ذكرت ذلك فى كتابى اسعاف الاخوان فى شرح غاية الاحسان . وهو كتاب ألفته فى الصوم ومايتعلق به ، ومنها صلاة الملائكة عليهم حين يفطروا . ومنها أن ريح فمهم بعد الزوال أطيب عند الله من ريح المسك ، وفيه أن هذا لا يختص بصوم رمضان . ومنها أن الجنة تزين فيه من رأس الحول الى رأس الحول وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وتفتح أبواب السماء فى أول ليلة منه . ومنها أنه يغفر لهم فى آخر ليلة منه وأعطيت العقيقة عن الانثى وأعطيت العذبة فى العمامة وأعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت وأعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة وأعطيت صلاة الجمعة وأعطيت ساعة الاجابة فى يومها وأعطيت ليلة القدر وأعطيت السحور وتعجيل الفطر وأعطيت الاسترجاع عند المصيبة وأعطيت الحوقلة أى لاحول ولاقوة الا بالله وأعطيت رفع الاصر عنها ، ومنه وجوب القصاص فى الخطأ والمؤاخذة بحديث النفس والنسيان وما وقع عليه الاكراه وان اجماعها حجة لانها لاتجتمع على ضلالة ، أى محرم وأعطيت أن اختلاف علمائها رحمة ، وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء الامة المجتهدون كما أن المراد ذلك بما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ اختلاف أصحابى رحمة ، أى ويقاس بأصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد قال بعضهم وما ذكره بعض الاصوليين والفقهاء أنه صلى الله عليه وسلم قال اختلاف أمتى رحمة لا يعرف من خرجه بعد البحث الشديد وانما يعرف عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف أمة محمد رحمة قال الحافظ السيوطى ، ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا وان الطاعون لهم رحمة وكان على من قبلهم عذابا . وأعطيت الاسناد للحديث قال أبو حاتم الرازى رحمه الله لم يكن فى أمة من الامم منذ خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام يحفظون آثار الرسل أى ويأخذها واحد عن

الآخر الا فى هذه الامة أى حتى ان الواحد منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا أو أكثر وان فيها الاقطاب والانجاب والاوتاد ويقال لهم العمد والابدال والاخيار والعصب فالابدال بالشام واختلفت الروايات فى عددهم فأكثر الروايات انهم أربعون رجلا وفى بعض الروايات أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة ، وعن الفضل بن فضالة قال الابدال بالشام فى حمص خمسة وعشرون رجلا وفى دمشق ثلاثة عشر وفى بيسان اثنان . وفى رواية عن حذيفة بن اليمانى الابدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال أربعون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال ، وعن الحسن البصرى رحمه الله لن تخلو الارض من سبعين صديقا وهم الابدال أربعون بالشام ، وثلاثون فى سائر الارض ، وعن معاذ ابن جبل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله والغضب فى ذات الله وجاء فى وصف الابدال انهم لم ينالوا مانالوا بكثرة صلاة ولاصيام ولا صدقة ولكن بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم ، وفى لفظ لجميع المسلمين . وعن أبى سليمان الابدال بالشام والنجباء بمصر . وفى لفظ الابدال من الشام والنجباء من أهل مصر . وفى رواية عن على كرم الله وجهه أيضا والنجباء بالكوفة والعصب باليمن والاخيار بالعراق . وفى لفظ والعصب بالعراق ، وعن بعضهم النقباء ثلاثمائة وسبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث أى الذى هو القطب واحد فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سائحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا أعرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فما تتم مسئلته حتى يجاب ، وجاء عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبى قط الا أعطى سبعة نجباء وزراء رفقاء ، وانى أعطيت أربعة عشر حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلى والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وأبو ذر والمقداد و بلال ومصعب ، وأسقط الترمذى حذيفة وأبا ذر والمقداد وأنهم أى أمته صلى الله عليه وسلم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب يمحصها الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم وانها أول من تنشق عنها الارض وانها فى الموقف تكون على مكان عال مشرف على الامم وانها أول من يحاسب وانها أول من يدخل الجنة من الامم وان لكل منها نورين كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانها تمر على الصراط كالبرق الخاطف وانها تشفع فى بعضها ، وان لها ماسعت وما سعى لها وانها اختصت عن الامم ماعدا الانبياء بوصف الاسلام على الراجح كما تقدم لانه لم يوصف بالاسلام أحد من الامم السالفة سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد شرفت بأن توصف بالوصف الذى توصف به الانبياء تشريفا لها وتكريما فقد قال زيد بن أسلم أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير لم يذكر الله بالاسلام غير هذه الامة ، أى وما ورد مما يوهم خلاف ذلك مؤول وقد خصت هذه الامة بخصائص لم تكن لاحد سواها الا للانبياء فقط فمن ذلك الوضوء فانه لم يكن أحد يتوضأ الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعن ابن مسعود رضى الله

تعالى عنه مرفوعا فى التوراة والانجيل وصف هذه الامة انهم يوضئون اطرافهم وفى بعض الآثار افترضت عليهم أن يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء لكن تقدم فى الحديث أنه ﷺ توضأ مرة مرة، فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال هذا وضوء الامم من قبلكم من توضأ مرة آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء خليلى ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الحديث كما ترى يقتضى مشاركة الامم مع هذه الامة فى أصل الوضوء والاختصاص انما هو بالتثليث، وتقدم الكلام على ذلك أى والغسل من الجنابة. ففيما أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام فى وصف هذه الامة وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء قبلهم وان منها سبعين ألفا ومع كل واحد من هؤلاء السبعين ألفا سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، أى وباجلال الله تعالى توقير المشايخ منهم وانهم اذا حضروا القتال فى سبيل الله حضرتهم الملائكة لنصرة الدين وان الملائكة تنزل عليهم فى كل سنة ليلة القدر تسلم عليهم وأ كل صدقاتهم فى بطونهم واثابتهم عليها وتعجيل الثواب فى الدنيا مع ادخاره فى الآخرة كصلة الرحم فانها تزيد فى العمر و يثاب عليها فى الآخرة وما دعوا به استجيب لهم. روى الترمذى رحمه الله أعطيت هذه الامة مالم يعط أحد بقوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وانما يقال هذا للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام فى وصف هذه الامة ان دعونى استجبت لهم فاما أن يكون عاجلا وأما أن أصرف عنهم سوأ وأما أن أدخرلهم فى الآخرة ومخالطة الحائض سوى الوطء وما الحق به وهو مباشرة مابين سرتها وركبتها وتقدم وصفهم فى الكتب القديمة بما لا ينبغى اعادته هنا لطوله

باب ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم

ولد له صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله تعالى عنها قبل البعثة القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم و به كان يكنى، قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصفا وقيل حتى مشى. وقيل بلغ ركوب الدابة وقيل عاش سبع ليال وهو أول من مات من ولده قبل البعثة ثم ولدت قبل البعثة أيضا زينب ثم رقيه ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضى الله تعالى عنهن وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضى الله تعالى عنهن. وقيل أكبر بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، و بعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة و بعد البعثة ولد له صلى الله عليه وسلم عبدالله ويسمى الطيب الطاهر. وقيل الطيب والطاهر غير عبدالله المذكور. ولدا فى بطن واحدة قبل البعثة. أى وقيل الآخران ولدا فى بطن واحدة قبل لبعثة الطاهر والمطهر. وقيل ولد له أيضا قبل البعثة فى بطن واحدة الطيب والمطيب. وقيل ولد له قبل البعثة عبد مناف مات هؤلاء قبل البعثة وهم يرضعون. وأما عبدالله الذى ولد له بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فكان آخر الاولاد من خديجة رضى الله تعالى عنها. وبهذا يظهر التوقف فى قول السهيلى رحمه الله كلهم ولدوا بعد النبوة. وأجاب بعضهم بان المراد بعد ظهور دلائل النبوة وفيه أن دلائل النبوه وجدت قبل تزوجه بخديجه رضى الله تعالى عنها وعند موت عبدالله هذا قال العاص ابن وائل والد عمرو بن العاصى. وقيل أبو لهب قد انقطع ولده أى لا ولد له ذكر لان ماعدا الذكر عند العرب لا يذكر فهو أبتر فانزل الله تعالى (ان شانئك هو الابتر) أقول فى مسلم عن أنس رضى الله تعالى

عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله فقال أنزل على آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر) ولا يخفى أن هذا يقتضى أن السورة المذكورة مدنية ، ثم رأيت الامام النووى رجح ذلك لما ذكر ، وقد يقال يجوز أن يكون (ان شانئك هو الابتر) نزل بمكة وما عداه نزل بالمدينة ، وقد يعبر عن معظم السورة بالسورة ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن مما نزل دفعة واحدة سورا منها الفاتحة والاخلاص والكوثر ، ثم رأيت الامام الرافعى رحمه الله قال فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت فى تلك الاغفاءة وقالوا من الوحى ما كان يأتيه فى النوم لان رؤيا الانبياء وحى وهذا غير صحيح لكن الاشبه أن يقال القرآن كله نزل يقظة ، وكان ﷺ خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزلة عليه فى اليقظة أى قبل ذلك ، وفيه أن قوله آنفا لايناسبه قال أو يحمل الاخفاء على الحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحى ، ثم رأيت الجلال السيوطى فى الاتقان نظر فى جواب الرافعى الاول بما ذكرته واستحسن الجواب الثانى ، وفى المواهب أن العاصى بن وائل اجتمع هو ورسول الله ﷺ فى باب من أبواب المسجد فتحدثا وصناديد قريش جلوس فى المسجد ، فلما دخل العاص المسجد قالوا له من ذا الذى كنت تتحدث معه . قال ذاك الابتر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان توفى أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله تعالى عنها أى الذكور فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر، أى عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أى باغضك هو الابتر أى المقطوع عن كل خير أو المقطوع رحمه بينه و بين ولده لان الاسلام حجزهم عنه فلا توارث بينهم فلا يقال العاص وأبو لهب لهما أولاد ذكور فالاول له عمرو وهشام رضى الله تعالى عنهما والثانى له عتبة ومعتب رضى الله تعالى عنهما ، قيل وكان بين كل ولدين لخديجة سنة . وكانت رضى الله تعالى عنها تعق عن الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة وكانت تسترضع لهم . وذكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره فى قوله تعالى (يهب لمن يشاء اناثا) كلوط عليه الصلاة والسلام كان له اناث ولم يكن له ذكور (و يهب لمن يشاء الذكور) كابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه لم يكن له بنت (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) كنبينا صلى الله عليه وسلم (و يجعل من يشاء عقيما) كيحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما لم يولد لهما ولد أما زينب رضى الله تعالى عنها فتزوجها ابن خالتها هالة بفتح نحو يلد أخت خديجة شقيقتها وهو العاصى بن الربيع كما تقدم وذكر بعضهم بدل هالة هند قال وهالة صحابية وهند لا أعرف لها اسلاما . ويحتمل أن يكون أحدهما اسما والآخر لقبا فهما واحدة وفى سنة ثمان من الهجرة ، أى من ذى الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضى الله تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم معجبا بها لانها كانت بيضاء جميلة ولده ابراهيم وعق عنه صلى الله عليه وسلم بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن فى الارض ، أى وغارت نساؤه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن من ذلك ولا كعائشه رضى الله تعالى عنها حتى انه صلى الله عليه وسلم قال لها انظرى الى الشبه فقالت ما أرى شيئا فقال ألا ترى الى بياضه ولحمه وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه وسلم صفية رضى الله تعالى عنها وهبتها له صلى الله عليه وسلم وسلمى زوجة أبى رافع رضى الله تعالى عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لعمه العباس رضى الله تعالى عنه قبل ذلك وهبه له صلى الله عليه وسلم واسمه ابراهيم وكان قبطيا . وقيل غير ذلك اعتقه صلى الله عليه وسلم لما أخبره باسلام

العباس وزوجه مولاته سلمى المذكورة . وقيل كان مولى لسعيد بن العاص فورثه بنوه وهم ثمانية فاعتقوه كلهم الا ولده خالدفانه لم يعتق نصيبه منه فكلمه صلى الله عليه وسلم أن يعتق نصيبه أو يبيعه أو يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فاعتقه ، قيل بعد ان سأله صلى الله عليه وسلم أبو رافع فى ذلك و بقى عقبه من اشراف المدينة ، وكان ولده عبدالله كاتبا وخازنا لعلى كرم الله وجهه أيام خلافته فخرجت الى زوجها أبى رافع فأخبرته ان مارية قدولدت غلاما فجاء أبو رافع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره فوهب له عبدا ، وروى أبو رافع رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه واغتسل عند كل واحدة منهن غسلا ، قال أبو رافع فقلت له يارسول الله لوجعلته غسلا واحدا قال هذا أزكى وأطيب وسمى ﷺ ابنه يومئذ أى يوم ولادته وقيل سماه سابع ولادته ، ودفعه لام بردة خولة بنت المنذر بن زيد الانصارى زوجة البراء بن أوس لترضعه وأعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه فى بنى مازن وترجع به الى المدينة وكان ﷺ ينطلق اليها فيدخل البيت و يأخذه فيقبله ، ثم يرجع ، ولما احتضر جاء ﷺ فوجده فى حجر أمه فأخذه صلى الله عليه وسلم فى حجره وقال ياابراهيم انا لن نغنى عنك من الله شيئا ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال انا بك ياابراهيم لمحزونون تبكى العين و يحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهانا عن الصياح ، أى وفى لفظ تدمع العين و يحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع فان الآخر منا يتبع الاول وجدنا عليك ياابراهيم وجدا شديدا ماوجدناه . أى وفى لفظ ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وانها سبيل مأتية لحزنا عليك حزنا شديدا أشد من هذا وانا بك ياابراهيم لمحزونون . وفى لفظ وانا بفراقك ياابراهيم لمحزونون . وعن سيرين لما نزل بابراهيم الموت صرت كلما صحت أنا وأختى نهانا ﷺ عن الصياح ، أى ولما بكى ﷺ قال له أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أنت أحق من علم الله حقه قال تدمع العين وقال له ﷺ عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أولم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكنى نهيت عن صوتين أحمقين وآخرين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وصوت عند نعمة لهو وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ، وذكر انه لما مات كان صلى الله عليه وسلم مستقبلا للجبل فقال ياجبل لوكان بك مثل مابى لهدك ولكن إنا لله وانا اليه راجعون ، وصرخ أسامة رضى الله تعالى عنه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رأيتك تبكى فقال له صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان ولما مات ولد سليمان بن عبدالملك التفت الى ولى عهده عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وقال له انى أجد فى كبدى جمرة لايطفئها الا عبرة ، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اذكر الله ياأمير المؤمنين وعليك بالصبر والتفت الى وزيره رجاء فقال له رجاء اقضها ياأمير المؤمنين فما بذلك من بأس ، فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى أربا ، ثم أقبل عليهما ، فقال لولم انزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها ولذلك قيل

فى افاضة الكئيب لدمعته * مايذهب من لوعته
وفى ارساله لعبرته * مايعينه على سلوته

ومات سنة عشرة من الهجرة . واختلف فى سنه فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام : وقيل ثمانية عشر شهرا مات عند ظئره أم بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير * وفى رواية غسله الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما ورسول الله ﷺ على سرير وفى كلام ابن الاثير رحمه الله قيل ان الفضل بن العباس

رضى الله تعالى عنهما غسل ابراهيم ونزل فى قبره هو واسامة بن زيد ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر . قال الزبير ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة وهو أول قبر رش عليه الماء . وفيه انه رش على قبر عثمان بن مظعون بالماء وهو سابق على سيدنا ابراهيم كما تقدم وصلى عليه ﷺ وكبر أربعا ، أى وقيل لم يصل عليه أى لم تقع الصلاة عليه من أحد ، وفى كلام النووى رحمه الله القول بالصلاة عليه هو قول جمهور العلماء وهو الصحيح . وماجاء عن عائشة رضى الله تعالى عنهما أنه لم يصل عليه قال ابن عبد البر رحمه الله انه غلط ، فقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الاطفال اذا استهلوا عملا مستفيضا عن السلف والخلف ، وقال الامام أحمد رحمه الله فى خبر عائشة رضى الله تعالى عنها أنه خبر منكر جدا ، أى وقد صح عنه ﷺ الطفل يصلى عليه وجاء صلوا على أطفالكم فأنه من أفراطكم ، وقد جاء فى المرفوع اذا استهل المولود صلى عليه وورث وورث . وجاء « أحق ماصليتم على أطفالكم » ومن المقرر أنه اذا تعارض الاثبات والنفى قدم الاثبات على النفى ، ولما كسفت الشمس فى ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله ﷺ لاتكسف لموت أحد ولا لحياته وفى لفظ ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته الحديث . ودفن بالبقيع وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه ولقبه ﷺ قال الامام السبكى وهو غريب ، وقد احتج به بعض أئمتنا على استحباب تلقين الطفل ، وفى التتمة للمتولى من أئمتنا . والاصل فى التلقين ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دفن ابراهيم قال قل الله ربى ورسول الله أبى والاسلام دينى . فقيل له يارسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا فأنزل الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره فقال يابنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول مايسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون يابنى قل الله ربى والاسلام دينى ورسول الله أبى فبكت الصحابة رضوان الله عليهم . ومنهم عمر رضى الله عنه بكى حتى ارتفع صوته فالتفت اليه النبى ﷺ فقال مايبكيك ياعمر ، فقال يارسول الله هذا ولدك ومابلغ الحلم ولاجرى عليه القلم ويحتاج الى تلقين مثلك يلقنه التوحيد فى مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك . فبكى النبى صلى الله عليه وسلم و بكت الصحابة معه ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) يريد بذلك وقت الموت أى عند وجود الفتانين وعند السؤال فى القبر فتلا النبى ﷺ الآية فطابت الانفس وسكنت القلوب وشكروا الله . وفيه أن هذا يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم لم يلقن أحدا قبل ولده ابراهيم وهذا الحديث استند اليه من يقول بأن الاطفال يسئلون فى القبر فسن تلقينهم . وذهب جمع الى انهم لايسئلون وأن السؤال خاص بالمكلف وبه أفتى الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال والذى يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول النووى رحمه الله فى الروضة وشرح المهذب التلقين انما هو فى حق الميت المكلف ، أما الصبى ونحوه فلا يلقن ، قال الزركسى وهو مبنى على أن غير المكلف لايسئل فى قبره وذكر القرطبى رحمه الله أن الذى يقتضيه ظواهر الاخبار أن الاطفال يسئلون وأن العقل يكمل لهم . وذكر ان الاحاديث مصرحة بسؤال الكافر ، أى من هذه الامة ويخالفه قولهم حكمة السؤال تمييز المؤمن من المنافق الذى كان يظهر الاسلام فى الدنيا ، وأما الكافر الجاحد فلا يسئل قال الفاكهانى ان الملائكة لايسئلون قال بعضهم ووجهه ظاهر فان الملائكة انما يموتون عند النفخة الاولى ، أى فلم يبق منهم من يقع منه السؤال ، وأما عذاب القبر فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم

الفرق بين فتنة القبر وعذابه وهو أن الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال ، وأما العذاب فعام يكون ناشئا عن عدم جواب السؤال ويكون عن غير ذلك ، وقد اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذاك الا أن الانبياء قبل نبينا كان الواحد منهم اذا أتى أمته وأبوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب ، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث رحمة بتأخير العذاب ، ولما أعطاه الله السيف دخل فى دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله تعالى فتانى القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان فى نفس الميت فيثبت الله المسلم ويزل المنافق ، وفى بعض الآثار تكرر السؤال فى المجلس الواحد ثلاث مرات وفى بعضها أن المؤمن يسئل سبعة أيام والمنافق أربعين يوما ، أى قد يقع ذلك . وفى بعض الآثار ان فتانى القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان وفى بعضها ثلاثة أنكر ونكير ورومان وقيل أربعة منكر ونكير يكونان للمنافق ومبشر وبشير للمؤمن : ونقل الحافظ السيوطى عن شيخه الجلال البلقينى رحمهما الله ان السؤال يكون بالسريانية واستغربه وقال لم أره لغيره ، وفى كلام الحافظ السيوطى لم يثبت فى التلقين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين . ولهذا ذهب جمهور الامة الى أن التلقين بدعة وآخر من أفتى بذلك العز بن عبد السلام وانما استحسنه ابن الصلاح وتبعه النووى نظرا الى أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال وحينئذ فقول الامام السبكى حديث تلقين النبى صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له أصل ، أى صحيح أو حسن وقال صلى الله عليه وسلم فى حق ابراهيم ان له ظئرا تتم رضاعه * وفى رواية ان له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة ، وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطى وفى لفظ لاعتقت القبط وما استرق قبطى قط ، وفى لفظ مارق له خال قال بعضهم معناه لو عاش فرآه أخواله القبط لاسلموا فرحا به وتكرمة له فوضعت الجزية عنهم لانها لا توضع على مسلم ومعنى الثانى اذا أسلموا وهم أحرار لم يجر عليهم الرق لان الحر المسلم لا يجرى عليه الرق * وذكر أن الحسن بن على رضى الله عنهما كلم معاوية فى أن يضع الخراج عن أهل بلد مارية وهى حفنة بالحاء المهملة واسكان الفاء و بالنون قرية من قرى الصعيد ففعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم ، أى وقال النووى رحمه الله ، وأما ماروى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على بعض انزلات . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنه لم يظهر له وجه تأويله وهو أن القضية الشرطية لاتستلزم الوقوع ، أى وكان اللائق به أن يكون نبيا وان لم يكن ذلك ، ثم رأيت الجلال السيوطى رحمه الله نقل عن الاستاذ أبى بكر بن فورك وأقره أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره وقال يابنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول مايسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون وكنى به صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء أن جبريل عليه السلام قال له السلام عليك يا أبا ابراهيم ان الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية وأمرك أن تسميه ابراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك فى الدنيا والآخرة زاد الحافظ الدمياطى رحمه الله فاطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك * أقول وسبب اطمئنانه صلى الله عليه وسلم بذلك أن مابورا كان يأوى اليها ويأتى اليها بالماء والحطب فاتهمت به وقال المنافقون علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليا كرم الله وجهه ليقتله فقال له على كرم الله وجهه يارسول الله أقتله أو أرى فيه رأيى فقال بل ترى رأيك فيه فلما رأى

السيف بيد علي كرم الله وجهه تكشف ، وفي لفظ فاذا هو في ركي يتبرد ، فقال علي كرم الله وجهه اخرج فناوله يده فاخرجه فاذا هو مجبوب ، أي ممسوح فكف عنه علي كرم الله وجهه ورجع الى النبي ﷺ فأخبره ، فقال أصبت ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب أي وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه الصلاة والسلام المذكور ، فالمراد مزيد الاطمئنان ، وفي كلام بعضهم ان النبي ﷺ دخل على مارية رضي الله عنها وهي حامل بولده ابرهيم فوجد عندها من ذكر فوقع في نفسه شئ فخرج ﷺ وهو متغير اللون فلقيه عمر رضي الله عنه فعرف الغيظ في وجه رسول الله ﷺ فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية رضي الله عنها وهو عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه فاذا هو مجبوب فلما رآه عمر رضي الله عنه رجع الى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال ألا أخبرك ياعمر ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتاني فأخبرني ان الله برأها ونزهها مما وقع في نفسي وبشرني ان في بطنها غلاما مني وانه أشبه الخلق بي وأمرني ان أسميه ابراهيم وكناني بأبي ابراهيم ولولا أني أكره أن أحول كنيتي التي تكنيت بها لتكنيت بأبي ابراهيم والله أعلم ، أي وفي النوراني لاأعرف في الصحابة خصيا الاهذا وشخص آخر يقال له سفد رآه مولاه يقبل جارية له فخصاه وجدعه وأتى النبي ﷺ فأعتقه سيده ، وفي كلام بعضهم عد ابن منده وأبو نعيم مابورا في الصحابة وقد غلطا في ذلك فانه لم يسلم ومازال نصرانيا ، ومنه أي بسببه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله عنه

باب ذكر أعمامه وعماته ﷺ

أعمامه ﷺ اثناعشر وهم : الحرث وهو أكبر أولاد جده عبد المطلب وبه كان يكنى ، وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا . وأبو طالب . والزبير . وعبد الكعبة ، وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبي ﷺ وقيل الحرث لاشقيق له ، وحمزة وشقيقاه المقوم بفتح الواو وكسرها مشددة ، وحجل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة ، والجحل السقاء الضخم أي وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم وهو في الاصل الخلخال ، والعباس وشقيقه ضرار ، وقد تقدم ان أم العباس رضي الله عنه أول من كست الكعبة الحرير ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، والغيداق واسمه مصعب ، وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده ، أي لانه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا وذكر بعضهم في أعمامه العوام * وعماته ﷺ ست وهن : أم حكيم وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وهؤلاء الخمسة أشقاء لعبد الله والده ﷺ وصفية أي وهي شقيقة حمزة ولم يسلم من أعمامه ﷺ الذين أدركوا البعثة الا حمزة والعباس وحكي اسلام أبي طالب وقد تقدم مافيه ولم يسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف الا صفية أي وهي أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت أي وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه ، قيل وأسلمت عاتكة التي هي صاحبة الرؤيا يوم بدر ، وقيل وأروى قال بعضهم والمشهور أن عاتكة لم تسلم

باب ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم

لايخفى ان أزواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنتاعشرة امرأة . خديجة رضي الله عنها وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت أبي هالة بن زرارة التيمي ، وقيل كانت تحت عتيق بن عائذ المخزومي أولا ثم تحت أبي هالة كما تقدم وجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولانصب أي ليس فيه رفع صوت ولاتعب أي من درة مجوفة فقد جاء

انهاقالت له يارسول الله هل فى الجنة قصب ، فقال انه من لؤلؤ مجبى بالجيم و بالموحدة مشددة أى مجوف وجوزيت رضى الله عنها بهذا البيت لانها أول من بنى بيتا فى الاسلام بتزوجها برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء من كسا مسلما على عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق جزاء وفاقا ، وعن عائشة رضى الله عنها ماغرت على أحد ماغرت على خديجة رضى الله عنها ولقد هلكت قبل ان يتزوجنى رسول الله ﷺ وقالت له ﷺ يوما وقد مدح خديجة رضى الله عنها ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرا منها ، فغضب رسول الله ﷺ وقال والله ما ابدلنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها ، واتفق له ﷺ انه أرسل لحما لامرأة تناوله ﷺ ودفعه لآخر يدفعه لها ، فقالت له عائشة رضى الله عنها لم تحرز يدك (١) فقال ان خديجة أوصتنى بها ، فقالت عائشة لكأنما ليس فى الارض امرأة الا خديجة ، فقام رسول الله ﷺ مغضبا فلبث ماشاء الله ثم رجع فاذا أم رومان أم عائشة رضى الله عنهما ، فقالت يارسول الله مالك ولعائشة انها حديثة السن وأنت أحق من يتجاوز عنها فأخذ بشدق عائشة رضى الله عنها ، وقال ألست القائلة كأنما ليس على وجه الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بى اذ كفر بى قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه ، ثم سودة بنت زمعه أى وأمها من بنى النجار لانها بنت أخى سلمى بن عبد المطلب (٢) كما تقدم . ثم أم عبد الله عائشة رضى الله عنها بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما اكتنت بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم باذن من رسول الله ﷺ فى ذلك فصار يقال لها أم عبد الله كما تقدم ، وقال ﷺ لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله ، قالت فمازلت أكتنى به أى وكان يدعوها أمّا لانه رضى الله عنه تربى فى حجرها ، ويقال انها أتت منه ﷺ بسقط أى وسمى عبد الله ، قال الحافظ الدمياطى ولم يثبت كما تقدم وتزوجها ﷺ بمكة فى شوال وهى بنت سبع سنين و بنى صلى الله عليه وسلم بها وهى بنت تسع سنين أى فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم ، وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لها أرأيتك فى النوم مرتين أرى ملكا يحملك فى سرقة أى شقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف فأراك فأقول ان كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهى بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض ﷺ ورأسه فى حجرها ودفن فى بيتها كما سيأتى وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه بالبقيع ، وقيل سعيد بن زيد ودفنت به ليلا وذلك فى زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة فى خلافة معاوية وكان مروان استخلف أباهريرة رضى الله عنه لما ذهب الى العمرة فى تلك السنة ، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهى شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون ، وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة رضى الله عنه فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر ، وقيل بأحد وهو خطأ لما سيأتى من أن تزوجه صلى الله عليه وسلم لها فى

---

(١) قوله لم تحرز يدك هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها لم تحرت بذلك وليحرر

(٢) قوله لانها بنت أخى سلمى بن عبد المطلب الذى فى الزرقانى على المواهب بنت أخى سلمى بنت عمرو ابن زيد أم عبد المطلب وهى ظاهرة

شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين * أقول : وكانت ولادتها قبل النبوّة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية سنة احدى وأربعين والله أعلم ، وطلقها ﷺ وقيل فى سبب طلاقها انه صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها فاستأذنت فى زيارة أبيها أى وقيل فى زيارة عائشة لانهما كانتا متصادقتين أى بينهما المصافاة فأذن لها فأرسل رسول الله ﷺ الى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فأبصرت مارية مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له انى رأيت من كان معك فى البيت وغضبت وبكت ، أى وقالت يارسول الله لقد جئت الى بشئ ماجئت به الى أحد من نسائك فى يومى وفى بيتى وعلى فراشى فلما رأى رسول الله ﷺ فى وجهها الغيرة قال لها اسكتى فهى حرام علىّ ابتغى بذلك رضاك * وفى رواية أماترضين ان أحرمها على نفسى ولاأقربها أبدا قالت بلى وحلف أن لايقربها أى قال انها حرام * وفى رواية قد حرمتها علىّ ومع ذلك أخبرك ان أباك الخليفة من بعد أبى بكر فاكتمى على * وفى رواية قال لها لاتخبرى بما أسررت اليك فأخبرت بذلك عائشة رضى الله عنهما فقالت قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله ﷺ قد حرمها على نفسه وقصت عليها القصة ، وقيل خلا صلى الله عليه وسلم بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على قد حرمت ماريه على نفسى فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين بينهما المصافاة كما تقدم فطلقها وأنزل الله تعالى عند تحريم مارية قوله (ياأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك) الى قوله (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى أوجب عليكم كفارة كفارة أيمانكم لان الكفارة تحل ماعقدته اليمين لان هذا ليس من الأيمان أى وأطلع الله رسوله ﷺ على أن حفصة قد نبأت عائشة بما أسره اليها من أمر مارية وأمر الخلافة فلما أخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ماأسرته لها وهو أمر مارية وأعرض عما أسره اليها من أمر الخلافة خوفا أن ينتشر ذلك فى الناس قالت عائشة من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ، ومن ثم كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول والله ان خلافة أبى بكر وعمر لفى كتاب الله ثم يقرأ هذه الآية ولما أفشت حفصة رضى الله عنها سره ﷺ طلقها كما تقدم فجاءه جبريل عليه السلام يأمره بمراجعتها لانها صوامة قوامة وانها احدى زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الجنة * وفى رواية تأتى راجعها رحمة لعمر وقيل هم صلى الله عليه وسلم بتطليقها ولم يفعل فقد جاء عن عمار بن ياسر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضا عنها كما سيأتى قال فى الينبوع وهذا هو المشهور فسيأتى مايدل على صحته أى والذى سيأتى قول عمر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه يارسول الله أطلقتهن ؟ قال لا ، وفيه ان هذا كان عند طلبهن منه صلى الله عليه وسلم النفقة وهذا الواقعة غير تلك ، وقيل فى سبب نزول الآية غير ذلك ، وفى البخارى فى سبب نزول الآية عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له صلى الله عليه وسلم أكلت معافير أى أجد منك ريح مغافير فدخل على حفصة رضى الله عنها فقالت له ذلك فقال لها لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب

ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لاتخبرى بذلك أحدا أى لانه صلى الله عليه وسلم لايحب أن يظهر منه ريح كريهة لان المغافير صمغ العوسج من شجر الثمام كريه الريح ، وعن عمر رضى الله عنه ان امرأته راجعته فى شيء فأنكر عليها مراجعتها فقالت له عجبالك يا ابن الخطاب ماتريد ان تراجع وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ، فقام عمر رضى الله عنه فدخل على حفصة رضى الله عنها فقال لها يابنية انك لتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقالت له حفصة والله انا لنراجعه ، فقلت تعلمين انى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم يابنية لاتغررك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها ، يريد عائشة قال ثم دخلت على أم سلمة لقرابتى منها فكلمتها فقالت يا ابن الخطاب دخلت فى كل شيء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فأخذتنى والله أخذا كسرتنى عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها فأتانى منزلى فجاءنى صاحب لى من الانصار وأخبرنى أن رسول الله صلى عليه وسلم اعتزل نساءه فقلت رغم أنف حفصة وعائشة فأخذت ثوبى وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة له يرقى اليها بعجلة وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشربة وينحدر منها عليه وغلام له أسود يقال له رباح على رأس العجلة فقلت له قل له هذا عمر بن الخطاب فأذن لى أى بعد أن قال له يارباح استأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفى كل مرة ينظر رباح الى المشربة ولايرد له جوابا ، وفى الثالثة رفع له عمر رضى الله عنه صوته فأومأ اليه أن أرق قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت عليه القصة ، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم ويأتى ان هذا كان عند اجتماعهن عليه فى النفقة لا لأجل معاتبة الله اياه بسبب الحديث الذى أفشته حفصة ويحتمل انه لاجتماع الامرين * وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) فقال واعجبالك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة أى فان الله خاطبهما بقوله (ان تتوبا الى الله) أى فهو خير لكما (فقد صغت قلوبكما) أى مالتا عما يجب عليكما من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتغاء مرضاته ، ثم استقبل الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا للمدينة على الانصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نسائهم فصخبت على امرأتى فراجعتنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعنى ذلك منهن فدخلت على حفصة فقلت لها أتغاضب احداكن النبى ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت نعم ، فقلت قد خبت وخسرت أفتأمنين ان يغضب الله بغضب رسوله ﷺ فتهلكى لاتستكثرى النبى صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه فى شيء ولا تهجريه وسلينى مابدا لك ولايغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، يريد عائشة فأخبرت أن النبى صلى لله عليه وسلم طلق نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا ، فدخلت على حفصة فاذا هى تبكى فقلت مايبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبى صلى الله عليه وسلم قالت لاأدرى هاهو معتزل فى المشربة أى الغرفة فانه صلى الله عليه وسلم لما عاتبه الله سبحانه بسبب الحديث الذى أفشته حفصة على عائشة حلف لايدخل

على نسائه شهرا فصار ﷺ يتغدى و يتعشى وحده فى تلك المشربة فجئت المشربة فقلت لغلام أسود استأذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبى ﷺ ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك له فصمت فرجعت ثم غلبنى ما أجد فجئت الغلام ثم قلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا اذا الغلام يدعونى فقال قد أذن لك النبى صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت له وأنا قائم يارسول الله أطلقت نساءك فرفع بصره الى فقال لا فقلت الله أكبر كنا معاشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة فاذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يارسول الله لو رأيتنى ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته صلى الله عليه وسلم تبسم * وفى رواية أن عمر رضى الله عنه لما بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم طلق حفصة حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم من الغد وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضا فلا ينافى ما تقدم انه لم يطلقها وانما أراد ذلك ، ويدل له ما جاء عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أنه ﷺ أراد ان يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة ، ومن هذا وما يأتى يعلم أنه ﷺ آلى من نسائه وأما الظهار فلم يظاهر أبدا خلافا لمن زعمه أى وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب اعتزاله ﷺ لنسائه فى المشربة انه شجر بين النبى صلى الله عليه وسلم و بين حفصة أمر فقال لها اجعلى بينى و بينك رجلا قالت نعم قال فأبوك اذن فارسلت الى عمر فجاء فلما دخل عليهما قال لها النبى ﷺ تكلمى فقالت بل أنت يارسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر رضى الله عنه يده فوجأها فى وجهها فقال له النبى ﷺ كف ياعمر فقال عمر ياعدوة الله النبى ﷺ لا يقول الا الحق والذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدى حتى تموتى فقام النبى ﷺ فصعد الى العرفة فمكث فيها شهرا لا يعرف شيئا من نسائه ونزلت آية التخيير ، ويقال لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ، ويروى ان سبب نزول آية التخيير أن نساءه ﷺ اجتمعن عليه فسألنه النفقة ولم يكن عنده شئ فآلى أن لا يجتمع بهن شهرا وصعد المشربة الحديث . وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال جاء أبو بكر يستأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ليؤذن لهم قال فأذن لأبى بكر رضى الله عنه فدخل ثم أقبل عمر ماشيا فأذن له فدخل فوجد النبى ﷺ حوله نساؤه أى قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضى الله عنه لاقولن شيئا أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لو رأيت فلانة يعنى زوجته سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر رضى الله عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر رضى الله عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله ﷺ ماليس عنده ثم أقسم رسول الله ﷺ أن لا يجتمع بهن شهرا * وفى رواية أخرى عن عمر

رضى الله عنه انه ذكر أن بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا فدق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا ؟ أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ودخلت على حفصة وهى تبكى فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاأدرى هو هذا معتزلا فى هذه المشربة أى لان نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه صلى الله عليه وسلم فى طلب النفقة أقسم أن لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن ، قال عمر رضى الله عنه لأقولن من الكلام شيئا أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له صلى الله عليه وسلم أسود فقلت له استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قايلا ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ، فلما كان فى المرة الرابعة وقال لى مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه فقلت أطلقت يارسول الله نساءك قال فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر ، ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعنى زوجته فراجعتنى فانكرت عليها فقالت تنكر أن راجعتك فوالله لقد رأيت أزواج النبى ﷺ يراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل ، فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أتأمن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل ، فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتراجعين رسول صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسلينى مابدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعنى عائشة رضى الله تعالى عنها فتبسم أخرى فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم فجلست وقلت يارسول الله قد أثر فى جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى ﷺ جالسا وقال أفى شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يارسول الله ، فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه فى قوله تعالى (ياأيها النبى قل لأزواجك) الآية فنزل ودخل على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت له يارسول الله أقسمت أن لاتدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن فقال صلى الله عليه وسلم ان الشهر تسع وعشرون وفى رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفى الثالثة حبس ابهامه ثم قال ﷺ ياعائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لاتعجلى وفى رواية انى أعرض عليك أمرا وأحب أن لاتعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك قالت وماهو يارسول الله فقرأ على (ياأيها النبى قل لأزواجك) الآيه قلت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، وفى رواية أفيك يارسول الله أستشير أبوى بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت رضى الله تعالى عنها ثم قلت له لاتخبر امرأة من نسائك بالذى قلت لك فقال صلى الله عليه وسلم لاتسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا ثم

فعل بقية أزاجه صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن * ثم زينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها وهي أخت ميمونة لأمها كانت تدعى أي في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم أي كما سمى صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بأبي المساكين لحبه لهم وجلوسه عندهم وتحدثه معهم واحسانه اليهم رضي الله تعالى عنه كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحرث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أي وذلك على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهر وفي لفظ أن عبيدة بن الحرث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله ﷺ وفي لفظ انها كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وهو أصح وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ عروسا بزينب فعمدت أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت ياأنس اذهب بهذا الى رسول الله ﷺ فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام ، فقال ﷺ ادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله ، قيل لأنس ماعددهم قال كانوا ثلثمائة فرأيت النبي ﷺ وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عنده عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال ﷺ لي ياأنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت ، فمكثت عنده ﷺ ثمانية أشهر وقيل شهران أوثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أونحوها ، ولم يمت من أزواجه صلى الله عليه وسلم في حياته الا هي وخديجة رضي الله تعالى عنهما . ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد زينب هذه أم سلمة ، واسمها هند وكانت قبله ﷺ عند أبي سلمة رضي الله تعالى عنه عبد الله بن عبد الاسد ابن عمته ﷺ برة بنت عبد المطلب وأخوه ﷺ من الرضاعة وكانت هي وهو أول من هاجر الى الحبشة على ماتقدم ، فلما مات أبو سلمه رضي الله تعالى عنه قال لها رسول الله ﷺ سلى الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكن خيرا من أبي سلمة ، ولما اعتدت أم سلمة رضي الله تعالى عنها أرسل ﷺ يخطبها مع حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه أي وكان خطبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأبت وخطبها عمر فابت فلما جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له اني امرأة مسنة واني أم أيتام أي لانها رضي الله تعالى عنها كان معها أربع بنات : برة وسلمة وعمرة ودرة ، واني شديدة الغيرة فارسل صلى الله عليه وسلم يقول لها أما قولك اني امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة أن تتزوج أسن منها وأما قولك اني أم أيتام فان كلهم على الله وعلى رسوله وأما قولك اني شديدة الغيرة فاني أدعو الله أن يذهب ذلك عنك أي وفيه انهم قالوا يارسول الله ألا تتزوج من نساء الانصار ، قال ان فيهن غيرة شديدة وفي لفظ أنها قالت زيادة على ما تقدم ليس لي ههنا أحد من أوليائي فيزوجني فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أما ماذكرت من غيرتك فاني أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ماذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم ، وأما ماذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول

الله ﷺ فزوجه أي على متاع منه رحى وجفنة وفراش حشوه ليف وقيمة ذلك المتاع عشرة دراهم وقيل أربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله ﷺ وأدخلني بيت زينب أم المساكين رضي الله تعالى عنها بعد أن ماتت فاذا جرة فيها شيء من شعير واذا رحى وبرمة وقدر وكعب أي ظرف الأدم ، فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه وماتت أم سلمة رضي الله تعالى عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وقيل سعيد بن زيد غلط قائله ، وذكر بعضهم أن تزويج ولدها لها رضي الله تعالى عنهما انما كان بالعصوبة لانه كان ابن ابن عمها . ثم تزوج ﷺ بعد أم سلمة رضي الله تعالى عنها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وكان اسمها برة فسماها ﷺ زينب أي خشي أن يقال خرج من عند برة ، وهي بنت عمته ﷺ أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله ﷺ عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجه الله إياها أي لانه ﷺ أرسل زيد بن حارثة يخطبها له صلى الله عليه وسلم قال زيد فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يازينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لأحدث شيئا حتى أؤامر ربي عز وجل فأنزل الله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) فدخل عليها رسول الله ﷺ بغير اذن فكانت رضي الله تعالى عنها تفتخر بذلك على نسائه ﷺ وتقول ان الله أنكحني اياه من فوق سبع سموات ، وهذا يرد ماقيل ان أخاها أبا أحمد بن جحش زوجها منه ﷺ قال في النور ويمكن تأويل تزويج أخيها اياها أي وقد ذكر مقاتل رحمه الله ان زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي ﷺ وقال يارسول الله اخطب علي قال له من ؟ قال زينب بنت جحش قال لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نفسا فقال يارسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علي فعلت فقال ﷺ انها امرأة لسناء ، فذهب زيد رضي الله تعالى عنه الى علي كرم الله وجهه فحمله على أن يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك ياعلي الى أهلها فتكلمهم ففعل ثم عاد يخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبي ﷺ يقول قد رضيته لكم وأقضي أن تنكحوه فأنكحوه وساق لهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله ﷺ وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما أي وتزوجها ﷺ هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة ، وقيل نزلت في ذلك اليوم آية الحجاب فانه ﷺ لما دعا القوم وطعموا تهيأ ﷺ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل فاذا القوم جلوس فلم يدخل فانزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي) الآية وتكلم في ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الاولاد وقد تزوج امرأة ابنه أي لان زيد بن حارثة كان يقال له زيد بن محمد أي لانه ﷺ كان تبناه كما تقدم فأنزل الله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وأنزل (ادعوهم لآبائهم) فمن حينئذ كان يقال له رضي الله تعالى

عنه زيد بن حارثة كما تقدم ، وهي أول نسائه ﷺ لحوقا به ماتت رضي الله تعالى عنها بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، أي فان عمر رضي الله تعالى عنه أرسل الى زينب رضي الله تعالى عنها بالذي لها من العطاء فسترته بثوب وأمرت بتفرقته فكان خمسة وثمانين درهما ، ثم قالت اللهم لاتدركني عاما لعمر بعد عامي هذا فماتت . وهي أول من جعل على نعشها قبة ، أي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها فلا يخالف ماسبق مما ظاهره أنه فعل لها ذلك . وفي كلام بعضهم أن زينب هذه أول من حمل على نعش ، وقيل أول من حمل على نعش فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في حقها هي التي كانت تساويني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ومارأيت امرأة قط خيرا في الدين وأتقى لله وأصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب رضي الله تعالى عنها * وقال ﷺ في حقها انها لأواهة ؟ فقال رجل يارسول الله ماالأواه ، قال الخاشع المتضرع ، وهي أول نسائه ﷺ لحوقا به كما تقدم ، وقال له صلى الله عليه وسلم بعض نسائه أينا أسرع بك لحوقا . قال أطولكن يدا فأخذن قصبة يذرعنها . وفي لفظ عن عائشة رضي الله تعالى عنها فكنا اذا اجتمعنا في بيت احدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فكانت سودة رضي الله تعالى عنها أطولهن . فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها ، أي وكانت امرأة قصيرة علموا أن المراد بطول اليد الصدقة لانها كانت تعمل وتتصدق لا الجارحة ، ومافي البخاري من أنها سودة . قال ابن الجوزي غلط من بعض الرواة والعجب من البخاري رحمه الله كيف لم ينبه عليه ولا علم بفساد ذلك الخطأ فانه قال لحوق سودة به ﷺ من اعلام النبوة وكل ذلك وهم وانما هي زينب فانها كانت أطولهن يدا بالعطاء ، وجمع الطيبي رحمه الله بأنه يمكن أن يقال ان سودة رضي الله تعالى عنها أول نسائه صلى الله عليه وسلم موتا التي اجتمعن عند موته ، وكانت زينب رضي الله تعالى عنها غائبة ، وفيه أن في رواية أن نساء النبي ﷺ اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة ، أي فقد قال له بعضهن ، وفي لفظ قلن له أينا أسرع لحوقا بك يارسول الله . وقد قال الامام النووي أجمع أهل السير على أن زينب رضي الله تعالى عنها أول من مات من أزواجه ﷺ بعده * ثم جويرية رضي الله تعالى عنها بنت الحارث من بني المصطلق سبيت في غزوة بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها . وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها رسول الله ﷺ كما تقدم ، وقيل انها كانت بملك اليمين فاعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية ، أي لما تقدم وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسافع بن صفوان ، وتقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يكاد يراها أحد الا وقعت بنفسه . وكانت بنت عشرين سنة ، أي وتوفيت في المدينة سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم . وهو والي المدينة يومئذ وقد بلغت سبعين سنة . وقيل خمسا وستين سنة * ثم ريحانة بنت يزيد من بني النضير . وقيل من بني قريظة ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند رجل من بني قريظة ، يقال له الحكم . قال الحافظ الدمياطي رحمه الله ولذلك ينسبها بعض الرواة الى بني قريظة وكانت جميلة وسيمة وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفي رسول الله ﷺ نخيرها

رسول الله ﷺ بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فأعتقها وتزوّجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا ، وقيل كانت موطوءة له صلى الله عليه وسلم بملك اليمين ، أى فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها ويتزوّجها وبين أن تكون فى ملكه ، وعليه فتكون من السرارى لامن الزوجات . قال الحافظ الدمياطى والاوّل ، أى أنها زوجة أثبت عند أهل العلم . وقال العراقى ان الثانى ، أى كونها سرية أضبط ، ودخل بها صلى الله عليه وسلم بعد أن حاضت حيضة ، أى وذلك فى بيت أمّ المنذر سلمى بنت قيس النجارية سنة ست من الهجرة وغارت عليه صلى الله عليه وسلم غيرة شديدة فطلقها فأكثرت البكاء فراجعها صلى الله عليه وسلم ، وهذا مؤيد للقول بأنها كانت زوجة . قيل ماتت مرجعه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ودفنها بالبقيع * ثم أم حبيبة رضى الله عنها ، وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنهما ، وهى بنت عمة عثمان بن عفان هاجرت مع زوجها عبيدالله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى ، وهى ربيبة رسول الله ﷺ ، وكانت فى حجره رضى الله تعالى عنها وتنصر عبيد الله ابن جحش هناك وثبتت هى على الاسلام رضى الله تعالى عنها . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله فزوّجه صلى الله عليه وسلم إياها وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، أى والذى تولى عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاصى على الاصح وكانه فى ذلك ، وهو ابن عم أبيها . وقيل الذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وقيل كان الصداق أربعة آلاف درهم ، وجهزها النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فى سنة سبع . وقيل تزوّجها رسول الله ﷺ بالمدينة ، وعليه يحمل ما فى كلام العامرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جدد نكاح أمّ حبيبة رضى الله تعالى عنها بنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنه تطيبا لخاطره * ثم صفية رضى الله تعالى عنها بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة كما تقدم . وكانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق وقتل عمها يوم خيبر ، وتقدمت قصة قتله فى خيبر ولم تلد لأحد منهما واصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوّجها وجعل عتقها صداقها لانه لما جمع سبى خيبر جاءه دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه . فقال يارسول الله أعطنى جارية من السبى ، فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية رضى الله تعالى عنها . فقيل يارسول الله انها سيدة بنى قريظة والنضير لاتصلح الا لك ، فقال له النبى ﷺ خذ جارية من السبى غيرها فجبها وجهزتها له أمّ سليم رضى الله تعالى عنها وأهدتها له من الليل . وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة ، فأولم ﷺ عليها بتمر وسويق ، وفى لفظ لما أصبح ﷺ قال من كان عنده شئ فليجئ به فبسط نطعا فجعل الرجل يأتى بالأقط وجعل الرجل يأتى بالتمر وجعل الرجل يأتى بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله ﷺ ، وعن أنس قال كانت صفية عاقلة فاضلة ، ودخل عليها صلى الله عليه وسلم يوما وهى تبكى . فقال لها فى ذلك فقالت قد بلغنى أن عائشة وحفصة ينالان منى ويقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولى لهن كيف تكنّ خيرا منى وأبى هرون وعمى موسى عليهما الصلاة والسلام وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم ، أى فهى بنت نبى وزوج نبى ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرا فى وجهها فسألها عن ذلك . فقالت

رأيت

رأيت كأن القمر وقع فى حجرى فذكرت ذلك لأبى . وتقدم فى رواية أنها ذكرت ذلك لزوجها كنانة فضرب وجهى ضربة أثرت فى هذا الاثر ، وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب ولا مانع من تعدد الواقعة . فقد قال فى النور لعلهما فعلا بها ذلك ، وتقدم فى رواية أنها رأت الشمس وقعت على صدرها ، وتقدم أنه يجوز تعدد الرؤيا أو أنها رأت الشمس والقمر فى وقت واحد ، وفى زمن خلافة عمر رضى الله عنه أتت جارية لها الى عمر رضى الله عنه . فقالت له يا أمير المؤمنين ان صفية تحب السبت وتصل اليهود فسألها عمر رضى الله عنه . فقالت أما السبت فانى لا أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة . وأما اليهود فان لى فيهم رحما فانا أصلها ، ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت . قالت الشيطان قالت اذهبي فانت حرة . قال الحافظ الدمياطى رحمه الله : ماتت فى رمضان سنة خمسين . وقيل سنة اثنتين وخمسين ، ودفنت بالبقيع ، وخلفت ماقيمته مائة ألف درهم من أرض وعرض . وأوصت لابن أختها بثلثها وكان يهوديا * وذكر الرافعى رحمه الله عن إمامنا الشافعى رضى الله عنه أنها أوصت لأخيها ، وكان يهوديا بثلاثين ألفا ، أى وهذا لا يعارض ما ذكر لانه يجوز أن يكون من روى عنه إمامنا لم يعتبر مازاد على الثلاثين الذى هو تتمة الثلث ، وهو ثلاثة وثلث لان ثلث المائة ثلاثة وثلاثون وثلث أو ان القائل أوصت بثلثها تجوز وأطلق على الثلاثين ثلثا * ثم ميمونة رضى الله عنها بنت الحرث ، وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة زوجها له صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه ، وهى خالة ابنه عبدالله بن عباس وأختها أسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وكانت فى الجاهلية عند مسعود بن عمرو ففارقها فخلف عليها أبو رهم فتوفى عنها فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، أى كما عليه جمهور علماء المدينة فى عمرة القضاء ، وفى الهدى يشبه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم خلافا لابن عباس ووهمه فى ذلك قال لان السفير بينهما فى النكاح ، وهو أبو رافع أعلم بالقصة وهو رجل بالغ ، وابن عباس كان سنه نحو عشر سنين . قال ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم ، وكان ذلك سنة سبع . وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا و بنى بها بسرف بعد أن أحل على ما تقدم . وماتت سنة إحدى وخمسين على الاصح وبلغت ثمانين سنة ، ودفنت بسرف الذى هو محل الدخول بها * والحاصل أن جملة من خطبه صلى الله عليه وسلم من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضا منه من دخل به ومنه من لم يدخل به ، وفى لفظ جملة من عقد عليه ثلاث وعشرون امرأة ، والذى دخل به منهن اثنتا عشرة . فمن غير المدخول بها غزية ، وهى أم شريك العامرية وهذه قبل دخوله بها طلقها ولم يراجعها ، وهناك أم شريك السامية أخرى وهى خولة أو خويلة ولم يدخل بها ، وهناك أم شريك ثالثة وهى الغفارية ، وأم شريك رابعة وهى الانصارية . واختلف فى الواهبة نفسها . فقيل ميمونة ، وقيل أم شريك غزية ، وقيل أم شريك خولة التى لم يدخل بها ورجح القول الثانى الحصنى حيث اقتصر عليه فى كتاب المؤمنات . فقال ومنهن أم شريك ، واسمها غزية ، وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقبلها على ماقاله الاكثرون فلم تزوج حتى مات عليه الصلاة والسلام . قال ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى قلب أم شريك الاسلام وهى بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للاسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لاهل مكة فأخذوها ، وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا نسيرك اليهم . قالت فحملونى على بعير ليس تحتى

شئ ثم تركونى ثلاثا لايطعمونى ولايسقونى ، وكانوا اذا نزلوا منزلا أوقفونى فى الشمس واستظلوا فبيناهم قد نزلوا منزلا وأوقفونى فى الشمس اذا أنا بأبرد شئ على صدرى فتناولته فاذاهو دلو من ماء فشربت قليلا ثم نزع منى ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع مرارا فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى فلما استيقظوا اذاهم بأثر الماء على ثيابى فقالوا انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لاوالله ولكنه كان من الامر كذا وكذا فقالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا الى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فاسلموا عند ذلك وأقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها . قال وفى ذلك ان من صدق فى حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب هذا كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرجأ من نسائه خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة وآوى اليه أربعا عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة ، وهؤلاء التسعة مات عنهن صلى الله عليه وسلم . وقد نظمهن بعضهم قال

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ومن جملة اللاتى لم يدخل به النبي صلى الله عليه وسلم التى ماتت من الفرح لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم تزوج بها وهى عز أخت دحية الكلبى رضى الله تعالى عنهما التى ماتت قبل دخوله بها ومن جملتهن سودة القرشية التى خطبها صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة . وقيل ستة فقال لها خيرا ، ومن جملتهن التى تعوذت منه صلى الله عليه وسلم فقالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله منى . وفى لفظ عذت بعظيم وفى لفظ عائذ الله . وفى كلام بعضهم أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبهن عليه لجمالها فقلن لها انه صلى الله عليه وسلم يعجبه اذا دنا منك أن تقولى له أعوذ بالله منك فلما دنا منها قالت أعوذ بالله منك . وفى رواية قلن لها ان أردت أن تحظى عنده فتعوذى بالله منه فلما دخل عليها قالت له أعوذ بالله منك فصرف صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال ماتقدم وطلقها وأمر أسامة رضى الله تعالى عنه فمتعها بثلاثة أثواب ، وفى لفظ أتى أبو أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية أى أسماء بنت النعمان بن أبى الجون الكندية فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت تعال أنت . وفى رواية فقال هبى نفسك فقالت تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى صلى الله عليه وسلم بيده اليها لتسكت فقالت أعوذ بالله منك قال عذت بمعاذ فخرج فقال ياأبا أسيد اكسها رازقيين وألحقها بأهلها وهذا هو المشهور . وروى هذا الخبر عن أسيد بن أبى أسيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة يتزوجها من بلجون أى من بنى الجون فجئت بها فأنزلتها بالشعب فى أجم ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله جئتك بأهلك فأتاها صلى الله عليه وسلم فأهوى اليها ليقبلها فقالت أعوذ بالله منك الحديث ، ومن جملتهن التى اختارت الدنيا . وقيل التى كانت تلتقط البعر هى المستعيذة منه ، ومن جملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة فوق بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندى زوجه اياها أخوها وهى بحضرموت ومات صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليه ، وأوصى صلى الله عليه وسلم بأن تخير فان شاءت ضرب

عليها

عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وان شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبي جهل رضى الله تعالى عنه بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ماهي من أمهات المؤمنين مادخل بها صلى الله عليه وسلم ولاضرب عليها الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم ماتزوجت شيئا من نسائي ولا زوّجت شيئا من بناتي الابوحي جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام من ربي عزوجل). أي وعنه ﷺ أن خديجة رضى الله تعالى عنها تزوّجها قبل نزول الوحي أي وقد ألف في أزواجه ﷺ الحافظ السمياطي جزأ فليطلب وكذا ألف فيهن الشمس الشامي * وأماسراريه ﷺ فأربع مارية القبطية أم ولده سيدنا ابراهيم ، وريحانة على ماتقدم ، وجارية وهبتها له ﷺ زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها ، وأخرى اسمها زليخة القرظية

باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله عليه وسلم من الاحرار

فمن الرجال أنس بن مالك الانصارى رضى الله تعالى عنه كان من أخص خدامه ﷺ خدمه من حين قدم المدينة الى وفاته ﷺ عشر سنين كما تقدم ، فعن أنس رضى الله تعالى عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبوطلحة يعني زوج أمه بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته ﷺ في السفر والحضر وتقدم في بعض الروايات ان ابتداء خدمته له صلى الله عليه وسلم كان عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ، ومات وقد جاوز المائة ، وعبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه كان صاحب سواكه ونعله صلى الله عليه وسلم اذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه اياهما فاذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وكان رضى الله تعالى عنه يمشي بالعصا أمامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الحجرة ، أي ومعيقيب الرومى رضى الله تعالى عنه كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم ، وعقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه كان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودها في الاسفار وكان عالما بكتاب الله عز وجل وبالفرائض فصيحا شاعرا مفهما . ويأتي أنه ولي مصر لمعاوية رضى الله تعالى عنهما وتوفي بها وصرف عنها بمسلمة بن مخلد رضى الله تعالى عنه ، وأسقع بن شريك صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان رضى الله تعالى عنه يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم ، وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم ياأسقع قم فارحل فقال يارسول الله أصابتني جنابة ولاماء فسكت صلى الله عليه وسلم وجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بآية التيمم فقال رسول الله ﷺ قم ياأسقع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت وتيممت ، ثم رحلت له ﷺ ، ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى مر بماء فقال لي ياأسقع أمس هذا جلدك ، وتقدم أن سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة رضى الله تعالى عنها في بعض الغزوات . وبلال مؤذنه صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله تعالى عنه على نفقاته وهو مولى أبي بكر رضى الله تعالى عنه أي لانه الذي اشتراه وهو يعذب في الله وأعتقه كما تقدم . ومن النساء أمة الله بنت رزينة وخولة ومارية أم الرباب ومارية جدة المثنى بن صالح وفيل التي قبلها

باب ذكر المشاهير من مواليه ﷺ الذين أعتقهم

فمن الرجال زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما كما تقدم أن خديجة رضى الله تعالى عنها وهبته له

صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه ﷺ وكان يقال له ابن محمد فلما نزل (أدعوهم لآبائهم) أى وقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) الآية قيل له زيد بن حارثة كما تقدم ، وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة وأخو أسامة لامه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية رضى الله تعالى عنهم وأبو رافع كان قبطيا وكان للعباس رضى الله تعالى عنهما فوهبه للنبى ﷺ ، ولما أسلم العباس و بشر أبو رافع رضى الله تعالى عنه النبى ﷺ باسلام العباس أعتقه ، وشقران كان حبشيا . وقيل فارسيا : وكان لعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فوهبه للنبى ﷺ ، وثوبان وأنجشة اشتراه ﷺ منصرفه من الحديبية وأعتقه . وكان رضى الله تعالى عنه يحدو بالنساء قال له ﷺ وقد حدا بهن رويدا رويدا يا أنجشة : رفقا بالقوارير . يعنى النساء لان الحداء اذا سمعته الابل أسرعت فى المشى فتزعج الراكب والنساء يضعفن من شدة الحركة ، وشبههن ﷺ فى ضعفهن بالقوارير وهى الاوانى من الزجاج ، ورباح كان أسود ، و يسار كان نوبيا على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذى قتله العرنيون . وقد تقدم ان هذا غير يسار الذى كان دليلا لسرية غالب بن عبد الله الليثى الى الميفعة . وسفينة : وكان أسود وكان لأم سلمة رضى الله تعالى عنها زوج النبى ﷺ فأعتقته واشترطت عليه ان يخدم رسول الله ﷺ ماعاش وكان اسمه بهران . وقيل رومان . وقيل غير ذلك ، وانما سماه رسول الله ﷺ سفينة لانه حمل أمتعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثقلت عليهم ، فقال له رسول الله ﷺ احمل فانما أنت سفينة قال رضى الله تعالى عنه فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين الى ان عد سبعة ماثقل على . وقيل لانه انكسرت به السفينة فى البحر فركب لوحا من ألواحها فنجا . وذكر ان البحر ألقاه على أجة سبع فأقبل نحوه . فقال له يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله ﷺ فجاء الى وضربنى بمنكبيه ثم مشى أمامى حتى أقامنى على الطريق ثم همهم وضربنى بذنبه فرأيت انه يودعنى . وقيل انما وقع له ذلك لما أضل الجيش الذى كان فيه بأرض الروم ، وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ، أى لانه ﷺ هو الذى أدى عنه نجوم كتابته وفى كونه كان رقيقا ماتقدم . أى والخصى الذى أهداه له المقوقس الذى هو مابور المتقدم ذكره وآخر يقال له سندر . وفى كلام بعضهم أعتق رسول الله ﷺ فى مرضه أربعين رقبة ، ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين التى أهديت له ﷺ مع مارية ، أى وتقدم أنها أختها . وذكر بعضهم أن سيرين هذه وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه . وتقدم أن المقوقس أهدى معهما قنبر وأنها أخت مارية وسيرين فهن الثلاث أخوات : وتقدم انه أهدى اليه ﷺ رابعة

باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم

* فقد ذكر بعضهم أن كتابه ﷺ كانوا ستة وعشرين كاتبا على ماثبت عن جماعة من ثقات العلماء وفى السيرة للعراقى انهم كانوا اثنين وأربعين منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى وهو أول من كتب له ﷺ من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملى على عزيز حكيم ، فأقول أو عليم حكيم ، فيقول نعم كل صواب ، وفى لفظ كان يقول لى اكتب كذا فأقول أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ونزل فيه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى ثم لما كان يوم الفتح وأمر ﷺ بقتله فر الى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لانه كان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه عثمان رضى الله تعالى عنه ثم جاء به بعد ما اطمأن الناس واستأمن له رسول الله ﷺ فصمت رسول الله ﷺ طويلا

ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبي ﷺ لمن حوله ماصمت عنه الالتقتلوه الى آخر ماتقدم ، ثم أسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى ان يختم عمره بالصلاة فمات ساجدا فى صلاة الصبح . وقيل بعد التسليمة الأولى . وقيل الثانية ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنهم . أى وعبدالله بن الارقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم ، قال عمر فى حقه مارأيت أخشى لله منه ، وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنه وهو أول من كتب له ﷺ من الانصار بالمدينة كان فى أغلب أحواله يكتب الوحى وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون فى عهده عليه الصلاة والسلام ، وثابت بن قيس بن شماس ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان أى وأخوه يزيد ، قال بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ملازمين للكتابة بين يدى رسول الله ﷺ فى الوحى وغيره لاعمل لهما غير ذلك ، قال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم بالسريانية ، قال انى لا آمن يهود على كتابى فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له ﷺ اليهم وأقرأ له كتبهم ، والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمى وعمرو بن العاصى وعبدالله بن رواحة . أى ومحمد بن مسلمة وعبدالله بن عبدالله بن أبى ابن سلول

باب يذكر فيه حراسه ﷺ قبل أن ينزل عليه قوله تعالى (والله يعصمك من الناس)

سعد بن معاذ حرسه ﷺ ليلة يوم بدر ، أى الليلة التى صبيحتها ذلك اليوم وفى ذلك اليوم لم يحرسه ﷺ الا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه شاهرا سيفه حين نام بالعريش ، وفى كلام بعضهم أن سعد ابن معاذ رضى الله تعالى عنه كان مع أبى بكر رضى الله عنه فى العريش يحرسانه . ﷺ فى بدر ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه حرسه ﷺ يوم أحد والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه حرسه ﷺ يوم الخندق ، والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه حرسه يوم الحديبية ، وأبو أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه حرسه ﷺ ليلة بنى بصفية ببعض طرق خيبر ، وبلال وسعد بن أبى وقاص وذكوان بن عبد قيس رضى الله عنهم حرسوه ﷺ بوادى القرى ، أى وحرسه ﷺ ابن أبى مرثد الغنوى فى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة حنين حيث قال ﷺ ألارجل يحرسنا الليلة : فقال أنا يارسول الله فدعا له ﷺ وبعد نزول الآية وهى (والله يعصمك من الناس) ترك الحرس

باب يذكر فيه من ولى السوق فى زمنه صلى الله عليه وسلم

وتصدق هذه الولاية الآن بالحسبة ومتوليها بالمحتسب كان رسول الله ﷺ استعمل سعد بن سعيد بن العاصى بعد الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على سوق المدينة

باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه وسلم

منهم نعيمان كان ﷺ اذا نظر الى نعيمان لايتمالك نفسه ان يضحك لانه كان مزاحا ، وتقدم عنه ويأتى أيضا ماوقع بينه وبين سليط أوسويبط ، ومنهم الذى كان يحده فى الخمر واسمه عبدالله ويلقب بالحمار

باب يذكر فيه أمناء رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه كان أمين رسول الله ﷺ على نسائه ، وكذا أبو أسد ابن أسيد الساعدي كان أمينه ﷺ على نسائه وهو آخر من مات من أهل بدر رضي الله تعالى عنهم وكان ممن أبصر الملائكة يوم بدر وكف بصره ، و بلال المؤذن رضي الله تعالى عنه كان أمينه ﷺ على نفقاته ومعيقيب كان أمينه ﷺ على خاتمه الشريف

باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عايه وسلم

الذين كانوا يناضلون عنه بشعرهم و يهجون كفار قريش ، حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب ابن مالك رضي الله تعالى عنهم أجمعين

باب يذكر فيه من كان يضرب الاعناق بين يديه ﷺ

وهم علي كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنهم وعاصم بن ثابت ، أي والضحاك ابن سفيان رضي الله تعالى عنه * ولعل المراد من كان يتكرر منه ذلك فلا ينافي ما تقدم في قصة الحرث ابن سويد انه قال لعويمر بن ساعدة رضي الله تعالى عنه اضرب عنقه

باب يذكر فيه مؤذنوه صلى الله عليه وسلم

وهم بلال وابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنهما بالمدينة ، وسعد القرظ مولى عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما بقباء وقيل له القرظ لاتجاره فيه ، ومن قال القرظي فقد أخطأ ، وأبو محذورة رضي الله تعالى عنه بمكة أي وأذن بين يديه صلى الله عليه وسلم زياد بن الحرث الصدائي كما تقدم ، وقد يقال مراد الاصل من تكرر أذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبدالعزيز بن الاصم فانه أذن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة

باب يذكر فيه العشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم

وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وقد نظم ذلك بعضهم في بيت ، فقال

لقد بشرت بعد النبي محمد * بجنة عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر * وطلحة والزهري والخلفاء

أي وربما أسقط بعضهم أباعبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وهو غريب جدا

باب يذكر فيه حواريوه صلى الله عليه وسلم

بالحاء المهملة أي أنصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفاء الاربعة وحمزة وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وهو أكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند اطلاق حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

(باب يذكر فيه سلاحه صلى الله عليه وسلم)

كان له صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدروع سبعة ومن القسي ستة ومن الأتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ومن الحراب ثلاثة ومن الخوذ اثنان ، فأما السيوف ، فسيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ثم ثاء مثلثة ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقدم به المدينة أي ويقال انه من عمل الجن وسيف يقال له العضب أي القاطع أرسل به اليه سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم ، الى بدر ، وسيف يقال له ذو الفقار ، كان في وسطه مثل فقرات الظهر غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كان للعاص بن وائل قتل يوم بدر كافرا وكانت قائمته وقبيعته بفتح القاف وكسر الموحدة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته باسكان اللام وفتحها وعلاقته بكسر العين فضة ، وكان لا يفارقه ﷺ في حرب من الحروب ويقال ان أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة ، وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة واسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معد يكرب ، أهداه صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعد بن العاص حيث استعمله صلى الله عليه وسلم على اليمن وسيف يقال له القلعي بفتح اللام نسبة الى برج القلعة موضع بالبادية ، وسيف يقال له الحيف بفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو الموت وهذه الثلاثة من سلاح بني قينقاع مثلث النون ، وسيف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم موحدة أي يرسب ويستقر في الضربة وهو أحد السيوف التسعة التي أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام ، وسيف يقال له المخذم بكسر الميم ، ثم خاء ساكنة ثم ذال معجمة مفتوحة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طي الذي يقال له الفلس ، وسيف يقال له القضيب من قضب الشئ قطعه فعيل بمعنى فاعل أي قاطع * وأما الدروع فدرع يقال لها ذات الفضول بضم الفاء وبالضاد المعجمة لطولها ، أرسل بها اليه ﷺ سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه حين سار الى بدر أي وكانت من حديد وهي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من الشعير وكان الدين الى سنة ، ودرع يقال لها ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة مخففة وفي آخره حاء مهملة ، ودرع يقال لها ذات الحواشي ، ودرع يقال لها السفرية بالفاء والسفر موضع يصنع به الدروع قال في النور والذي أحفظه في هذه الدرع السغدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة مفتوحة ، ودرع يقال لها الفضة ويقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بني قينقاع يقال أنها درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت كما تقدم ودرع يقال لها البتراء بفتح الموحدة ، ثم مثناة فوق ساكنة ممدودة . قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخاء المعجمة مكسورة ، ثم راء ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف ، قيل لها ذلك لنعومتها * وأما القسي فقوس يقال لها البيضاء من شوحط وهو من شجرة الجبال يتخذ منه القسي وهو من سلاح بني قينقاع . وقوس يقال لها الروحاء ، وقوس يقال لها الصفراء من نبع وهو شجر يتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام كسرت يوم أحد ، وقوس يقال لها الزوراء ويقال لها الكتوم لانخفاض صوتها اذا رمي عنها ، قيل وهي التي اندقت سيتها يوم أحد ، أي وقوس يقال لها السداد * وأما الأتراس فترس يقال لها الزلوق لان السلاح يزلق عنه ، وترس يقال لها فتق بضم الفاء وفتح التاء المثناة فوق وبالقاف

وترس يقال لها تمثال عقاب أوكبش فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه فذهب * وأما الرماح فرمح يقال له المثنى ، ورمح يقال لها المثوى بضم الميم واسكان الثاء المثلثة وكسر الواو من الثوى وهو الاقامة لان المطعون به يقيم موضعه ولا ينتقل ، أى وثلاث رماح أصابها من سلاح بنى قينقاع يقال لاحدها المثنى بضم الميم واسكان الثاء المثلثة ثم نون مفتوحة وفى الاصل المثى بتقديم النون على الثاء * وأما الحراب فحر بة يقال لها النبعة وحر بة يقال لها البيضاء ، وحر بة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة قال جاء بها الزبير رضى الله تعالى عنه من أرض الحبشة أعطاها له النجاشى رحمه الله وقاتل بها بين يدى النجاشى عدوا للنجاشى وظهر النجاشى على ذلك العدو وشهد بها الزبير رضى الله تعالى عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر فكانت تحمل بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال رضى الله تعالى عنه فتركز بين يديه صلى الله عليه وسلم ويصلى اليها وكذا كان يصلى اليها فى أسفاره ، أى وكان صلى الله عليه وسلم يمشى بها وهى فى يده ، ورابعة يقال لها المهر ، وخامسة يقال لها النمر ، وكان له صلى الله عليه وسلم محجن طوله قدر ذراع أوأكثر بيسير يمشى به و يعلق بين يديه على بعيره يسمى الدقن كان له رأس معقفة كالصولجان ، وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب من شوحط يسمى الممشوق ، قيل وهذا القضيب هو الذى كانت تتداوله الخلفاء اه ، أى وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة بكسر الميم واسكان الخاء المعجمة وفتح الصاد وهى مايمسكه بيده من عصا أومقرعة تسمى العرجون و يقال لها العسيب * وأما الخود جمع خودة وهى مايجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة فخودة يقال لها الموشح بالميم و بالشين المعجمة مشددة مفتوحة والحاء المهملة ، وخودة يقال لها السبوغ بالسين المهملة و بالغين المعجمة أوذات السبوغ

(باب يذكر فيه خيله و بغاله وحمره صلى الله عليه وسلم)

كان له صلى الله عليه وسلم سبعة أفراس ، وكان له بغال ست ، وكان له من الحمر اثنان ، وكان له من الابل المعدة للركوب ثلاثة * فأما أفراسه صلى الله عليه وسلم ففرس يقال له السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة جريه وهى أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم اشتراه من أعرابى بعشرة أواق وكان اسمه عند الاعرابى الضرس أى بفتح الضاد وكسر الراء و بالسين المهملة الصعب السيء الخلق وكان أغر أى له غرة وهى بياض فى وجهه محجلا طلق اليمين كميتا أى بين السواد والحمرة وقال ابن الاثير كان أسود أدهم ، وفرس يقال له المرتجز أى سمى به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر وكان أبيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بانه صلى الله عليه وسلم اشتراه من صاحبه بعد أن أنكر بيعه له وقال له ائت بمن يشهد لك فجعل شهادة خزيمة بشهادتين بعد أن قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم تحضر فقال لتصديقى اياك يارسول الله وان قولك كالمعاينة فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ذو الشهادتين فسمى ذا الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أوشهد عليه فهو حسبيه لكن جاء أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الاعرابى وقال لابارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجلها ، وفرس يقال له اللحيف بالحاء المهملة واللام المضمومة فعيل بمعنى فاعل لانه كان يلحف الارض بذنبه لطوله أى يغطيها ، وقيل لانه كان يلتحف معرفته ، وقيل هو بضم اللام مصغرا وقيل بالخاء المعجمة مع فتح اللام وهو الاكثر ، وهذا الفرس أهداه له ﷺ فروة بن عمرو

من أرض البلقاء بالشام ، وفرس يقال له اللزاز أى أهداه له المقوقس كما تقدم مأخوذ من قولهم لازرته أى لاصقته فكان يلحق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك ، وفرس يقال له الطرف أى بكسر الطاء المهملة وسكون الراء و بالفاء الكريم الجيد من الخيل ، وفرس يقال له الورد وهو بين الكميت والاشقر أهداه له صلى الله عليه وسلم تميم الدارى رضى الله تعالى عنه وأهداه صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه ، وفرس يقال له سبحة أى بفتح السين واسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أى سريع الجرى هذا هو المشهور ، وعد بعضهم فى خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فأوصل جملتها الى خمسة عشر بل الى عشرين ، وقد ذكر الحافظ الدمياطى أسماء الخمسة عشر فى سيرته وقال فيها ، وقد ذكرناها وشرحاها فى كتابنا كتاب الخيل * وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف قال لم يكن شئ أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل . وجاء «أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه فقيل له يارسول الله تمسح بكم قميصك فقال ﷺ أن جبريل عليه السلام عاتبنى فى الخيل ، وفى رواية فى الفرس أى فى امتهانها وفى رواية فى سياستها وقال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة» اه أى وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قام الى فرسه الطرف فعلق عليه شعيره وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح ظهره بردائه فقيل له يارسول الله تمسح ظهره بردائك فقال نعم وما يدريك لعل جبريل عليه الصلاة والسلام أمرنى بذلك ، وعن بعضهم قال دخلت على تميم الدارى رضى الله تعالى عنه وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقى لفرسه شعيرا فقلت أيها الامير ما كان لهذا غيرك فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب الله بكل شعيرة حسنة ، وكان صلى الله عليه وسلم يضمر الخيل للسباق فيأمر باضمارها بالحشيش اليابس شيئا بعد شئ ويأمر بسقيها غدوة وعشيا ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجرى الشوط والشوطان * وأما بغاله صلى الله عليه وسلم ، فبغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل فى الاصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وهذه أول بغلة ركبت فى الاسلام . وفى لفظ رؤيت فى الاسلام وكان ﷺ يركبها فى المدينة ، وفى الاسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علىّ كرم الله وجهه الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضى الله تعالى عنه وركبها بعد علىّ ابنه الحسن ثم الحسين رضى الله تعالى عنهما ثم محمد ابن الحنفية رحمه الله وسئل ابن الصلاح رحمه الله هل كانت أنثى أو ذكرا والتاء للوحدة ، فأجاب بالاول قال بعضهم واجماع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا ورماها رجل بسهم فقتلها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى زوجته أم سلمة ، فأتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا وعذارا ، ثم دخل البيت فاخرج عباءة فثناها ثم ربعها على ظهرها ، ثم سمى وركب ، ثم أردفنى خلفه و بغلة يقال لها فضة أهداها له عمرو بن عمرو الجذامى كما تقدم ووهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه أى واوصلها بعضهم الى سبعة وفى مزيل الخفاء ، وفى سيرة مغلطاى كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتى أهداها له ابن العلماء أى بفتح العين المهملة واسكان اللام و بالمد فى غزوة تبوك ، والايلية ، و بغلة

اهداهاله كسرى، وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي هذا كلامه، وعقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه كان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقودبه فى الاسفار وتوفى بمصر ودفن بقرافتها وقبره معروف بها وكان واليها من قبل معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان، ثم صرف عنها بمسلمة ابن مخلد . وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه قال قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مدة من الليل، فقال أنخ فانخت فنزل عن رحلته، ثم قال اركب فقلت سبحان الله أعلى مركبك يارسول الله وعلى راحلتك فأمرنى فقال اركب، فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ذكره فى الامتاع * وأما حمره صلى الله عليه وسلم فحمار يقال له يعفور، وحمار يقال له عفير بالعين المهملة . وقيل بالمعجمة وغلط قائله وكان أشهب ومات فى حجة الوداع والاول اهداه له فروة بن عمرو الجذامى . وقيل المقوقس والثانى أهداه له المقوقس وقيل فروة بن عمرو كذا فى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله، والعفرة هى الغبرة . أى وأوصل بعضهم حمره ﷺ الى أربعة وتقدم أن يعفورا وجده صلى الله عليه وسلم فى خيبر وانه يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم طرح نفسه فى بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته ومافيها * وأما ابله ﷺ التى كان يركبها . فناقة يقال لها القصواء وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهى التى كانت لاتسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ ان حقا على الله أن لايرفع شيئا من الدنيا الاوضعه * وفى رواية أن الناس لم يرفعوا شيئا من الدنيا الاوضعه الله عزوجل ويقال ان هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم تشرب حتى ماتت، وقيل ان التى كانت لاتسبق ثم سبقت هى القصواء وكانت العضباء يسبق بها صاحبها الذى كانت عنده الحاج، ومن ثم قيل لها سابقة الحاج، وقيل ان هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المفهوم من الاصل وهو موافق فى ذلك لابن الجوزى رحمه الله حيث قال ان القصواء هى العضباء وهى الجدعاء، وقيل القصواء واحدة والعضباء والجدعاء واحدة * وفى كلام بعضهم وأما البقر فلم ينقل أنه ﷺ ملك شيئا منها أى للقنية فلاينافى أنه ﷺ ضحى عن نسائه بالبقر * وأما غنمه ﷺ فقيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضى الله عنها وجاء اتخذوا الغنم فانها بركة وكان له ﷺ شياه يختص بشرب لبنها وماتت له ﷺ شاة، فقال مافعلتم باهابها قالوا انها ميتة قال دباغها طهورها، واقتنى ﷺ الديك الابيض وكان يبيت معه فى البيت وقال الديك الابيض صديقى وصديق صديقى وعدو عدوى والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء اتخذوا الديك الابيض فان دارا فيها ديك أبيض لايقربها شيطان ولاساحر ولا الدويرات حولها واتخذوا هذا الحمام المقاصيص فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم، وفى العرائس أن آدم قال يارب شغلت بطلب الرزق لاأعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فأهبط الله ديكا واسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم عليه السلام من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح ممن فى السماء سبح فى الارض فيسبح آدم بتسبيحه

باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة وان شاركه فيها غيره

قال قد خلق الله تعالى أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام سليمة من العيب حتى صلحت لحلول

الانفس الكاملة وهم فى ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم أصح الانبياء مزاجا وأكملهم جسدا . وعن أنس رضى الله عنه مابعث الله نبيا الاحسن الوجه حسن الصوت وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وصوتا انتهى . وكانت صفاته ﷺ الظاهرة لاتدرك حقائقها ، والى هذا يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

وتقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم فى خبر أم معبد رضى الله عنها ووصف صلى الله عليه وسلم بانه كان ضخم الهامة أى الرأس ووصف صلى الله عليه وسلم بانه كان فخما مفخما أى عظيما فى الصدور والعيون يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر قال كان فى وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكلثم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه مارأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه * وفى رواية تجرى من وجهه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الاغلب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الاغلب ضوؤه ضوء السراج انتهى ، أقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين مشددة ثم موحدة على وزن معظم البائن الطويل فى نحافة وأطول من المربوع قال وعن على كرم الله وجهه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة القوم ، والممغط المتناهى فى الطول والمتردد المجتمع الخلق أى القصير جدا لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الاطاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فارقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب للربعة أى لاطويل ولاقصير ، عظيم الهامة . أى وفى رواية ضخم الرأس رجل الشعر إذا انفرقت عقيصته وفى لفظ عقيقته وهى الشعر المعقوص فرق . أى اذا انفرقت من ذات نفسها فرقها أى أبقاها مفروقة والاتركها معقوصة أى تركها على حالها لم يفرقها لم يجاوز شعره سحمة أذنيه اذاهو وفرة قال أى جعله وفرة * وحاصل الاحاديث أن شعره ﷺ وصف بأنه جة ووصف بأنه وفرة ووصف بأنه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذى ينزل على شحمة الاذن والجة بالذى ينزل على المنكبين قال بعضهم كان شعره صلى الله عليه وسلم يقصر ويطول بحسب الاوقات فاذا غفل عن تقصيره وصل الى منكبيه واذاقصره تارة ينزل عن شحمة أذنه وتارة لاينزل عنها . وجاء فى وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد قطط أى بالغ فى الجعودة ولارجل سبط أى بالغ فى السبوطة فلاينافى ماجاء عن على كرم الله وجهه كان سعر رسول الله ﷺ سطا . وعن أم هانئ رضى الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم أربع غدائر أى ضفائر تخرج اذنه اليمنى من بين صفيرتين وأذنه اليسرى كذلك قال ابن القيم رحمه الله لم يحلق ﷺ رأسه الشريف الاأربع مرات انتهى . أزهر اللون أى أبيض مشرب بحمرة أى وهى المراد بالسمرة . وفى رواية كان أسمر ومن ثم جاء فى رواية كان بياضه صلى الله عليه وسلم الى سمرة لان العرب قد تطلق على من كان كذلك أى بياضه الى حمرة أسمر . ومن ثم جاء ليس بالابيض الامهق أى شديد البياض الذى لايخالطه حمرة كلون الجص وعن على كرم الله وجهه ليس أبيض شديد الوضح . وفى رواية شديد البياض ولامعارضة لانه محمول على ماكان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء أنور المتجرد وهو ماكشف عنه الثوب من البدن . وقيل المراد بالامهق الاخضر فقد قيل ان المهق خضرة الماء . ولابالآدم أى سديد الادمة . واسع الجبين ، أى وفى رواية مفاض الجبين . أى واسعه * وفى روايه كان جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتا أى أملس . وفى رواية كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلألأ أزج الحاجبين سوابغ من غير قرن أى بين حاجبيه فرجة وهو البلج ، أى والقرن بالتحريك اتصال شعر الحاجبين وورد مقرون الحاجبين أى شعرهما متصل بالآخر لا حاجز بينهما ولا منافاة لان ذلك يجوز أن يكون بحسب الرائى لان الفرجة التى كانت بين حاجبيه يسيرة لا تبين الا لمن دقق النظر . بينهما عرق يدره الغضب أى اذا غضب امتلأ ذلك العرق دما فيظهر و يرتفع . أقنى العرنين أى سائله مرتفع وسطه أى وفى وسطه احيداب ، وفى رواية دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، أى مرتفعا . أدعج العينين ، أى شديد سواد العينين وفى كلام بعضهم الدعج سواد العين و يقابله الاشهل وهو من فى سواد عينيه حمرة وقد جاء أشهل العينين وأشكل العينين أى فى بياض عينيه ﷺ حمرة وكانت فى الكتب القديمة من علامات نبوته ﷺ كما تقدم ، أى وفى رواية أنجل العينين ، أى واسعهما . أهدب الاشفار أى طويل هدب شعر العينين ، أى وعن أبى هريرة رضى الله عنه أكحل العينين والكحل سواد هدب العين خلقة . وعن جابر رضى الله عنه اذا نظرت الى رسول الله ﷺ قلت أكحل أى فى عينيه كحل وليس بالكحل ، سهل الخدين أى وفى رواية أسيل الخدين ، أى ليس فى خديه نتوء وارتفاع ، ضليع الفم ، أى واسعه . أشنب ، أى فى ريقه برد وعذوبة . مفلج الاسنان أى مفرق ما بين الثنايا كما فى رواية أفلج الثنيتين لان الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، وفى رواية براق الثنايا كان اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه يفتر عن مثل حب الغمام ، أى اذا ضحك بانت أسنانه كالبرد . وعن أبى هريرة رضى الله عنه حسن الثغر ، وعن أنس رضى الله عنه شممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته ﷺ . كث اللحية أى كثير شعرها * وفى رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكان له ﷺ مشط من العاج وهو الذبل ، وقيل شىء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية و يقال لعظم الفيل عاج أيضا أى وليس مرادا هنا أى وكان له مقراض أى مقص يقص به أطراف شاربه . وفى المشكاة عن زيد ابن أرقم رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» أى وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالمقراض من عرض لحيته وطولها وقد لا ينافى ذلك ما جاء أمرنى ربى باعفاء لحيتى وقص شاربى ، وقال «من الفطرة قص الاظفار والشارب وحلق العانة» وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه حتى كأن ثيابه ثياب زيات أودهان أى وفى لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات أودهان وليس فى شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن أنس رضى الله عنه ان شيب لحيته صلى الله عليه وسلم كان فى عنفقته وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عرف من مجموع الروايات ان الذى شاب فى عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب فى غيرها . وقال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها فقال له أبو بكر رضى الله عنه ما اخواتها يارسول الله قال الواقعة والقارعة وسأل سائل واذا الشمس كورت واقتربت الساعة ، وفى رواية شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ، وقيل كان يخضب بالحناء والكتم وقال صلى الله عليه وسلم أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم . ونهى صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم أى واسعه وهو مما تمدح به العرب وتذم بصغر الفم ، غاض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة

دقيق المسربة بفتح الميم واسكان السين ثم راء مضمومة وهو الخيط الشعر الذى بين الصدر والسرة
كأن عنقه جيد دمية هى صورة تتخذ من العاج فى صفاء الفضة أى وعن على كرم الله وجهه كأن عنقه
ابريق فضة ، معتدل الخلق بادنا متماسكا أى ذو لحم متماسك يمسك بعضه بعضا ليس مسترخى اللحم
سواء البطن والصدر أى مستويهما ، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهى
رءوس العظام أى ملتقى كل عظمين كالمرفقين والمنكبين والركبتين . موصول ما بين اللبة بفتح اللام
وتشديد الموحدة المفتوحة هو المنحر والسرة بشعر يجرى كالخيط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق
المسربة عارى الثديين والبطن ويما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمناكب وأعالى الصدر طويل
الزندين أى عظيم الذراعين رحب الراحة أى واسعها. قال أنس رضى الله تعالى عنه مامسست حريرا ولا ديباجا
ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سائل الاصابع أى طويلها . شثن الكفين والقدمين
أى يميلان الى الغلظ وذلك ممدوح فى الرجال مذموم فى النساء أى وكانت سبابة يديه صلى الله عليه
وسلم أطول من الوسطى قال ابن دحية رحمه الله وهذا باطل بيقين ولم يقله أحد من ثقات المسلمين أى
وانما كان ذلك فى أصابع قدميه صلى الله عليه وسلم وهو فى ذلك كغيره من الناس ، وفى رواية منهوس
بالمهملة والمعجمة العقب أى قليل لحم القدمين . سبط العظام أى ممتدها لا تتوء فيها . وفى رواية سبط
العصب وهو كل عظم فيه مخ ، خمصان الاخمصين ينبو عنهما الماء أى يتجافى أخمص القدم وهو وسطه
أى شديد التجافى عن الارض . مسيح القدمين أى أملسهما وهذا يوافق ما جاء فى رواية اذا وطىء بقدمه
وطىء بكلها ليس له أخمص اذا زال زال تقلعا أى برفع رجله بقوة ويخطو تكفيا أى يتمايل الى قدامه
وقيل يمينا وشمالا كالمختال ولا يذم الامن تكلفه لا من كان ذلك جبلة له . ويمشى هونا أى برفق ووقار
دون عجلة ، ذريع المشية أى واسعها اذا مشى كأنما ينحط من صبب أى وذكر فى سفر السعادة أن هذه
المشية مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حى وان هذا النوع من المشى يسمى مشى الهوينا المذكور
فى قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) وهو أعدل أنواع المشى لان الماشى إما
متهاون بالمشى كالخشبة أو طائش ينزعج وهذان النوعان فى غاية القبح لان الاول يدل على الخمول
وموت القلب والثانى يدل على خفة الدماغ وقلة العقل * ثم قال وأنواع المشى عشرة هذه الثلاثة منها
وذكر باقيها . وكان صلى الله عليه وسلم اذا التفت التفت جميعا أى بسائر جسده ولا يلوى عنقه كما يفعله
أهل الخفة والطيش ، يفتح الكلام ويختمه باشداقه . لا يقال قد ذم صلى الله عليه وسلم المتشدقين . لانا
نقول المراد بهم من يكثر الكلام من غير احتياط ولا احتراز ومن يلوى اشداقه استهزاء بالناس وكان
صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم أى بالكلام القليل الالفاظ الكثير المعانى فصلا لا فضول
فيه ولا تقصير قال صلى الله عليه وسلم «أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا» قال
ومن تلك الكلمات «لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له» ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . رحم
الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ، ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ، خير الامور أوساطها ،
السعيد من وعظ بغيره انتهى ، اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث قارب يده اليمنى
من اليسرى فضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى أى وربما يسبح عند التعجب وربما حرك برأسه
وعض شفته وربما ضرب بيده على فخذه وربما نكت الارض بعود واذا غضب أعرض بوجهه ى
وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمر وجهه الشريف وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته وفى

رواية اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء أى تنفس طويلا وقال حسبي الله ونعم الوكيل ، جل أى معظم ضحكه التبسم وكون معظم ضحكه ذلك لاينافى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك غير مامرة حتى بدت نواجذه . وكان ﷺ اذا جرى به الضحك وضع يده على فيه قال وكان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم يمشى منتعلا . وربما مشى ﷺ حافيا ، وكان صلى الله عليه وسلم لايأكل من هدية أهديت اليه حتى يأكل منها صاحبها ، أى بعد أن أهديت اليه ﷺ الشاة المسمومة وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع ويلعقهن اذا فرغ يلعق الوسطى ، ثم التى يليها ثم الابهام ، وقال ان لعق الاصابع بركة . وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بلعق الصحفة ويقول انكم لاتدرون فى أى طعامكم البركة اه * ونحن نوضح بعض هذه الصفات الظاهرة بعبارة واضحة قريبة للافهام فنقول : كان صلى الله عليه وسلم عظيما معظما فى الصدور والعيون كبير الرأس لان كبر الرأس يدل على كثرة العقل غالبا ووجهه كالقمر ليلة البدر لون جسده الذى ليس تحت الثياب أبيض مشرب بحمرة طويل الحاجبين مع دقة مابينهما خال من الشعر وهو البلج ، وضده القرن وهو ان يتصل شعر أحدهما بالآخر بين حاجبيه عرق اذا غضب انتفخ طويل الانف مع حدب فى وسطه ودقة فى طرفه ليس فى حدبه ارتفاع ، لان العرب تذم به . فى عينيه شكلة وهى بياض وحمرة شديد سواد العين مع اتساعها واسع الفم لان سعة الفم تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة ويقال لها الفلج كثير شعر اللحية شيبه قليل عنقه كالابريق الفضة اذا مشى مال الى أمامه

باب يذكر فيه صفته صلي الله عليه وسلم الباطنة وان شاركه فيها غيره

كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب ولا فحاش ولاعياب ولا مزاح ، أى كثير المزاح فلا ينافى ماروى كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه قال وقد جاء أنى لأمزح ولا أقول الاحقا لكن جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله ﷺ مزاحا وكان يقول ان الله تعالى لايؤاخذ المزاح الصادق فى مزاحه ، وجاء عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم مارأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول الله ﷺ . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت فى النبي صلى الله عليه وسلم دعابة . وعن بعض السلف كان للنبي ﷺ مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة قال صلى الله عليه وسلم لعمته صفية لاتدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول (انا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) وهن العجائز الرمص أى والعروب المتحببة لزوجها التى تقول وتفعل ماتهيج به شهوته اياها وأترابا كأنهن ولدن فى يوم واحد لانهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة ، وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب أن يحمله على بعير فقال له انى حاملك على ولد الناقة فقال يارسول الله ماأصنع بولد الناقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وقد أتى أزيهر وفى لفظ زاهر وكان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فكان كلما قدم من البادية يأتى معه بطرف وهدية لرسول الله ﷺ فيجهزه رسول الله ﷺ اذا أراد أن يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه ، وفى لفظ لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان ﷺ يحبه جاءه يوما وهو يبيع متاعه فى السوق . وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال أرسلنى من هذا ؟ فلما عرف أنه رسول الله ﷺ صار يمكن ظهره من صدره الشريف عليه الصلاة

والسلام

والسلام وجعل رسول الله ﷺ يقول من يشتري العبد ، فقال يارسول الله تجدني كاسدا ، فقال رسول الله ﷺ ولكن عند الله لست بكاسد أوقال أنت عند الله غال ، ويجوز أن يكون ﷺ جمع بين هذين اللفظين وكل روى ماسمع منهما * وعن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ، فقال ﷺ للناس تقدموا فتقدموا ، ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم ، وكنا في سفرة أخرى ، قال ﷺ للناس تقدموا فتقدموا ، ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل ﷺ يضحك ويقول هذه بتلك * وعن أنس رضي الله عنه ، قال دخل ﷺ على أمي فوجد أخي أبا عمير حزينا ، فقال ياأم سليم مابال أبي عمير حزينا فقالت يارسول الله مات نغيره تعني طيرا كان يلعب به ، فقال ﷺ أبا عمير مافعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك * وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي ﷺ بحريرة طبختها فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي كلي أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك ﷺ وأرخى فخذه لسودة ، وقال الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي ﷺ ، أي وقال ﷺ يوما لعائشة ماأكثر بياض عينك انتهى ، وكان ﷺ يتغافل عما لايشتهي قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكبار ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لايذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ، وكان ﷺ يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشيء يقال ماذقت ذواقا أي شيئا من طعاما أوشراب * وعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما عن رجل من العرب . قال زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفحني بنفحة بسوط في يده . وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي لائما أقول أوجعت رسول الله ﷺ فلما أصبحنا اذا رجل يقول أين فلان فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لي رسول الله ﷺ انك وطئت بنعلك على رجلي بالامس فاوجعتني فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها ، ولما نزل قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال له جبريل عليه السلام ، أي بعد أن سأله ﷺ في ذلك ان ربك عزوجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك . وفي الحديث لاينال عبد صريح الايمان حتى يكون كذلك وفي الحديث ان ذلك أفضل أهل الدنيا والآخرة ، وكان ﷺ لايتكلم الافيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسئلة لايقطع على أحد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة يعظم النعمة وان دقت لايغضب لنفسه ولاينتصر لها . وانما يغضب اذا تعرض للحق بشيء وعند غضبه لذلك لايثنيه شيء عن الانتصار له ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم فان كان غائبا دعا له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضا عاده ويسأل الناس عما الناس فيه أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة لايجلس ولايقوم الا عن ذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لايحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أونادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الابها أو بميسور من القول ، عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء لاترفع فيه الاصوات ولايتنازعون عنده الحديث ، اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير أي على غاية من السكون والوقار لان الطير لاتكاد تقع الاعلى ساكن واذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه أي لايقطع بعضهم على بعض

حديثه يضحك مما يضحكون و يعجب مما يعجبون ، فقد ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجرا الى بصرى ومعه نعيمان بن عمرو الانصارى وسويط بن حرملة وكلاهما بدرى وكان سويط على زاد أبى بكر فجاءه نعيمان وقال له أطعمنى ، فقال لا حتى يأتى أبو بكر ، وكان نعيمان رجلا ضحاكا مزاحا فيه دعابة وله أخبار ظريفة فى دعابته ، فقال لسويط لأغيظنك فذهب الى ناس ، وفى رواية فمر وا بقوم ، فقال لهم نعيمان تشترون منى عبدالى قالوا نعم . قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر فان كان اذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدى قالوا لا بل نشتريه ولا ننظر فى قوله فاشتروه منه بعشرة قلائص ، فاقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ، ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم له وقالوا له قد اشتريناك ، فقال هو كاذب أنا رجل حر ، وفى رواية انهم وضعوا عمامته فى عنقه ، فقال لهم انه يتهزأ ولست بعبده ، فقالوا له قد أخبرنا بخبرك فطرحوا الحبل فى عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه فجاء أبو بكر رضي الله عنه فاخبره خبره فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم انه يمزح وردوا عليهم القلائص وردوا سليطا منهم فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله ﷺ حولا كاملا لان سفر أبى بكر رضي الله عنه كان قبل وفاته ﷺ بعام ، ووقع لنعيمان هذا انه مر بمخرمة بن نوفل رضي الله عنه وقد كف بصره وهو يقول ألا رجل يقودنى حتى أبول فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد . قال له ههنا فبال فصاح الناس به ، فقال من قادنى قيل نعيمان ، فقال لله على أن أضرب به بعصاى هذه فبلغ نعيمان فأتاه ، فقال له هل لك فى نعيمان . قال نعم قال فقم فقام معه فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلى ، فقال دونك الرجل فجمع يديه فى العصا ثم ضربه ، فقال الناس أمير المؤمنين ، فقال من قادنى فقيل نعيمان قال لا أعود الى نعيمان أبدا وجاء اعرابى الى رسول الله ﷺ فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه ، فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحرتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم و يغرم رسول الله ﷺ حقها فنحرها نعيمان فخرج الاعرابى فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبى ﷺ ، فقال من فعل هذا قالوا نعيمان فاتبعه النبى ﷺ يسأل عنه فوجده فى دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى فى خندق وجعل عليه الجريد فأشار اليه رجل ورفع صوته ما رأيته يارسول الله وأشار باصبعه حيث هو فاخرجه رسول الله ﷺ وقد تعفر وجهه بالتراب ، فقال له ما حملك على ما صنعت قال الذين دلوك على يارسول الله هم الذين أمرونى فجعل رسول الله ﷺ يمسح عن وجهه التراب ويضحك ، ثم غرم ﷺ ثمنها وكان رضي الله عنه اذا دخل المدينة طرفة اشتراها فى ذمته ثم جاء بها الى النبى ﷺ ويقول يارسول الله هذه هدية فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبى ﷺ وقال له أعط هذا ثمن ما جئت به اليك فيقول له رسول الله ﷺ أولم تهده لى ؟ فيقول يارسول الله لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن يكون لك فيضحك رسول الله ﷺ و يأمر لصاحبه بثمنه ، وكان ﷺ دائم البشر ضحوك السن أى أكثر أحواله ذلك حسبما رآه هذا المخبر فلا ينافى أنه ﷺ كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة فانه بحسب ما كان عند ذلك المخبر وفى كلام ابن القيم رحمه الله قد صانه الله عن الحزن فى الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان دائم البشر ضحوك السن كذا قال وفى كلام الامام أبى العباس بن تيمية

رحمه

رحمه الله ليس المراد الحزن الذى هو الألم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهى عنه ، وانما المراد به الاهتمام واليقظة لما يستقبله من الامور ، وهذا مشترك بين القلب والعين ، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت خلقه القرآن أى ماذكره القرآن (وانك لعلى خلق عظيم) وانه تأدب بآدابه وتخلق بمحاسنه ، وقد قال ﷺ «بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال» قال وذكر فى عوارف المعارف ان فى قول عائشة رضى الله عنها خلقه القرآن سرا غامضا حيث عدلت الى ذلك عن قولها كان متخلقا باخلاق الله سترا للحال بلطف المقال استحياء من سبحات ذى الجلال اه ، أى فكان ﷺ متصفا بما فيه من الاجتهاد فى طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع لأوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لاذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خيرى الدنيا والآخرة مع التعفف عن أموالهم الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة التى اتصف بها ﷺ وشرف وكرم ، وكان ﷺ أشد الناس خشية وخوفا من الله ، أى ومن ثم كان ﷺ يقول «انا أتقاكم لله وأخوفكم منه» * وعن عائشة رضى الله عنها قالت أتانى رسول الله ﷺ ليلة فدخل معى فى لحافى ، ثم قال ذرينى أتعبد لربى ، فقام ﷺ فتوضأ ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضى الله عنه فآذنه بالصلاة . فقلت يارسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال «أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله تعالى علىّ فى هذه الليلة (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب) الى قوله (سبحانك فقنا عذاب النار)» * وكان ﷺ يقول أواه من عذاب الله قبل أن لا ينفع أواه * أى وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال أول من صنعت له النورة ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل أن لا يكون أواه ، أى وفى سفر السعادة لم يدخل ﷺ الحمام أبدا ، والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله تعالى المشهورة بحمام النبى ﷺ لعلها بنيت فى موضع اغتسل فيه ﷺ مرة هذا كلامه وأرسل ﷺ وصيفة فأبطأت عليه ، فقال لها لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك وما ضرب ﷺ بيده الشريفة امرأة ولا خادما من أهله * قال وعن خادمه أنس رضى الله عنه ما أمرنى رسول الله ﷺ بأمر فتوانيت عنه أو ماصنعته ولامنى ولا لامنى أحد من أهله ﷺ الا قال دعوه ، وفى لفظ خدمته فى السفر والحضر عشر سنين والله ما قال لى فى شئ صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشئ لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا وهذا يدل على أنه رضى الله عنه خدمه ﷺ عند قدومه المدينة ، وتقدم ان فى بعض الروايات ما يدل على أن ابتداء خدمة أنس له ﷺ فى فتح خيبر ، وتقدم ما فيه ، ووصف ﷺ فى الكتب القديمة بان حلمه ﷺ يسبق غضبه ولا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما . وقد تقدمت قصته صلى الله عليه وسلم مع اليهودى الذى طلب منه وفاء ما اقترض منه صلى الله عليه وسلم قبل حلول الاجل ونظيرها * وعن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ لم يكن فاحشا . استأذن على النبى ﷺ رجل فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما

جلس تطلق النبي صلى عليه الله وسلم فى وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضى الله عنها يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت اليه . فقال ﷺ ياعائشة متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره . قال ابن بطال رحمه الله ان هذا الرجل هو عيينة بن حصن لانه كان يقال له الأحمق المطاع وهو صلى الله عليه وسلم انما تطلق فى وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان المطاع فيهم ، وأما ذمه صلى الله عليه وسلم له فلأنه يعلم مايقع منه بعد فانه ارتد فى زمن الصديق رضى الله عنه وحارب ثم رجع وأسلم ، أى وقد قيل ان سبب نزول قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) الآية ان عيينة هذا قال للنبي ﷺ وقد قال له أسلم ، قال على أن تبنى لى مقصورة فى مسجدك هذا أكون أنا وقومى فيها وتكون أنت معى ، ومن تأمل سيرته ﷺ مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والضعفاء والمساكين علم أنه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية فى التواضع ورقة القلب ولين الجانب * وعن أنس رضى الله عنه أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة يوما . فقلت والله لاأذهب وفى نفسى أنى أذهب فخرجت على صبيان يلعبون فى السوق ، واذا رسول الله ﷺ قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت اليه ﷺ وهو يضحك فقال ياأنيس اذهب حيث أمرتك . فقلت نعم أنا أذهب يارسول الله اه * وكان ﷺ أحسن الناس خلقا ، وأرجح الناس حلما ، وأعظم الناس عفوا ، وأسخى الناس كفا * وكان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة * وقال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ، ثم قال أعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم * وفى رواية لو أن لى مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته بينكم ثم لاتجدونى كذوبا ولا بخيلا ولاجبانا كما تقدم * وكان ﷺ أشجع الناس قلبا وأشد الناس بأسا وأشد الناس حياء ، وكان أشد حياء من البنت البكر فى خدرها ، أى بيتها وسترها ، وكان اذا فرح غض طرفه واذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض صوته وربما غطى وجهه بيده أو ثوبه * وكان يحب الفأل الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن كما تقدم ، وربما غير الحسن بالقبيح كما تقدم * وكان يقول لأصحابه اذا أرسلتم لى رسولا فليكن حسن الاسم حسن الوجه . من ذلك أن شخصا كان سادنا ، أى خادما الصنم ، وكان يسمى غاوى بن ظالم . فبينما هو عند صنمه اذ أقبل ثعلبان الى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله وبال على رأس ذلك الصنم . فلما رأى ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وأتى رسول الله ﷺ ، فقال له كيف اسمك ، فقال غاوى بن ظالم . فقال صلى الله عليه وسلم له بل أنت راشد بن عبد ربه * ومن هذا السياق يعلم أن الثعلبان بفتح الثاء المثلثة تثنى ثعلب لا بضمها ذكر الثعالب كما قيل * ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ماوقع له صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذى قرد أنه مر على ماء فسأل عنه . فقيل له هذا اسمه بئسان وهو مالح . فقال لا بل اسمه نعمان وهو طيب فانقلب عذبا واشتراه طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه ثم تصدق به . فلما جاء اليه ﷺ وأخبره بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأنت ياطلحة الا فياض فسمى طلحة الفياض * وكان ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر * قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت رجلا

أكثر مشاورة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكان صلى الله عليه وسلم اذا حلف قال لا ومقلب القلوب ، وربما قال فى يمينه وأستغفر الله واذا اجتهد فى اليمين قال لا والذى نفس أبى القاسم بيده ، وربما قال والذى نفس محمد بيده ، وربما قال فى يمينه لا وأستغفر الله والذى نفسى بيده * وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس اغضاء عن العورات ، وكان اذا كره شيئا عرف فى وجهه ، ولم يشافه أحدا بمكروه حتى اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول أو يفعل كذا . بل يقول ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا ، لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته الا قال لبيك يخالط أصحابه ويحادثهم ويداعب ، أى يمازح صبيانهم ويجلسهم فى حجره الشريف ، أى فقد كان صلى الله عليه وسلم يصف أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله وغيرهما رضى الله عنهم ويقول من سبق الى فله كذا فيستبقون اليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ويلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويشهد الجنائز ، ويقبل عذر المتعذر ما وضع أحد فمه فى أذنه الا استمر صاغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده ﷺ منه حتى يكون الآخذ هو الذى يرسلها * وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ، ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ، ولا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ، وطعن فى الحديث الذى ورد بذلك واذا سمع بكاء الصغير وهو يصلى تجوز فيها ، أى خففها ، أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ومن ثم رغب ﷺ الى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من المسلمين رحمة له ، أى اذا كان لا يستحق ذلك السب فى باطن الأمر ويستحقه فى ظاهر الأمر ، أى وقال ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد * وكان ﷺ يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد * وكان يركب الحمار ، أى وربما ركبه عريانا ويردف خلفه * فعن أنس رضى الله عنه رأيته ﷺ يوما على حمار خطامه ليف ، أى وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر وكان يجلس على الارض وكان يشرب قائما وقاعدا وينتعل قائما وقاعدا ويصلى منتعلا وحافيا ، وفى لفظ كان أكثر صلاته ﷺ فى نعليه ، وكان يحب التيامن فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله ، وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته * وكان يكتحل بالاثمد عند النوم ثلاثا فى كل عين وفى لفظ ثلاثا فى اليمنى ومرتين فى اليسرى * وقال ﷺ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وانه من خير أكحالكم . وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه * وحج ﷺ على رحل رث عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم ، وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم * وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة كما تقدم وكان يفلى ثوبه ، أى وان كان من خصائصه ﷺ أن القمل لا يؤذيه ويحلب شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويعلف ناضحه . وهو الجمل الذى يسقى عليه الماء ويقم البيت * قال وعن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل

البيت وأكثر مايعمل الخياطة مايرى فارغا قط فى بيتـه اما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة انتهى ، ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويحب الطيب ويأمر به ، وكان يتطيب بالمسك والغالية ويتبخر بالعود والعنبر والكافور ويأمر أصحابه بالمشى أمامه . ويقول خلوا ظهرى للملائكة . زاهدا فى الدنيا ماترك درهما ولا دينارا * توفى ودرعه مرهونة وتقدم انها ذات الفضول عند يهودى وتقدم انه أبو الشحم على نفقة عياله ، وتقدم ان ذلك كان ثلاثين صاعا من شعير وكان الاجل سنة * وكان ﷺ يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ماشبع ثلاثة أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملأ بطنه * وفى رواية ماشبع يومين من خبز الشعير أى ومعلوم ان ذلك انما هو لتتأسى به أمته فى الاعراض عن الدنيا . قالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عرض علىّ أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا . فقلت لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك * قال صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا انما أنا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفئ فتركها ولم يرجع اليها وقال صلى الله عليه وسلم ماأبالى بما رددت به عنى الجوع ولم ينخل له صلى الله عليه وسلم دقيق الشعير . قال وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والذى بعث محمدا بالحق مارأى منخلا ولا أكل خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض . فقيل لها كيف كنتم تصنعون بالشعير قالت كنا نقول أف أف انتهى ، أى فيطير ماطار وما بقى عجناه ولا خبز له صلى الله عليه وسلم مرقق ولا أكل النقى من الخبز . وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة يافاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال صلى الله عليه وسلم أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام ، أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتابعة طاويا ، ولا أكل على خوان قط انما كان يأكل على السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على الارض أى وخطب صلى الله عليه وسلم يوما فقال والله ما أمسى فى بيت محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات . قال الحسن والله ماقالها استقلالا لرزق الله ولكن أراد صلى الله عليه وسلم أن تتأسى به أمته وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان يمر هلال ثم هلال لايوقد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لالخبز ولا لطبخ فقيل له بأى شئ كانوا يعيشون ياأبا هريرة فقال بالأسودين الماء والتمر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال والله لقد كان يأتى على آل محمد ﷺ الليالى مايجدون فيها عشاء ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أهدى لنا أبو بكر شاة قالت انى لاقطعها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلمة البيت فقال لها قائل أما كان لكم سراج . فقالت لو كان لنا ما نسرج به أكلناه * وكان ﷺ لايجمع فى بطنه بين طعامين ان أكل لحما لم يزد عليه وان أكل تمرا لم يزد عليه وان أكل خبزا لم يزد عليه ولم يكن له ﷺ الا ثوب واحد من قطن قصير الكمين كمه الى الرسغ وطوقه مطلق من غير أزرار أى وفى لفظ كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول قصير الكمين كمه الى الرسغ * وكان له ﷺ جبة ضيقة الكمين وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان * وكان له صلى الله عليه وسلم بردة يمانية طولها ستة أذرع

فى عرض ثلاثة أذرع وشبر كان يلبسهما فى يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان * وكان له صلى الله عليه وسلم رداء أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر تداولته الخلفاء * وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب كساها على بن أبى طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه على كرم الله وجهه فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم على فى السحاب . يعنى عمامته التى وهبها له صلى الله عليه وسلم * وكان اذا اعتم يرخى عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة اللاطئة أى اللاصقة بالرأس وذات الآذان كان يلبسها فى الحروب والقلانس الطوال انما حدثت فى أيام الخليفة المنصور . وكان صلى الله عليه وسلم يقول فرق بيننا و بين المشركين العمائم على القلانس أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمائم ويلبس القلانس بغير عمائم و يلبس العمائم بغير قلانس وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها * وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يلبسها فى العيدين و يرخيها خلفه ، وجاء أن جبريل عليه السلام كانت عمامته يوم غرق فرعون سوداء ، ومقدار عمامته الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يثبت فى حديث قال بعض الحفاظ والظاهر انها كانت نحو العشرة أذرع أوفوقها بيسير وكانت له صلى الله عليه وسلم خرقة اذا توضأ تمسح بها هذا ، وفى سفر السعادة لم يكن صلى الله عليه وسلم ينشف أعضاءه بعد الوضوء بمنديل ولا منشفة وان أحضروا له شيئا من ذلك أبعده والحديث المروى عن عائشة رضى الله عنها كانت له صلى الله عليه وسلم نشافة يتنشف بها بعد الوضوء ، وحديث معاذ رضى الله عنه فى معناه كلاهما ضعيف وقال تنشيف الاعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث * وكانت له صلى الله عليه وسلم ملحفة مورسة اذا أراد أن يدور على نسائه رشها بالماء أى لتظهر رائحتها * وكان يصبغ قميصه ورداءه وعمامته بالزعفران . أى وفى لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء ، وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنه كان أحب الصبغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة وقال الحافظ الدمياطى رحمه الله ويعارض هذه الاحاديث ماروى فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزعفر : وفى لفظ نهى عن أن يتزعفر الرجل أى وقد يقال على تقدير صحة تلك الاحاديث فهى منسوخة أو كان ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم * وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف هل لبسها فقيل نعم ففى الاوسط للطبرانى ومسند أبى يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ فجلس الى بزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله ﷺ أوزن وأرجح وأخذ رسول الله ﷺ السراويل فذهبت لاحمله عنه فقال « صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم» قلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال أجل فى السفر والحضر و بالليل و بالنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه ومخرجه هو ونسيخه ضعيفان وكان ﷺ يقول اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وفى لفظ آخر اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة أتتنى الدنيا خضرة حلوة ورفعت الى رأسها وتزينت لى فقلت انى لاأريدك لاحاجة لى فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء

انتهى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء ، قال وكان ﷺ يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة أحب الي من اليسار وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أرثي له صلى الله عليه وسلم من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك و يمنع عنك الجوع ، فيقول يا عائشة ان اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم أخشى ان ترفعت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص حظي غدا في الاخرى ، وما من شيء أحب الي من اللحوق باخواني قال وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر وقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) والله لأصبرن جهدي ولا قوة الا بالله انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم على غاية من الاعراض عن الدنيا ، وكان يصلي على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت في جسده الشريف ، وكان ينام على شيء من أدم محشو ليفا فقيل له في ذلك فقال مالي وللدنيا . وعن عائشة رضي الله عنها دخلت امرأة من الانصار فرأت ذلك الأدم وفي لفظ رأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت اليه بفراش حشوه صوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا ؟ فقلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا . فقال رديه فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله يا عائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة . وعنها رضي الله عنها انها كانت تفرش تلك العباءة مثنية طاقين ففي بعض الليالي ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال يا عائشة ما للفراش الليلة ليس كما يكون قلت يا رسول الله ربعتها قال فأعيديه كما كان * وكان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان يقول لأصحابه كلهم رضي الله عنهم اذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي قال وكان أرجح الناس عقلا والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي ﷺ وجزء في سائر الناس . وعن وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا انه ﷺ أرجح الناس وأفضلهم رأيا * وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انتهائها من العقل في جنب عقله ﷺ الا كحبة بين رمال الدنيا ، ومما يتفرع على العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل واصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير ، وقد بلغ من ذلك ﷺ الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ، ومما يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره ﷺ للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم الى ان انقادوا اليه صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهاجروا في رضاه أوطانهم انتهى والله أعلم

باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم التي هي مصيبة الاولين والآخرين من المسلمين

ذكر أنه ﷺ خرج الى البقيع من جوف الليل فاستغفرلهم * فعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال له في جوف الليل اني قد أمرت ان استغفر لاهل البقيع فانطلق معي ، قال فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم ، قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون مانجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الأخيرة شر من الاولى ، قال ثم أقبل علي ، وقال يا أبا مويهبة هل علمت اني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها . ثم الجنة وخيرت بين ذلك و بين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي والجنة أي وفي رواية أن أبا مويهبة قال له بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح خزائن الارض والخلد فيها . ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم رجع ﷺ الى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك ابتدأه الصداع ، أي وفي رواية ذهب بعد ذلك الى قتلى أحد فصلى عليهم فرجع معصوب الرأس فكان ذلك بدء الوجع الذي مات فيه ، وفي رواية رجع من جنازة بالبقيع . قالت عائشة رضي الله عنها لما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه ، فقال ﷺ بل أنا وارأساه . قال لو كان ذلك وأنا حي فاستغفر لك وأدعو لك وأكفنك وأدفنك ، وفي لفظ وما يضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ، فقلت واثكلاه . والله انك لتحب موتي فلو كان ذلك لظللت يومك معرسا ببعض أزواجك ، قالت فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ بل أنا وارأساه لقد هممت ان أرسل الى أبيك وأخيك فأقص أمري وأعهد عهدي فلا يطمع في الدنيا طامع ، وفي لفظ ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ، وفي رواية انها قالت قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ادعي لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر ، وفي رواية لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم ، قال أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر . قال ابن كثير رحمه الله وقد خطب رسول الله ﷺ خطبة بين فيها فضل الصديق رضي الله عنه من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين * ولعل خطبته ﷺ هذه كانت عوضا عما أراد ﷺ ان يكتبه في الكتاب ، وفي رواية انه اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم رجال ، فقال صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال بعضهم . أي وهو سيدنا عمر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، أي وانما قال ذلك رضي الله عنه تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهم فأمرهم بالخروج من عنده ، وجاء ان العباس رضي الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فاني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت أي وفي رواية خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مرضه الذي مات فيه ، فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عمه العباس رضي الله عنهما . وقال له والله انت بعد ثلاث عبد العصى . واني لأرى

رسول الله ﷺ من وجعه هـذا بعـد ثلاث الا ميتا فانى رأيت فى وجهـه ما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا الى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا كلمناه فاوصى بنا ، فقال على كرم الله وجهـه والله لا أسألها رسول الله ﷺ قالت عائشة رضى الله عنها وصار ﷺ يدور على نسائه فاشتد به المرض عند ميمونة رضى الله عنها وقيل فى بيت زينب رضى الله عنها ، وقيل فى بيت ريحانة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها فدعا ﷺ نساءه فاستأذنهن ان يمرض فى بيتى فأذن له ، وفى رواية صار يقول وهو فى بيت ميمونة أين أنا غدا أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة رضى الله عنها . وفى البخارى يقول أين أنا اليوم أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة رضى الله عنها فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة ، وفى رواية عنها ان رسول الله ﷺ بعث الى النساء فى مرضه فاجتمعن ، فقال انى لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن ان تأذن لى فأكون فى بيت عائشة فعلتن فاذن له قالت فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله معتمدا عليهما الفضل بن العباس ورجل آخر ، وفى رواية بين عباس بن عبد المطلب و بين رجل آخر ، وفى رواية بين أسامة ورجل آخر عاصبا رأسه الشريف تخط قدماه الارض حتى دخل بيتى ، قال ابن عباس رضى الله عنهما الرجل الذى لم تسمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أى فانه كان بينها و بين على ما يقع بين الاحماء ، وقد صرحت بذلك لما أرادت ان تتوجه من البصرة بعـد انقضاء وقعـة الجمل وخروج الناس ومن جملتهم على كرم الله وجهه لتوديعها . حيث قالت والله ما كان بينى و بين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، فقال على أيها الناس صدقت والله و برت ما كان بيننا و بينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة ، وقد تقدم ذلك ثم غمر رسول الله صـلى الله عليه وسلم واشـتد به وجعه ، فقال هريقوا على من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فأعهد اليهم فأقعدناه صلى الله عليه وسلم فى مخضب إناء من حجر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم ، وفى لفظ حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن أى وصب المياه المذكورة له دخل فى دفع السم أى فانه صلى الله عليه وسلم صار يقول لعائشة ياعائشـة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أسممته بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الشريف حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد . أى دعا لهم فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم . ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها أبو بكر رضى الله تعالى عنه وعرف أن نفسه يريد . أى فبكى أبو بكر [] فقال نفديك بأنفسنا وآبائنا . فقال على رسلك يا أبا بكر . أى وفى رواية قال يا أبا بكر لا تبك : أيها الناس ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، وهذا حديث صحيح جاء عن بضعة عشر صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر . وفى أخرى ان أعظم الناس على منا فى صحبته وذات يده أبو بكر وفى أخرى فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى يدا فى الصحابة من أبى بكر ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة . أى وفى الحديث حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت شرا استغفرت لكم أى وهذا بيان للثانى لاستغناء الأول عن البيان ، ومعلوم ان خيرا وشرا هنا ليسا أفعل تفضيل الذى يوصل بمن حتى يلزم التناقض بل المراد ان ذلك فضيلة ، ثم قال ﷺ انظروا هـذه الابواب اللاصقة فى المسجد ، أى وفى لفظ هذه الابواب الشوارع فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر . أى وفى لفظ الا ما كان

من باب أبي بكر فاني وجدت عليه نورا ، وفي لفظ سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الاخوخة أبي بكر فان المراد بالابواب الخوخ فاني لا أعلم ان أحدا كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه ، أي وفي لفظ أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر ، وفي لفظ لاتؤذوني في صاحبي ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ألا فسدوا كل خوخة الاخوخة ابن أبي قحافة ، أي وجاء في الحديث لكل نبي خليل من أمته وان خليلي أبو بكر وان الله اتخذ صاحبكم خليلا ، وفي رواية وان خليلي عثمان بن عفان وجاء لكل نبي خليل وخليلي سعد بن معاذ ، وفي أسباب النزول للثعالبي عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه ، قال قال رسول الله ﷺ ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا وله خليل ألا وان خليلي أبو بكر ، وفي رواية الجامع الصغير ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وان خليلي أبو بكر . وفي رواية الجامع الصغير خليلي من هذه الامة أويس القرني ولعل هذا كان قبل أن يقول ﷺ في مرض موته قبل موته بخمسة أيام الى أبرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا لكن خلة الاسلام أفضل ، وفي رواية ولكن أخوة الاسلام ومودته ، وفي رواية لكن أخي وصاحبي وجمع بأن الاول أي اثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها ونفيها عن غير الله محمول على كمالها ، ثم لا يخفى ان قوله ﷺ ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا يدل على ان مقام الخلة أرقى من مقام المحبة وان المحبة والخلة ليسا سواء خلافا لمن زعم ذلك أي ولا مانع ان يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل فلاحاجة الى ماتكلفه بعضهم مما يدل على ان مقام المحبة أفضل من مقام الخلة أي الذي يدل عليه ماجاء الا قائل قولا غير هجر ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وعند ذلك أي اغلاق الأبواب ، قال الناس أغلق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال النبي ﷺ قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر واني أرى على باب أبي بكر نورا وأرى على أبوابكم ظلمة لقد قلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت ، وأمسكتم الاموال وجاد لي بماله . وخذلتموني وواساني أي ولعل قولهم وترك باب خليله لاينافي ماتقدم من عدم اتخاذه خليلا ، وروى انه ﷺ لما أمر بسد الابواب الاباب أبي بكر ، قال عمر يارسول الله دعني افتح كوة أنظر اليك حيث تخرج الى الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ لا ، وقال العباس بن عبد المطلب يارسول الله مابالك فتحت أبواب رجال في المسجد يعني أبا بكر ومابالك سددت أبواب رجال في المسجد ، فقال ياعباس مافتحت عن أمري ولا سددت عن أمري ، وفي لفظ ما أنا سددتها ولكن الله سدها ، وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ أمر بسد الابواب الاباب علي ، قال الترمذي حديث غريب ، وقال ابن الجوزي هو موضوع وضعه الرافضة ليقابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر وجمع بعضهم بأن قصة علي متقدمة على هذا الوقت ، وأن الناس كان لكل بيت منا بان باب يفتح للمسجد وباب يفتح خارجه الابيت علي كرم الله وجهه فانه لم يكن له الاباب من المسجد وليس له باب من خارج فأمر صلى الله عليه وسلم بسد الابواب : أي التي تفتح للمسجد . أي بتضييقها وصيرورتها خوخا الاباب علي كرم الله وجهه فان عليا لم يكن له الاباب واحد ليس له طريق غيره كما تقدم فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بجعله خوخة ثم بعد ذلك أمر ﷺ بسد الخوخ الا خوخة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وقول بعضهم حتى خوخة علي كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت ان عليا كرم الله وجهه لم يكن له الاباب واحد فالباب

فى قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس المراد به حقيقته بل الخوخة ، وفى قصة على كرم الله وجهه المراد به حقيقته ☆ أقول ومما يدل على تقدم قصة على كرم الله وجهه ماورى عنه قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن سد بابك قال سمعا وطاعة فسد بابه ، ثم أرسل الى عمر ثم أرسل الى العباس بمثل ذلك ففعلا وأمرت الناس ففعلوا وامتنع حمزة ، فقلت يارسول الله قد فعلوا الاحمزة فقال صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول بابه فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك فحوله وعند ذلك قالوا يارسول الله سددت أبوابنا كلها الاباب على " فقال ماأناسددت أبوابكم ولكن الله سدها . وفى رواية ماأناسددت أبوابكم وفتحت باب على ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم ، وجاء أنه ﷺ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فانى أمرت بسد هذه الابواب غير باب على فقال فيكم قائلكم وانى والله ماسددت شيئا ولافتحته ولكنى أمرت بشئ فاتبعه انما أناعبد مأمور ماأمرت به فعلت (ان أتبع الامايوحى الىّ) ومعلوم ان حمزة رضى الله تعالى عنه قتل يوم أحد فقصة على كرم الله وجهه متقدمة جدا على قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وعلى كون المراد بسد الابواب تضييقها وجعلها خوخا يشكل ماجاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على فقال العباس يارسول الله قدر ماأدخل أنا وحدى وأخرج قال ماأمرت بشئ من ذلك فسدها كلها غير باب على ، فعلى تقدير صحة ذلك يحتاج الى الجواب عنه وعلى هذا الجمع يلزم أن يكون باب على كرم الله وجهه استمر مفتوحا فى المسجد مع خوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما علم أنه لم يكن لعلى باب آخر من غير المسجد ، وحينئذ قد يتوقف فى قول بعضهم فى سد الخوخ الاخوخة أبى بكر اشارة الى استخلاف أبى بكر لانه يحتاج الى المسجد كثيرا دون غيره لكن فى تاريخ ابن كثير رحمه الله وهذا أى سد جميع الابواب الشارعة الى المسجد الا باب على لاينافى ماثبت فى صحيح البخارى من أمره ﷺ فى مرض الموت بسد الابواب الشارعة الى المسجد الا باب أبى بكر لان فى حال حياته صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضى الله تعالى عنها تحتاج الى المرور من بيتها الى بيت أبيها صلى الله عليه وسلم فأبقى صلى الله عليه وسلم باب على كرم الله وجهه لذلك رفقا بها ، وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزالت هذه العلة فاحتيج الى فتح باب الصديق رضى الله تعالى عنه لاجل خروجه الى المسجد ليصلى بالمسلمين لانه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه ، وهو يفيد أن باب على كرم الله وجهه سد مع سد الخوخ ولم يبق الاخوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وجعل لبيت على كرم الله وجهه باب من الخارج ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لايحل لاحد جنب مكث فى المسجد غيرى وغيرك وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه حتى انتهى الى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته أنه لايحل المسجد لجنب ولا لحائض الالمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد ألاهل بينت لكم أن لاتضلوا قال الحافظ ابن كثير وهذا أى الثانى اسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه والمراد المكث فى المسجد لاالمرور به والاستطراق منه فان ذلك لكل أحد ، ثم رأيت الحافظ السيوطى رحمه الله أشار الى ذلك وذكر أن مثل على كرم الله وجهه فيماذكر ولداه الحسن والحسين حيث قال وكذا على بن أبى طالب والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث فى المسجد مع الجنابة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم يامعشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا انهم كانوا عيبتى التى أويت اليهم فأحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته هذه «أيها الناس من أحس من نفسه شيئا فليقم أدع الله له فقام اليه رجل فقال يارسول الله انى لمنافق وانى لكذوب وانى لنئوم فقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وايمانا وأذهب عنه النوم اذا شاء» قال ابن كثير فى اسناده ومتنه غرابة شديدة ، وأمر صلى الله عليه وسلم فى مرضه أبا بكر أن يصلى بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشاء وقد أذن بلال ، فقال ضعوا لى ماء فى المخضب أى وهو شبه الاجانة من نحاس فاغتسل فيه أى وهذا مع ماسبق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان له مخضب من حجر ومخضب من نحاس . ثم أراد صلى الله عليه وسلم ان يذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس ؟ فقلنا لاهم ينتظرونك أى وعند ذلك قال ضعوا لى ماء فى المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمى عليه . ثم أفاق فقال أصلى الناس ؟ قلنا لاهم ينتظرونك يارسول الله قال ضعوا لى ماء فى المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس ؟ قلنا لاهم ينتظرونك يارسول الله والناس ملمومة فى المسجد ينتظرون النبى صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة فأرسل الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه بأن يصلى بالناس فأتاه الرسول فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لعمر ياعمر صل بالناس فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أنت أحق بذلك . وفى رواية أن بلالا رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال الصلاة يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لاأستطيع الصلاة خارجا ومر عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضى الله تعالى عنه وهو يبكى فقال له المسلمون ماوراءك يابلال ، فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستطيع الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا ، وقال لعمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس فقال عمر رضى الله تعالى عنه ما كنت لأتقدم بين يدى أبى بكر أبدا فادخل على نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن أبا بكر على الباب فدخل عليه صلى الله عليه وسلم بلال رضى الله تعالى عنه فأخبره بذلك فقال نعم ما رأى مر أبا بكر فليصل بالناس فخرج الى أبى بكر فأمره أن يصلى بالناس فصلى بالناس . وفى رواية فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت ان أبا بكر رجل أسيف أى رقيق القلب اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت لحفصة قولى له ان أبا بكر اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة مه انكن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام . وفى لفظ انكن لأنتن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت حفصة رضى الله تعالى عنها لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا ومروا أبا بكر فليصل بالناس أى مثل صاحبة يوسف عليه الصلاة والسلام وهى زليخا اظهرت خلاف ماتبطن أظهرت للنساء اللاتى جمعتهن انها تريد اكرامهن بالضيافة وانما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام فيعذرنها فى حبه والنبى صلى الله عليه وسلم فهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ والمنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها انما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس أبا بكر فيكرهونه حيث قام مقامه

صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنها رضي الله تعالى عنها انها قالت ماحملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس منه . وفي رواية ان الانصار رضي الله تعالى عنهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد وأشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك ثم دخل عليه علي كرم الله وجهه فأخبره بذلك ثم دخل عليه العباس رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه . وقال «أيها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ألا واني لاحق بربي وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم بخير فان الله يقول (والعصر ان الانسان لفي خسر) السورة وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عزوجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم الا فاني فرطكم وأنتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا أيها الناس أن الذنوب تغير النعم فاذا بر الناس برتهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوا أئمتهم» وفي الحديث «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى خيرية الموت بأنه فرط فخير صفة لا أفعل تفضيل حتى يشكل بأنه يقتضي ان حياتي خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي كما مر ، ثم لازال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس سبع عشرة صلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية أي أتى بها منفردا وقال صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبي حتى يؤمه رجل من قومه أي وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم لما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف كما تقدم في تبوك . قال وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة أي وأبو بكر في الصلاة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذهب ليتأخر فأومأ اليه أن لا يتأخر وأمرهما فأجلساه الى جنب أبي بكر عن يساره . وفي رواية عن يمينه وأنه صلى الله عليه وسلم دفع في ظهر أبي بكر وقال صل بالناس أي ومنعه من التأخر فجعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا انتهى ، وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم صلى مقتديا بأبي بكر رضي الله تعالى عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء في لفظ فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ يأتم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر وفي لفظ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم صلوا خلف أبي بكر وأبو بكر يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير وقد بوب البخاري على

ذلك باب من أسمع الناس تكبير الامام وقال بعد ذلك الرجل باب يأتم بالامام و يأتم الناس بالمأموم فان منعه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبى بكر أو على يمينه يدل على ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم بل استمر اماما اذ لا يجوز عندنا أن يقتدى أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع تقدم أبى بكر عليه صلى الله عليه وسلم فى الموقف وحينئذ يخالف ذلك قول فقهائنا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم اقتدوا برسول الله ﷺ بعد اقتدائهم بأبى بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بامامين على التعاقب اذ لا يحسن ذلك الا أن يكون أبو بكر رضى الله تعالى عنه تأخر ونوى الاقتداء به ﷺ الا أن يقال يجوز أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر تكررت ففى مرة منعه ﷺ من التأخر واقتدى به وفى مرة تأخر أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن موقفه واقتدى بالنبى ﷺ واقتدى الناس بالنبى بعد اقتدائهم بأبى بكر وصار أبو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافى ذلك قول البخارى الرجل يأتم بالامام و يأتم الناس بالمأموم لجواز أن يكون المراد يقتدون و يتبعون تكبير المأمون، ثم رأيت الترمذى رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته ﷺ خلف أبى بكر رضى الله تعالى عنه حيث قال ثبت أنه ﷺ صلى خلف أبى بكر مقتديا به فى مرضه الذى مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه و به يرد قول البيهقى رحمه الله والذى دلت عليه الروايات أن النبى ﷺ صلى خلفه فى تلك الايام التى كان يصلى بالناس فيها مرة و لى أبو بكر رضى الله تعالى عنه خلفه صلى الله عليه وسلم مرة وقال ﷺ فى مرضه ذلك يوما لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا، أى صلاة الصبح وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه غائبا فقدم عبد الله عمر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه الشريف حتى أطلعه للناس من حجرته ثم قال صلى الله عليه وسلم لا لا لا ثلاث مرات ليصل بهم ابن أبى قحافة فانتقضت الصفوف وانصرف عمر رضى الله تعالى عنه. أى من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن أبى قحافة فتقدم وصلى بالناس الصبح، وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت عمر رضى الله تعالى عنه قال أليس هذا صوت عمر فقالوا بلى يارسول الله فقال يأبى الله ذلك والمؤمنون، وفى لفظ يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر قال ذلك ثلاثا، قال فى السيرة الهشامية فبعث صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فجاء بعد ان صلى عمر رضى الله تعالى عنه تلك الصلاة فصلى بالناس، وقد يقال المراد بصلى عمر تلك الصلاة نوى تلك الصلاة ودخل فيها فلا يخالف ماتقدم من انتقاض الصفوف وانصراف عمر رضى الله تعالى عنه من الصلاة وقال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ماظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا فقال عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه ماأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن حيث لم أر أبا بكر ورأيتك أحق من حضر بالصلاة، وفى آخر يوم أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الستارة والناس خلف أبى بكر فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار اليهم. صلى الله عليه وسلم ان امكثوا وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من هيئة المسلمين فى صلاتهم سرورا منه صلى الله عليه وسلم بذلك وذلك يوم الاثنين يوم موته صلى الله عليه وسلم، ثم ألقى الستارة، وفى السيرة الهشامية لما كان يوم الاثنين قبض الله تبارك وتعالى فيه رسول الله ﷺ وخرج الى الناس وهم يصلون الصبح، فرفع الستر

وفتح الباب خرج رسول الله ﷺ فقام على باب عائشة رضى الله تعالى عنها فكاد المسلمون
يقتتلون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به فأشار اليهم ، ان اثبتوا على صلاتكم
ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه فرجع أبو
بكر رضى الله تعالى عنه الى أهله بالسنح ، وفيها فى رواية انه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه اى صلاة الصبح وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ
فرح الناس فعرف أبو بكر رضى الله تعالى عنه ان الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله ﷺ
فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله ﷺ فى ظهره . وقال صل بالناس وجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى جنبه على يمين أبى بكر رضى الله تعالى عنه فصلى قاعدا ، فلما فرغ ﷺ
من الصلاة أقبل على الناس ، رافعا صوته حتى خرج من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت
النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم انى والله ماتمسكون على بشئ انى لم أحل الاما أحل القرآن ولم
أحرم الاماحرم القرآن ، ولما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه . قال له أبو بكر رضى الله تعالى
عنه يارسول الله قد أراك أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفا آتيها
قال نعم ثم دخل صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى أهله بالسنح . فتوفى رسول
الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم ، فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وقد أمر ﷺ
أبا بكر رضى الله تعالى عنه أن يصلى بالناس قبل مرضه فانه ﷺ خرج الى قباء بعد ان صلى
الظهر ، وقد وقع بين طائفتين من بنى عمرو بن عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة ليصلح بينهم
. فقال صلى الله عليه وسلم لبلال رضى الله تعالى عنه ان حضرت صلاة العصر ، ولم آتك فمر أبا بكر
فليصل بالناس ، فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال ، ثم أقام ثم أمر أبا بكر رضى الله تعالى عنه فتقدم
وصلى بالناس فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبى بكر فصفح الناس أى
صفقوا ، فلما كثر ذلك التفت أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
فاراد التأخر ، فأومأ اليه صلى الله عليه وسلم أن يكون على حاله وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى بالناس ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته : قال يا أبا بكر مايمنعك اذ أومأت اليك أن
لاتكون ثبت . فقال أبو بكر يارسول الله لم يكن لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال للناس اذانابكم فى صلاتكم شئ فلتسبح الرجال ولتصفق النساء . وهذا استدل به القاضى عياض
رحمه الله على انه لايجوز لاحد ان يؤمه ﷺ لانه لايصلح للتقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم
فى الصلاة ولافى غيرها لالعذر ولا لغيره . وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له
صلى الله عليه وسلم . وقد قال صلى الله عليه وسلم «أئمتكم شفعاؤكم» وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته
صلى الله عليه وسلم خلف عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه ركعة . وسيأتى الجواب عن ذلك
ولعل هذه المرة كانت فى اليوم الذى توفى فيه صلى الله عليه وسلم . فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم
صلى بالناس الغداة . ورأى المسلمون أنه ﷺ قد برئ ففرحوا فرحا شديدا ثم جلس صلى الله عليه
وسلم فى مصلاه يحدثهم حتى أضحى ثم قام صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يتفرق الناس من مجلسهم
حتى سمعوا صياح الناس وهب يقلب الماء ظننا انه غشى عليه وابتدر المسلمون الباب فسبقهم
العباس رضى الله تعالى عنه . فدخل وأغلق الباب . دونهم . فلم يلبث ان خرج اليهم

فنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا ياعباس ماأدركت منه صلى الله عليه وسلم فقال أدركته ، وهو يقول جلال ربى الرفيع قد بلغت ثم قضى ، فكان هذا آخر شئ تكلم به رسول الله ﷺ ، ثم رأيته فى الامتاع نقل هذا القول الذى قدمته عن البيهقى . وذكر فى رواية أخرى لم يزل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فأقلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعك . وأصبح مفيقا فعمد الى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وعلى غلام له يدعى ثوبان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقد شهد الناس مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه ركعة من صلاة الصبح وقام ليأتى بالركعة الاخرى : فجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينفرجون له حتى قام الى جنب أبى بكر رضى الله تعالى عنه فاستأخر أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه فى مصلاه وجلس صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ أبو بكر رضى الله تعالى عنه من صلاته أتم رسول الله ﷺ الركعة الأخيرة . ثم انصرف الى جدع من جدوع المسجد فجلس الى ذلك الجذع ، واجتمع اليه المسلمون يسلمون عليه و يدعون له بالعافية ، ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل بيت عائشة ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه على عائشة رضى الله تعالى عنها ، وقال الحمد لله قد أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم معافى ، وأرجو أن يكون الله عز وجل قد شفاه . ثم ركب رضى الله تعالى عنه فلحق بأهله بالسنح وانقلبت كل امرأة من نسائه صلى الله عليه وسلم الى بيتها ، فلما دخل ﷺ اشتد عليه الوعك ، فرجع اليه من كان ذهب من نسائه ، وأخذ فى الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق و يشخص بصره الى السماء ، فيقول فى الرفيق الأعلى الاله ، وكان عنده ﷺ وقد اشتد به الامر قدح فيه ماء ، وفى لفظ بدل قدح علباء ، وفى لفظ ركوة فيها ماء . فلما اشتد عليه ﷺ الأمر صار يدخل يده الشريفة فى القدح ثم يمسح وجهه الشريف بالماء و يقول اللهم أعنى على سكرات الموت ؛ أى غمراته * وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها صار صلى الله عليه وسلم لما يغشاه الكرب وتقول وا كرب أبتاه يقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد اليوم * أقول وجاء أنه ﷺ قالوا كرباه ، وقال لا إله إلا الله ان للموت لسكرات اللهم أعنى على سكرة الموت ، وفى رواية اللهم أعنى على كرب الموت ، والحكمة فى ذلك . أى فيما شوهد من شدة مالقى من الكرب عند الموت تسلية أمته ﷺ اذا وقع لأحد منهم شئ من ذلك عند الموت . ومن ثم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد رسول الله ﷺ . وفى روايه لاأزال أغبط المؤمن بشدة الموت بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهده من أهله وغيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم من المشقة عليه كما قيل بمثل ذلك فى حكمة مايشاهد من حال الأطفال عند الموت من الكرب الشديد * ثم رأيت الأستاذ الاعظم الشيخ محمدا البكرى رحمه الله ونفعنا به سئل عن ذلك ، فأجاب بأجوبة منها هذا الذى ذكرته ، ومنها أن مزاجه الشريف كان أعدل الأمزجة فاحساسه ﷺ بالألم أكثر من غيره . ومن ثم قال ﷺ انى لأوعك كما يوعك رجلان منكم ولأن تشبث الحياة الانسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لانه أصل الموجودات كلها أى كما تقدم ، أى وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت مارأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ . وقال صلى الله عليه وسلم فى مرضه ليس أحد أشد بلاء من الانبياء كان النبى من الانبياء

الله يسلط عليه القمل حتى يقتله . وكان النبي ﷺ ليعرى حتى ما يجد ثوبا يوارى به عورته الا العباءة يدرعها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء . وقال صلى الله عليه وسلم ما يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشى على الارض ليس عليه خطيئة وقال ليس من عبد مسلم يصيبه أذى فما سواه الا حط عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها ، وفى لفظ لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة . وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل يشتكى و يتقلب على فراشه . وكان يعوذ بهذه الكلمات اذا اشتكى أحد من الناس منه اذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ، فلما ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه أخذت بيده اليمنى وجعلت أمسحه بها فأعوذه بتلك الكلمات فانتزع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من يدى وقال اللهم اغفرلى واجعلنى فى الرفيق الاعلى مرتين * وفى رواية لم يشتك صلى الله عليه وسلم شكوى الا سأل الله العافية حتى كان مرضه الذى مات فيه فانه لم يكن يدعو بالشفاء ، وطفق صلى الله عليه وسلم يقول يانفس مالك تلوذين كل ملاذ . أى وعن عائشة رضى الله عنها دخل على عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ومعه سواك يستن به أى من عسيب النخل وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضريع الارك وهو قضيب يلتوى من الاراكة حتى يبلغ التراب فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها فنظر اليه رسول الله ﷺ فعرفت أنه يريده لانه كان يحب السوك ، فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناولته فقضمته ثم مضغته ، وفى رواية فتناولته وناولته اياه فاشتد عليه ، فقلت ألينه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند الى صدرى : وكانت رضى الله عنها تقول ان من نعم الله على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى بيتى و بين سحرى ونحرى أى والسحر الرئة ، وفى رواية بين حاقنتى وداقنتى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته وفى رواية جمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة . وجاء انهم لدوه ﷺ فى هذا المرض أى سقوه لدودا من أحد جانبى فمه وجعل يشير اليهم وهو ﷺ مغمى عليه أن لا يفعلوا به وهم يظنون ان الحامل له على ذلك كراهة المريض للدواء فلما أفاق قال ألم انهكم أن تلدونى لا يبقى أحد فى البيت الا لد وأنا أنظره الا العباس فانه لم يشهدكم وهذا رد عليهم فانه قد جاء انهم قالوا له عمك العباس أمر بذلك ولم يكن له فى ذلك رأى انما قالوا ذلك تعللا وخوفا منه ﷺ قالوا وتخوفنا أن يكون ذات الجنب فان الخاصرة أى وهو عرق فى الكلية اذا تحرك وجع صاحبه كانت تأخذ رسول الله ﷺ فأخذته ذلك اليوم فأغمى عليه حتى ظنوا أنه قد هلك فلدوه أى لدته أسماء بنت عميس رضى الله عنها ، فلما أفاق وأراد أن يلد من فى البيت لد جميع من فى البيت حتى ميمونة رضى الله عنها وكانت صائمة هذا ، وفى رواية أنه لما اشتد عليه ﷺ المرض دخل عليه عمه العباس رضى الله عنه وقد أغمى عليه فقال لازواج النبي ﷺ لو لددتنه . قلن اما لا نجترئ على ذلك فأخذ العباس يلدده فأفاق رسول الله ﷺ فقال من لدنى ، فقد اقسمت ليلدن الا أن يكون العباس فانكم لدتمونى وأنا صائم قلن فان العباس هو قد لدك ، وقالت له أسماء بنت عميس رضى الله عنها انما فعلنا ذلك ظننا ان بك يارسول الله ذات الجنب ، فقال لها ان ذلك لداء ما كان الله ليعذبنى به * وفى رواية أما أ كرم على الله من أن يعذبنى بها وفى أخرى انها من الشيطان وما كان الله ليسلطها على قال بعضهم وهذا يدل على انها من سيء الاسقام التى استعاذ ﷺ منها بقوله اللهم انى أعوذ بك من

الجنون والجذام وسيء الاسقام ، وفى السيرة الهشامية لما أغمى عليه ﷺ اجتمع عليه نساء من نسائه منهم أم سلمة وميمونة ومن نساء المؤمنين منهم أسماء بنت عميس وعنده ﷺ العباس عمه واجمعوا على أن يلدوه فلدوه ، فلما أفاق ﷺ قال من صنع هذا بى قالوا يارسول الله عمك ، فقال عمه العباس رضى الله عنه حسبنا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال ان ذلك داء ما كان الله ليعذبنى به لايبقى فى البيت أحد الالد الا عمى فلدوا حتى ميمونة وكانت رضى الله تعالى عنها صائمة عقوبة لهم بما صنعوا ، وأعتق رسول الله ﷺ فى مرضه هذا أربعين نفسا وكانت عنده ﷺ سبعة دنانير أوستة فأمر عائشة رضى الله عنها أن تتصدق بها بعد أن وضعها ﷺ فى كفه وقال ماظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده فتصدقت بها . وفى رواية أمرها بارسالها الى على كرم الله وجهه ليتصدق بها فبعثت بها اليه فتصدق بها بعد أن وضعها فى كفه وقد كان العباس رضى الله عنه قبل ذلك بيسير رأى أن القمر قد رفع من الارض الى السماء فقصها على النبى ﷺ فقال له هو ابن أخيك ، وجاءه ﷺ جبريل عليه السلام صحبة ملك الموت وقال له يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فاقبض يا ملك الموت كما أمرت . فتوفى رسول الله ﷺ ، وفى لفظ أتاه جبريل عليه السلام ، فقال يامحمد ان الله أرسلنى اليك تكريما لك وتشريفا يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى ياجبريل مكروبا ، ثم جاء اليوم الثانى والثالث ، فقال له ذلك فرد عليه ﷺ بمثل ذلك وجاء معه فى اليوم الثالث ملك الموت فقال له جبريل عليه السلام هذا ملك الموت يستاذن عليك مااستأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك أتأذن له فأذن له فدخل فسلم عليه ؛ ثم قال يامحمد ان الله أرسلنى اليك فان أمرتنى ان أقبض روحك قبضت وان أمرتنى ان أترك تركت قال أوتفعل قال نعم وبذلك أمرت فنظر النبى ﷺ لجبريل عليه السلام فقال له يامحمد ان الله قد اشتاق الى لقائك أى وفى رواية أتاه جبريل عليه السلام ، فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ورحمة الله ويقول لك ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى مايشاء * وفى رواية الخلد فى الدنيا ثم فى الجنة أحب اليك أم لقاء ربك ، ثم الجنة فقال رسول ﷺ لقاء ربى ثم الجنة أى وجاء ان جبريل عليه السلام قال هذا آخر وطئى بالارض ، وفى لفظ آخر عهدى بالارض بعدك ولن اهبط الى الارض لاحد بعدك . قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث ضعيف جدا ولو صح لم يكن فيه معارضة أى لما ورد انه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلون على كل قائم وقاعد يذكر الله لانه يحمل على أنه آخر نزوله بالوحى وفيه أنه ذكر أن حديث يوحى الله الى عيسى عليه السلام أى بعد قتله الدجال صريح فى أنه يوحى اليه بعد النزول والظاهر أن الجائى اليه عليه السلام بالوحى جبريل عليه السلام بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته لانه السفير بين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فقال رسول الله ﷺ لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه الشريفة وعند اشتداد الامر به ﷺ أرسلت عائشة رضى الله عنها خلف أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، أى لانه لما تقدم لما رأى رسول الله ﷺ مفيقا وقال له قد رد الله بك علينا عقولنا وقد أصبحت بنعمة من الله وفضل ، فقال له أبو بكر يارسول الله اليوم يوم بنت خارجة يعنى زوجته وكانت بالسنح قال له ائت أهلك فقام أبو بكر وذهب وارسلت حفصة خلف عمر وارسلت فاطمة خلف على كرم الله وجهه فلم يجىء أحد منهم حتى توفى رسول الله ﷺ وهو فى صدر عائشة وذلك يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول

هكذاذكر بعضهم وقال السهيلى لايصح أن يكون وفاته يوم الاثنين الافى ثالث عشرة أورابع عشرة لاجماع المسلمين على ان وقفة عرفة كانت يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة ، وكان المحرم اما بالجمعة واما بالسبت ، فان كان السبت فيكون أول صفر اما الاحد أو الاثنين فعلى هذا لا يكون الثانى عشر من شهر ربيع الاول بوجه . وقال الكلبى انه توفى فى الثانى من شهر ربيع الاول . قال الطبرى وهذا القول وان كان خلاف الجمهور فلا يبعد ان كانت الثلاثة أشهر التى قبلها كلها تسعة وعشرين يوما وفيما قاله نظر لمتابعة أنس بن مالك فيما حكاه البيهقى والواقدى ، وقال الخوارزمى توفى أول شهر ربيع الاول ، وفى رواية ان سالم بن عبيد ذهب وراء الصديق الى السنح فأعلمه بموت رسول الله ﷺ ولا يخالف ماقبله لانه يجوز أن يكون ذلك ذهب الى الصديق بعد الرسول الذى أرسلته له عائشة رضى الله عنها قبل موته ﷺ وآخر ماتكلم به عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يترغرغ بها فى صدره ولا يفيض بها لسانه . وآخر ماعهد به رسول الله ﷺ لايترك بجزيرة العرب دينان وكانت مدة شكواه ﷺ ثلاث عشرة ليلة ، وقيل أربع عشرة ليلة ، وقيل اثنتى عشرة ليلة ، وقيل عشرا وقيل ثمانية ، وقالت فاطمة رضى الله عنها لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وا أبتاه أجاب داع دعاه ياأبتاه الفردوس مأواه ياأبتاه الى جبريل تنعاه ، قال ابن كثير رحمه الله وهذا لايعد نياحة بل هو من ذكر فضائل الحق عليه عليه أفضل الصلاة والسلام قال وانما قلنا ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت من سفاهة رأيى وحداثة سنى انى أخذت وسادة فوسدت بها رأسه الشريف من حجرى ، ثم قمت مع النساء أبكى وأتندم ولا أتندم ضرب الخد باليد عند المصيبة وسمعوا قائلا ولايرون شخصه يقال انه الخضر عليه السلام أى قال على كرم الله وجهه أتدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام ، وفى اسناده متروك يقول السلام عليكم ياأهل البيت ورحمة الله وبركاته (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة) ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال ابن كثير رحمه الله هذا الحديث مرسل وفى اسناده ضعف وسجى صلى الله عليه وسلم بثوب حبرة أى بالاضافة بردمن برود اليمن ولم أقف على ان ثيابه صلى الله عليه وسلم التى كانت عليه قبل الموت نزعت عنه ، ثم سجى الاان كلام فقهائنا يشعر بذلك حيث جعلوا ذلك دليلا لنزع ثياب الميت وستره بثوب ، وعند ذلك دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم ، فأما عمر رضى الله تعالى عنه نخبل ، وأما عثمان رضى الله تعالى عنه فأخرس ، وأما على كرم الله وجهه فأقعد ، وجاء أبو بكر وعيناه تهملان فقبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جاشهم ، أى فان عمر رضى الله تعالى عنه صار فى ناحية المسجد يقول والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى ناس من المنافقين كثير وأرجلهم وصار رضى الله عنه يتوعد من قال انه مات بالقتل أو القطع ، ونقل عنه رضى الله عنه انه قال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولكن مامات ولكن ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ، ثم رجع الى قومه بعد أربعين ليلة بعد ان قيل قدمات والله ليرجعن رسول الله

ﷺ كما رجع موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم : ولازال رضي الله عنه يتوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه . فقام أبو بكر رضي الله عنه وصعد المنبر وقال كلاما بليغا . ثم قال . أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ، فقال عمر رضي الله عنه هذه الآية في القرآن ، وفي لفظ فكأني لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا . ثم قال (إنا لله و إنا إليه راجعون) صلوات الله وسلامه على رسوله ﷺ وعند الله نحتسب رسوله قال يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه وقال الله تعالى لمحمد ﷺ (إنك ميت وإنهم ميتون) ، وقال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) . وقال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوا الجلال والاكرام) . وقال تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة كما سيأتي أقبلوا على جهاز رسول الله ﷺ . واختلفوا هل يغسل في ثيابه أو يجردمنها كما تجرد الموتى ، فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه فانه كان طاهرا ، فقال أهل البيت صدق فلا تغسلوه ، فقال العباس رضي الله عنه لا ندع سنة لصوت لا ندري ماهو فغشيهم النعاس ثانية فناداهم أن غسلوه وعليه ثيابه ، أي وزاد في رواية فان ذلك ابليس وأنا الخضر ، وفي رواية لاتنزعوا عن رسول الله ﷺ قيصه . قال الذهبي حديث منكر . فقاموا الى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قيصه ، وفي لفظ وعليه قيص ومحول مفتوح يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم على والعباس وكذا ولد العباس الفضل وقثم فكان العباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه مع علي : وفي لفظ غسله علي والفضل محتضنه والعباس يصب الماء وجعل الفضل رضي الله عنه يقول أرحني قطعت وتيني وأسامة وشقران مولاه . وفي لفظ وصالح مولاه ﷺ يصبان الماء ولف علي كرم الله وجهه على يده خرقة وأدخلها تحت القميص يغسل بها جسده الشريف . وعن علي كرم الله وجهه ذهبت ألتمس منه مايلتمس من الميت : أي مايخرج من بطن الميت فلم أرشيئا . فكان ﷺ طيبا حيا وميتا . وماتناولت منه ﷺ عضوا الا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلا : أي ويحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم عن الفضل رضي الله عنه . قيل وتغسيل علي كرم الله وجهه له ﷺ كان بوصية منه ﷺ له . فعن علي كرم الله وجهه ان رسول الله ﷺ أوصى ان لايغسله أحد غيري . وفي لايرى أحد عورتي الا طمست عيناه غيرك ، أي على فرض وقوع ذلك فلا ينافي ماتقدم ، وادعى الذهبي ان هذا الحديث منكر . وفي رواية فكان الفضل وأسامة رضي الله عنهما يناولان الماء من وراء الستر واعينهما معصوبة . وفي لفظ كان العباس وأسامة يناولان الماء من وراء الستر لان العباس رضي الله عنه نصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلة ، أي خيمة رفيعة من ثياب يمانية في جوف البيت وادخل عليا فيها زاد بعضهم والفضل وأباسفيان بن الحرث ابن عمه صلى الله عليه وسلم . ونصب الكلة دليل لقول فقهائنا رحمهم الله والا كمل وضع الميت عند الغسل بموضع خال من الناس مستور عنهم لايدخله الا الغاسل ومن يعينه والذي رواه ابن ماجه رحمه الله انه تولى غسله صلى الله عليه وسلم علي والفضل وأسامة ابن زيد يناول الماء والعباس واقف أي لايغسل ولايناول الماء أي ويحتاج للجمع بين هذه الروايات ، وقيل ان العباس لم يشاهد غسله صلى الله عليه وسلم . وعن علي رضي الله عنه لما غلست النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع ماء في حقويه فرفعته بلساني وازدردته فأورثني ذلك قوة حفظي ويروى

انه كرم الله وجهه رأى فى عينه ﷺ قذاة فأدخل لسانه فأخرجها منها ، وعن عائشة رضى الله عنها لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ الا نساؤه ، أى لو ظهر لها قولها المذكور وقت غسله ﷺ ما غسله ﷺ الا نساؤه وغسل ثلاث غسلات واحدة بالماء القراح وواحدة بالماء والسدر ، أى والغسلة التى كانت بالماء القراح كانت قبل الغسلة التى بالسدر فهى المزيلة وواحدة بالماء مع الكافور أى وهذه هى المجزئة فى الغسل هذا * وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله وغسل ﷺ فى المرة الاولى بالماء القراح وفى الثانية بالماء والسدر وفى الثالثة بالماء والكافور ، وفى لفظ فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور فى مواضع سجوده ومفاصله وغسل من ماء بئر غرس وهى بئر بقباء ، قال ﷺ نعم البئر بئر غرس هى من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه ، وكان ﷺ يشرب منها و يؤتى له بالماء منها . وعند ابن ماجه رحمه الله أنه ﷺ ، قال لعلى كرم الله وجهه اذا أنا مت فاغسلنى بسبع قرب من بئرى بئر غرس * وكفن ﷺ بثلاثة أثواب سحولية أى بيض من القطن من عمل سحولة قرية من قرى اليمن ، وفى رواية الشيخين عنها كفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة ، قيل ازار ورداء ولفافة ، وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أى لم يكن فى كفنه صلى الله عليه وسلم ذلك كما فسر بذلك امامنا الشافعى رحمه الله وجمهور العلماء ، قال بعضهم وهو الصواب الذى يقتضيه ظاهر الحديث وما قيل أن معناه ان القميص والعمامة زائدان على الأثواب الثلاثة ليس فى محله لانه لم يثبت أنه ﷺ كفن فى قميص وعمامة وهذا يدل على انه نزع عنه صلى الله عليه وسلم القميص الذى غسل فيه قبل تكفينه فى الأثواب الثلاثة ، وقيل كفن فى ذلك الثوب بعد عصره وفيه أنه لا يخلو عن الرطوبة وهى تفسد الاكفان ، و يؤيد كونه صلى الله عليه وسلم كفن فى ذلك الثوب ما جاء فى رواية كفن صلى الله عليه وسلم فى ثوبه الذى مات فيه وحلة نجرانية والحلة ثوب فوق ثوب : قال ابن كثير وهذا غريب جدا . وفى كلام بعضهم أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به . وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كفن فى الأثواب الثلاثة المتقدمة وزيادة برد حبرة أحمر . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أتى بالبرد ولفوه فيه ولكنهم ردوه ، أى ثم نزع عنه ﷺ ولم يكفنوه فيه . وفى رواية ثوبين و برد أحمر وهذا يخالف ما عليه أئمتنا ان من كفن فى ثلاثة أثواب يجب أن تكون لفائف يستر كل منها جميع البدن . وفى رواية كفن فى سبعة أثواب . و بعد تكفينه ﷺ وذلك يوم الثلاثاء وضع على سرير وفى لفظ ثم أدرج ﷺ فى أكفانه وجروه عودا وندا ثم احتملوه حتى وضعوه على سرير وسجوه ، وذكر انه عند على كرم الله وجهه مسك . وقال انه من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم الناس أفذاذا لم يؤمهم أحد . وفى لفظ لما أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وضع على سريره ثم وضع على شفير حفرته ثم صار الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم أحد * وذكر انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والانصار بقدر ما يسع البيت . فقالا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله و بركاته وسلم المهاجرون والانصار كما سلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهم . ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد : وكان أبو بكر وعمر فى الصف الاول الذى حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالا اللهم انا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا إلهنا ممن تبع القول الذى أنزل معه واجمع بيننا و بينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه (كان بالمؤمنين رءوفا

رحيما

رحيما لانبتغي بالايمان به بدلا ولانشترى به ثمناأبدا فيقول الناس آمين آمين ، وهذا يدل على أن المراد بالصلاة عليه ﷺ الدعاء لاالصلاة على الجنازة المعروفة عندهم . والصحيح أن هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التي بأربع تكبيرات ، فقد جاء ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليه ﷺ فكبر أربع تكبيرات ثم دخل عمر رضى الله عنه فكبر أربعا ثم دخل عثمان رضى الله عنه فكبر أربعا ثم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام رضى الله عنهما ثم تتابع الناس ارسالا يكبرون عليه أي وعلى هذا انما خصوا الدعاء بالذكر لانه الذى يليق به ﷺ ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك قال وقال ابن كثير رحمه الله وهذا الامر ، أي صلاتهم عليه ﷺ فرادى من غير امام يؤمهم مجمع عليه ولايقال لان المسلمين لم يكن لهم حينئذ امام لانهم لم يشرعوا في تجهيزه عليه الصلاة والسلام الابعد تمام البيعة لأبي بكر رضى الله عنه لانه لما تحقق موته ﷺ واجتمع غالب المهاجرين على أبي بكر وعمر وانضم اليهم من الانصار أسيد ابن حضير في بني عبدالاشهل ومن معه من الأوس وتخلف علي والزبير ، أي ومن كان معهما من المهاجرين كالعباس وطلحة بن عبيدالله والمقداد وجمع من بني هاشم في بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها وتخلف الانصار بأجمعهم واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، أي وفي دار سعد بن عبادة وكان سعد مريضا مزملا بثيابه بينهم ، أي اجتمعوا أولا ثم تفرق عنهم أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من الاوس فلا يخالف ذلك ماتقدم من انضمام أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من المهاجرين رضى الله عنهم مع أبي بكر رضى الله عنه ، ولايخالف ذلك مافي بعض الروايات عن عمر رضى الله عنه وتخلف الانصار عنا بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة . واجتمع المهاجرون الى أبي بكر رضى الله عنه الا عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضى الله عنها ، فقال عمر رضى الله عنه لابي بكر رضى الله عنه انطلق بنا الى اخواننا من الانصار . أي فانه أتاهم آت ، فقال ان هذا الحي من الانصار مع سعد بن عبادة رضى الله عنه في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم . أي فعن عمر رضى الله عنه بينا نحن في بيت رسول الله ﷺ اذا رجل ينادى من وراء الجدران اخرج الي يا ابن الخطاب فقلت اليك عنى فانا عنك متشاغل يعني بأمر رسول الله ﷺ ، فقال انه قد حدث أمر إن الانصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فادركهم قبل أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب ، قال فانطلقنا نؤمهم أي نقصدهم حتى رأينا رجلين صالحين ، أي وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى وهما من الاوس قالا أين تريدون ؟ فقلت نريد اخواننا من الانصار فقالا لاعليكم أن تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين بينكم . فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا هم مجتمعون واذا بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا انه وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم أي دب قوم بالاستعلاء والترفع علينا تريدون أن تختزلونا من أهلنا ، أي تنحونا عنه تستبدون به دوننا . فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد كنت زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدى أبي بكر . فقال أبو بكر رضى الله عنه على رسلك ياعمر فكرهت أن أغضبه وكنت أرى منه بعض الحدة فسكت ، وكان أعلم مني والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويرى الا قالها في بديهته وأفضل ، فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي

من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا ، يعني مكة ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيلة الا لقريش منها ولادة ودار ، وكنا معاشر المهاجرين أوّل الناس إسلاما ونحن عشيرته صلى الله عليه وسلم وأقاربه وذوو رحمه فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة ولم يترك شيئا أنزل في الكتاب بأيديهم الا قاله ولاشيئا قاله رسول الله ﷺ في شأن الانصار الا ذكره ، ومنه لوسلكت الناس واديا وسلكت الانصار واديا لسلكت وادي الانصار ، وقال لقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر . فقال سعد له رضي الله تعالى عنه صدقت ، فقال أي الصديق رضي الله عنه نحن الامراء وأنتم الوزراء ، أي وفي رواية أنه أي الصديق رضي الله عنه ، قال لهم أنتم الذين آمنوا ونحن الصادقون انما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصادقون هم المهاجرون قال الله تعالى (للفقراء المهاجرين) الى قوله (أولئك هم الصادقون) ، وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه احتج على الانصار بخبر الائمة من قريش ، وهو حديث صحيح ورد عن نحو أربعين صحابيا وأنتم يامعشر الانصار اخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وأنتم أحق بالرضا بقضاء الله ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئت وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره ماقال غيرها ، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي ولايقربني ذلك من إثم أحب الي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، فقال كل من عمر وأبي عبيدة لاينبغي لأحد أن يكون فوقك ياأبا بكر . أي وفي لفظ بل نبايعك ، وأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله ﷺ وهذا من عمر رضي الله عنه كان بعد أن أتى أباعبيدة ، وقال انك أمين هذه الامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مارأيت بك ضعف رأي قبلها منذ أسلمت . أماتي فيكم الصديق وثاني اثنين ، وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر أبسط يدك لابايعك ، فقال له أنت أفضل مني . فأجابه بأنت أقوى مني ثم كرر ذلك . فقال له فأين قوتي مع فضلك ، واعترض قول أبي بكر المذكور بأنه كيف يقول ذلك مع علمه بأنه أحق بالخلافة وكيف يقدم أباعبيدة على عمر مع أنه أفضل منه * وأجيب بأنه رضي الله عنه قال ذلك لانه استحيى أن يقول رضيت لكم نفسي مع علمه بأن كلا من عمر وأبي عبيدة لايقبل وأن أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحق عند أهل السنة لانه قد يكون أقدر من الافضل على القيام بمصالح الدين واعرف بتدبير الأمر ومافيه انتظام حال الرعية ، وعند قول أبي بكر رضي الله عنه ماذكر قال قائل من الانصار . أي وهو الحباب بحاء مهملة مضمومة فوحدة رضي الله عنه ابن المنذر أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب بالجيم والجذيل تصغير الجذل ، وهو عود ينصب للابل الجرباء فتحتك به ليزول جربها ، والمحكك الذي كثر به الاحتكاك حتى صار أملس ، والعذيق تصغير العذق بفتح العين وهو النخلة ، والمرجب المسند بالرجبة وهي خشبة ذات شعبتين يسند بها النخلة اذا كثر حملها ، أي أنا ذو الرأي والتدبير الذي يستشفى به في الحوادث لاسيما هذه الحادثة منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وتتابعت خطباؤهم على ذلك . وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلا منا فنرى أن يلي هذا الامر رجلان منا ومنكم ، فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وقال للأنصار أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وكنا نحن أنصاره فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال هذا صاحبكم . فقال الحباب بن المنذر رضي الله عنه يامعشر الانصار لاتسمعوا مقالة هذا فتذهب قريش بنصيبكم من هذا

الامر

الامر فان أبوا عليكم فاجلوهم من بلادكم فانتم أحق به منهم أملوا الله ان شئتم لنعيدها جذعة ، فقال له عمر رضي الله عنه اذن يقتلك الله ، فقال بل أياك تقتل فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير رضي الله عنهما فقال يامعشر الانصار انا كنا أول من سبق الى هذا الدين وجهاد المشركين ماقصدنا الا رضا الله ورسوله فلا ينبغي لنا أن نستطيل على الناس ولا نطلب عرض الدنيا ، وان قريشا أولى بهذا الامر فلا تنازعهم ، فقال له الحباب ألفيت على ابن عمك . يعني سعد بن عبادة ، فقال لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم ، وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يامعشر الانصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، وفي لفظ أن يقيمه عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت الانصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه ، وفي لفظ قالوا نستغفر الله لا تطيب أنفسنا ، ولعل المراد قال معظمهم فلا يخالف ذلك ماجاء عن عمر رضي الله تعالى عنه . ولما كثر اللغط وعلت الاصوات حتى خشيت الاختلاف . وقلت سيفان في غمد واحد لا يكونان ، وفي رواية هيهات لا يجتمع فحلان في مغرس . فقلت ابسط يدك ياأبا بكر ، وكذا قال له من الانصار زيد بن ثابت وأسيد بن حضير و بشير بن سعد رضي الله عنهم فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار . أي حتى سعد بن عبادة رضي الله عنه خلافا لمن قال ان سعد بن عبادة أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله . أي فانه رضي الله تعالى عنه توجه الى الشام ومات بها * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والعذر له في ذلك أنه رضي الله عنه تأول أن للانصار في الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وان لم يكن ما اعتقده من ذلك حقا هذا كلامه ، ولا ينافيه ماجاء عن عمر رضي الله عنه وثبنا على سعد بن عبادة . فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة ، أي فعلتم معه من الاعراض والاذلال مايقتله ، فقلت قتل الله سعد بن عبادة فانه صاحب فتنة نعم ينافيه ماحكاه ابن عبد البر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أبى ان يبايع أبا بكر حتى لقي الله قال بعضهم و يضعفه ماجاء في بعض الروايات ان أبا بكر رضي الله عنه لما قال لسعد لقد علمت ياسعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد «قريش ولاة هذا الامر» ، قال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء و به يظهر التوقف فيما تقدم عن ابن حجر رحمه الله هذا وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله فانكروا على سعد أمره وكادوا يطئون سعدا فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تطئوه ، فقال عمر رضي الله عنه اقتلوا سعدا قتله الله ثم قام عمر رضي الله عنه على رأس سعد وقال قد هممت ان أطأك حتى تندر عيونك فاخذ قيس بن سعد رضي الله عنهما بلحية عمر رضي الله عنه وقال والله لو خفضت منه شعرة مارجعت وفيك جارحة ، فقال أبو بكر مهلا ياعمر الرفق الرفق ماهنا أبلغ ، فقال سعد أما والله لو كان لي قوة على النهوض لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع فلما عاد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى محلهما أرسلا له بايع فقد بايع الناس ، فقال لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب من دمائكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ماملكته يداي . والله لو اجتمع لكم الجن والانس لما بايعتكم . فلما عاد الرسول وأخبرهم بما قال قال له عمر لا ندعه حتى يبايع ، فقال له قيس بن سعد دعه فقد لج فاتركوه فتركوه ، وكان سعد رضي الله عنه لا يحضر معهم ولا يصلي في المسجد ولا يسلم على من لقي منهم فلم يزل مجانبا لهم حتى اذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم ، فلما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة ، فقال له إيه ياسعد ، فقال له إيه ياعمر ، فقال له عمر أنت صاحب المقالة قال نعم أنا ذاك وقد أفضى الله اليك هذا الامر

كان والله صاحبك خيرالنا وأحب الينا من جوارك وقد أصبحت كارها لجوارك ، فقال له عمر رضى الله عنه انه من كره جوارجاره تحول عنه ، فقال له سعد انى متحول الى جوار من هوخير من جوارك فخرج رضى الله عنه الى الشام واستمر بها الى أن مات فى السنة الخامسة عشر من الهجرة ، وذكر الطبرى رحمه الله ان سعدا رضى الله عنه بايع مكرها وهو وهم هذا كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله ، قال عمر رضى الله عنه وانما بايعت أبا بكر خشية ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على مالا نرضى واما ان نخالفهم فيكون فيه فساد ، وذلك كان فى يوم موته ﷺ الذى هو يوم الاثنين ، فلما كان الغد كانت البيعة العامة صعد أبو بكر رضى الله عنه المنبر ، وقام عمر رضى الله عنه بين يدى أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فى خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقوّمونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى حتى ارجع عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله الاضربهم الله بالذل ولا أشيعت الفاحشة فى قوم قط الاعمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم فقوموا الى صلاتكم رحمكم الله ، وشن الغارة بعض الرافضة على قول الصديق رضى الله عنه فقومونى بانه كيف تجوز امامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع ان الرعية تحتاج اليه ، ورد بان هذا من أكبر الدلائل على فضله لقوله الآخر أطيعونى ما أطعت الله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم لان كل أحد ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليه المعصية ، ولما بويع بالخلافة أصبح رضى الله تعالى عنه على ساعده قماش وهو ذاهب به الى السوق فقام له عمر أين تريد قال السوق قال تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى ، فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا اليه ، فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم أى فى سعة النفقة ولا بأوكسهم وكسوة الشتاء والصيف واذا أبليت شيئا رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة ، وفى رواية جعل له ألفين فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلت عن السفارة فزادوه خمسمائة ، وهو رضى الله تعالى عنه أول من جمع القرآن وسماه مصحفا واتخذ بيت المال ، وسهامن جعل ذلك من أوّليات عمر رضى الله تعالى عنه ، ولما تخلف على والزبير ومن معهما كالعباس وطلحة بن عبيدالله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة كما تقدم عن المبايعة استمروا على ذلك مدة لانهم رضى الله عنهم وجدوا فى أنفسهم حيث لم يكونوا فى المشورة أى فى سقيفة بنى ساعدة مع أن لهم فيها حقا ، وقد أشار سيدنا عمر رضى الله عنه الى أن بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه كانت فلتة أى بغتة لاعن استعداد لها ولكن وقى الله شرها أى لم يقع فيها مخالفة ولامنازعة ولذلك لما اجتمعوا أى على والزبير والعباس وطلحة ابن عبيدالله ومن تخلف عن المبايعة منهم بأبى بكر رضى الله عنه قام خطيبا وقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولاسألتها الله فى سر ولاعلانية ولكن أشفقت من الفتنة أى لو أخرت الى اجتماعكم * وقد روى أن شخصا قال لأبى بكر رضى الله عنه ماحملك على ان تلى أمر الناس وقد نهيتنى أن أتأمر على اثنين ، فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد ﷺ

الفرقة وقال مافى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة فقال على والزبير رضى الله تعالى عنهما ماغضبنا الا لأنا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة من بين الناس وهو حى فلم يكن تأخرهم رضى الله تعالى عنهم للقدح فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، ومن ثم قال امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أجمع الناس على خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانهم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولوه رقابهم أى فالأمة أجمعت على حقية امامة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وهذا أى اجتماع على كرم الله وجهه بأبى بكر رضى الله تعالى عنهما كان بعد ماأرسل اليه على كرم الله وجهه فى الاجتماع به واجتمع به كما سيأتى لكن سيأتى ان ذلك كان بعد موت فاطمة بنت النبى ﷺ ورضى عنها وسياق غير واحد يدل على ان اجتماع على والزبير ومبايعتهما أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان قبل موت فاطمة رضى الله تعالى عنها وهو ماصححه ابن حبان وغيره ويؤيده ماحكاه بعضهم أن الصديق رضى الله تعالى عنه خرج يوم الجمعة فقال اجمعوا لى المهاجرين والانصار فاجتمعوا ثم أرسل الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه فقال له ماخلفك ياعلى عن أمر الناس ؟ فقال خلفنى عظيم المعتبة ورأيتكم استقليتم برأيكم فاعتذر اليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بخوف الفتنة لو أخر ، ثم أشرف على الناس وقال أيها الناس هذا على بن أبى طالب لابيعة لى فى عنقه وهو بالخيار من أمره ألا وأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه ، فلما سمع ذلك على كرم الله وجهه زال ما كان قد داخله فقال أجل لانرى لها غيرك امدد يدك فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه فان هذا دليل على أن عليا كرم الله وجهه بايع أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، وفى كلام المسعودى لم يبايع أبا بكر أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها وقال رجل للزهرى لم يبايع على كرم الله وجهه أبا بكر ستة أشهر فقال لاوالله ولا أحد من بنى هاشم حتى بايعه على كرم الله وجهه فليتأمل الجمع على تقدير الصحة ، وقد جمع بعضهم بأن عليا كرم الله وجهه بايع أولا ، ثم انقطع عن أبى بكر لما وقع بينه وبين فاطمة ماوقع أى ويدل لهذا الجمع أن فى رواية أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما صعد المنبر ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير رضى الله تعالى عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ، ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا كرم الله وجهه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ، ويبعد هذا الجمع مافى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، فلما توفيت فاطمة رضى الله تعالى عنها التمس أى على كرم الله وجهه مصالحة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ولم يكن بايع تلك الاشهر فأرسل الى أبى بكر الحديث ، والسبب الذى اقتضى الوقوع بين فاطمة وأبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن فاطمة رضى الله تعالى عنها جاءت الى أبى بكر تطلب ارثها مما أعطاه الانصار له ﷺ من أرضهم وما أوصى به اليه ﷺ وهو وصية مخيريق عند اسلامه وهى سبعة حوائط فى بنى النضير ، قال سبط ابن الجوزى وهو أول وقف كان فى الاسلام ومما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أرض بنى النضير وفدك ونصيبه صلى الله عليه وسلم من خيبر وهما حصنان من حصونها الوطيح وسلالم فانه صلى الله عليه وسلم أخذهما صلحا كما تقدم وحصته صلى الله عليه وسلم

مما افتتح منها عنوة وهو الخمس فان ذلك كله كان للنبي ﷺ خاصة فكان ﷺ ينفق من ذلك على أهل بيته سنة وما بقي جعله في الكراع أي الخيل والسلاح في سبيل الله فربما احتاج ﷺ الى شئ ينفقه قبل فراغ السنة فيقترض ، ولهذا توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند اليهودي على آصع من شعير وافتكها أبو بكر وتلك الدرع كانت ذات الفضول التى أهداها له ﷺ سعد ابن عبادة لما توجه الى بدر كما تقدم ولم يشبع هو ولا أهل بيته ثلاثة أيام تباعا أى متتابعة كما تقدم . فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه لست بالذى أقسم من ذلك شيئا ولست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به فيها الا عملته وانى أخشى ان تركت أمره أو شيئا من أمره أن أزيغ . وفي رواية قال لها قد سمعت رسول الله ﷺ يقول انما هى طعمة أطعمنيها الله فاذا مت عادت على المسلمين فان اتهمتينى فسلى المسلمين يخبرونك بذلك . وقال لها قد قال رسول الله ﷺ لانورث ما تركناه صدقة ولكن أعول من كان رسول الله ﷺ يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه ، وقوله صدقة هو بالرفع كما هو الرواية أى الذى تركناه فهو صدقة وقد منع بذلك عائشة و بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم لما جئن اليه يطلبن ثمنهن ، وزعمت الرافضة أن الصديق رضى الله تعالى عنه كان ظالما لفاطمة رضى الله عنها بمنعه اياها من مخلف والدها وانه لا دليل له فى هذا الخبر الذى رواه لان فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث ورد بأنه انما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعى فساوى آية المواريث من قطعية المتن وكان مخصصا لآية المواريث . وذكر عن الرافضة انهم زعموا أن صدقة بالنصب وان ما نافية و يرده صدر الحديث انا معاشر الانبياء لانورث . واما رواية نحن معاشر الانبياء فلم تجىء فى كتاب من كتب الحديث كما قاله غير واحد ومن رواه بذلك رواه بالمعنى لانا نحن وانا مفادهما واحد ولا يعارض ذلك قوله تعالى (وورث سليمان داود) وقوله تعالى حكاية عن زكريا فهب لى من لدنك وليا يرثنى و يرث اذ المراد وراثة العلم والحكمة وفى لفظ أنها رضى الله تعالى عنها قالت له من يرثك قال أهلى وولدى فقالت فمالى لا أرث أبى فقال لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لانورث فغضبت رضى الله تعالى عنها من أبى بكر رضى الله تعالى عنه وهجرته الى أن ماتت أى فانها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر على ما تقدم ومعنى هجرانها لأبى بكر رضى الله تعالى عنه انها لم تطلب منه حاجة ولم تضطر الى لقائه اذ لم ينقل انها رضى الله تعالى عنها لقيته ولم تسلم عليه ولا كلمته و روى ابن سعد ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه جاء الى بيت على لما مرضت فاطمة فاستأذن عليها فقال على كرم الله وجهه هذا أبو بكر على الباب يستأذن فان شئت أن تأذنى له فأذنى قالت وذاك أحب اليك قال نعم فأذنت له رضى الله تعالى عنه فدخل واعتذر اليها فرضيت عنه وأن أبا بكر رضى الله تعالى عنه صلى عليها وقال الواقدى وثبت عندنا أن عليا كرم الله وجهه دفنها رضى الله تعالى عنها ليلا وصلى عليها ومعه العباس والفضل رضى الله تعالى عنهم ولم يعلموا بها أحدا ، قال بعضهم وكأنها تأولت قوله ﷺ لانورث وحملت ذلك على الاموال أى الدراهم والدنانير كما جاء فى بعض الروايات لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما بخلاف الاراضى ، ولعل طلب ارثها من فدك كان منها بعد أن ادعت رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ أعطاها فدكا . وقال لها هل لك بينة فشهد لها على كرم الله وجهه وأم أيمن فقال لها رضى الله عنه أبرجل وامرأة تستحقيها * واعترض عليه الرافضة بأن فاطمة معصومة بنص (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وخبر «فاطمة بضعة منى» فدعواها صادقة لعصمتها وأيضا شهد لها بذلك

الحسن.

الحسن والحسين وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم ، ورد عليهم بان من جملة أهل البيت أزواجه ﷺ ولسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت ، وأما كونها بضعة منه فمجاز قطعا وانها كبضعة فيما يرجع للخير والشفقة ، وأما زعم أنه شهد لها الحسن والحسين وأم كلثوم فباطل لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه على أن شهادة الفرع للاصل غير مقبولة . وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله أنه رضى الله تعالى عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال ماهذا فقال كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها فقال مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ثم أخذ عمر الكتاب فشقه ، وقد جاء أن بعد موت فاطمة رضى الله تعالى عنها أى وذلك بعد ستة أشهر من موته ﷺ الا ليالى على ما تقدم أرسل على كرم الله وجهه وقد اجتمع على و بنوهاشم الى أبى بكر وقالوا ائتنا ولا يأت معك أحد كراهة أن يحضر عمر رضى الله تعالى عنه لما علموا من شدته فخافوا أن ينتصر لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه لأبى بكر لا والله لا تدخل عليهم وحدك قال ذلك خوفا عليه أن يغلظوا عليه فى المعاتبة وربما كان ذلك سببا لتغير قلبه فيترتب عليه مالا ينبغى ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ومايفعلون بى والله لآتينهم أى فدخل عليهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه وحده فقال له على كرم الله وجهه انا قد عرفنا لك فضلك وما أعطاك الله ولم تنفس عليك خيرا ساقه الله اليك أى لانحسدك عليه ولكن استبديت علينا بالامر أى لم تشاورنا فيه وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا نصيبا أى فى المشاورة ففاضت عينا أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب الى من قرابتى فقال له على كرم الله وجهه موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر رضى الله تعالى عنه الظهر أى وقد حضر عنده على كرم الله وجهه رقى المنبر بكسر القاف فتشهد وذكر شأن على كرم الله وجهه وعذره فى تخلفه عن البيعة ثم ان عليا رضى الله تعالى عنه بايعه أى بعد أن عظم أبا بكر رضى الله تعالى عنه وذكر فضيلته وسابقته وذكر أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة حق على أبى بكر ، فأقبل الناس على على كرم الله وجهه وقالوا أصبت وأحسنت . وقد علمت الجمع بين من قال بايع بعد ثلاثة أيام من موته صلى الله عليه وسلم ومن قال لم يبايع الا بعد موت فطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر وهو انه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما وقع بينه و بين فطمة ما وقع ثم بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الامر أن تخلفه انما هو لعدم رضاه بيعته فاطلق ذلك من أطلقه ومن ثم أظهر على كرم الله وجهه مبايعته لابى بكر ثانيا بعد ثبوتها على المنبر لازالة هذه الشبهة . و بهذا يعلم ما وقع فى صحيح مسلم عن أبى سعيد من تأخر بيعة على هو وغيره من بنى هاشم الى موت فاطمة ومن ثم حكم بعضهم عليه بالضعف ، ومما يؤيد الضعف ماجاء أن عليا وأبا بكر رضى الله عنهما جاآ لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام فقال على كرم الله وجهه تقدم ياخليفة رسول الله ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما كنت لاتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه على منى بمنزلتى من ربى وصلاة أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالناس لم تختص بالمرض فقد جاء أنه وقع قتال بين بنى عمرو بن عوف فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يا بلال ان حضرت الصلاة ولم آت مر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى كما تقدم ، وفى شرح مسلم للامام النووى رحمه الله وتأخر على كرم الله وجهه أى ومن تأخر معه عن البيعة لأبى بكر ليس قادحا فيها لان العلماء اتفقوا على أنه

لايشترط لصحتها مبايعة كل أهل العقد والحل بل مبايعة من تيسر منهم وتأخره كان للعذر أى الذى تقدم وكان عذر أبى بكر وعمر و بقية الصحابة واضحالاهم رأوا ان المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين لان تأخرها ربما لزم عليه اختلاف فينشأ عنه مفاسد كثيرة كما أفصح به أبو بكر رضى الله تعالى عنه فيما تقدم . وجاء كما تقدم أنه قيل لعلى كرم الله وجهه هل عهد اليك رسول الله ﷺ بالخلافة فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ماسمعت فقال لاوالله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لوكان عندى من النبى ﷺ عهد فى ذلك ماتركت القتال على ذلك ولولم أجد الابردتى هذه وما تركت أخا بنى تيم وعمر بن الخطاب ينوبان على منبره ﷺ ولقاتلتهما بيدى والنبى ﷺ لم يمت فجأة بل مكث فى مرضه أياما وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترنا لدنيانا من رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان ، فلما قبض تولاها عمر رضى الله تعالى عنه ببايعته وأقام فيها لم يختلف عليه منا اثنان ، وأعطيت ميثاق لعثمان رضى الله تعالى عنه فلما مضوا بايعنى أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أى الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى وكنت أحق بها منه يعنى معاوية فهورأى رأيته ، وفى لفظ لكن شئ رأيناه من قبل أنفسنا فهذا تصريح منه كرم الله وجهه بأنه ﷺ لم ينص على امامته ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم عند مرجعه من حجة الوداع بعد أن جمع الصحابة وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ، ثم رفع يد على كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه الحديث فتقدم الكلام عليه وان ذلك لايدل على الخلافة ، وانما قال سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ان بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه كانت فلتة أى من غير استعداد ولا مشورة كما تقدم ردا على من بلغه عنه أنه قال اذا مات عمر بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر بمشورة فالبيعة لاتتوقف على ذلك فغضب فلما رجع من آخر حجة حجها المدينة قال على المنبر قد بلغنى أن فلانا قال والله لومات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ان بيعة أبى بكر كانت فلتة من غير مشورة فلا يغترن امرؤ أن يقول ان بيعة أبى بكر كانت فلتة فنعم وانها كانت كذلك الا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل أبى بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فانه لا بيعة له ولا الذى بايعه ، ولما ثقل المرض على الصديق رضى الله تعالى عنه دعا عبد الرحمن فقال أخبرنى عن عمر بن الخطاب فقال أنت أعلم به منى فقال الصديق وان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال أخبرنى عن عمر فقال أنت أخبرنا به ، ثم دعا عليا كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ثم قال على كرم الله وجهه اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ودعا جمعا من الانصار فيهم أسيد بن حضير وسألهم فقال اللهم أعلمه يرضى للرضا و يسخط للسخط الذى يسر خير من الذى يعلن ولن يلى هذا الامر أحد أقوى عليه منه فعند ذلك دعا عثمان رضى الله تعالى عنه فقال اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن ويوقن الفاجر و يصدق الكاذب انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فان عدل فذلك ظنى فيه وعلمى به وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم

الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختم ثم دعا عمر خاليا فأوصاه بالمسلمين وقبل أن يظهر الصديق رضى الله عنه هذا الامر اطلع على الناس من كوة وقال أيها الناس أنى قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا ياخليفة رسول الله فقام على كرم الله وجهه فقال لانرضى الا أن يكون عمر قال فانه عمر ، قال وكانت صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم كصلاتهم على غيره أى بتكبيرات أربع لامجرد الدعاء من غير تكبيرات اهـ ، وهو يخالف ماتقدم المفيد أن صلاتهم انما كانت مجرد الدعاء لا الصلاة المعهودة وقد يقال لامخالفة وانما نصوا على الدعاء لكونه مخالفا للدعاء المعروف فى صلاة الجنازة على غيره صلى الله عليه وسلم . وفى شرح مسلم عن القاضى عياض واختلف هل صلى عليه صلى الله عليه وسلم فقيل لم يصل عليه أحد أصلا وانما كان الناس يدخلون ارسالا يدعون و يتضرعون ، والصحيح الذى عليه الجمهور انهم صلوا عليه أفرادا فكان يدخل عليه فوج يصلون فرادى ثم يخرجون ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك . وعن ابن الماجشون صلى عليه صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون صلاة كحمزة رضى الله عنه قيل له من أين لك هذا قال من الصندوق الذى تركه مالك رحمه الله تعالى بخطه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما فصلى عليه الرجال الاحرار أولا ثم النساء الاحرار ثم الصبيان ثم العبيد ثم الاماء واختلفوا فى الموضع الذى يدفن فيه فمن قائل يدفن فى البقيع ومن قائل ينقل و يدفن عند ابراهيم الخليل فقال أبو بكر رضى الله عنه ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه فان الله لم يقبض روحه الا فى مكان طيب . أى وفى رواية أنه رضى الله عنه قال ان عندى فى هذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لايدفن نبى الا حيث قبض» . وفى لفظ لايقبض الله روح نبى الا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه وعن أبى بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايقبض النبى الا فى أحب الامكنة اليه قال بعضهم ولاشك أن أحبها أى الامكنة اليه أحبها الى ربه تعالى فان حبه صلى الله عليه وسلم تابع لحب ربه جل وعلا وفى الحديث «مامات نبى الا دفن حيث قبض» فحول فراشه وحفر له ودفن فى ذلك الموضع الذى توفاه الله فيه . واختلفوا هل يجعل له صلى الله عليه وسلم لحد أو يجعل له شق وكان ى المدينة شخصان أحدهما يصنع اللحد والآخر يصنع الشق والاول هو أبو طلحة زيد بن سهل والثانى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه . وفى لفظ كان أبو عبيدة يحفر حينئذ لاهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فقال عمر رضى الله عنه ترسلوا لهما وكل من حضر منهما نزلاه فارسلوا خلفهما رجلين وقال عمر رضى الله عنه اللهم خر لرسولك وقيل المرسل والقائل ماذكر العباس رضى الله عنه فسبق أبو طلحة رضى الله عنه فصنع له صلى الله عليه وسلم لحدا وأطبق عليه بتسع لبنات ثم أهيل التراب . وقد جاء فى الحديث ألحدوا ولاتشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا وقد روى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال فى مرض موته ألحدوا لى لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله ﷺ وسل صلى الله عليه وسلم من قبل رأسه كما رواه البيهقى وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما أى وضع سريره ﷺ عند مؤخر القبر فكان رأسه الشريف عند المحل الذى يكون فيه رجلاه فلما أدخل القبر سل من قبل رأسه ودخل قبره العباس وعلى والفضل وقثم وشقران واقتصر ابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما على الثلاثة الاول وفرش شقران فى اللحد تحته ﷺ قطيفة حمراء * وفى رواية بيضاء كان يجعلها على رجليه اذا

سافرلان الارض كانت ندية وقال والله لايلبسها أحدبعدك فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أخرجت أى عملا بوصيته ﷺ فقد روى البيهقى عن أبى موسى رضى الله عنه أنه ﷺ أوصى أن لاتتبعونى بصارخة ولامجمرة ولاتجعلوا بينى و بين الارض شيئا لكن فى رواية الجامع الصغير افرشوالى قطيفتى فى لحدى فان الارض لم تسلط على أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان دفنه ﷺ ليلة الار بعاء ، وعن أم سلمة رضى الله عنها كنا مجتمعين نبكى تلك الليلة لم نم فسمعنا صوت المساحى فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة فأذن بلال بالفجر فلما ذكر النبى ﷺ بكى وانتحب فزادنا حزنا فيالها من مصيبة ماأصابنا بعدها من مصيبة الاهانت اذاذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم ، وعن فاطمة رضى الله عنها لما دفن رسول الله ﷺ قالت لأنس ياأنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وفى لفظ أطابت نفوسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ فى التراب ورجعتم ، وفى رواية انها قالت لعلى كرّم الله وجهه ياأباالحسن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالت كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه كان نبى الرحمة قال نعم ولكن لاراد لأمر الله وقد جاء أن الانسان يدفن فى التربة التى خلق منها وهو يدل على انه ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لأنهم دفنوا ثلاثتهم فى تربة واحدة ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره اذا أنامت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى ﷺ فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فأدخلونى وادفنونى وان لم يفتح الباب فأخرجونى الى البقيع وادفنونى به فلما وقفوا على الباب وقالوا ماذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت أدخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق ، ولما احتضر عمر رضى الله عنه قال لابنه عبدالله رضى الله عنه ياعبدالله ائت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل لها ان عمر يقرئك السلام ولاتقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم بأمير المؤمنين وقل يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه فان أذنت فادفنونى وان أبت فردونى الى مقابر المسلمين فأتاها عبدالله وهو يبكى فقال ان عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما رجع عبدالله الى أبيه وأقبل عليه قال عمر اقعدونى ثم قال لعبدالله ماوراءك قال قد أذنت لك قال الله أكبر ماشئ أهم الىّ من ذلك المضجع ، وقد ذكر أن الحسن رضى الله عنه لما سقى السم ورأى كبده تقطع أرسل الى عائشة رضى الله عنها أن يدفن عند جده ﷺ فأذنت له فلما مات منع من ذلك مروان و بنوا أمية فدفن بالبقيع ويذكر انه رضى الله عنه قال لأخيه الحسين رضى الله عنه قال كنت بلغت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى أن أدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولاأدرى لعلها كان ذلك منها حياء فاذا أنامت فاطلب ذلك منها فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها وماأظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلاتراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد فان لى فيمن فيه اسوة فلما مات الحسن رضى الله عنه جاء الحسين رضى الله عنه الى عائشة رضى الله عنها فطلب منها ذلك فقالت نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لايدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه هناك ويريدون دفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضى

الله

الله عنه فلبس الحديد هو ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك أبا هريرة رضى الله عنه فانطلق الى الحسين وناشده الله وقال له أليس أخوك قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى رضى بدفنه بالبقيع فدفن بجانب أمه رضى الله عنها ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص لانه كان أميرا على المدينة قدمه الحسين فصلى عليه اماما وقال هى السنة قال ابن كثير رحمه الله والذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا انه صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى والقول انه مكث ثلاثة أيام لايدفن غريب ، والصحيح انه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء و بعض ليلة الاربعاء ، وكان السبب فى تأخره صلى الله عليه وسلم ما علمت من اشتغالهم ببيعة أبى بكر رضى الله عنه حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر من طلع من قبره الشريف قثم بن العباس رضى الله عنهما . وقيل المغيرة بن شعبة رضى الله عنه لانه ألقى خاتمه فى القبر الشريف وقال لعلى ياأبا الحسن خاتمى وانما طرحته عمدا لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم وا كون آخر الناس عهدا به قال انزل فخذه وقيل ألقى الفاس فى القبر وقال الفاس الفاس فنزل وأخذها ويقال ان عليا كرم الله وجهه لما قال له المغيرة ذلك نزل وناوله الخاتم أى أو الفاس أو أمر من نزل وناوله ذلك وقال له انما فعلت ذلك لتقول انا آخر الناس برسول الله ﷺ عهدا ، واعترض بأن المغيرة رضى الله عنه لم يكن حاضرا للدفن وقد روى ان جماعة من العراق قدموا على على كرم الله وجهه فقالوا ياأبا الحسن جئناك لنسألك عن أمر نحب ان تخبرنا عنه فقال لهم أظن أن المغيرة ابن شعبة يحدثكم انه كان آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ قالوا أجل . عن هذا جئنا نسألك قال كان آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ قثم بن العباس رضى الله عنهما وقام الاجماع على أن هذا الموضع الذى ضم اعضاءه الشريفة ﷺ افضل بقاع لارض حتى موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش وعن أنس بن مالك رضى الله عنه مانفضنا الايدى من دفن رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا قال بعضهم وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا الى بعض وكان احدنا يبسط يده فلايراها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى . وفى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فياله من خطب جل عن الخطوب ومصاب علم دمع العيون كيف يصوب وطارق هجم هجوم الليل وحادث هد كل القوى والحيل واشتدة اسف حماره عليه ﷺ الذى كان يركبه ألقى نفسه فى حفيرة فمات كما تقدم وتركت ناقته صلى الله عليه وسلم الأكل والشرب حتى ماتت وأنشد الحافظ الدمياطى عن غيره

ألا ياضريحا ضم نفسا زكية * عليك سلام الله فى القرب والبعد
عليك سلام الله ماهبت الصبا * وما ناح قمرى على البان والرند
وما سجعت ورق وغنت حمامة * وما اشتاق ذو وجد الى ساكنى نجد
ومالى سوى حبى لكم آل أحمد * امرغ من شوق على بابكم خدى

﴿باب بيان ماوقع من الحوادث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم الى زمن وفاته صلى الله عليه وسلم على سبيل الاجمال و بيان زمن ولادته عاما و يوما وشهرا ومكانا﴾

اعلم أن الاكثر على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وحكى بعضهم الاجماع عليه قال وكل قول خالفه فهو وهم . وقيل بعد الفيل بخمسين يوما . وقيل بزيادة خمسة أيام . وقيل بشهر . وقيل بأربعين يوما ، وقيل بشهرين وعشرة أيام ، وقيل بعشرين سنة ، وقيل بعشر سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة وكانت ولادته ﷺ يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول لعشر خلون منه ، وقيل لليلتين ، وقيل لثمان خلت واختاره الحميدى تبعا لشيخه ابن حزم ، وحكى القضاعى رحمه الله عن عيون المعارف اجماع أهل التاريخ عليه ، وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو المشهور ، وقيل لسبع عشرة ، وقيل لثمان بقين منه وذلك فى النهار عند طلوع الفجر ، وقيل ولد ليلا وعليه عمل أهل مكة فى زيارة موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم وكونه فى شهر ربيع الاول هو قول الجمهور من العلماء ، وحكى ابن الجوزى رحمه الله الاتفاق عليه ، وقيل فى صفر ، وقيل فى ربيع الآخر ، وقيل فى رجب ، وقيل فى شهر رمضان * واختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، وقيل بالشعب شعب بنى هاشم وذلك المحل يزار الآن ، وقيل بالردم ، وقيل ولد ﷺ بعسفان . وفى السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف عند ظئره حليمة رضى الله عنها ، وقيل كان فى الرابعة وفيها ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بمنى . وفى السنة السادسة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالابواء . وقيل بشعب أبى ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة وقيل فى دار رائعة بالمعلاة ، وفيها ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفى السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم استقل بكفالته جده عبد المطلب ، وفيها أصابه ﷺ رمد شديد وفيها استسقى عبد المطلب وهو ﷺ معه بسبب رؤيا دقيقة ، وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذى يزن الحميرى بالملك وفى السنة الثامنة من مولده ﷺ كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه أبى طالب له ﷺ وفى هذه السنة مات حاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الجود والكرم . ومات كسرى أنوشروان وفى السنة التاسعة من مولده ﷺ قيل سافر به عمه أبو طالب الى بصرى من أرض الشام وهى مدينة هوازن ، وفى السنة العاشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الاولى . وفى السنة العاشرة وقيل الحادية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان شق صدره الشريف وفى السنة الثانية عشرة من مولده ﷺ كان حرب الفجار الثانية . وكان سفر عمه أبى طالب به صلى الله عليه وسلم الى بصرى من أرض الشام على ماعليه الاكثر وفى السنة الثالثة عشرة من مولده ﷺ ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى السنة الرابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الثالثة وقيل كان عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وفى السنة السابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت سفر عمه الزبير والعباس ابنى عبد المطلب لليمن للتجارة وصحبهما النبى صلى الله عليه وسلم . وفى السنة الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها . وتزوج صلى الله عليه خديجة

وفى سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الكعبة وفى سنة أربع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه وفى سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وبنتها وفى سنة سبع وثلاثين رأى ﷺ الضوء والنور ، وكان ﷺ يسمع الاصوات وفى السنة الاولى من النبوة كان نزول الوحى عليه ﷺ فى اليقظة بعد أن مكث صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يوحى اليه فى المنام وفى السنة الثالثة من النبوة قيل توفى ورقة بن نوفل ، وفى السنة الرابعة من النبوة كان اظهار الدعوة وفى السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضى الله عنها وقيل ولدت فى الرابعة وفى السنة الخامسة كانت الهجرة الاولى الى أرض الحبشة . وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضى الله عنهم وهى أول شهيدة فى الاسلام وفى السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقيل أسلما رضى الله عنهما فى سنة خمس وكان اسلام حمزة رضى الله عنه قبل اسلام عمر رضى الله عنه بثلاثة أيام وفى السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بنى هاشم و بنى المطلب . وقيل كان ذلك فى السادسة وقيل فى الخامسة وقيل فى الثامنة وذلك فى خيف بنى كنانة بالابطح و يسمى محصبا وهو بأعلى مكة شرفها الله عند المقابر وفى السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم وفى السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة رضى الله عنها . وكان ﷺ يسمى ذلك العام عام الحزن وفيها جاءه ﷺ جن نصيبين وأسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم سودة رضى الله عنها بنت زمعة ودخل عليها فى مكة وفيها عقد صلى الله عليه وسلم عقده على عائشة رضى الله عنها ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها الا فى المدينة وفى السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء اسلام الانصار رضى الله عنهم وفى السنة الثانية عشرة من النبوة كان الاسراء والمعراج وفيها وقعت بيعة العقبة الاولى وفى السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التى هى الكبرى وبعضهم يسميها العقبة الثالثة ويسمى اسلام الانصار عقبة مع أنه لا مبايعة فيه وفى هذه السنة أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يهاجر للحبشة فلما بلغ برك العماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القارة وفى السنة الرابعة عشرة من النبوة وهى السنة الاولى من الهجرة الى المدينة فكانت الهجرة فيها فى صفر وفى غرة ربيع الاول وفيها كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار رضى الله عنهم . قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضى الله عنه له ﷺ فقد جاء أنه ﷺ لما قدم المدينة صارت الانصار يبعثون اليه ﷺ بالهدايا رجالهم ونساؤهم وكانت أم أنس رضى الله عنهما لاشئ لها تهديه له صلى الله عليه وسلم فكانت تتأسف فأخذت يوما بيد أنس رضى الله عنه وقالت يارسول الله هذا يخدمك ، وجاء أن زوجها أبا طلحة رضى الله عنه جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك ، وجمع بأن امه جاءت به أولا ثم جاء به أبو طلحة ثانيا لأنه وليه وعصبته قال فى الخميس وهذا غير مجيئه به لخدمته ﷺ فى غزوة خيبر . وفيها كما فى الاصل وقيل فى السنة الثانية زيد فى صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الاولى كذا قيل ، وفى هذه السنة مات من مشركى مكة الوليد بن المغيرة . ولما احتضر جزع ، فقال له أبو جهل لعنه الله ياعم ما جزعك . فقال والله ما بى من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبى كبشة بمكة ، فقال أبو سفيان رضى الله عنه

لاتخف انى ضامن أن لايظهر ، وفيها مات العاص بن وائل وفيها مات أسعد بن زرارة رضى الله عنه وفيها ابتدئت الغزوات فكان فيها غزوة الابواء وغزوة ودان كما فى الاصل وفى هذه السنة بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها وفيها شرع الاذان وفيها صلى صلى الله عليه وسلم الجمعة فى طريقه حيث ارتحل ﷺ من قباء الى المدينة وهى أوّل جمعة صلاها وأوّل خطبة خطبها فى الاسلام : وفيها أسلم عبدالله بن سلام رضى الله عنه . وكان فيها بعث عمه حمزة رضى الله عنه يعترض عيرا لقريش . و بعث ابن عمه عبيدة بن الحرث رضى الله عنه الى بطن رابغ : و بعث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى الخرار يعترض عير القريش ، وفى السنة الخامسة عشرة من النبوة ، والثانية من الهجرة تزوّج على كرم الله وجهه بفاطمة رضى الله عنها وتكنيته بأبى تراب وغزوة بواط وغزوة العشيرة وسرية عبدالله بن جحش رضى الله عنه الى بطن نخلة : وتحويل القبلة . وتجديد بناء مسجد قباء ، وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبى ﷺ ورضى عنها وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر وشروع صلاة عيده . وفرض زكاة الاموال . وغزوة قرقرة الكدر . وسرية سالم بن عمير رضى الله عنه : وغزوة بنى قينقاع وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضى الله عنه والتضحية وصلاة عيدها ، وفى السنة السادسة عشرة من النبوّة . والثالثة من الهجرة ، سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لقتل كعب بن الاشرف لعنه الله وتزوّج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم رضى الله عنها وغزوة غطفان وغزوة بحران وسرية زيد ابن حارثة رضى الله عنهما الى قردة وتزوّج حفصة رضى الله عنها وتزوّج زينب بنت خزيمة رضى الله عنها وولادة الحسن وغزوة أحد وغزوة حمراء الاسد وعلوق فاطمة بالحسين رضى الله عنهما ، وفى السنة السابعة عشرة من النبوّة . والرابعة من الهجرة سرية أبى سلمة رضى الله عنه الى قطن ووفاته وسرية عبدالله بن أنيس رضى الله عنه الى عرنة لقتل سنان بن خالد وسرية القراء رضى الله عنهم الى بئر معونة وقصة الرجيع وسرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى مكة لقتل أبى سفيان رضى الله عنه . وغزوة بنى النضير ووفاة زينب بنت خزيمة : وغزوة ذات الرقاع وصلاة الخوف وولادة الحسين رضى الله عنه وغزوة بدر الصغرى وتزوّج أم سلمة رضى الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم ، وفى السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع ونزول آية التيمم وتزوّج جويرية رضى الله عنها وقصة الافك وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة وقصة أولاد جابر رضى الله عنهم وتزوّج زينب بنت جحش رضى الله عنها : ونزول آية الحجاب وفرض الحج . وفى السنة التاسعة عشرة من النبوّة والسادسة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى القرطاء وقصة ثمامة وغزوة بنى لحيان وغزوة الغابة وسرية عكاشة رضى الله عنه الى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى ذى القصة وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة رضى الله عنهم وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى بنى سليم بالجموم وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى العيص وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى وادى القرى وسرية زيد بن حارثه رضى الله عنهما الى أم قرفة وسرية عبدالله بن عتيك رضى الله عنه لقتل أبى رافع وسرية عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى أسير ابن رزام اليهودى بخيبر وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى حسمى وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهار وتحريم الخمر وتزوجه ﷺ أم حبيبة رضى الله عنها ، وفى السنة العشرين من النبوّة والسابعة من الهجرة كان اتخاذ الخاتم وارسال الرسل الى الملوك ووقوع السحر به ﷺ وغزوة خيبر وفتح

وادى

وادى القرى والدخول بأم حبيبة رضى الله عنها وسرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى طائفة من هوازن وعمرة القضاء وتزوّج ميمونة رضى الله عنها وسرية ابن أبى العوجاء رضى الله عنه الى بنى سليم . وفى السنة الحادية والعشرين من النبوّة والثامنة من الهجرة . كان اسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وعثمان بن طلحة رضى الله عنه وسرية غالب بن عبدالله الليثى رضى الله عنه الى بنى الملوح وسريته الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضى الله عنه بفدك واتخاذ المنبر الشريف ، وسرية شجاع بن وهب رضى الله عنه الى بنى عامر وسرية كعب بن عمير الغفارى الى ذات اطلاح ، وسرية مؤتة وسرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى ذات السلاسل وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى سيف البحر وسرية أبى قتادة رضى الله عنه الى بطن أضم وسرية عبدالله بن أبى حدرد رضى الله عنه الى الغابة . وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى بنخلة وسرية عمرو بن العاصى رضى الله عنه الى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الأشهلى رضى الله عنه الى مناة صنم للأوس وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى جزيمة ، وغزوة حنين وسرية أبى عامر رضى الله عنه الى أوطاس وسرية أبى الطفيل الى ذى الكفين وغزوة الطائف وولادة ولده ابراهيم ﷺ وقدوم أوّل الوفود عليه ﷺ وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها ، وفى السنة الثانية والعشرين من النبوّة وهى التاسعة من الهجرة بعث عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وبعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط الى بنى المصطلق وسرية قطبة بن عامر رضى الله عنه الى خثعم وسرية الضحاك الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب وسرية علقمة بن محرز رضى الله عنه الى أهل الحبشة ، وبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى القلس وبعث عكاشة بن محصن رضى الله عنه الى الجباب واسلام كعب بن زهير وهجره ﷺ لسانه وغزوة تبوك وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه من تبوك الى أكيدر وارسال كتابه من تبوك الى هرقل وهدم مسجد الضرار وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضى الله عنهم وقصة اللعان واسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشى ووفاة أم كلثوم رضى الله عنها وموت عبدالله بن أبى ابن سلول وحج أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهى العاشرة من الهجرة قدوم عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه وبعث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الى اليمن وبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى الحرث بن كعب بنجران وبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى اليمن وبعث جرير بن عبدالله البجلى الى تخريب ذى الخلصة وبعث جرير بن عبدالله أيضا رضى الله عنه الى ذى الكلاع وبعث أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى أهل نجران وقصة تميم الدارى ووفاة ولده ابراهيم ﷺ وخروجه ﷺ للحج ؛ وفى السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهى الحادية عشرة من الهجرة قدوم وفد النخع وسرية أسامة بن زيد رضى الله عنهما الى ابنى وقصة الاسود العنسى ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة وماوقع فى ابتداء مرضه ﷺ ومدة مرضه ووقت مرضه ﷺ وموته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ﷺ وشرف وكرم والله أعلم * اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك * اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك ، وأتمم علينا نعمتك من فضلك ، واجعلنا من عبادك الصالحين * اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا * اللهم ألهمنا رشدنا ، وأعذنا من شر نفوسنا * اللهم ارزقنا نفسا مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك

ونقنع بعطائك * اللهم انا مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بحولك وقوتك ، (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) * اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد ، واختم لنا بخير وأصلح لنا شأننا كله وافعل ذلك باخواننا وأحبابنا وسائر المسلمين ، وأستغفر الله من قول بلا عمل ، وأستغفره من كل خطأ وزلل . وأسأله علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا وعملا متقبلا وشفاء من كل داء ، وأن يجعل ذلك حجة لنا ولا يجعله حجة علينا انه جواد كريم ، رءوف رحيم ، لطيف خبير والحمد لله وحده * اللهم صل على من لا نبى بعده عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات المكملة والرحمة المنزلة من عندك * اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من خدام سنته آمنين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم *



﴿ يقول الفقير إليه تعالى (ابراهيم بن حسن الانبابى) خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح بمطبعة الشيخ الوقور (مصطفى البابى الحلبى وأولاده) بمصر

حمدا لمن أضاء الوجود * بطلعة سيد كل موجود * وصان ذاته الشريفة . وصفاته المنيفة . وأفعاله الجيدة عن العبث * وسيرته السنية عن اللغو والرفث * عليه أفضل الصلاة والسلام ، وآله وأصحابه بدور التمام ، آمين

﴿ وبعد ﴾ فقد تم طبع كتاب السيرة الحلبية : المسماة (انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون) للاستاذ المؤرخ الضليع . العلامة على بن برهان الدين الحلبى الشافعى . الجامعة من الشمائل المصطفويه * ماتقر به العيون . وتنزاح به الغيون . وتتشنف به الأسماع : و يألفه سليم الطباع *

كيف لا وانها أحاطت بأقوال المصطفى وأفعاله . وولادته و بعثته وهجرته وغزواته . وأكله وشربه ونومه ويقظته وخدمه وغلمانه وعشيرته وأزواجه وما كان عليه صلى الله عليه وسلم

فناهيك بسيرة جمعت من أخلاقه الكريمة * وصفاته السنية العظيمة * مافيه تبصرة لأولى الألباب * وعبرة لمن اقتدى بسيد المرسلين الأنجاب

فاليك أزف عروسا * بلجة سمحة لاشموسا * تهدى خاطبها الى أخلاق كريمة نبوية وصفات عالية سنية * تجل أن يوصف بها غير ما خلق لها ، وجبل عليها عصمة ربانية * وكمالات علية جدير بأن يتسابق المتسابقون على اقتنائها ليرووا ظمأ تعطشهم بصافى زلالها * ويعكفوا على الوقوف على سيرة الرسول المصطفى * ويشموا أريج عبير نفحات أخلاق سيد أهل الصفا ، عليهم الصلاة والسلام * وقد اعتنى بتصحيحها بمعرفة لجنة من علماء الازهر الشريف : بعد مقابلتها على عدة نسخ طبعا وخطا وناهيك بالنسخة الاميرية . وكان تمام هذا الطبع الباهى والرونق الجميل الزاهى بالمطبعة المذكورة أعلاه الثابت مركزها بسراى رقم ١٢ بشارع السلطة بجوار الأزهر الشريف أواخر رمضان المعظم سنة ١٣٤٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين



فهرست

الجزء الثاني

من كتاب السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الدين الحلبي الشافعى

صحيفه

صحيفه

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

الهداية والعرفان

فى

تفسير القرآن بالقرآن

"ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شىء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين"

"إن علينا جمعه وقرآنه
فإذا قرأناه فاتبع قرآنه
ثم إن علينا بيانه"

بقلم الأستاذ
محمد أبو زيد

تفسير عصرى جديد ، يبين امتياز القرآن ، وتجدد المعانى والسر مع الزمان ، يحبب الناس إلى الدين ويرغبهم فى التمسك به ، لأنه أظهر لهم يسره وسهولته واتفاقه مع مصالحهم فى كل عصر ، يجمع لهم بين آياته ، ويحل لهم ما عسر عليهم من مشكلاته .

فإذا قرأت آية من أى موضوع فيه أمكنك أن تجمع كل ما ورد فى الموضوع من الآيات ، ومن لم يكن حافظا القرآن يستطيع أن يعرف جميع مواضيعه ، ويفقه كل أحكامه وتعاليمه .

مع هذا يبين لك أصول كل علم فى الكون ، ويهديك إلى كل قاعدة من قواعد السياسة والاجتماع كل ذلك بأسلوب سهل واختصار مفيد .

وهو مطبوع على مصحف لطيف فى ورق جيد ، وثمنه [illegible] كل [illegible] من طبقات الأمم

